

سعدی شیرازی

شاعر الإنسانية

عصر . حياته . ديوانه "البوستان"

تأليف

دكتور

محمد موسى القنبري

المدرس بكلية العلوم
جامعة فؤاد الأول

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الخانجي

الطبعة الأولى

مطبعة الخانجي
١٠ شارع وادي النيل (ساحل الدواير)

١٩٥١



المكتبة العامة لمكتبة الاسكندرية

رقم الترخيص: _____

رقم التسجيل: _____

سَعْدِي الشِيرَازِي

شاعر الإنسانية

عصره . حياته . ديوانه "البوستان"

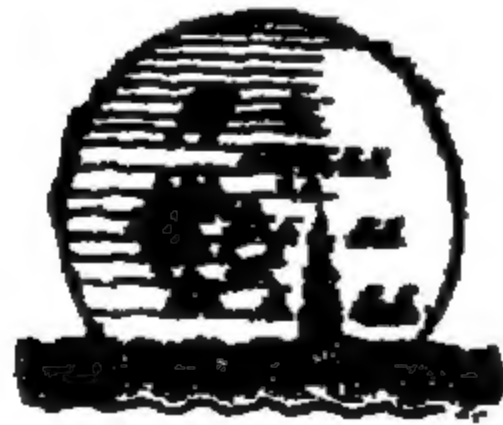
تأليف

دكتور

محمد موسى هندواوي

المدرس بكلية دارالعلوم
بجامعة فؤاد الأول

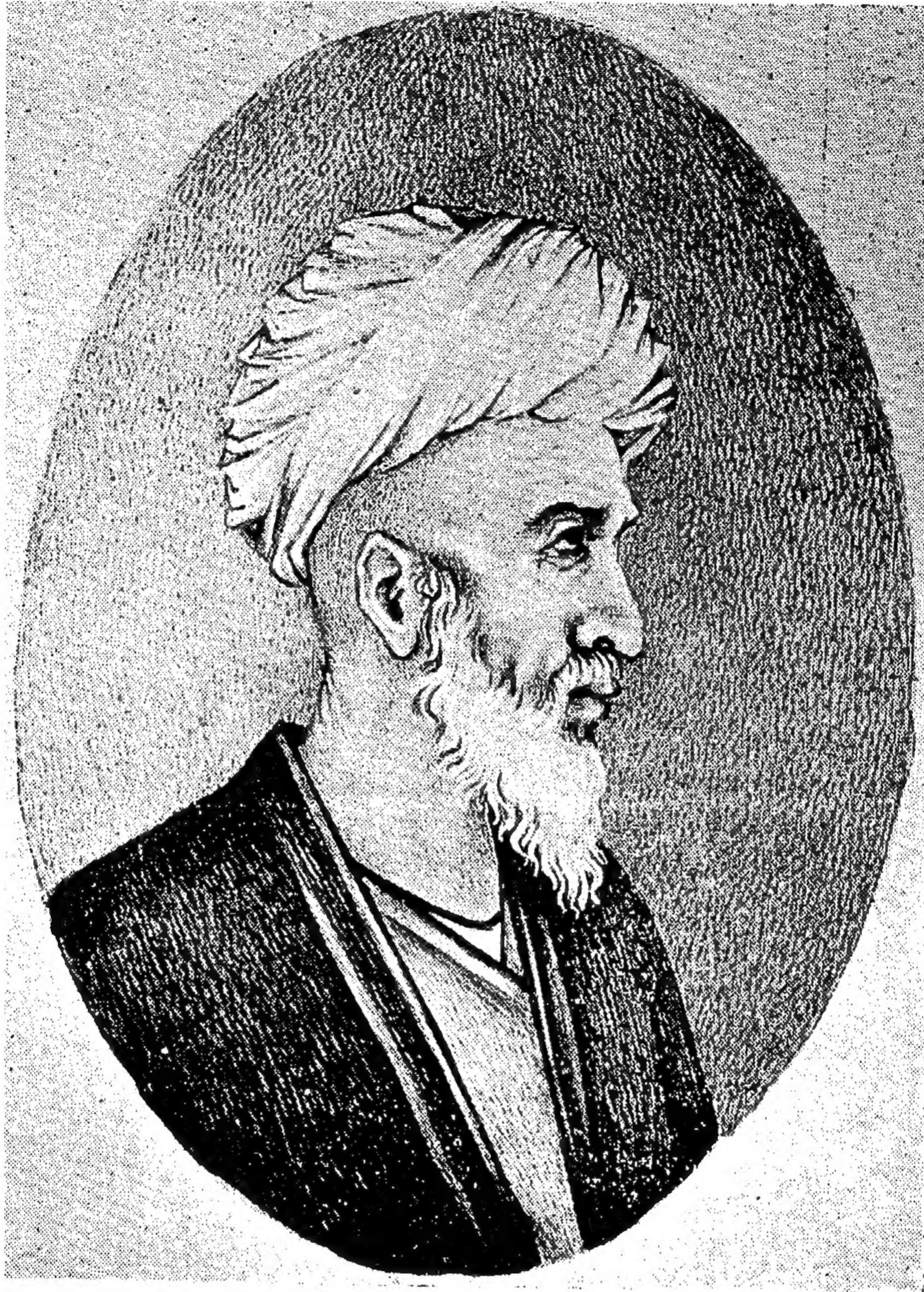
ملزوم الطبع والنشر مكتبة الخانجي



General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
Alexandria, Egypt

القائمان

مطبعة مصر
٤٠ شارع نواكشا (سكان شارع النواكشا)
١٩٥١



صورة الشاعر « سعدى الشيرازى » عن كتاب « تاريخ أدبى ايران »
عصر المغول للأستاذ « على أصغر حكمت » ترجمة عن « تاريخ
الأدب الفارسى » للأستاذ براون

الاهراء

إلى ...

العزیزین علی نفسی ، القریبین إلى قلبی .
من هیآلی سعادة الحياة من جُهدھا .
وخففنا عنی آلامھا بالكثیر من عطفھما ،
وأغدقا علیَّ فیض الحنان من قلبیھما ،
إلى والدی العزیز
وإلى روح والدتی العزیزة
إلیكما معاً أقدم هذا الکتاب .
فهو ثمرة من ثمار رعایتكما ،
ورمز الاعتراف بفضلكما .

ابنکما الوفی
محمد موسی هندراوی

بنام خداوند جانت آفرین
حکیم سخن درزبان آفرین
البيت الأول من «البوستان»

فهرست الموضوعات

ص	ص
إهداء (ج)	
تقديم بقلم حضرة صاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك (م)	
تعريف بالبحث (ف)	

مقدمة

لمحة عن إيران ووضعها السياسي في القرن السابع الهجري ... ١ - ٥	
الباب الأول ... ٦ - ١٨٠	
الفصل الأول ... ٦ - ٥١	
القرن السابع الهجري من الناحية السياسية العامة في إيران وبلاد الخلافة الإسلامية وكيف صوروه المؤرخون ؟ ؟ .	
حال البلاد قبل الغزو ... ٦	
هجوم المغول وكيف صوروه المؤرخون في مملكة خوارزم وإيران الشمالية ؟ ؟ ... ٨	
الشاعر وتصويره لهذه الأحداث ... ١٤	
ولاية فارس بإيران الجنوبية ، وكيف صور المؤرخون مواجهتها للغزو ... ١٧	
الشاعر وتصويره حالة فارس في ذلك العهد ... ١٩	
المغول في أرض الخلافة ، تصوير الموقف بين هولاكو والخليفة ... ٢٠	
هولاكو وسياسته مع الخليفة ... ٢٢	
الشاعر يرثي الخليفة ... ٣٠	
الشاعر يمدح هولاكو ... ٣١	
هولاكو وسياسته إزاء بغداد ورجاها ... ٣٣	
هولاكو وسياسته إزاء مكاتب بغداد ... ٣٦	
ابن خلدون أول من قال بالقائها في النهر ، رأيه والرد عليه ... ٤٣	

ص ص
الفصل الثاني ٥١ - ١٠٨

الحضارة والعلوم في إيران خلال عصر المغول ، وأهم العوامل	
التي ساعدت على مسيرها	٥١
البيئة - ٥١ ، تشجيع المغول - ٥٣ ، عامل الزمن	٥٥
الانقلاب الديني وأثر الدين في توجيه الحضارة	٥٨
البوذية ونشاطها - ٥٨ ، المسيحية ونشاطها	٦١
الإسلام ونشاطه وكيف دخل المغول في الإسلام	٦٣
الأمير تكودار أول من أسلم - ٦٦ ، نكسة تصيب الإسلام والمسلمين	٧٠
غازان يسلم ويعلن الإسلام ديناً رسمياً	٧٤
مظاهر الحضارة في عصر المغول بإيران	٧٧
أولاً - الحضارة المعمارية - ٧٧ ، ثانياً - الحضارة العلمية	٨٣
العناية بالعلوم التاريخية وأهم المؤلفات فيها	٨٧
كتاب جهانگشای	٨٩
قيمة هذا الكتاب بين المؤلفات ومدى الرجوع إليه	٩١
حياة الجويني وصلة الشاعر به وبأخيه	٩٣
خاتمة حياة المصنف ، ومصير أسرته	٩٩
السعدى وأسرة الجويني	١٠٠
الشاعر لم يرث أحداً من آل الجويني	١٠٣
رأى الأستاذ هنري ماسيه في تعليل هذه الظاهرة والرد عليه	١٠٣
تفسير هذه الظاهرة	١٠٥

الفصل الثالث ١٠٨ - ١٨٠

ولاية فارس وحكامها في القرن السابع الهجري	١١٠
أصل التسمية وأقسامها - ١٠٨ ، فارس في ظل الإسلام	١١٠
فارس قبيل حكومة الأتابكة - ١١٤ ، أتابكة فارس	١١٧
سنقر بن مودود - ١١٨ ، زنكي بن مودود	١١٩

- تكلة بن زنگى - ١١٩ ، سعد بن زنگى ١٢٠
- حروبه وسياسته الخارجية - ١٢١ ، إصلاحاته الداخلية ... ١٢٣
- الاضطراب فى سنة وفاته وتحديدها ١٢٤
- لماذا لم يمدح الشاعر هذا الأمير مدحاً مستقلاً ؟ ١٢٥
- بو بكر بن سعد ١٢٧
- كيف تولى أبو بكر الحكم - ١٢٩ ، السياسة الخارجية فى عهده ١٣١
- السياسة الداخلية - ١٣٥ ، الحركة العلمية فى شيراز فى عهده ١٣٨
- تحديد السنوات التاريخية فى حياة أبى بكر ١٤٢
- الشاعر وأبو بكر بن سعد - ١٤٤ ، سعد بن أبى بكر - ... ١٥١
- متى ولد هذا الأمير ؟ - ١٥٥ ، مدائح الشاعر ومراثيه فى هذا الأمير ١٥٧
- محمد بن سعد وأمه تركان خاتون ١٥٨
- الشاعر ومحمد بن سعد - ١٦٠ ، رأى الأستاذ القزوينى والرد عليه ١٦٢
- الشاعر وتركان خاتون - ١٦٥
- محمد شاه بن سلغر شاه - ١٦٦ ، سلجوق شاه بن سلغر شاه ... ١٦٨
- أبش خاتون - ١٧١ ، الشاعر وأبش خاتون ١٧٤
- فارس تحت حكم المغول ١٧٥
- الأمير أنكيانو أول مندوب لإدارتها ١٧٥
- الشاعر والأمير أنكيانو - ١٧٧ ، الأمير سوغو نجاى ... ١٧٨

الباب الثانى ١٨٠ - ٢٩١

الفصل الأول ١٨٠ - ١٩٣

- أسرة الشاعر والغسوض الذى يحيط بحياته - ١٨٠ ، أجداده ... ١٨٠
- أبوه - ١٨٣ متى مات أبوه ؟ وإلى أى سن بلغ الشاعر
- حين وفاته - ١٨٦ ، أمه - ١٨٨ ، إخوته ١٩٠
- زوجاته وأولاده ١٩١

ص	ص
٢١٣	الفصل الثانى ١٩٣ — ٢١٣
١٩٤	مولد الشاعر — ١٩٣ ، عرض آراء القدماء ونتائج ١٩٤
٢٠٠	عرض آراء المحدثين ونتائج — ١٩٩ ، عرض لرأى الأستاذ إقبال ٢٠٠
٢١٠	مناقشة آرائه — ٢٠٤ ، الرد على رأى الأستاذ إقبال ٢١٠
٢٢١	الفصل الثالث ٢١٣ — ٢٢١
٢١٣	إسم الشاعر وتحقيق ما يدور حوله ٢١٣
٢٥١	الفصل الرابع ٢٢١ — ٢٥١
٢٢١	تخلص الشاعر والخلاف حوله — ٢٢١ ، آراء القدماء ٢٢١
٢٢٣	آراء المحدثين — من قال بتخلصه بسعد الأكبر ٢٢٣
٢٢٧	من قال بتخلصه بسعد الأصغر — ٢٢٦ ، رأى الأستاذ القزوينى ٢٢٧
٢٣٠	الرد على الأستاذ القزوينى — ٢٣٠ ، رأى الأستاذ إقبال فى هذه
٢٣٩	المسألة ومناقشته — ٢٣٩ ، خلاصة المسألة ٢٤٢
٢٥١	الفصل الخامس ٢٥١ — ٢٦٧
٢٦٣	رحلات الشاعر — ٢٥١ ، العلماء والأدباء الذين لقيهم الشاعر ٢٦٣
٢٦٧	الفصل السادس ٢٦٧ — ٢٧٠
٢٦٧	حياته الأخيرة ٢٦٧
٢٧٣	الفصل السابع ٢٧٠ — ٢٧٣
٢٧٠	مقبرته ومرقده ٢٧٠
٢٧٣	الفصل الثامن ٢٧٣ — ٢٧٥
٢٧٣	عقيدة سعدى ٢٧٣
٢٨٨	الفصل التاسع ٢٧٥ — ٢٨٨
٢٧٥	مؤلفات الشاعر أو كلياته — ٢٧٥ ، المنشورات ٢٧٥
٢٨٧	المنظومات — ٢٨١ اللغات التى كان يعرفها ٢٨٧
٢٨٨	الفصل العاشر ٢٨٨
٢٨٨	منزلة الشاعر ومكانته ٢٨٨

ص	ص
٤٥٦	٢٩١ الباب الثالث

ديوان « البوستان » :

٣٢٧ - ٢٩١	القسم الأول
------------------	-------------

دراسات تاريخية على البوستان :

٣٠٠ - ٢٩٣	الفصل الأول
٢٩٣	البوستان أملتته حوادث العصر وظروف الشاعر

٣٠٤ - ٣٠٠	الفصل الثاني
٣٠٠	هل كان الكتاب يسمى البوستان أولا ؟ ؟
٣٠٣	لمن قدم هذا البوستان ؟ ؟

٣٠٨ - ٣٠٤	الفصل الثالث
٣٠٤	البوستان بين المثنويات - ٣٠٤ ، المثنويات التاريخية
٣٠٧	المثنويات الصوفية - ٣٠٥ ، المثنويات التعليمية

٣١٦ - ٣٠٨	الفصل الرابع
٣١١ - ٣٠٨	وصف أهم النسخ الموجودة من البوستان
٣١٣	نسخة إيران ، نسخة الهند ، نسخة تركيا ، نسخة أوروبا ، نسخة فروغى . الفروق بين النسخ

٣٢٢ - ٣١٦	الفصل الخامس
٣١٦	أبواب الكتاب وموضوعها
٣١٩	هل من فروق بين كتابي الشاعر « البوستان والبستان » ؟ ؟

٣٢٧ - ٣٢٢	الفصل السادس
٣٢٦	طريق الشاعر في قصص البوستان - ٣٢٢
	القصة من حيث الشكل ، القصة من حيث المكان ، القصة من حيث الأشخاص .

القسم الثانى

٣٢٧	تحليل « البوستان »
أولا -	تحليل قطع المقدمة ٣٢٧ القطعة الأولى - مدح الذات
٣٣٦	الإلهية - ٣٢٩ ، القطعة الثانية - مدح الرسول عليه السلام
٣٤٠	ثانياً - تحليل أبواب الكتاب
٣٤٢ - ٣٤١	١ - باب العدل - جدول
٣٤٣	قصص باب العدل التى تدور حول شخصيات تاريخية ...
٣٤٦	قصة حمشيد ، قصة دارا - ٣٤٦ ، قصص ملوك الأكاسرة -
٣٤٩	قصة كسرى وهرمز - ٣٤٨ قصة خسرو وشيرويه ...
٣٥٢	قصة شاپور وخسرو - ٣٥١ ، قصة كركين ...
٣٥٥	قصة عمر بن عبد العزيز - ٣٥٣ ، قصة الحجاج ...
٣٥٨	قصة المأمون - ٣٥٧ ، قصتنا قزل أرسلان ...
٣٦١	قصة تكلة بن زنگى ...
	الأفكار العامة فى باب العدل

(أ) السياسة الداخلية :-

٣٦٦	شئون الرعية - ٣٦٣ ، شئون الموظفين
٣٦٩	السياسة مع الوزراء - ٣٦٧ ، السياسة مع الموظفين
٣٧٠	شئون الجيش
	(ب) السياسة الخارجية :-
٣٧٤	خصوم الدولة - ٣٧٢ ، حالات السلم والحرب
٣٧٦	أمور الأجانب
٣٧٧	٢ - باب الإحسان - جدول

٣٧٩	قصص باب الإحسان - ٣٧٨ ، قصة سيدنا إبراهيم
٣٨٤	قصة شبلى - ٣٨٠ ، قصص حاتم - ٣٨٢ ، قصة ابنة حاتم
٣٨٥	قصة بهرام

الأفكار العامة في باب الإحسان .

الدعوة إلى الإحسان — ٣٨٦ ، من يستحقون الإحسان ... ٣٨٧
الذين لا يستحقون الإحسان ٣٨٨
الدعوة إلى السعى وراء الرزق والاقتصاد ٣٨٨

٣ — باب العشق — جدول — ٣٩١
قصص باب العشق — قصة المحنون وليلى ٣٩٢
قصة محمود وإياز — ٣٩٣ ، قصة اليراع — ٣٩٥ ، قصة الفراشة ٣٩٥
الأفكار العامة في باب العشق ٣٩٧
أهل الصورة وأهل المعنى — ٣٩٩ ، عقيدة الفناء في الله ... ٤٠٢
عقيدة وحدة الوجود ٤٠٤

٤ — باب التواضع — جدول — ٤٠٥
قصص باب التواضع — قصة عيسى عليه السلام ٤٠٦
قصة سيدنا عمر — ٤٠٩ ، قصة سيدنا علي ٤١٠
قصة حاتم الأصم — ٤١٠ ، قصة لقمان الحكيم ٤١١
قصة كوشيار الحكيم — ٤١٢ ، قصة بهلول ٤١٢
قصة أبو يزيد البسطامي — ٤١٣ ، قصة معروف الكرخي ... ٤١٤
قصة ذي النون — ٤١٦ ، الأفكار العامة في باب التواضع —
الدعوة إلى التواضع — ٤١٧ ، صفات المتواضع ٤١٨

٥ — باب الرضا — جدول — ٤١٩
قصص باب الرضا — ٤١٩ ، قصة النسروالحدأة ٤٢٠
قصة البعير والناقة — ٤٢١ ، تحليل الأفكار العامة في باب الرضا ... ٤٢١
القضاء والقدر — ٤٢٢ ، الجبر والاختيار ٤٢٣
٦ — باب القناعة — جدول — ٤٢٤
قصص باب القناعة — ٤٢٤ ، قصة الأبدال ٤٢٥
قصة الهرة — ٤٢٦ ، الأفكار العامة في باب القناعة ٤٢٧
علاج الطمع — ٤٢٧ ، الدعوة إلى القناعة ٤٢٩

٧ - باب التربية	٤٣٠ - جدول
قصص باب التربية - ٤٣١ ، قصة تكش	٤٣١
قصة عضد الدولة - ٤٣٣ ، قصة داود الطائي	٤٣٣
قصة الحجاج - ٤٣٥ ، قصة فريدون ووزيره	٤٣٦
قصة بقراط الحكيم - ٤٣٨ ، قصص النساء - ٤٣٩ ، قصص الأولاد	٤٤١
قصص الأتباع	٤٤٢
الأفكار العامة في باب التربية - ٤٤٢ ، التربية العقلية	٤٤٣
التربية الخلقية	٤٤٤
٨ - باب الشكر	٤٤٦ - جدول
قصص باب الشكر - ٤٤٦ ، قصة طغرل	٤٤٧
الأفكار العامة في باب الشكر	٤٤٨
٩ - باب التربية	٤٥١ - جدول
قصص باب التوبة - ٤٥٢ ، قصة جمشيد	٤٥٢
قصة يوسف وزليخا	٤٥٣
الأفكار العامة في باب التوبة تصوير الحياة الدنيا	٤٥٤
الدعوة إلى العمل الصالح	٤٥٥
التوبة والاعتذار عن العمل السيء	٤٥٧
١٠ - باب المناجاة	٤٥٨ - جدول
قصص باب المناجاة ، قصة المحبوس	٤٥٨
قصة السكران	٤٦١
الأفكار العامة في باب المناجاة	٤٦٣
خاتمة	٤٦٥
الكشاف	٤٦٧
المصادر	٤٨١
تصويب	٤٩١

تقديم

بقلم مفضرة صاحب العزة أستاذى الجليل الدكتور عبد الوهاب عزام بك
سفير مصر بالبلاستان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

— ١ —

هذا الكتاب عن الشاعر الفارسى الكبير الشيخ سعدى الشيرازى وكتابه
المنظوم « البوستان » .

وهو ثمرة طيبة من ثمرات دراسة الآداب الإسلامية الشرقية فى قسم اللغة
العربية ، ومعهد اللغات الشرقية من كلية الآداب ، من جامعة فؤاد الأول إلى
ثمرات أخرى أثمرتها الكلية فى عشرين عاماً .

أخرجت كلية الآداب فى هذه السنين كتباً قيمة ، وأبحاثاً مجدية ، عرضت
على قراء العربية صوراً من الآداب الإسلامية غير العربية وأبحاثاً فيها . وهى آداب
تصلها بالعربية صلة صلات متينة ، فهى تستمد من العربية ومنابعها وتحدث
— هى والآدب العربى — عن تاريخ واحد ، وتقرب عن عواطف متواصلة .

— ٢ —

والشيخ سعدى شاعر عظيم ، يرى بعض أدباء الفرس أنه أعظم شعراء
الفارسية ، شملت نظراته جوانب الحياة كلها ، وتجلت فى منظوماته المقاصد
الإسلامية الجليلة ، والغايات الإنسانية السامية .
هو — لا ريب — من كبار شعراء الإنسانية .

وإن البحث الأدبي ، ولا سيما تقصى مذاهب شاعر ، أو كاتب ، والتعريف بالبيئة التي أثرت فيه ، والمنابع التي أمدته ، لما يشق على الباحثين حتى في أدبهم ، دب اللغة التي يتكلمون بها ، ويتعلمون ، وينثرون ، وينظمون ، وهو — لا ريب — أشق وأصعب مجالا ، وأبعد غاية ، وأعسر منالا ، على من يدرسون أدب لغة غير لغتهم ، وقلَّ أن يَمَكَّنَ لهم هذا إلا بعد طول الدرس ، وكثرة المِران ، مع سلامة الطبع ، وصحة النظر . ولا بد — مع هذه كلها — من الاستعانة بالباحثين من أهل اللغة أنفسهم ، فهم أبصر بلغتهم ، وأقدر على سبر أغوارها ، وإدراك دقائقها ، والتمييز بين صورها ، وألوانها ، وإحساس روائحها ، وطعومها .

فالتصدي للكتابة عن شاعر كبير كالشيخ سعدى الشيرازى ، ومنظومة كبيرة من منظوماته ، يبشر بأن خريجي كلية الآداب مولعون بالمباحث الصعبة ، مقدمون على المطالب البعيدة ، ويُبَيِّن عما بلغته دراسة الآداب الشرقية في هذه الكلية من سعة ، وعمق ، مهَّدًا للإقبال على المطالب الصعبة ، والطموح إلى الغايات البعيدة .

وقد احتمل تلميذنا الدكتور محمد هنداوى مصاعب كثيرة ، ولقى عناء كبيرا ، حين طمحت همته إلى البحث الواسع الشاق ، فاختر لرسالته الشيخ « سعدى الشيرازى » : عصره — حياته — ديوانه « البوستان »

تأع البحث سنين ؛ قرأ البوستان وكثيراً من منظومات الشاعر ، واطلع على ما كتبه أدباء إيران ، والمستشرقون في تاريخ سعدى ، وعصره ، وفي أدبه ،

وكتّاب البوستان خاصة ، ورجع إلى أمهات الكتب الفارسية التي يرجع إليها في هذا الموضوع .

— ٥ —

وقد تناول في كتابه العصر الذي عاش فيه الشاعر ، وقدم له بذكر الحوادث الهائلة التي طلع بها هذا العصر ؛ حوادث الغارات المغولية على البلاد الإسلامية ، ثم صور أحوال السياسة والحضارة في هذا العصر جهد الطاقة ، وبين آثار هذا كله ، في معيشة الشاعر ، وفي أدبه ، وتتبع ما أضافه الشاعر في هذه الحوادث من شعر ، وما جاء في كلامه من إشارة إليها .

وخص الإقليم الذي عاش فيه سعدى ، والدولة التي سيطرت على هذا الإقليم في حياته ، ببحث مفصل ، فبين كيف نجح إقليم فارس من غارات المغول ، وأجل أخبار دولة آل زنكي التي أظلت فارس في ذلك العهد ، واتصل بها الشاعر وعاش في كنفها ، ولقى من رعايتها ما جعله ينتسب إلى أحد ملوكها فيلقب بالسعدى انتساباً إلى سعد بن زنكي أحد ملوكها ، ويقدم البوستان إلى ابنه أبي بكر بن سعد . وذلك بحث أدبي ، تاريخي ، قيم ، لا يظفر به الكاتب إلا بعد جدّ وذأب . وكذلك عن المؤلف بتاريخ الشيخ سعدى - من مولده إلى وفاته - فلما وفي التاريخ حقّه ، عمد إلى « البوستان » فأطال البحث فيه ، تكلم عن نسخ الكتاب الجديرة بالثقة ، وذكر شروحه في الفارسية والتركية ، ثم تكلم عن مقدمة الكتاب ، وأبوابه ، وقصص كل باب ، وعدد أبيات كل قصة ، والحادثة التي تضمنتها ، والإنسان الذي ذكرته .

وقد شق على نفسه بالتدقيق ، والإحصاء ، ووضع الجداول - فيسّر ، لكل طالب - ثمرات هذا البوستان ، وقدم لكل باحث مفاتيح أبوابه ، فذلّ صعباً ويسّر عسيراً ، فله شكر كل معني بالشيخ سعدى ، وبوستانه .

(س)

وكان الدكتور هنداوى قد اعتزم ترجمة البوستان كله إلى العربية ، ونشر الترجمة ، فعسى أن يتبع بحثه القيم عن سعدى ، والبوستان ، نشر الترجمة العربية ، ثمرة أخرى طيبة من ثمرات درس الآداب الإسلامية في جامعة فؤاد .

والله يجزيه خيراً كفاء ما احتمل من مشقة ، ولقي من عناء ، وما وقف على البحث والكتابة ، من ، فكره ، ووقته ، وماله ، ويوقفه لمتابعة البحث والتأليف . وهوولى الهداية والتوفيق « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً » .

عبد الوهاب عزام

كراچی ۵ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ

١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالبحث

— ١ —

تعرفتُ على هذا الشاعر الكبير منذ دراستنا في معهد اللغات الشرقية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وعرضتُ علينا نماذج من كتابه البوستان فكشفت لنا عن كثير من مواهب هذا الرجل .

وصح العزم لدى — فيما كان يقدر لي — أن أتناول هذا الشاعر ، وكتابه هذا بالدراسة والتحليل ، فأعرض لتلك النواحي السامية التي بدأنا نلمسها في دراستنا ، فكان أن صح العزم على اختياره موضوعا للدراسة للحصول على درجة الدكتوراه .

والبحث عن هذا الشاعر — بل عن أية شاعر — له منهج محدود ، لا بد أن يتناول نواحي ثلاثاً :

١ — الحديث عن العصر الذي عاش فيه الشاعر من الناحية السياسية العامة والخاصة — في الدولة والإقليم — والإلمام بالحركة العلمية في العصر ، لبيان مدى تأثير كل ذلك في تكييف حياة الشاعر ، وتأثيرها في إنتاجه .

٢ — الحديث عن الشخصية بما يتناول أطراف حياتها ، ومذهبها في الحياة ، وتحقيق ما يدور حولها من آراء وخلافات .

٣ — الحديث عن الإنتاج — كاه أو بعضه — إذا كان هذا البعض مستقلاً يمكن أن يستخلص منه أفكار الشاعر ، وآراؤه ، ومذاهبه .

(ف)

فأما الحديث عن العصر ، فقد رأيت أن هذا الشاعر ليس مواطناً في إمارة فارس وحدها ، ولا في دولة إيران كلها ، بل مواطناً عالمياً — إن صح هذا التعبير — فكان لا بد لي أن أصور حالة إيران كلها في ذلك العصر ، بل الحياة في محيط البيئة الإسلامية التي كانت تجاور إيران شرقاً ، وغرباً ، والتي كان لها صدى كبير في حياة الشاعر ، وفي تلوين إنتاجه .

ومن هنا كان لزاماً علي — في مدخل الموضوع — أن أصور بقدر الإمكان أهم الأحداث السياسية ، في تلك البيئة عامة ، وأن ألتقط هذه الصور من الكتب المعاصرة التي تصدت لهذا ، كي أرسم صورة تقريبية للحياة العامة في ذلك العصر .

وكان من الواجب كذلك — حين أعالج هذا الموضوع — أن أتجنب الدخول في تفاصيل الحروب الطاحنة ، التي شنها المغول على تلك المواطن ، وأن أتجنب ذكر الأسباب والمسببات ، والخطط العسكرية ، وطريق الجيوش ، ونتائج المواقع . فإن كل ذلك مما يعنى المؤرخ السياسي ويساير طبائع المنهج المألوف لديهم . أما مهمة الدارس للأدب ، أو لعصر من العصور ، من وجهة نظر الأدب فهي مهمة يسيرة في ظاهرها ، ولكنها عسيرة في داخلها . ذلك لأنه إنما يتصدى لدراسة أهم الأحداث السياسية — إن وجدت — أو الأحداث العامة ، ومدى تأثيرها في حياة الأدب ، أو في حياة الأديب ، والاجتهاد في ربط الحوادث بالإنتاج إن كان لها صدى فيه .

وبهذا مضيت في الفصل الأول ، صورت بقدر الإمكان ، حالة البيئة قبيل الغزو وحالتها في مختلف المواطن خلال الغزو ، وتعرضت لأهم الحوادث التي حدثت وكان

(ص)

لها تأثير في إنتاج الشاعر ، وعقبت على كل ذلك بصور من شعره في كل حادثة بقدر الإمكان، وبذلت جهداً لتصحيح موقف بعض المؤرخين من حوادث المغول. في أرض الخلافة الإسلامية ، وما كانوا يسندونه خاصة إلى قائد الجيوش — هولاكو — في تحطيم الخلافة ، وفي مصير مكتبات بغداد ، وفصلت في هذا مسترشداً بما كتبه مختلفو المؤرخين من الإيرانيين القدماء ، وما كتبه بعض العرب ، والمستشرقين .

وفي فصل الحضارة ، أثبت من تاريخ المغول عند مختلف المؤرخين من الغربيين وغيرهم ، أنهم لم يكونوا أعداء للحضارة بالمعنى الذي عرف عنهم وتتبع بعض ألوان الحضارة ، وخاصة ما كان يتصل منها بتشجيع العلوم والعلماء والنهوض بالإنتاج العلمي ، وما أحاط المؤرخين من بسطة الحياة ، حتى ظهر في هذا العصر كثير من أعلام التاريخ الذين مكنت لهم الدولة فبلغ بعضهم مناصب الوزارة .

فلما انتقلت إلى الفصل الثالث من هذا الباب ، وهو دراسة الأسرة الحاكمة في إمارة فارس ، التي كانت عاصمتها شيراز — موطن الشاعر — التزمت المنهج التاريخي التفصيلي لأعضاء هذه الأسرة ، ولكنني أفضت القول في دراسة ألوان الحياة من الوجوه الهامة ، في عصر الأمير الذي عاش الشاعر في كنفه ، وبخاصة الحركة العلمية في عهده ، ومدى تأثير لون الحياة نفسها في إنتاج الشاعر ، وحققت في هذا الفصل بعض وجوه الخلاف بين المؤرخين ، ورجال الأدب ، فيما كان يتصل بالشاعر ، وحكام هذه الإمارة .

(ق)

وكان النظر في هذا الباب جديراً بهذا كله ، ذلك لأنه يحيط بألوان أساسية من الحياة السياسية ، والحضارة ، لتشخيص حياة الشاعر وإنتاجه على ضوءها ، تشخيصاً قريباً من الصواب ، وكان التماس تأثيرها في هذا الإنتاج مما أطال النظر كذلك ، ولكنه كان لا غنى عنه .

— ٣ —

وفي الباب الثاني — وهو الخاص بحياة الشاعر نفسه — تتبعت أطراف حياته منذ مولده حتى نهايته ، وفصلت — جهد الطاقة — في كثير من الخلاف حول المسائل الهامة ، التي لا تزال موضع جدل ومناقشة ، وحاولت — في كل ذلك — أن أرسم صورة صحيحة ، أو قريبة من الصواب ، لحياة هذا الشاعر ، وتطورها ، وتأثيرها بلون الحياة التي كان يعيش فيها : في منزله ، وفي موطنه ، وفي إمارته وفي دولته ، وأخيراً في البيئة الإسلامية التي كانت تحتويه ، ويجوب بعض نواحيها والتي وجهت الطريق لكثير من الأفكار التي أخذ ينظمها في كتابه البوستان ، حتى أخرجت منه شاعراً من أكبر شعراء الأخلاق ، ومن أعظم شعراء الإنسانية بوجه عام ، تشيد بذكره — حتى اليوم — البيئة الإسلامية كلها ويشارك في الإشادة به الذين عنوا بدراسة الاستشراق في الغرب .

— ٤ —

أما الباب الثالث وهو البحث في ديوانه — أو مثنويه البوستان — فقد تخيرته من إنتاج الشاعر جميعه ، ذلك لأنه أهم كتاب يعرض للدراسة الأخلاقية ، ويوضح كثيراً من مذاهب الشاعر ، وآرائه ، فهو — وحده — جدير بالدراسة ، وقد قسمت البحث فيه إلى قسمين أساسيين .

(١) بحث تاريخي .

(ب) دراسة تحليلية .

وقد شمل البحث في الأول كل ما أمكن أن يدور حول تاريخية البوستان .
عن الباعث لهذا اللون من الشعر ، وعن تسميته ، ومكانته بين المثنويات ، وأهم
النسخ الموجودة ، والفروق بينها ، وعن أبوابه وموضوعها ، وعن طريق الشاعر
في أداء قصصه .

أما الدراسة التحليلية ، فقد كانت عوضاً عن الترجمة الصامتة . ذلك أن الترجمة
— وحدها — ترضى حاسة الأديب ، قبل أن تسد حاجة الباحث العلمي ، كما يشير
إلى ذلك أستاذنا معالي الدكتور طه حسين باشا ، فيما قدم به غزليات حافظ
الشيرازي . فالترجمة — من هذه الناحية — عمل تكميلي لا أساسي . ذلك لأننا
بصدد بحث علمي يطالبنا أن نكشف عما في طرفي الكتاب من أفكار ،
وإذا فهمت المقاصد من أبواب الكتاب ، كان الرجوع إلى الترجمة أمراً يسيراً ،
على أن الترجمة كانت قد تمت — بطبيعة الحال — لتكون أداة للبحث عند النظر
في ذلك التحليل ، وسأقوم — عما قريب — بعرضها على القراء فيما أشار إليه
أستاذي الدكتور عزام بك .

وقد شملت الدراسة التحليلية ، تحليل للمقدمات وما تطويه من أفكار ، ثم
تحليل القصص التي تدور حول أشخاص تاريخيين أو على ألسنة الحيوان ، فيما
تضمنته أبوابه المختلفة .

وكان لابد أن أعين حدود القصة قبل الحديث عن أفكارها أو موضوعها
ولهذا وضعتُ الجداول ، ثم اتبعتُ تحليل القصص بالإشارة إلى الأفكار العامة
التي نادى بها الشاعر في مختلف قصص الباب كله .

(ش)

والقصص التي عرضنا لتحليلها هي أقوى القصص — لا نزاع — في إثبات أفكار الشاعر وآرائه ، وإلا فكيف يهتم بأن يسند أدوارها أعظم الشخصيات الملائمة لها ؟؟ كما أنها القصص التي اهتم لها الدارسون من الغرب والشرق ، بل اهتم لها المصورون العالميون ، فصوروا حوادث بعضها . كما نلاحظ ذلك في إحدى النسخ القيمة المخطوطة بدار الكتب المصرية ، والتي على بعضها توقيع المصور الإيراني الخالد — بهزاد — والتي زادت من قيمة المخطوطة فعرض فيها مبلغ خيالي بلغ ٣٠ ألف جنيه ، وقد نقلنا بعضها في هذا الكتاب .

هذه هي دراستي للموضوع ، أقدمها اليوم ، وأقدم معها هذه الألوان التي كشفت عن الشاعر الكبير « سعدى الشيرازي » . ولعلّي أكون قد وفقت في أن أقدم للقارئ الكريم — وكل ذي رغبة في التماس شيء من آثار الشاعر — صورة صادقة تحبب إليه التماس الترجمة الكاملة لهذا الكتاب التي سأنشرها عما قريب ، والتي سأتابعها بدراسة وترجمات أخرى لبقية آثاره — منشورة ومنظومة — لعلّي أكون قد ساهمت بنصيب في نقل تراث أجنبي إلى لغتنا ، وإضافة ثروة جديدة إليها ، عن شاعر من كبار شعراء الإسلام . ولعلّي أكون قد ساهمت بنصيب كذلك في إحياء هذا الشاعر .

والله أسأله التوفيق والسداد ؟
المؤلف

٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ هـ

٣٠ يناير سنة ١٩٥١ م

مقدمة

لمحة عن إيران ووضعها السياسي في القرن السابع الهجري

تعتبر المنطقة التي تقع فيها إيران إقليماً قائماً بذاته ، ولهذا الإقليم مقوماته الطبيعية التي تجعل منه وحدة مستقلة ، وقد هيا له موقعه وسهولة مسالكه منذ القدم مكانة جعلته بمثابة الجسر يعبر عليه الغزاة من الشرق إلى الغرب وبالعكس . فاجتازه الإسكندر الأكبر في فتوحاته إلى الشرق قبل الميلاد ، ومضى عليه العرب في غزواتهم حتى الهند في القرن الأول الهجري ، واجتاحه المغول خلال القرن السابع الهجري ، ونفذوا منه إلى الشام وأوروبا في الغرب . أما من الناحية السياسية في مطلع ذلك القرن فقد كان ينقسم إلى قسمين أساسيين :

الجزء الشمالي ، وتدخل فيه منطقة خراسان ، وكان أغلبه تحت حكم « ملوك خوارزم » وبعضه تحت حكم « الإسماعيلية » في منطقة صغيرة جنوبى بحر قزوين تسمى « بلاد الجبل » .

والجزء الجنوبى منه وأهم ما فيه « ولاية فارس » وكانت مستقلة ، وبعض ولايات أخرى صغيرة .

وكان يجاور هذين القسمين من الغرب بلاد الخلافة الإسلامية .

ويمكن أن نصور حال البلاد خلال القرن السابع الهجرى بما يأتى :

كانت بلاد إيران فى مستهل ذلك القرن تتمتع برخاء فى العيش ، وازدهار فى الحياة ، وتقدم فى العلوم ، ورقى فى كل ألوان الحضارة . تزخر مدنها بوفرة من

أجلة العلماء ، ويتسابق حكامها وولايتها في رعايتهم ، وتهيئة الحياة رخية هائلة لهم .
وكان الموطن الإسلامى موطناً عاماً لكل مواطن فى أية بيثة من بيثاته ،
يتنقل فيها كيف يشاء ، ويحل فيها متى شاء ، تتلقاه مدنها وأهلها وكأنما يحل معهم
وطناً وينزل عليهم أهلاً . لا فرق فى هذا بين من كان من أبناء الشرق أو من
أبناء الغرب .

وفى أوائل هذا القرن فحىء العالم الإسلامى^(١) فى — الجانب الشرقى منه —
بسيل جارف اجتاح أقاليمه ومدنه بظهور المغول ، ومسيرهم نحو البلاد الإسلامية
المجاورة لهم .

وكانت أهم دولة اصطدموا بها فى الطريق دولة « ملوك خوارزم » وكانت
تسيطر سلطانها على بلاد ما وراء النهر والجزء الشمالى من إيران ، وامتد حكمها من
سنة ٤٩١ هـ حتى سنة ٦٢٨ هـ^(١) .

وكان يقوم على حكمها السلطان « محمد شاه » حين فجأه المغول ، ولم يحتل
هذا السلطان ضغط هجماتهم المتواصلة ، وما زال يفر من مكان إلى مكان وهم
فى أعقابه حتى لجأ أخيراً إلى جزيرة ببحر قزوين ومات بها فى نفس العام الذى
هاجمه فيه المغول وهو سنة ٦١٧ هـ . فتولى الدفاع بعده ابنه « جلال الدين
منكبرى » وقاد الجيوش فى بسالة وشجاعة قل أن يوجد لهما نظير .

ولا نستطيع ونحن نسجل له بعض مآثر تاريخه أن ننسى ذلك الموقف الذى
وقفه جلال الدين نفسه وتلك البطولة التى مثلها حين عيل صبره ، وضاق به المجال ،
ولم يبق إلا أن يسقط أسيراً أو قتيلاً ، فألقى بنفسه من مرتفع على شاطئ نهر
السند ، وهو على صهوة جواده ، يبغى النجاة إلى لقاء جديد ، بعد أن التقى بفئة

(١) حمد الله المستوفى . تاريخ كزیده ص ٤٨٦ طبعة جب التذكارية .

قليلة من رجاله بجيش المغول اللجب ، وأوشك أن ينتصر عليهم بهذه الجماعة ،
لولا سوء الحظ ونفاذ المقدور ، فكان عملاً فداً أقرب إلى الأسطورة منه
إلى الحقيقة^(١) .

ومع ذلك لم تحطم أعصابه هذه الحادثة ومضى يحمل نفسه بيده ، يذيقهم
العذاب ويذيقونه ، حتى قضى الله أمراً كان مفعولاً ، فتلاشت قوته وبادت
دولته سنة ٦٢٨ هـ^(٢) .

وفي الجزء الجنوبي الغربي من إيران كانت تقوم أكبر ولايات الجنوب
وهي « ولاية فارس » كان على حكم هذه الولاية في ذلك العهد أمير من
تأبكة آل سلغرهو « سعد بن زنگي » الذي حكم ما بين سنة « ٥٩١ - ٦٢٣ هـ^(٣) »
فتمكن — بعد نظره — أن يحافظ على استقلال ولايته والنجاة بها بعيداً عن
ذلك الغزو المرير ، ورضى أن يحافظ على استقلاله الذاتي ، والاعتراف به مقابل دفع
الجزية لهم ، فأمن بهذا شر ذلك المصير الذي آلت إليه إمبراطورية « ملوك خوارزم » .
كان يجاور هذين القسمين من الغرب ، بقايا ممتلكات الخلافة في العراق ،
وكان يقوم عليها في ذلك الوقت « الخليفة المستعصم » . تجنب الخليفة سياسة المسالمة
وارتكب كثيراً من الأخطاء التي سنعرض لها ، مما أدى إلى القضاء على خلافته
وعلى دولته سنة ٦٥٦ هـ .

وبجانب ذلك كانت هناك ولايات أخرى بعيدة عن المحيط الذي سنعرض
له في دراستنا ، أصاب بعضها غزو المغول وطواها فيما طوى ، وكان أهمها منطقة

(١) انظر محمد المنتهي النسوي « سيرة جلال الدين منكبرتي » ص ٨٥ طبعة باريس
والنظر تصوير القصة في كتاب الأوابد للدكتور عزام بك .
(٢) ابن الأثير ج ١٢ ص ٢٣٥ الطبعة الأزهرية .
(٣) شيرازنامه ص ٥٢ و ٥٤ طبعة طهران .

« قلاع الاسماعيلية » في « بلاد الجبل » جنوبي بحر قزوين ، وقد أقاموا حكومتهم في تلك المنطقة ما بين سنة ٤٨٣ إلى ٦٥٤ هـ^(١) . استطاع المغول أن يتغلبوا بدورهم أيضاً على تلك الطائفة ، حتى إذا فرغوا منها سنة ٦٥٤ هـ تقدموا إلى العراق ، فإذا انتهوا منه مضوا في طريقهم إلى الشام حيث التحموا بالمصريين وأمراء الشام في عدة مواقع ، كان من أهمها موقعتان عظيمتان هما موقعة « عين جالوت » سنة ٦٥٨ هـ^(٢) . وموقعة « مرج الصفر » التي حدثت سنة ٧٠٢ هـ^(٣) . وقد كتب النصر في هاتين الموقعتين للمصريين ، فارتد المغول على أعقابهم ، ثم تتابع الضعف عليهم ، حتى انقضت حكومتهم التي أسسوها شمالي إيران في النصف الأول من القرن الثامن الهجري .

هذا تصوير سريع لسير هذه الحركة التي استغرقت قرابة قرن من الزمن ، هو القرن السابع الهجري من بدئه تقريباً حتى نهايته ، وأخذت جزءاً من أوائل القرن الثامن .

لكن بالرغم من هذا لم يخل عصر المغول من جانب مشرق إيران ، فسرعان ما نهض العالم من كبوته ، كما اندمج هؤلاء في الجماعة الإسلامية بعد توطئهم بينها واتصلهم بأبنائها ، فأخذوا في بناء الحضارة من جديد ، وارتقت العلوم في هذا العهد ، واستخدموا كثيراً من أبناء تلك الأمة في مناصب الدولة وكراسي الوزارة وكثيراً ما كانوا يأخذون بمشورتهم ويعملون بأرائهم ، مما كان لكل هذا تأثير كبير على العلوم والحضارة بل على الحياة العامة كذلك مما سنفصله فيما بعد .

(١) تاريخ كزیده ص ١٧٥

(٢) أبو الفداء - المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٢١٤ وابن الفوطي في الحوادث الجامعة ص ٣٤٤ وان كان يجعل هذه الحادثة سنة ٦٥٩ هـ .

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ٥٠

عاصر الشاعر معظم هذه الأحداث ، فولد في طليعة القرن السابع الهجري ،
وشاهد ما حل بالعالم الإسلامي من تخريب ودمار ، وتحركت نفسه للكوارث التي
ألمت به ، وخاصة ما حل بالخلافة الإسلامية ، وما أصيبت به بغداد من أهوال ،
واتصل بكبار رجال الحكومات في هذا العصر ، وكان لكل ذلك أثر في مجرى
حياته وفي ألوان شعره مما سنعرض له بعد .

الباب الأول

الفصل الأول

القرن السابع الهجري من النامية السياسية العامة
في إيران وبلاد الخليفة وكيف صورته المؤرخون؟؟

حال البلاد قبل الغزو :

والرجوع إلى تصوير المؤرخين لحال البلاد في ذلك العصر يعطينا فكرة عن
مدى الرخاء ، وسعة العيش وتقدم العلوم ، ورفاهية الحياة .

وينقل ابن خلكان في كتابه « وفيات الأعيان » نص خطاب بعث به
« ياقوت الحموي » إلى القاضي الأكرم « أبو الحسن الشيباني » وزير حلب يصف
فيه بلاد خراسان ، وما كانت عليه قبيل غزو المغول تقتطف منه قوله :

« كانت والله مورقة الأرجاء رائقة الأنحاء ذات رياض أريضة وأهوية
صحيحة مريضة » ، ثم يمضي في وصف رقيق حتى يقول عنها إجمالا « وجملة أمرها
أنها كانت أنموذج الجنة بلا مين . فيها ما تشتهي الأنفس وتلذذ العين » .

ثم يصور فرار « السلطان محمد » منها ورحيله عنها بقوله « كم تركوا فيها من
جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين »^(١)

(١) وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٣ طبعة الحلبي .

ويشارك الجويني — عطا ملك — في كتابه « جهان گشای » « ياقوتا »
في وصفه لها كذلك قبل الغزو المغولي بقوله عنها :

« مطلع السعادة والمبرات ، وموضع المراد والخيرات ، ومنبع العلماء ، ومجتمع
الفضلاء ، ومربع العظماء ، جاء عنه في الخبر ، العلم شجرة أصلها بمكة وثمرها
بخراسان »^(١) .

ويعطينا « ياقوت » فكرة صادقة عما لقيه بإحدى مدن ذلك الإقليم وهي
مدينة « مرو » وما وجدته فيها من المكتبات الغنية ، التي كان يتردد عليها ، والتي
انتفع بها كثيراً في مؤلفاته . يرد ذكر هذا في موضعين أحدهما في كتابه « معجم
البلدان » والآخر في خطابه السابق الذي أثبت نصه « ابن خلكان » .

فأما ما ورد عنها في كتابه « المعجم »^(٢) ، ففي قوله عن مرو « إن فيها عشر
خزائن للوقف ، لم أر في الدنيا مثلاً كثرة وجودة . منها خزانتان في الجامع ، إحداها
يقال لها العزيزية ، وفيها اثنا عشر ألف مجلد ، والأخرى يقال لها الكمالية وغيرها »
إلى أن يقول بعد ذلك :

« وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مثناً مجلد ، وأكثرها بدون
رهن » ثم يختم عبارته بقوله : « وأنساني حبها كل بلد وألهاني عن الصحب والولد
وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره فهو من تلك الخزائن » وكان « ياقوت » قد
تركها سنة ٦١٦ هـ^(٣) .

ويقول عنها في سياق الكلام من خطابه السابق في « وفيات الأعيان » .
وكان المقام « بمرور الشاهجان » المفسر عندهم بـ « نفس السلطان » . فوجد

(١) جهانگشای ج ١ ص ٤

(٢) معجم البلدان . مدينة مرو ص ٣٥

(٣) توفى ياقوت سنة ٦٢٦ هـ — الظرا بن خلكان ج ٢ ص ٢١٤

بها من كتب العلوم والآداب ، وصحائف أولى الأفهام والألباب ، ما شغله عن
الأهل والوطن ، وأذهله عن كل خل صني وسكن ، فظفر منها بضالته المنشودة ،
وبغية نفسه المنقودة ، فأقبل عليها إقبال النهم الحريص ، وجعل يرتع في حدائقها
ويستمتع بحسن خلقها وخلاتها « إلى أن يقول : » وأعتقد المقام بذلك الجنب إلى
أن يجاور التراب » .

وبمثل هذا التصوير الرقيق يشارك « الجويني » « ياقوتا الحموي » أيضاً
في تصويره لها بيتين رقيقين من الشعر في قوله :

. بلد طيب ورب غفور وثرى طينه يفوح العبيرا
وإذا المرء قدم السير منه فهو ينهائ باسمه أن يسيرا

وفي عبارته « فهو ينهائ باسمه » — إشارة لطيفة إلى معنى الكلمة
وتركيبتها . فهي تتكون من الميم التي تؤدي معنى النهى في الفارسية و « رو »
من مصدر « رفتن » أى الذهاب . فمعنى كلمة « مَرَوُ » لا تذهب ، وذلك إشارة
إلى قوله فهو ينهائ باسمه .

هجوم المغول وكيف صوره المؤرخون في مملكة خوارزم وإيران الشمالية ؟

لا نعرض هنا لذكر أسباب هذا الهجوم بالتفصيل ، ولا للعلاقات التي كانت
بينهم وبين البلاد الإسلامية المجاورة ، فلسنا في حاجة إلى ذلك ، كما أن البحث
لا يدعو إليه .

ونكتفي بأن نورد ما سجله « ابن الأثير » المعاصر لهذه الأحداث في ذكر
الأسباب التي دفعت المغول إلى الهجوم على بلاد « خوارز مشاه » ، ثم إلى غيرها.
ففي أحداث سنة ٦١٧ هـ تحت عنوان « ذكر خروج التتر إلى تركستان ،

وما وراء النهر وما فعلوه»^(١) يقول «وكان السبب في ظهورهم أن ملكهم ويسمى چنگيزخان المعروف بتموجين كان قد فارق بلاده ، وسار إلى نواحي تركستان ، وسير جماعة من التجار الأتراك ، ومعهم شيء كثير من النقرة والقندر وغيرها إلى بلاد ما وراء النهر — بخارى وسمرقند — ليشتروا له ثياباً للكسوة ، فوصلوا إلى مدينة من بلاد الترك تسمى «أوترار» وهي آخر ولاية «خوارزمشاه» ، وكان له نائب هناك فلما وردت عليه هذه الطائفة من التتر ، أرسل إلى «خوارزمشاه» يعلمه بوصولهم ، ويذكر له مامعهم من الأموال ، فبعث إليه «خوارزمشاه» يأمر بقتلهم ، وأخذ مامعهم من الأموال وإنفاذه إليه ، فقتلهم وسير مامعهم ، وكان شيئاً كثيراً ، فلما وصل إلى «خوارزمشاه» فرقه على تجار بخارى وسمرقند ، وأخذ ثمنه منهم .

هذا ما أورده «ابن الأثير» في ذكر الأسباب ، يتضح منه — إلى أي حد — ترجع أسباب هذه الحرب إلى السلطان «محمد خوارزمشاه» . ونستطيع أيضاً أن نعتمد على ما ذكره هذا المؤرخ في تصوير هجوم المغول ، وحوادثهم في بعض المدن التي استولوا عليها ، وقد ظفرت هذه الصورة بتقدير عظيم عند كثير من المؤرخين الذين عرضوا لدراسة هذا العصر في بعض نواحيه^(٢) . ويبدو مدى تأثير تلك الصورة في نفسية «ابن الأثير» حتى أنه تردد أن يسجلها ، ولكنه أذعن أخيراً تحت مشورة أصدقائه .

وترد هذه الصورة في فصل له تحت عنوان «خروج التتار إلى بلاد الإسلام»^(٣) يقول فيه «لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة ،

(١) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٦٦

(٢) G. Brown: A Literary His. of Persia. v. 2. pp. 427-430

Arnold: The Preaching of Islam.

الظر ترجمته «الدعوة إلى الإسلام» ص ١٩٠ للدكتور حسن إبراهيم وآخرين .

(٣) ابن الأثير ج ١٢ حوادث سنة ٦١٧ هـ .

استعظاما لها ، تاركاً لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى ، فمن ذا الذى يهون عليه ذلك ، فياليت أمى لم تلدنى ، وياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً » ويذكر أنه يتردد فى ذكر تفاصيلها ، إلا أنه استجاب تحت مشورة أصدقائه ، ثم يمضى فيسجل .

« هذا الفعل يتضمن الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التى عفت الأيام والليالى عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن ، لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها » .

ثم يقارن بينها وبين ما سلف من أحداث التاريخ التى أحدثت هزات عظيمة حتى عهد ، ويخص بالذكر ما فعله بختنصر بينى إسرائيل من القتل والتشريد ، وتخريب بيت المقدس ، ثم يمضى فى عرض البلاد التى تقدموا إليها ، وتم فتحها فى حياته^(١) بقوله :

« فان قوما خرجوا من أطراف الصين ، فقصدوا بلاد تركستان ، مثل كاشغر وبلاسغون ، ثم منها إلى بلاد ماوراء النهر ، مثل سمرقند وبخارى وغيرها ، فيفعلون بأهلها ما نذكر ، ثم تمر طائفة منهم إلى خراسان ، فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يتجاوزونها إلى الرى وهمذان وبلاد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون بلاد آذربيجان وأرانية ويخربونها ، ويقتلون أكثر أهلها ، ولم ينج إلى الشريد النادر » .

ومن المؤرخين المعاصرين — أيضاً — لهذه الأحداث ، والذين كان لهم مركز ممتاز فى دولة ملوك خوارزم « محمد المنشى النسوى » المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

(١) انتهى ابن الأثير من كتابه بعد إتمام ج ١٢ حوادث سنة ٦٢٨ هـ وتوفى سنة ٦٣٠ هـ النظر ترجمة حياته فى ابن خلكان ج ١ ص ٣٤٧

وصاحب « سيرة جلال الدين منكبرتي » يعرض أيضاً باختصار صورة لهذا الغزو في قوله :

« وهل بلغك أن طائفة خرجت من مطلع الشمس ، فقطعت الأرض إلى باب الأبواب^(١) ، فعبرت بلاد قفجبلن وشنت على قبائلها غارة شعواء ، وخبطتها بالسيوف خبط عشواء ، فلم تدرس أرضاً إلا نهبتها ، ولا بلداً إلا خربت بها ، ثم رجعت إلى صاحبها من طريق خوارزم بعد هذه الدورة سالمة غانمة ، وقد أهلكت حرث البلاد ونسلها. إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »^(٢).

وينينا « الجويني » عن الإطالة في التعبير بكلمات قصار ، ولكنها تدل دلالة قوية على تصوير هذه الحادثة وتأتجها . وذلك في عبارته التي أوردها على لسان أحد أبناء بخارى ، الذين فروا من هول الغزو ، وقد سئل عما شاهده فأجاب بالعبرة الآتية :

« آمدند ، وکندند ، وسوختند ، وکشتند ، وبردند ، ورفتند^(٣) » أي جاءوا ، وهدموا ، وأحرقوا ، وقتلوا ، ونهبوا ، وذهبوا .

وهذه العبارة مقابلة تقريباً لما ذكره « ابن الأثير » في قوله من عبارته السابقة :

« فيفرغون منها ملكاً ، وتخريباً ، وقتلاً ، ونهباً » .

وظل صدى عبارة « الجويني » يتردد بين كثير من المؤرخين الذين جاءوا بعده فأشار إليها باختصار صاحب « تاريخ كزیده^(٤) » من مؤرخي القرن الثامن الهجري . وترجمها سجعاً مؤرخ عربي في القرن العاشر هو « أبو العباس أحمد

(١) مدينة تقع على الشاطئ الغربي من بحر قزوين .

(٢) سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٢٤

(٣) جهانگشای ج ١ ص ٨٣

(٤) تاريخ كزیده ص ٥٧٤

ابن يوسف الدمشقي الشهير بالقرماني^(١) . في قوله « هجموا ، وهدموا ، وأحرقوا ، وأزهقوا ، ونهبوا ، وذهبوا .. »

ومن الظواهر التي تسترعى أنظارنا بالإضافة إلى ما تقدم من تصوير المؤرخين لرفاهية الحياة ، وازدهارها بهذه الأقاليم ، ما ذهبوا فيه مذهب المغالاة في تقدير عدد السكان فكان سكان كل من بخارى وسمرقند يجاوز المليون^(٢) . كذلك يذكر « براون » نقلا عن « رشيد الدين » « أن الجيش الذي حاصر مدينة « خوارزم » كان تعدادهم خمسين ألفا ، قتل كل واحد منهم أربعة وعشرين سجيناً أو محاصراً^(٣) . » كما يقول آرنولد « إن جيش المغول بعد أن تحول عن هراة خرج أربعون من أهلها من مخبئهم فراراً من الموت ، وكان هؤلاء التاسعون هم البقية الباقية من سكانها الذين يربو عددهم على مائة ألف^(٤) . »

ويذكر الجويني في فصل له عن أحوال مدينة مرو يمتد إلى الثلاثين صفحة يذهب فيه إلى أن عدد القتلى في تلك المدينة بلغ مليوناً وثلثمائة ألف قتيل^(٥) . على أن هناك ظاهرة أخرى ، تلفت أنظارنا كذلك هي أنهم — منذ فتوحاتهم الأولى — كانوا يرغبون في معرفة الطبقات التي يأسرونها ، وتمييزها عن بعضها ، وإحاطة رجال الفن منهم برعايتهم الخاصة ، أما الجنود فإنهم كانوا يلقون شر المصير . يقول ابن الأثير في عبارة له « أمر چنگيزخان أن يكتبوا له أسماء تجار البلد ورؤسائه وأرباب الأموال والصنائع في جريدة ليعرضوا عليه » ثم يستطرد

(١) انظر كتابه — أخبار الدول وآثار الأول . طبع بغداد ص ٨٦

(٢) جهانگشای ج ١ ص ٩٤

(٣) G. Brown : A Literary His. of Persia. v. 2. p. 438

وجهانگشای ج ١ ص ١٠٠ — ١٠١

(٤) الدعوة إلى الاسلام ص ١٩٠ . ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين .

(٥) جهانگشای ج ١ ص ١٢٨

في عرض ما انتهى إليه الأمر بقوله « فلما وقف على النسخ أمر أن يخرج أهل البلد منه » مرو « ولم يبق فيه أحد ، فجلس على كرسي من ذهب ، وأمر أن يحضر أولئك الأجناد الذين قبض عليهم ، فأحضروا وضربت رقابهم »^(١).

وربما جد من الأسباب — لدى المغول — ما يحملهم على المغالاة ، وارتكاب الفظائع في الاستيلاء على المدن والتكيل بأهلها ، وكان من أهم ذلك أن يتعرض أحد أمراءهم أو مشاهير قادتهم إلى القتل . فيذكر صاحب « سيرة جلال الدين منكبرتي » ما فعلوه في مدينة نيسابور ، وقد قتل فيها أحد أمراءهم قوله « قصدوا نيسابور في عامتهم ، ليذيقوا أهلها نكال طامتهم ، حتى إذا قاربوها خرج أهلها مناوشين ، فأصابت صدر تفجاق اللعين نشابة تمكنت من محل سره فانتقل إلى نار الله الموقدة » .

ثم يمضي في تعداد بعض الأساليب الحربية وأسلحتها التي استعملوها في حصارهم لتلك المدينة مما كان معروفاً في عصرهم وذلك في قوله « حتى أراحوا عليهم بها في المتاريس ، والدبابات ، والجانيق ، والجلونات ، فساقوا إليها ونصبوا في نهارهم ذلك مائتي منجنيق مكلمة الأسباب ، فرموا بها واستولوا عليها بعد ثلاثة أيام » ثم يستطرد فيعرض لأسماء كثير من الأقاليم والمدن التي فتحوها في حياته^(٢) وذلك في قوله : « فهذا قياس مطرد في سائر مدن خراسان وخوارزم والعراق ومازندران وآذربيجان والغور وغزنه وباميان وسجستان إلى تخوم الهند ، فلو ذكرت مفصلة لم يتغير فيها إلا اسم المحاصر والمحاصر فلا حاجة إلى التطويل »^(٣).

ويذكر « براون » أنهم فعلوا في مدينة « باميان » مثلاً فعلوا بمدينة نيسابور

(١) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٨١ . المطبعة الأزهرية .

(٢) توفي هذا المؤرخ سنة ٦٣٠ هـ .

(٣) سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٥٣ و ٥٤ .

بعد أن قتل أهلها أميراً مغولياً فدمروها عن آخرها حتى بقيت خالية من السكان
لמائة سنة بعدها^(١).

هذا تصوير سريع أشار إليه المؤرخون المعاصرون لهذه الأحداث ، تبين منه
إلى أى حد يصورون رفاهية الحياة في تلك البلاد قبل الغزو ، وإلى
أى حد يصورون مآلاته تلك المدن وسكانها وكيف احتملت مرارة ذلك
الغزو القبيح .

الشاعر وتصويره لهذه الأحداث :

لم تمض هذه الكوارث دون أن تؤثر في نفسية الشاعر ، فعرض صداها في
كثير من أشعاره ، تردد في مناسبات مختلفة ، لم يعرض لها عرضاً مستقلاً .
وتصوير الشاعر لهذه الأحداث مهما يكن في مناسباته ، أو في أسلوبه ، يعطى
أيضاً صورة لما كان عليه العالم الإسلامي في ذلك الوقت من اضطراب ومحن
ألمت به .

ونستطيع أن نأخذ تصويره لهذه الحوادث من أربعة مواضع :
أولاً — في كتابه « بوستان — باب الرضا — » في القطعة الثالثة . يعرض
الشاعر لقصة بطل من المحاربين في مدينة « أصفهان » ، يحدثه عن شجاعته ،
وبسالته في حرب التتار . ويورد في الحديث بعض أسلحة الحرب وملابسهم في
أزماتهم ، كما يصف معركة من المعارك .

يدور مغزى القطعة حول « القضاء والقدر » ، وأن القضاء إذا لم يسعف
الإنسان فلن تسعفه شجاعته وقوته ومعداته . يجري الحديث بينهما في سؤال الشاعر له .

(١) G. Brown : A Literary History of Persia v. 2, p. 439.

- قلت له ، أيها السيد الذي كان يصيد الأسد المصورا . . .
- ماذا حل بك حتى صرت كالثعلب الهرم . . . ؟
- تبسم ضاحكا ، ثم قال ، منذ تقاتلنا مع التتر .
- أخرجت من رأسي حديث الظفر
- رأيت الأرض ، والرماح المشرعة فيها ، كأنها زرع من غاب .
- والأعلام المرفوعة فوقها كأنها نار ذات لهب .
- انهم طائفة تصرع النمر ، وفي قوة الأفيال .
- مدرعين بالحديد من رؤوسهم حتى حوافر الخيل .
- وحين لحنا الجيش يثير الغبارا .
- اكتسبنا بالدروع واتخذنا قلانسا المغافرا .
- وأثرنا الجياد العربية عليهم كأنها السحاب .
- وصببنا السهام القولاذية عليهم كأنها المطر .
- وصارت الأرض ، من زرقة الغبار فوقنا كأنها سماء .
- تلمع فيها السيوف وانخوذات وكأنها نجوم .
- كنا نكاد نخرق الشعر بالسهم والأسنة .
- لكن لما لم يكن لنا حظ ولينا الأدبارا .
- لما كان الطالع معرضا عنا .
- كان الجن أمام سهم القضاء كأنه لا شيء^(١) .

چه فرسوده کردت چور وياه پیر؟
 بدر کردم آن جنگجوی زسر
 گرفته علمها چو آتش در آن
 در آهن سربرد وسم سستور
 زره جامه کردیم و مغفر کلاه
 چو باران بلارک فرو ریختیم
 چو آنجم درو برق شمشیر و خود
 چو دولت نبه روی برتافتیم
 سپر پیش تیر قضا هیچ بود

(١) بدو گفتم سرور شیر گیر
 بخندید کز روز جنگ تتر
 زمین دیدم آرنیزه چون نبستان
 گروهی پلنگ افکن و پیل زور
 هماندم که دیدیم کرد سیاه
 چو ابراسب تازی برانگیختیم
 زمین آسمان شد ز کرد کبود
 بتیر و سنان سوی بشکافتیم
 چو طالع زما روی برپنج بود

ثانياً — وفي مقدمة بعض نسخ « گلستان »^(۱) يصف اضطراب العالم، وتأثير ذلك في نفسه ، حتى أنه خرج من موطنه يرفه عنها ، مشيراً إلى أن العالم صار في نظره مضطرباً معقداً كأنه شعر الزنجي ، وحين كان الناس يحاربون بعضهم البعض كأنهم الوحوش الكاسرة . فإذا أمضى مدة في رحلاته عاد بعدها إلى موطنه ، فوجده تحت ظلال الأمير العادل « أبي بكر بن سعد » فرأى الحياة قد عادت إلى هدوئها ، ورأى النور قد تحررت من طباعها .

— ألا تدري لماذا خرجت مغترباً أطوف في البلاد ؟

ولماذا أمضيت زمناً بعيداً عن الوطن والأحباب . ؟

— نزلت بعيداً حين رأيت محن الأتراك

و حين صار العالم معقداً كأنه شعر الزنجي .

— الناس — كافة — من بنوة آدم لكنهم

كالذئب العطش للدماء بمخالبها الحادة .

— وحين عدت إلى موطني وجدت السعادة تظله .

ووجدت النور الكاسرة قد تحررت من طباعها .

— رحلت من موطني حين كان العالم في عهده الأول .

يفيض بالحن ، والاضطراب ، والشدائد .

— ثم آويت إليه حين كان يظله عهد السلطان العادل .

الأتاك أبي بكر بن سعد بن زنكي^(۲)

(۱) گلستان سعدی نسخه platts طبع لندن سنة ۱۸۷۴ م ص ۵

(۲) ندانی که من در اقالیم غربت
برون رقم از تنگ ترکان که دیدم
همه آدمی زاده بودند — لیکن
چو باز آمدم کشور آسوده دیدم
چنان بود در عهد اول که دیدم
چنین شد در ایام سلطان عادل

چرا روزگاری بکردم درنگی ؟
جهان درهم افتاده چون سوی زنکی
چو گرگان بخوفخوارگی تیز چنگی
بلنگان رها کرده خوی پلنگی
جهان پر ز آشوب و تشویش و تنگی
اتاک ابو بکر بن سعد زنکی

ثالثاً — وفي قصيدة فارسية يرثي فيها « الخليفة المستعصم » يستهلها بيت يحذر فيه الإنسان ألا يأمن إلى الحياة ، فدورة الأيام قاسية وانقلاب الحياة مرير ، ويصور في هذا البيت « أن الإنسان مهما يبلغ خياله فلن يدرك ما حدث ، فخيال الإنسان عاجز عن إدراك تلك القظائع التي حدثت » ^(١) .

رابعاً — وفي قصيدة عربية يرثي فيها « المستعصم » أيضاً ، يعرض لتلك الفتنة التي اجتاحت العالم وتنقلت فيه من قطر إلى قطر ، تأخذ منها ما يصور هذه الحوادث .

نعوذ بعفو الله من نار فتنة تأجج من قطر البلاد إلى قطر
بدا وتعالى من خراسان قسطل فعاد ركما لا يزول عن البدر
إلام تصاريف الزمان وجوره تكلفنا ما لا نطيق من الأصر ^(٢)

★ ★ ★

ولاية فارس بإيران الجنوبية وكيف صور المؤرخون صوامعها للغزو؟؟؟

كانت ولاية فارس — التي تقع إلى الجنوب الغربي من إيران — هي البلاد الإيرانية الهامة التي اجتازت هذه المحنة بسلام. ولا نعرض هنا لتاريخ هذه الولاية في هذا الفصل بالتفصيل ، فلا حاجة إليه ، وإنما نصور فقط أهم الأحداث التي حدثت ، وآراء المؤرخين فيها أثناء مجيء المغول إلى إيران ، ونرجى تفصيل تاريخها وحكامها وصلة الشاعر بهم إلى فصل آخر .

ونذكر هنا — في إيجاز — كيف اجتازت هذه الولاية تلك المحنة ، ونجت

(١) زينهار أز دورگیتی و انقلاب روزگار در خیال کس نیامد کانچنان گردد چنین
کلیات سعدی . نشر فروغی ص ٤٨٦

(٢) کلیات فروغی ص ٤١٣

من هول الغزو وبطش المغول ، ويبدو لنا أن مطامع القوم لم تكن تتحایل على الاستيلاء على الأقاليم التي تدخل في طاعتهم ، فلم يصطنعوا الحوادث من جانبهم لإدماج بعض الإمارات التي رُغبت أن تدخل في الولاء لهم .

وكان من حسن حظ تلك الإمارة أن تولى حكمها إبان الغزو أمير من أسرة « آل سلغر » التي بدأت حكمها على أنقاض حكومة السلاجقة في تلك الإمارة قبيل القرن السابع الهجري . ذلك الأمير هو الأتابك « سعد بن زنگي » .

رأى « سعد » ألا طاقة له بمقاومتهم ، وأنه إن فعل ، فلا بد من ضياعه ، وضياع ملكه كما ضاع ملك « السلطان محمد وابنه جلال الدين » ، فذهب يقدم فروض الولاء للمغول — عندما دنوا من ولايته — هو وغيره ممن كانوا على بعض الولايات الأخرى ، التي كانت تواجه الغزو بعد إمبراطورية « ملوك خوارزم » . ويذكر صاحب « جامع التواريخ » ما قام به « سعد بن زنگي » وغيره في مواجهة المغول بقوله :

« چون خبر وصول رايات جهانگیر در اطراف شایع ومستفیض گشت ، سلاطین وملوک، هر مملکتی از ممالک ایران به بندگی حضرت متوجه شدند ، از روم سلاطین عزالدین ، و رکن الدین ، و از فارس سعد پسر آتابک مظفر الدین ^(۱) » .

وبهذا رسم « سعد » الطريق لمن جاء بعده لأن يدخلوا في طاعتهم . فلما تول ابنه « أبو بكر » سار على تلك السياسة التي رسمها أبوه بل توسع في رضائهم فقدم بجيش لفتح بغداد ^(۲) تحت قيادة ابن أخيه « محمد شاه بن سلغر شاه » كما أرسل لهم البعوث للتهاني بعد إتمام فتحها ^(۳) ، ودفع لهم ما التزمه من أتوات

(۱) جامع التواريخ ص ۱۰۰ . باريس نشر كاترمير .

(۲) الأستاذ قزويني — سعدی نامه ص ۱۰۵

(۳) حبيب السير ص ۱۳۰ طبعة بمبئی .

وخراج وداوم على سياسة حسن المودة ، مما دل على بعد نظره وإصابة تديره ، كما استحق — فى نظرهم — أن يلقب لقباً مغولياً هو « قتلغ خان^(١) » ومعناه « الملك المبارك^(٢) » وبهذا سلعت فارس من الحرب ، بل هيات لها تلك السياسة الرشيدة حياة هادئة مكنتها من تنظيم أمورها ، فالتجأ إليها كثير من العلماء ، وتغنى الشعراء بعهداها .

ويذكر « بارتولد » فى كتابه « تاريخ الحضارة » « أن ولايات الجنوب بايران — فارس وكرمان — سلعتا من عادية الجيش المغولى ، ودامت الحياة القديمة فى المدن الكبرى ، وخاصة فى شيراز ، فلهذا اكتسبت فارس حظوة عظيمة لم تنلها من قبل — من حيث الحضارة الإيرانية — وقد حمت الأدب الفارسى الدولة « السلغرية » التى اجتازت فتوح المغول سليمة ، والدولة « المظفرية » التى حكمت نصف قرن بعد تفرق المغول . فبأولى الدولتين ، يرتبط اسم الشيخ سعدى شاعر القرن السابع الهجرى ، وبالثانية حافظ الشيرازى^(٣) .

★ ★ ★

الشاعر وتصويره حالة فارس فى ذلك العهد :

أشرنا سابقاً إلى قطعة للشاعر فى مقدمة « گلستان » يذكر فيها كيف كان عهد فارس فى ظل أبى بكر حين عاد إليها من هجرته .

كذلك يشير الشاعر إلى مافعله أبوبكر من مضانعه المغول وحفظ ولايته من الدمار حتى صارت الملاذ لكل إنسان . وذلك فى كتابه « بوستان » فى قطعة يمدح بها أبابكر بن سعد ويشبه فارس فيها بأنها « كالبيت العتيق » يأمن

(١) وصاف ص ١٥٦ طبعة نبى

(٢) الأستاذ فزوينى — سعدى نامه — هامش ص ١٠٦

(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية — ترجمة الأستاذ حمزة طاهر ص ٩٤

إليها اللاجيء ويقصدها الناس من كل فج عميق، ثم يقول إنه إذا كان «اسكندر» قد أقام سداً من الحديد والقطر بينه وبين يأجوج، فإن «أبا بكر» أقام بينه وبينهم سداً من الذهب، إشارة إلى ما كان يدفعه من أتاوة وخراج، وذلك في بعض أبيات ترجمها الدكتور عزام بك في فصل له عن «سعدى» في كتاب «قصة الأدب في العالم»^(١) وترجمتها.

فمن يبنغ أمنأ بهذى القطن	فليس له غير هذا الوطن
فطوبى لباب كبيت العتيق	حواليه من كل فج عميق
لقد صد اسكندر بالحديد	وبالقطر - يأجوج - بينى السدود
وقد فقت اسكندرا فى النوب	أقت ليأجوج سد الذهب ^(٢)

المغول فى أرضه الخرافة . تصوير الموقف بين هولاكو والخليفة

وقبل تصوير ماتم بين المغول والخلافة، لا بد أن نقف عند هولاكو وحده وقفة نضطر إليها. فهذا الاسم لا يزال وقعه يدوى فى آذان العالم الإسلامى، نظراً لما حيك حول شخصيته من العنف والقسوة، وما انتهى إليه مصير الخليفة والخلافة، وما أصاب بغداد وسكانها فى الحصار، وما قيل عن مصير دور العلم، وخزائن الكتب، من الإحراق، أو الإغراق، أو النهب. وتحقيق هذه المسائل

(١) انظر قصة الأدب فى العالم ج : القسم الثانى ص ٥٠٨ للدكتورين أحمد أمين بك وزكى نجيب محمود

(٢) گراز فتنة آيد كسى در پناه
فطوبى لباب كبيت العتيق
سكندر بديوار روئين وسنگ
تراسد يأجوج كفر از زراست
ندارد جز این كنسور آراگاه
حواليه من كل فج عميق
بكرد از جهان راه يأجوج تنگ
نه روئين چوديوار اسكندراست



صوره للقائد المغولي « هولكو » الذي قاد الجيوس في فسخ
بغداد وازال الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ
عن كتاب « العراق بين احلايين » للأساذ على العزاوى

بشيء من الاطمئنان لا شك يحتاج إلى جهد ووقت . ونحن في معرض الحديث عن المغول وسياستهم في الفتح ، وقهر المدن من جانب ، ورغبة في تصحيح موقف المؤرخين عن هولاء كوالذات من جانب آخر . نمضي في تحقيق هذه المسائل في شيء من التحفظ ، ولعلنا نصح بعض الأحداث التي صورها الذين غالوا في تصوير المغول .

ولا بد أن ندخل في تقديرنا عند الخوض في مناقشة هذه الحوادث مسألة شعورية تأتي من داخل الإحساس الباطني . وهذا العامل نفسه هو الذي سيطر ، ولعله لا يزال يسيطر كذلك ، على الكثيرين إذا ما استمعوا لهذه الحوادث دون النظر إلى تمحيصها أو إدراك نتائجها .

فالشعور العام في الوطن الإسلامي ، أن المغول كانوا قبل أن يسلموا ، قوما كفرة بالإضافة إلى ما وصفوا به من بربرية ووحشية وعنف .

فالمواطن المسلم في أي مكان حينما يستمع إلى مجرد أحداثهم العنيفة في البلاد الإسلامية ، والتي استنزمتها سياسة الفتح نفسه وحب الانتصار — حينما يستمع المواطن إلى ما أصيب به العالم الإسلامي مها قل — لا بد أن يتملكه شعور الألم والأسف والحزن العميق لما أصيبت به الجماعة الإسلامية في هذا العصر ، ولا بد أن يشارك أخاه — إن قريباً وإن بعيداً — هذا الشعور الحزين .

هذا بالإضافة إلى مركز بغداد نفسه الذي توارثته عن الأجيال خلال القرون الخمسة الماضية ، تتضاعف فيها منزلتها جيلاً بعد جيل ، وقرناً إثر قرن . كذلك زاد شعور أبناء بغداد — في مختلف العصور — مرارة على مرارة بعد أن أبعد عنها مقر الحكم ، وبعد أن أصيبت بتلك الكوارث التي جعلت منها مدينة عادية ثانوية في البيئة الإسلامية ، وتجردت عن بهاء الملك وسطوة السلطان ، فأحس بالألم لها — ولا يزال يحسه — أبناء العالم الإسلامي وخاصة قوم العراق .

فألصافى — الشاعر العراقي المعاصر — يقول في قصيدته رثاء الخليفة و بغداد :

وقد أثنخت بغداد من بعد قتله جروح بوار جاء بالحجج الشهب
وما اندملت تلك الجروح وإنما ببغداد منها اليوم ندب على ندب^(١)

هذه العوامل كلها عندما تزدهم في خواطر الناس في البيئة الإسلامية ، لا بد أن يصيبهم الأسف العميق لتلك الأحداث التي أصابت العالم الإسلامي على يد المغول ، وضاعف من أسفه وألمه شعوره زوال حضارة حملتها بغداد عبر القرون الخمسة . هذا هو الشأن عند ما صور المؤرخون والأدباء شخصية هولاكو في أحداث بغداد . ونحن لا نتحيز له أو عليه ولكننا نقدم النصوص والوثائق ونستخلص منها النتائج التي تحتملها .

وأهم ما يمكن أن يدرس في هذا الموقف ، ويسند إلى هولاكو أمور ثلاثة :
أولا — هولاكو وسياسته مع الخليفة .

ثانياً — هولاكو وسياسته إزاء بغداد ورجالها .

ثالثاً — هولاكو وسياسته إزاء مكاتب بغداد ونهايتها .

أولا — هولاكو وسياسته مع الخليفة

ونحن على ضوء ما دونه المؤرخون المعاصرون لهذه الحوادث ، وما لمسناه من تصويرهم ، لا نستطيع أن نخلى الخليفة ورجال حكومته من مسئولية هذه الحوادث بقدر ما صدر من سوء تصرفاتهم أو عدم تقديرهم للمسئولية .

فالعالم الإسلامي ملتهب في أتون حرب طاحنة في الشرق منه قبل سقوط

(١) 'العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٢٦-٢٢٧ تأليف الأستاذ عباس العزاوي .
طبعة بغداد .

بغداد بثلاث قرن تقريباً ، وكلما خمدت جذوة اشتعلت أخرى ، وذلك في مملكة قوية واجهت المغول فيها جنود بواسل ، وامتدت رقعة أملاكهم أوسع مما كان له من السلطان .

ومع ذلك لم تنبه هذه الحوادث مشاعر الخليفة ، ولم توقظ غفلة رجاله ، حتى يستطيعوا أن يسلكوا سياسة أخرى غير تلك السياسة العقيمة التي وصفها المؤرخون والتي أدت إلى هذه النكبات ^(١) ، ولو تم لهم ذلك لتغير وجه التاريخ ولكن هكذا أراد الله .

وسنبين هنا أن سوء السياسة ، وسوء التدبير ، هما اللذان جريا هذه النكبات على الخلافة والخليفة ، وسنوضح أيضاً أن المغول لم تكن من سياستهم المرسومة ، ولا من سياسة هولاء كونه ، أن يأخذ الخليفة والخلافة بالشدة التي صورها بعض المؤرخين ، وأن المسألة — من أساسها — لا تعدو شعوراً عدائياً نحو الفاتح المعتصب الكافر ، من جانب أولئك المؤرخين الذين لونوا هذه الحوادث ذلك التلوين القاتم .

فأما السياسة المرسومة إزاء الخليفة والخلافة فلم تكن سياسة إزالة وإفناء ، وإنما كانت سياسة مودة وسلام : وكانت هذه هي السياسة نفسها التي نهج المغول على منوالها إزاء كبار الشخصيات الإسلامية وكبار المواطنين ، فيعرف عنهم أنهم كانوا يكرمون رجال الدين أيّاً كان موطنهم وأيّاً كانت شخصيتهم ، فيذكر « الجويني » أنهم حال فتحهم سمرقند تركوا القاضي وشيخ الإسلام ، ومن تعلق بهم وقد بلغوا خمسين ألفاً ، عفوا عنهم جميعاً ^(٢) .

(١) النظر الفخرى لابن طباطبا ص ٢٤٦ . المطبعة الرحمانية والحوادث الجامعة لابن الفوطى ص ٣٢٠ ووصاف ص ٣٤ وما بعدها وجامع التواريخ ص ٢٢٤ إلى ٢٢٨

(٢) جهانگشای ج ١ ص ٩٤

وكذلك كان الأمر مع كبار رجال العلم ، فقد ذكر صاحب « تليق الأخبار » أنهم طلبوا إلى « الشيخ نجم الدين كبرى » أن يخرج ولكنه أبى إلا الاستشهاد^(١) .

أما السياسة التي رسمت هولاء كوزاء الخليفة ، فتتضح مما دونه صاحب « جامع التواريخ » في تلك الخطة التي رسمها « منكوقا آن » وبعث بها إلى القائد هولاء كوزاء ، وترجمة هذه العبارة هي : « فإذا بادر خليفة بغداد بالطاعة فلا تتعرض له بأية حال من الأحوال ، فإن تكبر وعصى فألحقه بالآخرين . كذلك ينبغي أن تجعل رائدك — في جميع الأحوال — العقل الحكيم والرأي السديد ، وأن تكون في جميع الأمور يقظاً عاقلاً ، وأن تخفف على الرعية من التكاليف والمطالب الشاقة ، وأن ترفه عنهم . فاما الولايات التي يصيبها الخراب فعليك أن تعيد عمارتها في الحال^(٢) » .

التزم هولاء كوزاء السير على هذا المرسوم الواضح ، ولو أدرك الخليفة هذه السياسة وما تؤديه من نتائج طيبة لاستجاب لها . ونحن نعتقد أن هولاء كوزاء كان يبر بوعده لو أن الخليفة اصطنع سياسة مرنة ، كالسياسة التي اتبعها حاكم ولاية فارس مثلاً ، والتي أدت إلى الإبقاء على إمارته في نجوة من هذا الخضم العنيف الذي طوى في جوفه كل الحكومات التي واجهته ، والتي عارضته قبل مجيئه إلى أرض الخلافة . وبالرغم من أن هولاء كوزاء أخذ الخليفة بالهدوء واللين ، والتزم سياسة الترفق

(١) تليق الأخبار ج ٢ ص ٢٣

(٢) جامع التواريخ ص ١٤٢ كاتومير ونص هذه العبارة « وأمر خليفة بغداد بخدست وطاعت مبادرت نماید ، اورا بهج وجه تعرض مرسان ، وأمر تكبر کند ودل وزبان را يك ندارد . اورا نیز بد یکران ملحق گردان ، وچنان باید که در همه أبواب عقل خرده بین و رای رزین را مقتدا و پیشوا سازی و در جمیع احوال بیدار و هو شیار باشی و رعایا را از تکلیفات و مؤنات ناموجه آسوده و مرفه داری و ولايات خراب گشته را بحال عمارت باز آری » .

التي رسمها له «قاآن»، فان الخليفة لم يوفق إلى كسب هذه السياسة لجانبه ، وفشل في الوقت نفسه في أحكام سياسته ، وتدير أمره ، مما أدى إلى القضاء عليه وإزالة الخلافة .

فحين قدم هولاء كو منطقة قلاع «الاسماعيلية بالجبل» والتقى بهم ، وطال عليه الأمد ، ورأى في القضاء على تلك الطائفة مصلحة مشتركة بينه وبين الخلافة — وقد كانوا شوكة في ظهرها — طلب هولاء كو من الخليفة مدداً لينجز القضاء عليهم ، لكن الخليفة لم يستجب لهذا النداء ، وتخاذل عن المعونة ، وأفسد عليه الرأي جماعة من حاشيته ، ورجال دولته ، الذين لم يكونوا ليحسنوا سياسة أو تديراً^(١) .

ولما لم يسعف الخليفة هولاء كو بما طلب في القضاء على هذا العدو المشترك ، وتجاهل الأمر . بعث إليه هولاء كو خطاباً آخر يعتب فيه عليه ويحذره مغبة العداء والمناوأة ، ويطالبه بالاستماع لنصائحه إن رغب أن يظل رئيساً في دولته ، وإلا فسيرى نهايته^(٢) .

تملكت الخليفة حيرة ، واضطربت سياسته ، وتردد مشيروه ، وضيق هولاء كو الخناق عليه ، بعد أن انتهى وحده من القضاء على «الاسماعيلية» ، ولم يقد في إغرائه بذل المال سخياً ، أو إرسال الهدايا الثمينة . ثم كان أن أرسل الخليفة أخيراً — لما لم تجد هذه الوسائل جميعاً — بخطاب إلى هولاء كو ، رداً على خطابه ، يجمع فيه بين اصطناع القوة ، واتكاله على أمور لا يملك توجيهها . فالخلافة في نظره مؤيدة بنصر من عند الله يؤتيه لها متى شاء .

(١) ابن العبري ص ٤٧١

(٢) العراق بين احتلالين ص ١٥٥ — ١٥٦

ويذكر صاحب كتاب «العراق بين احتلالين» نص هذا الخطاب نأخذ منه قوله «إننا مع علمنا أن هولاء كويقصد لنا السوء ، ولكنه يسأل من الواقفين على الأحوال بأنه ما من ملوك وسلاطين قصدوا السلالة العباسية ودار السلام ، إلا كانت عاقبتهم وخيمة ، مع ما كان لهم من الصلابة والقوة ، لأن بناء هذا البيت محكم للغاية ، وسيبقى أبد الدهر^(١) » .

ثم يذكر طرفاً من ألوان الخلاف الذي وقع بين بعض الحكومات السابقة وبين رجال الخلافة الإسلامية في مختلف العصور ، ويذكر انتصار الخلافة على من حاربوها وبقائها سليمة .

والواقع — كما تصوره حوادث التاريخ — لم تستقر الخلافة في أى عهد من عهودها أو تعيش بعيدة عن التقلبات السياسية أو مطامع الملوك المجاورين لها .

فقد أصيبت الخلافة منذ عهودها الأولى بالكثير من الضعف ، أصابها في ذاتها ، وأصابها في مدى سيادتها ، وظلت خاضعة لموجات تتقاذفها تيارات مختلفة كان أشدها عليها ما حدث لها في القرن الرابع الهجرى . فقد شهد هذا العصر أشد صراع عنيف واجهه الخلافة العباسية ، بعد أن قامت دولة البويهيين الشيعة ، وتمكن الأمر لهم وأخذوا ينفسون على العباسيين — أتباع المذهب السنى — حكومتهم في بغداد ، واحتدم الخلاف بين البيتين إلى حد أدى في النهاية إلى ذلك الشلل الذى أصاب الخليفة «المستكفى» فى تصرفاته ، وفى مملكته ، والاستهزاء به على صورة مزرية ، وإلى استباحة قصوره ونهبها ، بل أدى الأمر إلى أكثر من ذلك فسمات عيناه بأمر الخليفة الجديد «المطيع لله» .

ولما قوى نفوذ آل بويه تنازعوا السلطان فيما بينهم ، وأصيبت بغداد على

(١) العراق بين احتلالين ص ١٦٢ — ١٦٣ .

أيديهم بأكثر مما أصاب مدينة أخرى ، فاستبيحت ، ونهبت أموال الناس ، وكان مقدار ما غنموه من الأموال المعروفة عشرة آلاف ألف دينار ألف^(١) .

على أن ضعف الخلافة فيما بعد جعلها مطعماً لكثير من الدول الأخرى التي جاءت بعد عهد آل بويه ، إلى أن قدم غزو المغول فكان سيلاً طاماً جارفاً ، ساعده ضعف الخليفة وتخاذله وعدم إحكام سياسته ، تلك السياسة العرجاء التي اتبعها ، وكان من بينها انصرافه إلى جمع المال وحبسه في أحواض بلغت من الاتساع حداً يصوره صاحب « تاريخ كزیده » في قوله « إن من جعلها حوضاً بلغ خمسة أذرع في مثلها وزن كل قطعة فيه ثلثمائة مثقال^(٢) » ذلك في الوقت الذي عاش فيه كزاً على الرعية ، وعلى الجند بصفة خاصة حتى منعهم أرزاقهم ، وأسقط أكثرهم من دساتير ديوان العرض^(٣) ، وحتى آل أمرهم إلى سؤال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الأسواق وفي الجوامع ، الأمر الذي حدا بهولاً كوعندما وقع الخليفة في يده — كما تذكر الرواية — أن يتهكم عليه حين ألح الجوع به . إذ أمر بتقديم طبق مليء بالذهب ليأكل منه فلما أنكر الخليفة ذلك بقوله « كيف يمكن أن يؤكل الذهب ؟ » أجابه هولاً كوعند أن ترجمت له العبارة « إذا كنت تعرف أن الذهب لا يمكن أكله فلماذا لم تنفقه في إصلاح جيشك ورعيتك حتى تفقدى نفسك وأمتك^(٤) » .

هذه هي السياسة العرجاء التي كان يسلكها الخليفة مع هولاً كوعند رعيته . وبجانب هذا العرض التاريخي نذكر طرفاً من صفات الخليفة نفسه بما صوره

(١) ابن الأثير ج ٨ حوادث سنة ٣٤٥

(٢) تاريخ كزیده ص ٥٨٠

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠

(٤) وصاف ص ٣٩

المؤرخون ونكتفى بما سجله «ابن طباطبا» في كتابه «الفخرى» «وابن العبري» في كتابه «مختصر الدول» ففيهما الكفاية في توضيح شخصيته ، بجانب إيضاح سياسته .

فيقول صاحب الفخرى « كان المستعصم رجلاً متديناً ، لين الجانب ، سهل العريكة سهل الأخلاق ، خفيف الوطأة » : ثم يستدرك بقوله « إلا أنه مستضعف الرأي ، ضعيف الظن ، قليل الخبرة ، بأمور المملكة ، مطموحاً فيه ، غير مهيب في النفوس ، ولا مطلع على حقائق الأمور ، وكان زمانه ينقض أكثره بسماع الأغاني والتفرج على المساخرة ، وفي بعض الأوقات يجلس بمخزاة الكتب جلوساً ليس فيه كبير فائدة ، وكان أصحابه مستولين عليه ، وكلهم جهال من أراذل العوام^(١) » .

أما « ابن العبري^(٢) » فيقول وفي سنة أربعين وثمانمائة ببيع المستعصم يوم مات أبوه المستنصر وكان صاحب لهو وقصف ، شغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء ، وكان ضعيف الرأي قليل العزم ، كثير الغفلة عما يجب لتدبير الدول ، وكان إذا نبه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار. أما المداراة والدخول في طاعتهم وتوقي مرضاتهم ، أو تجييش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق — فكان يقول — أنا بغداد تكفيني ، ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد ، ولا أيضاً يهجمون على وأنا بها ، وهي بيتي ودار مقامي — فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عدلت به عن الصواب ، فأصيب بمكاره لم تخطر ببال^(٣) » .

هذه السياسة المستضعفة المتخاذلة هي التي أدت إلى تلك النهاية المحتومة فقضت عليه وانتهت بزوال الخلافة .

(١) الفخرى ص ٢٤٤

(٢) ابن العبري ص ٤٤٥

أما نهايته هو فلم يجمع فيها على أمر ويكتفى أن تقول إنه كان من تقاليد المغول ألا يريقوا دمًا ملكيًا^(١) . ويؤيد هذا ما أقر من فتوى أصدرها « الطوسي » في شأنه حين رغب هولاكو أن يقتله فأفتى بقوله « يقتل ولا يراق دمه^(٢) » وهي الفتوى التي أشار إليها الشاعر « الرصافي » في قصيدته التي ذكرنا سابقاً بعض أبيات منها فيقول فيها :

هنالك والطوسي أفتى بقتله قروه بقتل آدب أنجع الأدب

والآراء متضاربة بين المؤرخين لا يدرك من خلالها على أى الصور قتل الخليفة أو مات ؟ وكثير من المؤرخين المعاصرين لهذه الحادثة لا يعينون نهاية أو يجمعون على رأى ، بل منهم من تضاربت آراؤه لا يستقر على واحد منها . وهكذا يقول « أبو الفداء » « ولم يقع الاطلاع على كيفية قتله ، فقل خنق ، وقيل وضع فى عدل ورفسوه حتى مات ، وقيل غرق فى دجله » ويختم العبارة بقوله : « والله أعلم بحقيقة ذلك^(٣) » .

« وابن طباطبا » لا يعين وجهها فى مقتله ، ويكتفى بقوله . « ثم استشهد المستعصم فى رابع صفر سنة ٦٥٦ هـ^(٤) » .

ويذكر « ابن العبري » أنه قتل مع ابنه الأوسط ليلاً عندما بدأ هولاكو فى أول رحلة من رحلاته بعد الفتح^(٥) .

والأمر كذلك بين مؤرخى الفارسية لا يجمعون على رأى . فيذكر صاحب

(١) هامش السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٤٠٩

(٢) طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٤

(٣) أبو الفداء ج ٣ ص ٢٠٣

(٤) الفخرى ص ٢٤٧

(٥) ابن العبري ص ٤٧٥

« جامع التواريخ » أنه قتل مع ابنه الأكبر، وخمسة من خدمه كانوا يلزمونه ، وكان موتهم جميعاً في قرية تسمى « وقف^(١) » .

أما « الوصاف » فيؤيد الخلاف الكثير في نهايته ، لكنه يذهب مذهب من قال إنهم أدرجوه في بلد تجنباً لسفك دمه بالسيف ، ثم قتلوه وهو في لبدته ، وإن كان يخالف جميع المؤرخين مخالفة واضحة في السنة التي قتل فيها ، فيجعل الحادث في الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٥ هـ^(٢) .

وسواء أكان من تقاليد المغول ألا يسفكوا دماً ملكياً ، أو أن مركز الخليفة نفسه كان يستدعي أن يقتل على نوع مخصوص . فإننا لا نقر رأياً بعينه في نهايته ما دمنا لم نجد واحدة في الرأي بين المؤرخين على الصورة التي انتهت عليها ، وكل ما يمكن هو أن نترك نهايته مبهمه ، كما تركها بعض المؤرخين ، إن كان قد سقط الخليفة أسيراً في أيديهم ولم يهلك في الغارة وضرب المدينة ، أو لم يغرق في دجلة إن كان قد طلب النجاة فراراً

★ ★ ★

الشاعر يرثى الخليفة ويمدح هولاءكو :

كانت إزالة الخلافة العباسية ، وسقوط بغداد ، ونهاية الخليفة ميداناً فسيحاً لكثير من الأدباء يدلون فيها كل بما يعرض له .

وقد ساهم الشاعر بنصيبه في ذلك ، فأفصح عن مشاعره بقصيدتين من غرر قصائده رثى فيهما « المستعصم » والخلافة وبغداد رثاء حاراً .

(١) جامع التواريخ ص ٣٠٤ كاترير .

(٢) ورد هذا التاريخ في عبارة عربية بقوله : « وبه انتهت الخلافة العلية وذلك في الرابع عشر من صفر سنة ٦٥٥ هـ » . وصاف ص ٣٩ — ٤٠ . ولعله سهو من النساخ .

وإحدى القصيدتين فارسية تبلغ ثمانية وعشرين بيتاً تضعها « كليات فروغى »
تحت عنوان « در زوال خلافت بنى عباس » فى باب المرائى وهى قصيدة
نونية مطالعها :

آسمانرا حق بود گر خون بگرید بر زمین
برزوال ملك مستعصم أمير المؤمنين^(١)

والقصيدة الثانية عربية من أطول قصائده ، بل لعلها أطولها على الإطلاق
سواء فى قصائده العربية أو الفارسية ، إذ تبلغ مائة واثنين وعشرين بيتاً .
ولعله رغب أن يشارك المسلمين كافة شعورهم فينشدهم قصيدة ابلاغتهم الدينية
المشتركة بينهم .

وتضع « كليات فروغى » هذه القصيدة تحت عنوان « فى مرثية أمير المؤمنين
المستعصم بالله وذكر واقعة بغداد » .
ومطلع هذه القصيدة :

حبست بجفنى المدامع لا تجرى فلما طغى الماء استطال على السكر^(٢)

★ ★ ★

الشاعر يمدح هولاءكو :

وقبل أن نعرض لمدح الشاعر هولاءكو ، نذكر طرفاً مما سجله فيه بعض
المؤرخين ، ونخص بالذكر مؤرخاً معاصراً من الذين أرخوا بالعزبية ، وهو صاحب
« الحوادث الجامعة » يقول عنه : « كان على الهمة ، عظيم السياسة ، عارفاً بغوامض

(١) كليات فروغى ص ٤٨٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٤١١ .

الأمر وتدير الملك ، فاق على من تقدم بالرأى السديد والبأس الشديد والسياسة القاهرة ، وكان يحب العلماء والفضلاء ويحسن إليهم ويجزل صلاتهم ، ويشفق على رعيته ويأمر بالإحسان إليهم ، والتخفيف عنهم ، ولم يشغل عليهم ولا كلفهم ما جرت به عادة الملوك من التكاليف والتوزيعات وغير ذلك ^(١) .

ولعل هولاء كانوا — حقاً — على صفات قوية جعلت شاعراً أخلاقياً كـ «سعدى الشيرازى» ، يعجب به ويمتدحه أيضاً بعد ما ظهر له من حسن سياسته وحسن أخلاقه ، وفي نفس الزمن الذى عز عليه فيه نهاية الخليفة وبغداد فيرثيها في قصيدتيه السابقتين .

ففى مقال للأستاذ «محمد بن عبد الوهاب القزوينى» موضوعه «ممدوحين شيخ سعدى شيرازى» يقسمه ثلاثة فصول يجعل الفصل الثالث منه بعنوان «در ذكر ممدوحين شيخ از ملوك وأعيان خارج از مملكت فارس» ذكر فيه مرأى الشاعر فى الخليفة وبغداد ثم ينتقل إلى الكلام على هولاء كوفيمدحه لا يرثيه .

ويقول الأستاذ عن القصيدة التى يتكلم فى شأنها إنها لا يمكن إلا أن تكون فى مدح هولاء كوفيمدحه . ومما يذهب إليه فى تدعيم رأيه أنها ترد فى نسخ أغلب الكليات تحت عنوان «در انتقال دولت از سلغريان بقوم ديگر» . وقد انتهى سلطان السلغريين سنة ٦٦٢ هـ بانتهاء حكم «سلجوقشاه» وزواج «ابش خاتون» من أحد أمراء المغول ودخول فارس تحت حكمهم . ويقول إن كل هذا تم فى عهد هولاء كوفيمدحه رأيه بهذه العبارة القاطعة :

« پس أصلاً وأبداً جاي هيچ شك وشبهه نيست كه ممدوح شيخ در اين قصيده قطعاً وبدون أدنى تردیدى هولاء كواست ، نه آباقا ياتكو داريا أورغون ^(٢) » .

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٣

(٢) سعدى نامه ص ١٥٥

والقصيدة تبلغ أبياتها خمسة وأربعين بيتاً ، وتشترك مع القصيدة الفارسية
التي رثى فيها « المستعصم » في القافية أيضاً . ويعرض لمدحه حتى
في مطلعها في قوله :

این منی بر اهل زمین بود از آسمان وین رحمت جدای جهان بود بر جهان (۱)
وترجمته : « هذه منة من السماء على أهل الأرض ، وتلك رحمة من الله
على العالم »

ثانياً — هولاءكو وسياسته إزاء بغداد ورجالها

كانت بغداد في ظل حكم العباسيين من أكبر مدن الشرق قاطبة إن لم
تكن أكبرها عامة ، فقد كانت حاضرة لعالم مترام الأطراف يصب إليها القاصي
والداني . وكانت دار علوم كما كانت دار سياسة . ونحن نعتقد — ولعلنا لا نعدو
الواقع — إذا قلنا إن منزلة بغداد التي حافظت عليها ، وما كان فيها من آثار
علمية ودينية ، تجعل هولاءكو — في مثل الظروف التي قدم فيها — يتبع سياسة
الترفق كثيراً في حصارها ، وفي المحافظة — بقدر الإمكان — على تراثها ومخلفاتها،
تقديراً لها ، واستجابة لشعور حاشيته من رجال المسلمين .

ولعل هولاءكو كان يقوم في نفسه تقدير شخصي لتلك المدينة العظيمة التي
حلت لواء المدنية والحضارة زهاء خمسة قرون ، والتي جابت سمعتها أقطار الشرق
والغرب على ألسنة التجار الذين يجوبون ربوعه ، فيجعل منها قاعدة لحكمه الجديد
في مملكته العريضة .

ويرى بعض المؤرخين أن بغداد — مع فداحة الكارثة التي حلت بها —
لم تلق على يد التتار مثل الذي لقيته بلاد أخرى على أيديهم ، والسبب في ذلك هو

(۱) کلیات فروغی ص ۴۵۷

أن هولا كو كان يريد أن يحتفظ ببغداد لنفسه ، وقد أمر فيما بعد بإصلاح بعض ما أفسدته جيوشه مثل إعادة بناء « جامع القصر » الذي كان من أكبر جوامع بغداد^(١) .

على أن جهود هولا كو نفسه في الإبقاء — بقدر المستطاع — على مظاهر الحضارة وخاصة في مدينة كـبـغداد ، لا بد أن يحمله على أن يعمل لتنظيم الحياة سريعاً في تلك المدينة .

كذلك لم تكن له ميول دينية ظاهرة ، بل كان على العكس ، يستجيب لرغبات مستشاريه من المسلمين ، ولعله — في ذلك — راعى أقصى ما يمكن أن يراعيه حاكم غالب في شعب مغلوب . كذلك راعى في سياسته بعد — أن استقرت ثورة القـتـح — أن يبقى على نظام الإدارة الديني والمدني على الشكل الذي كانت عليه البلاد أيام الخلفاء .. فيذكر « ابن العبري » أن هولا كو بعد أن انتهى من أمر الخليفة قوله « ثم فوض عمارة بغداد إلى صاحب الديوان والوزير وابن درنوش »^(٢) . وفي « جامع التواريخ » أنه في نفس اليوم الذي استشهد فيه الخليفة أقيم على الوزارة الوزير « مؤيد الدين ابن العلقمي » وعلى وظيفة صاحب الديوان « فخر الدين الدامغانى »^(٣) . ويذكر « الطوسي » في ملحقه على « جهازكشاي » « في ذكر كيفية واقعة بغداد » أن هولا كو رجل كذلك بعد أن انتهى من أمر الخليفة وأقام الوزير ، وصاحب الديوان ، وابن دربوس بأعمالهم في بغداد ، كل منهم في عمله الذي كان له^(٤) .

(١) السلوك ج ١ ص ٤١٠ هامش .

(٢) ابن العبري ص ٤٧٥

(٣) جامع التواريخ ص ٣٠٦ كاتمير .

(٤) جهازكشاي ج ٣ ص ٢٩٢

هذا من ناحية تنظيم العمل بالمدينة . فقد ظهر فيها كذلك مدى الروح التي قابل بها هولاء كوفتح مدينة بغداد ، ومعاملة رجالها بعد أن تم له الظفر .

أما أمر القتل وتقديرهم في بغداد فقد ظهر فيها المغالاة كثيراً عند المؤرخين حتى ذهب بعضهم إلى أنهم بلغوا ألف ألف وكسراً^(١)، أو ألفي ألف^(٢) . لكن من المحقق أن هذا العدد مبالغ فيه إلى حد كبير جداً ، خصوصاً إذا لاحظنا أن هذه هي آراء المتأخرين من المؤرخين . أما الذين عاصروا هذه الحادثة فمنهم من لم يشر — قطعاً — إلى عدد القتل كما لاحظنا في «جامع التواريخ» و«وصاف» من مؤرخي الفارسية أو عند «أبي الفداء» من مؤرخي العربية .

وأول من أشار إليها من الإيرانيين صاحب «تاريخ كزیده» إذ جعل عدد القتل ثمانمائة ألف^(٣) . ذاهباً في هذا مذهب مؤرخ عربي آخر هو صاحب «الحوادث الجامعة»^(٤) .

وأرجح الآراء التي تؤيدها أن القتل — كما ذهب إليه هذان المؤرخان — لم يصلوا إلى مليون . بل من المؤرخين من يجعل عدد القتل أقل من مائة ألف فيذكر صاحب كتاب «العراق بين احتلالين» عبارة نصها «وعلى القول إنهم يبلغون ثمانين ألفاً، كما في تاريخ «مصلح الدين اللاري» نقلاً عن «گلشن خلفا» . ثم يعقب عليها بقوله ، «ولا عبرة بقول من أبلغهم إلى ألفي ألف أو إلى ثلاثة آلاف ألف فالمبالغة ظاهرة جداً»^(٥) .

(١) الخميس في أحوال أنفس نفيس ج ٢ ص ٣٧٧

(٢) السلوك ج ١ ص ٤١٠

(٣) تاريخ كزیده ص ٥٨٠

(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٣١

(٥) العراق بين احتلالين ص ٣٩٠

وعلى هذا فالذهاب بأن القتلى بلغوا مليوناً أو مليونين أو أكثر من ذلك هو إغراق في المبالغة ، ومزيد من تلوين التاريخ باللون الأسود القاتم ، استغلالاً لهذه الحادثة ، ومرضاة لمجاعة شعور العداء العام ضد هؤلاء الغزاة .

ثالثاً - هولاء كو و سياسته إزاء مكشبات بغداد

وهذه مسألة أخرى توجب الكثير من الاهتمام والتحقيق ، فقد أراد المؤرخون أيضاً أن يضيفوا صورة جديدة من الصور البشعة ، يلهب تسجيلها حساسية كل إنسان ، ليشارك الناس شعور العداء نحو هؤلاء القوم ، فيعترف بعداوتهم للحضارة والعلوم ، على الوجه الذى صورته هؤلاء المؤرخون فى مصير مكشبات بغداد .

ونحن مع اعترافنا — إلى حد بعيد — بقسوة الأسلوب العسكرى الذى اتبع فى غزو المدن المستعصية فى مستهل أطوار الفتح الأولى ، ومع تقديرنا لأراء المؤرخين الذين عاصروهم واعتمدنا عليهم فى تصوير غزوهم الأول أيام « چنگيزخان » على الصور التى عرضنا لها سابقاً . مع اعترافنا — بذلك وتقديرنا لهذا — يجب أن نفرق بين ما يستلزمه الغزو نفسه — من الوجهة العسكرية — من عنف وقسوة للوصول إلى الانتصار من أقرب الطرق وبأقل الخسائر ، وبين ما يسند إليهم من كراهية للمدنية أو الحضارة أو العلوم بشكل عام ، كراهية تؤدى بهم إلى إحراق الكتب عمداً بالنار ، أو إلقائها عمداً فى النهر ، على الصور التى ذهب إليها هؤلاء المؤرخون .

وسيدو لنا — على الرغم مما يحاط به تاريخهم — أنهم كانوا يناصرون الحضارة مناصرة ساهم فيها كل فرد منهم بقدر ما امتد له السلطان ، أو طال به الحكم ، وبقدر ما اتسعت له ميوله المدنية .

ونحن هنا نعرض للتحقيق في شأن كتب مكتبات بغداد . ومصير هذه المكتبات لا يعدو إحدى ثلاث .

إما أنها أحرقت عمداً أو عرضاً ، وإما أنها أُلقيت كذلك في دجلة ، وإما أنها نُهبت .

ويجب — قبل أن نخوض في تحقيق هذه المسائل — أن يُعرف أننا إنما نقصد تصحيح ما يسند للمغول فيها بدافع الفعل المتعمد المقصود لذاته ، لا الفعل الذي يقع ولا اختيار لهم فيه ، الفعل الذي يمكن أن يسجله عليهم بعض المؤرخين .

وأول وثائق القضية — التي يستند عليها — يجب أن تؤخذ عن المؤرخين المعاصرين أولاً ، أولئك المؤرخون الذين أرخوا لهذه الحوادث تاريخ مشاهدة وعيان ، وتتخير من هؤلاء ثلاثة من مؤرخي الفارسية ، وثلاثة من مؤرخي العربية وكلهم ثقة عدول .

تتخير من مؤرخي الفارسية ثلاثة في ترتيب زمني معاصرهم : « نصير الدين الطوسي » في ذيله على « جهانگشای » الذي أتمه سنة ٦٧٥ هـ في حياة « عطا ملك » نفسه صاحب الكتاب ثم « رشيد الدين صاحب جامع التواريخ » الذي أتمه سنة ٧١٠ هـ وقد أدرك الكثير من الحوادث أيضاً ، وكان له و« نصير الدين الطوسي » كما كان « للجويني » من المكانة في الدولة ، والتقدير في نظر الحاكم والمحكوم ، والثقة بهم حداً بعيداً . ثم نضم إلى هذين « وصاف الحضرة » صاحب التاريخ المشهور « تاريخ وصاف » والذي أتمه سنة ٧٣٨ هـ .

وسيتبين من عرض أقوالهم في أحداث بغداد أنه لم يظهر فيها قطعاً نص يفيد تدمير الكتب عمداً بالإحراق أو بالإغراق أو حتى بالنهب .

فأما « الطوسي » فلم يشر إلى شيء من ذلك قطعاً في الذيل المنسوب إليه ،

ولا نظن أن عبارته الموجزة هي التي استدعت عدم الإلمام بذلك ، فأننا نعرف مدى اهتمامه باقتناء الكتب وتقويةها ، والسفر في طلبها ، والتفتيش على ما يتصل بالرصد خاصة ^(١) . وهو يبدأ العبارة في نهاية أمر بغداد بالإشارة إلى المفاوضات بين الخليفة وهولاكو ، ثم القبض على الخليفة وأولاده وأتباعه ، حتى يقول في بغداد والإغارة عليها .

« وبعد أن فرمود تاشهزغارت کردند » ثم ينتقل مباشرة إلى الحديث عن قصر الخلافة بقوله « وپادشاه بمطالعه خانه خلیفه رفت » ثم يعرض لنهاية الخليفة ، وما جرى من الحديث بينه وبين هولاكو بما صورناه سابقاً حتى يقول : « چون از غارت فارغ شدند . بعد از يك هفته أهل شهر آمان دادند، و غنیمتها جمع کردند، و چهاردهم صفر پادشاه آرد و شهر کوچ کرد، و خلیفه را طلب فرمود » ^(٢) وترجمة هذه العبارة « حينما انتهوا من الإغارة أمنوا أهل المدينة بعد أسبوع، وجمعوا الغنائم، ثم رحل الملك في الرابع عشر من صفر من المدينة، وأرسل في طلب الخليفة ». فلم ننبين من هذا النص ما يشير — صراحة أو ضمناً — إلى ما أصيبت به مكاتب بغداد ، مع ما أسلفنا من الإشارة إلى قيمة الكتب في نظر هذا العالم .

أما صاحب « جامع التواريخ » فيفيض المقام هنا عن نقل كل النص الذي ورد في حصار بغداد ، لكنه يشير إشارة عامة إلى ما دمرته النار من الياوس والأخضر مستثنياً من ذلك بيوتاً معدودة ، ثم يشارك « الطوسي » في قوله بذهاب هولاكو إلى بيت الخليفة ونص عبارته .

« و چهارشنبه هفتم صفر ابتداء قتل و غارت عام بود، و لشکر بیکپار در شهر رفتند ، و تروخشک می سوختند ، مگر خانه معدودی » ^(٣)

وترجمة هذه العبارة: وفي الأربعاء السابع من شهر صفر ابتداء القتل والإغارة العامة

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٠

(٢) جهانگشای ج ٣ ص ٢٩٠

(٣) جامع التواريخ ص ٢٩٨ . كاترمير .

فع الجند في المدينة مرة واحدة ، وكانوا يحرقون الأخضر واليابس
ميوتا معدودة » .

ونحن نلاحظ في هذه العبارة شيئين نشعر منهما مدى تحري الدقة عند هذا
خ وهما :

(١) الانتقال في العبارة من الماضي المطلق إلى الماضي المستمر . الأول في فعل
تند ، أي اندفعوا . والثاني في فعل « مى سوختند » أي كانوا يحرقون .

(٢) في الاستثناء في قوله « مكرخانه معدودى » أي إلا ميوتا معدودة .
ولكن لا ندرى كيف نجت هذه البيوت ؟ أكان نجاتها قصداً أو أنها
ت من البعد بحيث لم تصب ؟

هذا التحفظ في التعبير أو التزام الدقة يشعر بيقظة المؤرخ واهتمامه بتسجيل
، ما وقع ، فلو قد أصيبت مكنتات بغداد بشيء من هذا لعرض له المؤرخ فيما
من الإحراق . كذلك يذكر في نهاية هذه العبارة التي تتصل بأحداث
د قوله :

« وبيشتر مواضع شريفه شهر را چون جامع خليفه ومشهد موسى جواد عليه الرحمة
نهاى خليفه سوخته شد^(١) » وترجمتها أي — « وأحرقت أكثر مواضع المدينة
ريفة كجامع الخليفة ومشهد موسى الجواد عليه الرحمة ومقابر الخلفاء » .

فهو هناك يذكر — استدراكا — ما نجا من الإحراق ، وهنا يخص بالذكر
، ما احترق ، فلم تكن مكنتات بغداد ذات نص خاص ، بل هي مسكوت
مع ما لاحظناه من التزام الدقة في عبارته ، ولا ندرى لم سكت عن الإشارة
ذلك ؟ ؟

(١) جامع التواريخ ص ٣٠٢ كاترمير .

الأنها لم تكن من الخطورة بحيث تساوى البيوت التي قال عنها إنها نجت؟؟ أم أن الإشارة إليها—إن كانت قد احترقت—تسيء إلى سمعة المغول فتحرك الشعور ضدهم ، وقد أشار إلى ماس الأماكن التي تعتبر مقدسة وهي جامع الخليفة ، ومشهد موسى الجواد ، ومقابر الخلفاء ؟ ؟

أما « الوصاف » فإنه يستطرد كثيراً على طريقته في الصناعة الشاقة ، وبالرغم من الإفاضة في كل ما عرض له ، لم نعثر على نص خاص ، أو إشارة كذلك ، تلقى الضوء على هذه المسألة .

وفي عنوان له عن محاصرة بغداد وفتحها ونهاية الخليفة، يذكر أن الحصار حين امتد خمسين يوماً، واستعصت عليه المدينة، أقاموا المجانيق على المرتفعات وأعلى المنازل، وضربوها بالحجارة وقوارير النفط ، حتى صاح الأهالي بقولهم « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ^(١) » .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى أمر الرسل بين الخليفة وهولاكو ، وعرض المصاهرة بين البيتين ، ولكن المصاهرة فشلت ، حتى كان يوم ٤ صفر سنة ٦٥٥ هـ ^(٢) فكان يوماً « عبوساً قطرياً يوماً كان شره مستطيراً ^(٣) » قبض فيه على الخليفة وأبنائه . ثم يشير إلى نهب المدينة ، ويفيض في تعداد ما نهب من مقتنيات الخليفة خاصة ، لكنه لا يذكر بين ما نهب شيئاً من المكتبات .

كذلك يذكر أن الجيش أصاب من هذا النهب الكثير من أدوات الترف والزينة في بيت الخليفة والنواب وأركان الحضرة ، والكثير من النقود وأصناف الحرير الأطلس والأكسون والمعترك ، وكذلك من موارد الصين ومصر والروم ،

(١) وصاف ص ٣٥

(٢) سبق أن أشرنا إلى أن هذا التاريخ مغاير لما اتفق عليه .

(٣) من استشهاد المؤلف نفسه ص ٣٦

وخيول العرب وبغال الشام وغللمان الروم والقنجاقي ، وسراري الترك والخطا
والبربر مما لا يدخل تحت حصر .

وهكذا يمضي المؤلف في ذكر ما سلب من المدينة وقصور الخلافة ، مشيراً إلى
مروع الحياة المترفة التي كان يعيش عليها في قصره ، ويجهد نفسه في تعداد الأصناف
التي سلبت دون الإشارة إلى ما أصاب مكتبات بغداد ، كما لاحظنا عموم العبارة
التي تشير إلى استعمال قوارير النفط ، لكن لم نعرف ماذا أصيب بها ؟ ولو قد
أصيب بها المكتبات أو تعرضت للنهب لعرض لذكرها بين ما نهب من نقد أو
حرير أو دواب أو غلمان .

وخلاصة هذه الآراء الثلاثة أنه لم يرد نص صريح عما أصيب به مكتبات
بغداد لا عمداً ولا عرضاً ، وسكوت هؤلاء المؤرخين عن ذكر شيء يشير إلى نهاية
المكتبات يعطينا — وحده — دليلاً سلبياً على أن المكتبات بقيت حيث هي
لم تصب بسوء .

ومع ذلك — وكما قلنا سابقاً — تتخير أيضاً مع هؤلاء المؤرخين ، ثلاثة
غيرهم من مؤرخي العربية المعاصرين لهذه الحوادث : تتخير منهم « ابن العبري »
المتوفى سنة ٦٤٨ هـ وصاحب « الفخرى » المتوفى سنة ٧١٠ هـ وصاحب
« الحوادث الجامعة » المتوفى سنة ٧٢٣ هـ وهم أيضاً معاصرون لهذه الحوادث ،
وسكتفي بأن نضع عباراتهم دون مناقشة فسنعرف منها أنها لم تعرض لأية إشارة
مما أصاب مكتبات بغداد .

وعبارة ابن العبري « وشرع العساكر في نهب بغداد ودخل بنفسه
« هولاء كو » ليشاهد دار الخليفة ، وتقدم بإحضار الخليفة فأحضره ، ومثل بين
يديه ، وقدم جواهر نفيسة ولآلئ ، وحرراً معبأة في أطباق » إلى أن يقول :

« وبقى النهب يعمل إلى سبعة أيام ثم رفعوا السيف وأبطلوا السبي »^(١).

وصاحب الفخرى يقول « وأحاط الجيش ببغداد من جميع جهاتها ، ثم شرعوا في استعمال أسباب الحصار ، وشرع العسكر الخليفة في المدافعة والمقاومة إلى يوم التاسع عشر محرم ، فلم يشعر الناس إلا ورايات المغول ظاهرة على سور بغداد من برج يسمى « برج العجمى » — إلى أن يقول « وتقم العسكر السلطاني هجوماً ودخولاً ، فجرى من القتل الذريع ، والنهب العظيم ، والتمثيل البليغ ، ما يعظم سماعه جملة . فما الظن بتفاصيله ؟؟ »^(٢).

أما صاحب الحوادث الجامعة فيقول « ووضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر ، وما زالوا في قتل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب » إلى أن يقول في عبارة تشعر بما قاله صاحب جامع التواريخ في قوله « فلم يبق بين أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل ، كذلك نجت بعض بيوت منها بيوت النصارى ، وبيوت بعض التجار الذين تعرفوا على أمراء المغول أثناء غزوهم ، ودار الوزير ابن العلقمى ، ودار صاحب الديوان ابن الدامغانى ، ودار حاجب الباب ابن الدوامى ، وما عدا هذا فإنه لم يسلم فيه أحد إلا من كان في الآبار والقنوات ، وأحرق معظم البلد ، وجامع الخليفة ، وما يجاوره ، واستولى الخراب على البلد »^(٣).

هذه أيضاً هي النصوص التي وردت عند مؤرخى العربية في موضوع حصار بغداد وإصابة بعض بيوتها بالإحراق أو النهب . لم يرد فيها نص صريح عن مصير المكتبات إحراقاً أو إغراقاً أو نهباً .

(١) مختصر الدول لابن العبرى ص ٤٧٥

(٢) الفخرى ص ٢٤٧

(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٢٩

أما تعميم النص عند بعض المؤرخين في قولهم «وأحرق الأخضر واليابس»^(١) أو «وأحرق معظم البلد»^(٢) فمع أنه لم يرد فيه ذكر لشأن المكتبات صراحة ، فلن يتسع النص لأن يفهم منه ذلك ضمناً ، وقد كان لشأن المكتبات وتقديرها عند أمثال هؤلاء العلماء مكانة ملحوظة ، بل كان لدى الكثيرين منهم خزائن كتب شخصية ، تدل على مبلغ عنايتهم بالعلوم ، وحرصهم على جمع الكتب والاهتمام بها .

فلو تعرضت المكتبات لشيء من تلك النهايات التي أصيب بها كثير من بيوت بغداد لأمكن النص عليها صراحة ، كما نصوا على غيرها ، لأن يترك الأمر احتمالاً واستنتاجاً .

فمن أين جاءت المسألة إذن ؟

ومن أول من نص عليها ؟

ابن خلدون أول من قال بإلقائها في النهر

رايه والرد عليه

لقد تشككت كثيراً وأنا أحمل هذا المؤرخ تبعة السبق في هذه المسألة ، وحملني هذا على أن أتمكن من قراءة ما بين يدي من النصوص وتفهمها ، ثم رجعت إلى غير واحد من المؤرخين المعاصرين من الإيرانيين والعرب كما مضى ، وتماديت في التحري وتتبع المسألة عند غير هؤلاء من المؤرخين حتى منتصف القرن العاشر

(١) في عبارة صاحب جامع التواريخ من مؤرخي الفارسية النظر ص ٣٩ من الرسالة .

(٢) في عبارة صاحب الحوادث من مؤرخي العربية في النص السابق .

المهجرى ، لعل أجد سابقاً لابن خلدون أو معاصراً له ، ممن سبقوه بها أو جاروه فيها ، فلم أجد ^(١) .

ونحن نأخذ الآن في إثبات النص ومناقشته والرد عليه . وقد جاء هذا النص في موضعين ، مع خلاف في تقدير عدد القتلى ^(٢) .

يقول « وتقبض على المستعصم فشدخ بالمعاول في عدل تجافياً عن سفك دمه بزعمهم ، ويقال أن الذى أحصى فيها من القتلى ألف ألف وثلثمائة ألف ، واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على مالا يحصره العدد والضبط ، وألقيت كتب العلم التى كانت في خزائهم بدجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند فتح المدائن . واعتزم هولاء كوا على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته » .

ونحن نناقش ابن خلدون ، ونرد عليه بما يأتى :

أولاً — لم يثبت من النصوص السابقة — المعاصرة والمواظنة — نص يعين نهاية المكتبة إحراقاً بالنار أو إلقاء فى النهر ، أو حتى النهب . على أن مفهوم الإلقاء نفسه لم تحتمله أية عبارة وردت فيما عرضناه من النصوص ، وقد سبق أن دللنا على أنها لم تصب بحريق . فانفراد ابن خلدون بهذا النص — مع بعده زمنياً وموطناً — وعدم مجاراته غيره من المعاصرين لهذه الحوادث ، كل هذا يحتاج منا إلى تحفظ فى الأخذ برأيه .

(١) رجعت إلى أبى الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ فى المختصر والمقريزى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ فى السلوك، والسيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ فى أخبار الخلفاء والديار بكرى المتوفى سنة ٩٦٦ هـ فى الخميس .

(٢) النص المأخوذ من جزء ٥ ص ٤٣ طبع بولاق فى تاريخ هولاء . ويرد النص أيضاً فى الجزء الثالث ص ٣٧ عند ذكر خلافة المستعصم . مع الخلاف فى جعل عدد القتلى ألف ألف وستمائة ألف .

ثانياً — يؤخذ من هذا النص أيضاً ، أنه فيما يتصل بنهاية الخليفة ، انفراده بجديد عن أشرنا إليهم وهو قوله « شذخ بالمعول » أى ضرب . مع موافقته بعضهم فى أنهم وضعوه فى عدل . لكنهم لم يذهبوا فى ضربه بالمعول مذهباً يمكن أن يستمد منه ابن خلدون النص على ذلك . فالمفهوم أنه فى هذه المسائل ناقل عن سبقه ، ولم يسبقه أيضاً من قال إنهم ضربوه بالمعول . فانفراده بالنص على هذا النوع من النهاية ، دون الاستناد إلى رأى أقدم منه يجعل فى الأخذ برأيه تخرجاً .

ثالثاً — على أن ابن خلدون فى موضوع واحد ، ومناسبة واحدة — مع اختلاف موضع العبارة فى كتابه — يضطرب فى تقدير عدد القتلى ، ولا يستقر على رأى واحد . فمرة يجعلهم ألفى ألف وثلثمائة ألف ، كما فى جزئه الخامس . ومرة يرفع هذا العدد إلى ألفى ألف وستمائة ألف ، مع الاتفاق فى الموضوع نفسه ، بل فى نص العبارة نفسها ، وذلك فى جزئه الثالث .

ولسنا ندرى أى التقديرين يقارب الصواب أو يجانبه ؟ ؟ ولا السبب الذى حدا به إلى هذا التناقض فى حادثة واحدة .

وقد بينا سابقاً مدى المغالاة فى تقدير عدد القتلى ، وكان ابن خلدون من أوائل الذين قالوا بهذا التقدير أيضاً ، مع مافيه من المغالاة دون أن يدرك مبلغها . وهو ما أدركه « البستانى » فى دائرة معارفه ، إذ نقل نص ابن خلدون فى دائرته برمته عند الحديث عن بغداد ، ولكنه استدرك فى نهاية العبارة كثرة القتل فقال « ولا يخفى ما فى ذلك من المبالغة الظاهرة » .

رابعاً — إن النص جاء مخالفاً لما كان متوقفاً فيما يتصل بالمكتبة ، فلو قد أثبت أنها احترقت — ولو عمداً — لجاز ذلك أكثر من أن تلقى بنهر دجلة ، وهنا موضع غرابة عملية تظهر فى إتمام هذا الفعل .

أتحمل الكتب على الأكتاف والسواعد لتلقى في دجلة ؟ أم تحمل على العربات فتساق ليقذف بها في النهر ؟

ولو تم هذا الأمر على كلتا صورتين — بين أبصار الناس وأسماعهم — لكان حديثاً جرى في الآفاق ، فكيف غاب ذلك عن المعاصرين من المؤرخين ؟ وكيف امتنعوا عن ذكره ؟ ولو قد حدث هذا — مع الإشارات التفصيلية التي فاضت بها كتبهم ، إلى ما أحرق ، وما نجا ، وما نهب — وامتنعوا عن الإشارة إليه لعدوا كاتمين للوقائع المهمة التي لو حدثت في مدينة كبغداد في مثل هذه الظروف ، لأدركها كثير من الناس ، وأدركها الخاصة والعامة ، ولكان الحادث حديثاً جرى تداوله بين الأسماع .

خامساً — وأغرب من هذا وأمعن في الغرابة أن يتهم أمتين بهذا العمل . أمة المغول وأمة العرب ، فيجعل المغول يعمدون إلى إلقاء المكتبات العربية بدجلة ، تشفياً لما أصاب مكتبات المدائن الفارسية على أيدي العرب ، فيصيب العرب والفرس معاً بإصابة تلك الحضارة المشتركة بينهما منذ خمسة قرون ، من وقت أن دخلت العربية بينهم رسمياً ، ومنذ أن كان أدبها هو الأدب الرسمي ، ثم الأدب الديني .

وهل ثبت لدى ابن خلدون — وهو يؤرخ لهذه المسألة في القرن التاسع الهجري — أن العرب فعلوا هذا بمكتبات المدائن في القرن الأول الهجري ، حتى يتجنى عليهم هذا التجنى أيضاً ؟

سادساً — ثم هذا الاضطراب الموجود بالعبارة أيضاً . وكيف يكون ذلك ؟ « واعتزم هولاء كوا على إضرار بيوتها ناراً فلم يواظبه أهل مملكته » بعد أن سبقتها عبارته « وألقيت كتب العلم التي كانت في خزائهم بدجلة » كيف يكون

هذا؟ وماذا يفيد هولاكو — والفعل مسند إليه — من إحراق بناء أصبح بقاؤه — على هذا الوضع — لامتني له بغير ما وجد له؟

وهل يقبل هولاكو أن يبقى على المكان وحده بعد أن خلا من الكتب؟
لاشك أن هذا الوضع — لو تم بشقيه — لدل على بربرية ووحشية وسوء تصرف، وهذا ما لم يفهم عن هولاكو نفسه. ثم لماذا لم يوافق أهله مملكته على إحراق المكان بعد أن خلا مما فيه...؟؟؟ أقيمة المكان أغلى في نظرهم من قيمة ما فيه...؟؟؟ وأين كانوا وهولاكو يأمر الجند بحملها وإلقائها في دجلة...؟؟ وكيف إذا كان هولاكو يذعن لآرائهم ويستجيب لرغباتهم فلم يفعل في إحراق المكان، كيف لا يهرعون إليه ويثنون عنه هذا الفعل الذي يصيبهم ويصيب العالم أجمع في مدينته؟؟..

سابعاً — ومن كان أهل مملكته وحاشيته الذين يذعن لأمرهم إلا شخصيتين إسلاميتين هامتين من أجلة العلماء، هما «عطا ملك الجويني ونصير الدين الطوسي» اللذان كانا من أكبر الشخصيات ومن أقرب الناس إليه، وأوثق الناس به، واللذان بلغا من تقديره الشخصي لهما أن استجاب للأول في رغبته بإيقاف ضرب «قلاع الإسماعيلية» لينقذ مكنياتها ففعل^(١)، وبسط للآخر في الأمر فجعل له الإشراف على كل الأوقاف، ليأخذ منها ما يشاء في سبيل القيام بمهامه العلمية، والذي أذن له في أن يجوب جميع البلاد ليجمع كتب الرصد وغيرها مما يستفيدون منه^(٢)؟؟

ثامناً — على أننا نستطيع أن نضيف إلى هذا ما أدركه بعض المؤرخين والنقاد في كتابات ابن خلدون التاريخية.

(١) مقدمة جهانگشای للاستاذ محمد بن عبد الوهاب القزويني ص. كز.

(٢) الحوادث الجامعة ص ٣٥٠

فالمعروف أن مقدمة ابن خلدون هي خير إنتاجه ، وأروع ماصدر عنه ، وهي لاتزال حتى اليوم في الصفوف الأولى بين مؤلفات علم الاجتماع .

أما كتاباته التاريخية فلم تكن صحيحة المنهج ، مستقيمة الحوادث ، بل سلك فيها مسلك الجمع والاختصار أحياناً أو الإضافة أحياناً أخرى ، وقد صور الحوادث الماضية تصويراً كيفما اتفق ، وقد رأينا بعض مظاهر اضطرابه في تسجيل ظاهرة واحدة ، في مكانين مختلفين من كتابه . ومن هنا كانت مكانة تاريخه — بين كتب التاريخ — أقل من مكانة مقدمته بين كتب الاجتماع ، فبينما ترتفع المقدمة إلى الذروة ، ينخفض مؤلفه في التاريخ إلى حد يجعل الثقة به ضعيفة .

ومن هنا أيضاً كانت مكانة ابن خلدون بين علماء الاجتماع تفوق مكانته بين علماء التاريخ . والشئ الذي يمكن أن يعتمد فيه على تاريخ ابن خلدون — بشئ من الاطمئنان — هو ما كتبه عن دول المغرب في موطنه ، أو الأحداث المعاصرة له .

تاسعاً — ونستطيع أن نضيف إلى هذه الآراء مارآه بعض المؤرخين في كتابي ابن خلدون « المقدمة والتاريخ » .

يقول بارتولد في كتابه « تاريخ الحضارة الإسلامية » عن مقدمة ابن خلدون « ان المقدمة المشهورة التي وضعها لكتابه في التاريخ العام ابن خلدون الذي قام بأعمال الدولة في أفريقيا الشمالية ومصر في أواخر القرن الثامن ، هي أول كتاب من نوعه في الأدب العربي ، وتجربة وحيدة لتخليص التاريخ من القصص » إلى أن يقول في تجنب ابن خلدون للآراء الحديثة التي جاء بها في مقدمته عند تطبيقها في كتابه « ولم يستطع ابن خلدون تطبيق نظريته على الأحداث التاريخية كما حدث لكثير من أصحاب النظريات في الأزمان القديمة والحديثة . » ثم يمضى فيقول في المقارنة بين المقدمة والكتاب .

فمقدمة « ابن خلدون » كمقدمة « ديودورس » تشبه جداراً مزخرفاً لواجهة جميلة،
فاذا أخرجنا المقدمة بقي كتابه مجموعة من حوادث . فهو لجميع جامعي القرون
الوسطى ، ينقل روايات من سبقه من المؤرخين بدون تفسير في معظم الأوقات»^(١)
عاشراً — ومع ذلك فهناك بعض المآخذ على ابن خلدون حتى في مقدمته ،
ويبدو في بعض آرائه تعصبه ضد العرب ، ورأيه فيهم أنهم قوم هادمون للحضارة
وهو الرأي الذي يأخذه عنه أيضاً بارتولد^(٢) ، ويرد عليه هذا الرأي الدكتور عزام بك
بما ملخصه : أنه وضع العرب في جانب ، وبقية الأمم في جانب آخر ، وأقام
المقارنة بينهم ، فلم تصلح المقارنة أساساً للمفاضلة . كذلك يرى أن ابن خلدون لم
يلتزم السير على خطة واحدة حين نظر إلى البيئة وتأثيرها وإلى الجنس وتأثيره ،
وخلط بين الإثنين في التأثير في الحضارة^(٣) .

هذه هي مناقشاتنا لآراء ابن خلدون والرد عليه.

والآن بعد أن حللنا الآراء التي عرض لها المؤرخون في إحراق المكتبات ، وناقشنا
رأي ابن خلدون في إلقامها بدجلة ، لم يبق إلا أمر واحد محل افتراض . فلنناقشه :
ذلك هو أن المكتبات ربما قد نهبت أو امتدت إليها يد السلب ، وهذا
إن تم — لا يتم إلا في ظرف واحد — هو الظرف الذي اشتد فيه الحصار على المدينة ،
واختل نظام الأمن ، وأفلت الزمام من أيدي القابضين عليه ، وتنصل المشرفون
على خزائن الكتب من تحمل تبعه المحافظة عليها ، حتى لا يدفعوا أرواحهم
المعرضة للخطر ثمناً لها ، وفي هذا لا يخلو الناهبون لهذه المكتبات من أن يكونوا
أحد نوعين :

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية. بارتولد . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر ص ٥٩ — ٦٠

(٢) المصدر نفسه ص ٦١

(٣) مقدمة المصدر السابق للدكتور عزام بك ص ٦ — ٧

١ — إما أنهم جماعة يفهمون قيمة الكتب ويدركون مكانتها ، وهؤلاء قد نقلوها في تلك الظروف ليستفيدوا منها — إن تمكنوا من سلبها — في أمان وهدوء ، فلا بد من المحافظة عليها بقدر الإمكان .

٢ — وإما جماعة من الرعاع والغوغاء الذين ينتمزون دائماً فرصة اختلال الأمن ، فيمدون أيديهم إلى سلب كل ما تصل إليه أيديهم ، وهؤلاء لا بد أن يتحسبوا بأنفسهم من يدركون قيمة ما امتدت إليه أيديهم ، فيدفعونها إليهم ولو بأبخس الأثمان .

· وهكذا — في كلا الحالين — ينتهي الأمر إلى أن تؤول الكتب إلى أيدي عارفيها ومقدريها ، ولا تصاب الكتب نفسها بخسارة ما ، كما لا تتعرض الحضارة والعلوم بركود ، كالركود المتوقع من حرمان الانتفاع بها على الوجه الذي صوره المؤرخون إحراقاً بالنار، أو إغراقاً في النهر .

· وأسلم الآراء عندى أن المكتبة — إن كانت قد تعرضت لشيء — فإنها قد توزعت أثناء الحصار، أو نقلت بعده طوعاً لرغبات المغول . وعلى أى الحالات لم يؤثر هذا أو ذاك — قليلاً أو كثيراً — في سير موكب الحضارة على الصورة التى يصورها المؤرخون .

الفصل الثاني

الحضارة والعلوم في إيران خلال عصر المغول

والعوامل التي ساعدت على سيرها

على الرغم من تلك الأحداث التي صورناها سابقاً ، والتي توضح بشكل عام بعض الجوانب التي تكشف عن خططهم في الفتح . وعلى الرغم مما أصاب الأقاليم نفسها من التخريب والتدمير ، وما أصاب العلماء من التشريد والاغتراب — على الرغم من هذا كله — كان يوجد لهؤلاء جانب لماع مشرق من الحضارة في إيران إبّان ذلك العصر .

فمن خلال النار والدمار التي خلفتها فتوحاتهم ، بزغت على العالم أنوار مشرقة في عهدهم وساهموا — بدورهم — بنصيب وافر في تأسيس الحضارة ، وعوضوا على العالم بعض ما أصابه من التدمير والتخريب . فأنشأوا الكثير من المؤسسات المدنية والاجتماعية ، وأعادوا تجديد ما اندثر منها أو تهدم ، أيا كان نوعه أو الغرض منه . كذلك أخذوا يشجعون العلماء ويرعونهم رعاية لعلمهم فاقوا فيها غيرهم ، وبخاصة من عاش منهم في إيران .

أما العوامل التي ساعدت على الحضارة والعلوم فهي ما يأتي :

أولاً — البيئة

ونحن إذا درسنا العوامل التي ساعدت على النهوض سريعاً من هذه الكبوة ، لانتسى أن نجعل في طبيعتها ما يتصل بالبيئة نفسها . فمن المؤكد أن إيران

— بطبيعة موقعها — كانت موضع تقدير ورعاية عند هؤلاء الفاتحين ، حتى اتخذوا فيها عواصمهم دون غيرها . ومنذ القدم — وهذا الإقليم — يساهم بنصيب وافر في تأسيس الحضارة أو السير بها .

ولم تكن فتوحات المغول — على عنفها وقسوة مسلكها — لتغير كثيراً مما كان لطبيعة هذا الإقليم ، أو لما توارثه رجاله عبر القرون الطويلة ، والتي جعلت في مقدورهم هضم الحضارات المختلفة التي اتصلوا بها ، ثم وضعها في أثواب جديدة . وكثير من المؤرخين لا ينسون مبلغ الخدمات التي تؤديها طبائع الأقاليم في خدمة الحضارة أو في توجيهها . ويرى البعض أن هذا الإقليم كان من البقاع التي أمدت الإنسانية بكثير من العلوم والتي أفادت المدنية في بعض نواحيها ، كما كان لموقعه بالذات أثر في العلاقات بين الشرق والغرب .

ويذكر براون أن نظرة سريعة إلى خريطة هذا الإقليم تكفي لأن يفهم الإنسان أن تلك البقعة المتماصة القديمة في مدينتها والتي تشغل المسافة بين الخليج الفارسي وبحر قزوين ، هي بمثابة الممر بين أوروبا وآسيا الصغرى من جانب ، وبين وسط آسيا وشرقها من جانب آخر ، مما جعل الغزاة يعبرون عليه من الشرق والغرب منذ أقدم العصور في طريقهم للفتح هنا أو هناك^(١) .

وهذه النظرة تثبت — على وجه عام — ما لهذا الإقليم من أثر في الحضارة بحكم موقعه ، فلا شك أنه استفاد وأفاد من ذلك فائدة كبيرة .

على أن سيل التتار بالرغم مما يوصف به من أنه كان طامياً جارفاً مدمراً ، فإنه لم يحرق كل الزرع والشجر في إيران ، ولم يذهب بالبذور كلها من هذه الأرض

(١) G. Browne : A Literary History of Persia v. 3 P. 3

الخصبة ، فتمت على الزمان بذور ، ونبتت بذور ولم تعدم إيران في عصر التار
تقدماً في العلوم والحضارة والآداب^(١).

ثانياً - تشجيع المغول

وهناك أسباب أخرى دفعت تيار الحضارة كذلك في هذا العصر ، وشجعت
على المضي فيها ، وأهم هذه الأسباب ما يرجع إلى المغول أنفسهم.

وهنا يجب أن نفرق بين جانبين : أحدهما سياسى ، والآخر مدنى . ولأنجل
أن تكون أحكامنا صحيحة على ظواهر عصر من العصور ، ينبغي أن نفصل دائماً
بين الأساليب العسكرية أو السياسية ، وما تستتبعه من عنف وقسوة تدعو لها
ضرورة الغزو ، ويدفع إليها حب الانتصار ، وبين السياسة التى توجه الحركات
العلمية أو الأدبية . فكم من العصور كانت ميداناً للتخريب والتدمير كما اقتضت
سياسة الفتح أو تثبيت السلطان ذلك . ولكنها - من جانب آخر - كانت خصبة
الإنتاج فى النواحي العلمية أو فى نواحي الحضارة بشكل عام.

ذلك لأن تيار الحضارة إنما يندفع فى مجراه بالقوة الكامنة المتوارثة فى الأمم
أو فى الشعوب وطبيعة وضعها من جانب ، وبين ما ينطوى فى طبائع حكامها
من جانب آخر .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الروح الكامنة فى هؤلاء الفاتحين كانت - بوجه
عام - روحاً طموحة مشجعة تعمل على مسيرة الحضارة ، أدركنا إلى حد
بعيد تفسير هذا التناقض الذى تبدو ظواهره فى هذا العصر ، وذلك بوجود
كثير من مظاهر الحضارة بالرغم مما وصف به عصرهم بالتدمير والتخريب .

(١) مقال للدكتور عزام بك فى كتاب قصة الأدب فى العالم ج ٢ ص ٥٠٧

ومع ذلك فكثير من المؤرخين يردون هذا إلى عوامل مختلفة :

فبرى بارتولد « أن زعم المؤرخين بأن الحياة المدنية لم تدم إلا في البلاد التي نجت من هجمات المغول زعم خاطيء » . ثم يضى فيقول « فتحت بلاد متحضرة بأيدي قوم لم يتجاوزوا بعد درجة تقديم الإنسان قرباناً ، وضرب — أحياناً — جميع الناس بالسيوف حين الاستيلاء على المدن ، ولم ينبج من الموت إلا الصناع الذين يحتاج إليهم الفاتحون على أن يكونوا أسرى » . ثم يستطرد فيقول « فالذين شاهدوا أمثال هذه المشاهد الخيفة ظنوا بالطبع أن إصلاح تلك البلاد من جديد يحتاج إلى آلاف السنين » . ويعود فيعقب على هذا بقوله : « والحقيقة أن استيلاء المغول لم يكن شيئاً إلى هذا الحد ، وأول أسباب هذا ، أن الفاتحين لم يستوطنوا هذه البلاد ، وقد اصطحب ملوك المغول مع قواتهم العسكرية — التي لم تكن كبيرة العدد — مستشارين مدنيين للاستعانة بهم في الشؤون الادارية وفي التعمير^(١) »

على أن براون يذكر لهم أيضاً جانباً آخر سلبياً أفادوا به الحضارة من طريق غير مباشر ، ذلك أنهم بهجاتهم دفعوا بالأتراك العثمانيين من مجاهل خراسان إلى القسطنطينية فتحطمت الدولة البيزنطية وتشتت اليونان وحملوا كنوزهم إلى أوروبا . ثم أنهم باحتلالهم وفتوحاتهم ، فتحو الطريق عبر آسيا أمام السياح والرحالة أمثال « ماركو بولو » . فعرفت بذلك كل مجاهل آسيا إلى أوروبا^(٢) .

وبجانب مشاركته أيضاً مؤرخى الإسلام في قولهم إن المغول كان من سياستهم أن يبقوا على الصناع والعمال^(٣) ليستفيدوا من خبرتهم في بناء الحضارة .

(١) بارتولد . تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٥ . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر .

(٢) G. Browne : A Literary His. of Persia. v. 2. p. 442

Ibid

(٣) v. 2. p. 438

فإنه أشار إلى مدى ما أحاط به هولا كوعلماء عصره من الإجلال والتقدير فيقول :
«إن هولا كوخرب بغداد وعدو الإسلام- إلى حد بعيد- كان مقصداً لاثنين
من كبار الكتاب الإيرانيين في عصره، وهما الفلكي «نصيرالدين الطوسي» والمؤرخ
«عطاملك الجويني» صاحب «جهانگشای» كما أنه في عصر «غازان» ظهر كذلك
مؤرخان شهيران هما «عبدالله فضل الله الشيرازي المعروف بوصاف الحضرة» «والوزير
رشيدالدين فضل الله» ويعدان من أهم الكتاب الذين أرخوا بالفارسية في عصرهم^(١).

ثالثاً - عامل الزمن

ومن بين العوامل التي أدت إلى سير الحضارة العلمية في هذا العصر عامل
آخر يردده الدكتور «قاسم غني» في كتابه (تاريخ تصوف در اسلام) إلى الزمن .
فيرى أن استيلاء المغول ظهر تأثيره الكامل على سير الحضارة في القرون التي
أعقبت حركتهم ابتداء من القرن الثامن ، أما تأثير هذه الحوادث في نفس القرن
الذي ظهرت فيه - وهو القرن السابع - فلم تكن ذات خطر. فإنه كان خاتمة
لعصور النهضة التي سبقته ، ولم تنقطع فيه الحركة العلمية عن سيرها ، كما أن أعلام
الأدب والتاريخ في هذا العصر، إنما هم ثمرة لمسير الحياة في القرون السابقة ، وعد
من بين هؤلاء الأعلام «مولانا جلال الدين الرومي ، والشيخ سعدی ، وعطا
ملك الجويني ، ورشيد الدين فضل الله ، ونصير الدين الطوسي ، وياقوت الحموي
وابن الأثير، ومحمداً المنشي النسوي»^(٢).

والدكتور «رضا زاده شفق» يوضح - في تفصيل - هذه الظاهرة ويردها
إلى عوامل مشتركة منها أن بذور الرقي العلمي والأدبي في إيران أخذت تنمو منذ
عهد السامانيين وبلغت بمضى الأيام مبلغ النضج والكمال ، وظهر في تلك المملكة

(١) G. Browne : A Literary History of Persia v. 2 p. 443

(٢) تاريخ تصوف در اسلام . للدكتور قاسم غني ص ٤٩٨

مئات من العلماء المبرزين في كل ناحية . فلما كانت حملة المغول نجت بعض الكتب اتفاقاً واحتفظ بمقدار منها في المدن بعيداً عن عبث الأيدي ، كما فر كثير من العلماء ولجأوا خصوصاً إلى الولايات الجنوبية من إيران وفر البعض إلى الهند وآسيا الصغرى .

كذلك يرى أن المغول كانوا حقيقة في بدء حركتهم يتعطشون لسفك الدماء لكنهم بعد أن توطنوا إيران واندمجوا في الناس ، وأخذوا يتقبلون أفكارهم ، تغيرت طبائعهم شيئاً فشيئاً ورجعوا — تدريجياً — في اعتناق المدنية الإسلامية والإيرانية^(١) .

ويكاد يلتقي مع هذا رأى آخر لصاحب كتاب « تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار » فقد وَفَّقَ هذا المؤرخ كذلك بين ما كانوا عليه من التخريب والقتل وبين التقدم العلمى الذى ظهر فى عهدهم فيذكر « أنهم كانوا يخربون ويقتلون أول ظهورهم ، لكن لم يؤخر ذلك فى انتقاص العلوم وطرد الخلل فى المعارف والفنون ، بل العلوم والمعارف جارية بعد ظهورهم على ما هى عليه قبل خروجهم ، فان خروجهم لم يكن لمعاداة الدين ولا لبغض الاسلام والمسلمين »^(٢) .

هذه الآراء المتعددة التى نظرت إلى ذلك العصر من زوايا مختلفة ، على تباين العصور والمواطن والشخصيات التى تناولتها ، تكاد تجمع كلها على فكرة واحدة وتلتقى عند رأى واحد ، ذلك أن عصر المغول — على ما كان فيه من أحداث جسام غيرت من وجه التاريخ — لم تهدم كل أسس الحضارة بل ظلت بذورها كامنة حتى إذا تهيأت لها الظروف والوسائل أثمرت وآتت أكلها . تلك الظروف التى استمد

(١) تاريخ أدبيات إيران — للدكتور رضا زاده شفق ص ٢٥٩ سنة ١٣٢١ هـ . ش طهران .

(٢) تلفيق الأخبار ج ٢ ص ٢٣

منها جميعها بارتولد رأيته ، حين قال في حكمه على حضارة هذا العصر عبارته :

« وإذا كان في تاريخ إيران عهد وقف فيه الشعب الإيراني في الصف الأول من حضارة العالم فهو العهد المغولي ، مع أن كثيراً من العلماء يذهبون إلى أن المغول لم يعملوا في إيران غير تخريب الحضارة »^(١) .

ولعل بعض المؤرخين وقعوا في هذا الاضطراب من مقايستهم للحضارة والعلوم مع الانقلابات التي تحدث في الأمم أو العصور ، و يقيمون لهذا نظرية تكاد تكون متسقة — في رأيهم — تلك النظرية التي تربط بين الحياتين السياسية والعلمية ربطاً طردياً ، فكما وجدت ظروف تخريب وتدمير قاسوا عليها تأخير الحضارة والعلوم .

لكن هذه النظرية ثبت فسادها بالقياس إلى هذا العصر . كما أن هناك ظاهرة أخرى تؤدي إلى هدمها ، وهو ما ظهر في القرن الرابع الهجري في الأدب العربي . وذلك فيما يشير إليه الدكتور عزام بك في قوله عند دراسته لعصر أبي الطيب المتنبي : « لا ريب أن العلوم والآداب تنمو وتزدهر في ظلال الأمن والرخاء وفي رعاية الدول الرشيدة التي ترفع شأن العلماء والأدباء وتحرضهم على الجد والاستقصاء » . إلى أن يقول ، « ولكن نمو العلوم والآداب وازدهارها ثم ذبولها وجفافها ، يتقلب في أطوار عديدة بطيئة لا يسير الأطوار السياسية ، فإذا نمت العلوم في أمة قوية لا تؤتي ثمارها إلا بعد زمن مديد ، وربما يوافق ازدهارها زمن الضعف السياسي في الدولة التي تمت في ظلها » ثم ينتهي من هذا بقوله « فلا ينبغي أن تقاس حال العلوم والآداب بالأحوال السياسية ، ولا يجوز أن تلتبس في التاريخ مسيرة رقي العلوم وتدهورها للقوة السياسية والضعف »^(٢) .

(١) بارتولد — تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٩٨ . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر .

(٢) ذكرى أبي الطيب المتنبي ص ٨ — ٩ للدكتور عزام بك .

هذه الشواهد في مختلف العصور ، وبين مختلف الأمم ، وتحت ظلال مختلف الحكومات ، في مختلف الأقاليم ، تهدم الرأي الذي يربط دائماً بين الحياتين السياسية والعلمية ويدعوننا لأن نحتاط في القياس على المساوىء السياسية مساوىء في الحياة العلمية كذلك .

وإذا كنا قد لمسنا من خلال ما تقدم بعض الظواهر التي لعبت دورها في سير الحضارة في هذا العصر . فإن هناك عاملاً آخر — عارضاً — لعب دوراً هاماً في توجيه الحضارة كذلك .

رابعاً — الانقلاب الديني وأثر الدين في توجيه الحضارة

هذه مسألة توجب الكثير من الاهتمام والعناية ، ودراستنا لأطوار تاريخهم في البيئة الإسلامية كشف لنا عن كثير من ميولهم الدينية ، تلك الميول التي تقلب بينها كثير من ملوكهم وأمرائهم . فقد ثبت أنهم — منذ أيامهم الأولى — كانوا يحترمون رجال الدين ، وخاصة المسلمين منهم ، كما احترمو العلماء ومكثوا لهم في دولتهم ، وكثيراً ما كانوا يستجيبون لرغباتهم . فيشير صاحب «جهانگشای» أنهم عند فتحهم سمرقند في عهد چنگیزخان ، دخلوا المدينة وساقوا الرجال والنساء إلى الخارج وكانوا مليوناً إلا القاضى وشیخ الإسلام والقوم الذين تعلقوا بهم ، وقد بلغوا خمسين ألفاً عفو عنهم جميعاً^(١) .

كذلك لم يتعرضوا لإغلاق معاهد العلم أو التدخل في التوجيه الديني ، فيذكر صاحب العراق بين احتلالين قوله « لما كان القاتح لم يتعرض للمؤسسات الدينية أيام احتلاله كان من نتائج ذلك الاحتفاظ بالمعارف والعلوم ، ومن أوضح

(١) جهانگشای ج ١ ص ٩٤

ظواهرها المدارس الكبرى مثل المستنصرية والنظامية « إلى أن يقول « فصارت خير واسطة للم شعث واستبقاء الحضارة^(١) ».

هناك إذن ظاهرة تسترعى أنظارنا هي أن المغول منذ فتوحاتهم الأولى لم يملكهم شعور الغضب نحو المسلمين أو المنشآت الإسلامية ، بل استجابوا سريعاً لإرضاء شعورهم باحترامهم وتقديرهم واتبعوا في سياستهم جانباً يرضيهم. فلم يتعصبوا لوثنيتهم أو ينتصروا لدين على دين - في طول مملكته وعرضها - بل أدى تسامحهم الديني إلى أن الأديان نفسها لعبت دوراً هاماً في اكتسابهم وتوجيه سياستهم ، حتى ظفر الدين الإسلامي أخيراً على تلك الأديان التي كانت تتجاذبهم .

وهذه مسألة تكاد تكون وحيدة في التاريخ العام ، ينفرد بها الدين الإسلامي وحده فلم يحدث في تاريخ الأديان أو السياسة أن انتصر دين المغلوب على دين الغالب . ويأتمام تلك الحركة كسب الإسلام كسباً جديداً عوض عليه ما أصابه ، بل أهم وأجدي من كل ما أصابه .

أما من حيث حياتهم الدينية الأولى فقد كان لهم ديانة وثنية تسمى الشامانية وكانوا مع اعترافهم بإله عظيم قاهر لا يؤدون له فروض العبادة ، وإنما كانوا يعبدون طائفة من الآلهة المنحطة وبخاصة تلك الآلهة الشريرة التي كانوا يقدمون لها القرابين والضحايا ، لما كانوا يعتقدون فيها من السلطان والقدرة على الأذى ، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم^(٢) .

وبجانب ذلك وضع المغول لهم قانوناً يسمى « الياساق » أخذوا أنفسهم

(١) العراق بين احتلالين ص ٥٩٤

(٢) آرنولد. الدعوه إلى الاسلام ص ١٩١ ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين

بتعاليمه ، ومن ثم التزموا في معاملاتهم للأمم المغلوبة ما كان يقتضيه هذا القانون .
وفضلاً عن هذا كانت معاملاتهم لأهل الأديان تنطوي على التسامح وعدم
التفرقة بين دين ودين ، بل كان من مبادئ هذا القانون كما يشير « الجويني »
أن كل من لا يعصاهم يأمن سطوتهم ، وكانوا يبائعون في إكرام رجال الدين
فيغفونهم من الالتزامات المفروضة على غيرهم^(١) .

وهكذا كان شأن المغول منذ جنكزخان ، فقد كانت يرمى في سياسته
— كما يقول براون — إلى المساواة بين كل العقائد ولا يستميل منها جانباً دون
آخر^(٢) .

على أنه مألوف أن امتدت حركة الفتح سريعاً ، وانضوى تحت لوائهم كثير
من الشعوب المختلفة ذات الديانات المتباينة من البوذيين والمسيحيين والمسلمين .
هنا نشأ صراع عنيف بين أتباع تلك الديانات وكلهم يعمل — جاهداً —
على أن يسبق غيره في اجتذاب هؤلاء إلى جانبه^(٣) .

وقد أفادت هذه الحركة كثيراً في تطور عقلية هؤلاء الحكام إلى حد كبير
وتطور روحهم الدينية على مدى الزمن ، ذلك أن بساطة دينهم — كما يرى
آرنولد — لم تجعله يقوى على أن يقاوم طويلاً جهود هذه الأديان الكثيرة
الأنباع والأنصار ذات اللاهوت المنظم الذي يملك قوة الإقناع وسد حاجة العقل .
ومن ثم كان لاتصالهم بتلك الشعوب المتباينة ذات الديانات المنظمة وصاحبة الأنباع
الأقوياء تأثير كبير في تطور هؤلاء ، فتأثروا بمدنيات تلك الشعوب ، وخرجوا عن

(١) جهانگشای ج ١ ص ١١

(٢) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2 p. 440

(٣) الدعوة إلى الاسلام ص ١٩١

بربرية بداوتهم الأولى ، حين وجدوا أنفسهم جنباً إلى جنب مع هذه الأجناس ذات الديانات الراقية ^(١) .

البوذية ونشاطها :

ويظهر أن البوذية كانت أسبق الديانات المختلفة إلى أحضان هؤلاء القوم واكتسابهم إلى جانبها ، فقد كان دعايتها من الشجاعة بحيث كانوا يجوبون ديارهم بل كانوا يقيمون المناظرات الدينية مع قساوسة المغول الشامانيين في حضرة چنگيزخان ^(٢) .

وهكذا كان حكامهم الأول وقادتهم لايمانعون في إقامة المناظرات الدينية ولو كان أتباع دينهم طرفاً في تلك المناظرة .

على أنهم مع ذلك كانوا لا يمنعون أن يؤلف جيشهم من أتباع ديانات مختلفة فيذكر صاحب كتاب أخبار الدول « أن عسكر چنگيزخان كان بين مسلمين ومشركين ويهود ولم يتعرض لأحد في دينه واعتقاده » ^(٣) .

وقد أسرع بعض الحكام إلى الارتداد عن دين أجداده وآبائه واتخذوا ديناً غير دين قومهم ، وكان ذلك بطبيعة الحال راجعاً إلى جهود رجال الديانات المختلفة ، وقوة صلاتهم بالحكام ومكانتهم في المجتمع وكان أول شخص من تلك الأسرة خرج على دين آبائه واعتنق البوذية هو « قوييلاي خان » ^(٤) .

المسيحية ونشاطها :

أما المسيحية فلم تقل جهودها وجهود أتباعها عن جهود البوذية ورجالها ، بل

(١) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام . ترجمه الدكتور حسن إبراهيم وآخرين ص ١٩١

(٢) نفس المصدر ص ١٩١

(٣) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٨٤

(٤) G. Browne : A Literary His. of Persia. v. 2. p. 440

كانت جهود هؤلاء تتجه إلى اكتسابهم ليكونوا إلى جانبهم ضد المسلمين — العدو المشترك — وكثيراً ما كانوا يغرونهم بكل الوسائل لاكتسابهم .
واشترك المدنيون منهم مع رجال الدين في العمل سريعاً لانحيازهم للمسيحية .
فكان السياسيون يرسلون القواكه والهدايا الثمينة من السفارات المسيحية المختلفة إلى بلاط المغول في قراقورم ، كما أن الرهبان والقسس واجهوا بشجاعة آلاف المخاطر والمصاعب لكي يكسبوا أكبر نصر يمكن أن يعود على كنيستهم^(١) .
وسرعان ما وجد المغول أنفسهم في المسيحية شريكاً يعين في القضاء على القوة المضادة التي كانت تقاوم غزوهم .

ثم ظهر عامل جديد لعب دوراً هاماً في استمالة المغول إلى المسيحية ذلك هو نشاط الحريم في البلاط المغولي . وكان هولاء كـ أول مغولي تزوج مسيحية وكانت زوجته تدعى « ظفر خاتون »^(٢) . وكانت كما يقول آرنولد محبة إليه فعملت على استمالة زوجها نحو إخوانها في الدين^(٣) . كذلك تزوج ابنه « آباخان » من ابنة إمبراطور القسطنطينية .

على أن هولاء كو وابنه آباخان لم يندفعا نحو النصرانية ، لكن نشاط الحريم ظل يسود البلاط الملكي بين المغول حتى أمكنهم إدخال أبنائهم في هذا الدين .
فيذكر براون أنه عقدت معاهدات بين المغول والمسيحيين اعترف فيها بعضهم بالمسيحية واعتنقها كثير منهم ، وبعضهم من العائلة المالكة . فهناك اثنان من خانات المغول هما « تكودار احمد وألجا يتوخدا بنده » كانا في أخريات حياتهما من المسلمين المتعصبين بينما عمدا في طفولتهما وسميا باسم نقولا^(٤) .

(١) G. Browne : A Literary History of Persia. v. 2. p. 441 .

(٢) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٨٦ — ٣٨٧ .

(٣) آرنولد — الدعوة إلى الاسلام ص ١٩٨ . ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين

(٤) G. Browne : A Literary History of Persia. v. 2. p. 441

وبالرغم من أن المحاولات لاجتذاب المغول نحو المسيحية كانت مبكرة نشيطة متنوعة ، فإن هناك كثيراً من الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الجهود المتواصلة ، وأظهرت الأيام أن تلك الآمال لم تكن إلا سرايا خادعا ^(١) كما يصورها آرنولد . ثم يتولى بسط الأسباب التي أدت إلى فشل هذه الجهود ويرجع الكثير منها إلى الخلافات الكثيرة بين أتباع هذه الديانة من اللاتينيين والإغريق والنسطوريين والأرمن .

كذلك يرمى النسطوريين منهم — وهم الذين ظهر أولاً في ذلك المضمار — بأنهم بلغوا درجة كبيرة من الانحطاط والجود والجهل بكتب صلواتهم المدونة بالسريانية ، واتجارهم بالمناصب الدينية ، وعدم مبالاهم بجمع الثروات من وراء تعليم الطقوس الكنسية ، وكانوا يؤثرون جمع المال على تعاليم الدين ^(٢) .

وهكذا انتهت هذه الحركة ولم تنجح هذه التأثيرات المختلفة التي قام بها هؤلاء من التودد ، وإرسال الهدايا أو الزواج ، وامتلاء البلاط بالقسس والرهبان أو الاغراء بالعداوة المشتركة للمسلمين ، من كل هذه الحركات المفتعلة التي جاءت إليهم من الخارج لا من طبيعتهم ولا من ميولهم الروحية .

الاسلام ونشاطه وكيف دخل المغول في الاسلام ؟؟

وفي تلك العبارة النزيهة التي سطرها آرنولد يبدو كيف أن الإسلام استطاع بعد كبوته أن ينهض تلك النهضة المباركة فيتغلب بتعاليمه على أولئك الفاتحين القساة في عبارته :

« ولكن لم يكن بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته

(١) آرنولد. الدعوة إلى الاسلام ص ٩٨ ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين .

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٣

الأولى ، وأطلال مجده التالد، كما استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ويحملهم على اعتناقه ، ويرجع الفضل في ذلك إلى نشاط الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدها لمناهضة منافسين قويين كانوا يحاولان إحراز قصب السبق في ذلك المضمار » ثم يمضى فيقول « وليس هناك في تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب ، وتلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام ، كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك القساة الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين في جميع الأقطار والأقاليم ^(١) » .

ويبدو أن اضطراب المجتمع، وسطوة النساء، وبلبلّة الأفكار الدينية في نفس المغول، قد لعبت كلها دوراً خطيراً في هذه الحركة على العموم.

وكما تدخل حريم القصور اللائي كن يدن بالدين المسيحي في توجيه أزواجهن أو تنصير أبنائهن ، كذلك قد لعبت المسلمات نفس الدور بل لعل المسلمات قد قمن بدور أهم وإن لم تكن في مراكز قوية تخول لهن فرض سلطانهن على المغول .

بدأت حركتهن في اجتذاب المغول إلى الإسلام منذ أن اتخذن سبايا للبلاط المغولي ، ومع ضعف موقفهن ، فانهن قمن بأدوار نبيلة شريفة كما يصفها آرنولد في قوله « لا يبعد أن تكون سبايا المسلمين قد قمن بدور هام في تحويل المغول إلى الإسلام، ويظهر أن المرأة شغلت مركزاً من مراكز الشرف والكرامة بين المغول، ويمكن أن نأتى بأمثلة كثيرة تؤيد أنه كان لها أثر ظاهر في الشؤون السياسية » .

وهكذا يمضى فيحدثنا عن قصة يبدو فيها مدى بلبلّة الأفكار، واضطراب العقيدة الدينية عندهم في الحادثة الآتية ، في قوله « ويحدثنا وليم بروك أنه شاهد بنفسه

(١) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام . ص ١٩١ . ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين

تأثير إحدى النساء المسلمات وكيف وقف ذلك التأثير في سبيل نشر تعاليمه الدينية» ويورد عنه القصة الآتية : « وفي عيد العنصرة أتى أحد المسلمين ، عندما أخذ في شرح تعاليم الدين في أثناء حديثه معنا ، فلما سمع عن نعم الله على الناس وعن التجسد وبعث الموتى ويوم الحساب ومحو الخطايا عن طريق التعميد ، رغب في أن يعمد ، ولكن بينما كنا نعد العدة لتعميده ، امتطى صهوة جواده على حين غفلة ، قائلاً إنه لا بد من أن يذهب إلى داره لاستشارة زوجته^(١) .

ونحن لانستطيع أن نغض أبصارنا عن عامل آخر له أهميته بجانب ذلك . فالبيئة التي يسودها سلطان المغول إذ ذاك بيئة إسلامية ، تدب فيها روح الإسلام وتعم مبادئه بين أرجائها ، وترتبط العلاقات الاجتماعية والروحية بجانب العلاقات السياسية في تلك البيئة ، ويأتلف أقوامها مع الحكام نتيجة للمعاملات العامة .

على أن المغول أنفسهم قد هيأوا لأهل تلك البيئة سلطاناً مدنياً وسياسياً بجانب ما كان لهم من النفوذ الروحي ، فرأينا كيف وفقوا في اختيار جماعة يلتقون إليهم زمام الأمور السياسية والإشراف على أقاليم بذاتها ، وكيف اختاروا للمناصب الخطيرة في الدولة — وهو منصب الوزارة — أفراد أسرة إسلامية هي أسرة الجويني ، يستوزرونهم ويقيمون منهم حكماً على أهم إقليم إسلامي في ذلك الوقت وهو العراق العربي ، بعد زوال الخلافة تقديراً للشعور الإسلامي العام .

وقد نجحت هذه الأسرة في الفترة التي أشرفت فيها على الحكم والسلطان نجاحاً باهراً ، وأدت خدمات جليلة للعالم الإسلامي وللحضارة الإسلامية بصفة خاصة لانستطيع أن ننساها ، كذلك خففوا من الأهوال التي لحقت بالعالم الإسلامي ، وفتحوا صدور الحكام على حب الرعية ، وهيأوا عقائدهم للدخول في الإسلام .

(١) آرئولد الدعوه إلى الاسلام ص ٢٠١ هامش .

ومن بين ذلك لانتطيع أن ننسى جهود رجال الدين المسلمين الذين اتصلوا بالحكام ، وتوثقت الصلة بينهم حتى أسلسوا عقائدهم لتفهم الدين الإسلامى والدخول فيه فأنطاعوا لهم بعد أن تبين أنه دين الطبائع لادين الصنائع .

الأمير « تكودار » أول من أسلم

ظلت هذه العوامل تعمل فى البيئة المغولية مجتمعة طوال حياتهم الأولى . وظل المغول أنفسهم فى تلك البيئة الدينية القلقة تتبلبل أفكارهم ، وتضطرب عقائدهم وتتجاذبهم الموجات المختلفة ، حتى انتهى الأمر أخيراً بأحد سلاطينهم إلى اختيار الدين الإسلامى . ذلك هو الأمير تكودار^(١) الذى تسمى بالسلطان أحمد .

ولم يطل العهد بعيداً حتى جعله غازان ديناً رسمياً للدولة فى إيران — مقر حكومتهم — وإن كان ذلك بعد مدة أصابت الإسلام والمسلمين نكسة شديدة ، ما بين فترة السلطان أحمد وفترة غازان والتى بدأت بحكم أورغون .

أما كيف تم ذلك ؟ فيمكن أن نلخصه فيما يأتى :

تجمعت فى الفترة بين عهدى هولاكو والسلطان أحمد كل العوامل التى أدت إلى ارتداد السلطان أحمد عن دينه المسيحى واختياره الاسلام ، بالرغم من أنه تنصر فى طفولته وتعهد باسم « نقولا » .

وفى وثيقته إلى « قلاوون » سلطان مصر ، يتضح كثير من البواعث التى حملته على اختيار هذا الدين . ونحن لانسجل هذه الوثيقة بتمامها فلا حاجة إليها هنا ، ويمكن أن يرجع إليها فى الكتب التى سجلتها^(٢) ، ولكننا نكتفى فقط

(١) لا يجمع المؤرخون على اسمه المغولى قبل الاسلام فيقول وصاف بهذا الاسم ص ١٠٥ ويقول صاحب جامع التواريخ إن اسمه تاكودار ص ١٠٦ كاترمير بينما يشير أبو الفداء إلى أن اسمه بيك دارج ع ص ١٨
(٢) وصاف ص ١٠٥

بتسجيل مقدماتها القيمة لنرى في استهلالها كيف تخير السلطان أحمد الدين الإسلامي —؟ وكيف استطاع رجال الدين الرسميين بمراكزهم الدينية وحسن تمثيلهم لهذه المراكز أن يكسبوا إلى جانبهم هؤلاء الحكام الذين تتجاذبهم الديانات المختلفة؟ .

تلك الوثيقة التي جعلت كتاب الغربيين أنفسهم يشعرون بمدى التغيير الظاهر الذي نشأ على طبيعة المغول فيذكر آرنولد مشيراً إلى ذلك .

« وإن من يدرك تاريخ المغول ليرتاح عندما يتحول فجأة من قراءة ما اقترفوه من الفظائع ، وما سفكوه من دماء ، إلى أسمى العواطف الانسانية ، وحب الخير التي أعلنت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية ، التي كتبها « تكودار أحمد » إلى سلطان الممالك في مصر ، والتي يدهش الانسان لصدورها من مثل ذلك المغولي ^(١) » .

وقد حمل هذه الرسالة إلى قلاوون أكبر شخصية قضائية في الدولة لدى السلطان أحمد وهو «قطب الدين الشيرازي» أفضى القضاة ^(٢) وجعل معه رسولا آخر هو « الأتابك بهلوان » كما يبدو فيها مدى اعترافه بفضل شيخ الاسلام وتقديره له ، فإنه حبه إلى هذا الدين . يقول في المقدمة :

« أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى بسوابق عنايته ونور هدايته ، قد كان أرشدنا في عنفوان انصبا ، وريعان الحداثة ، إلى الإقرار بربوبيته ، والاعتراف بوحدانيته ، والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة بصدق نبوته ، وحسن الاعتقاد في أوليائه والصالحين من عباده وبريته ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره

(١) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام ص ٢٠٠

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٧ . ووصاف ص ١٠٥

للإسلام . فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين ، إلى أن أفضى — من أيننا الجيد وأخينا الكبير — نوبة الملك إلينا ، فأفاض علينا من حلل الطافه ولطائفه ما حقق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه ، وجلى هدى المملكة علينا وأهدى عقيلتها إلينا . »

هذه هي المقدمة ويبدو منها أن هدايته للإسلام كان بمحض العناية الإلهية ، وأن ذلك كان منذ ريعان حياته ، كما كان يتجاوب في نفسه قبل الإسلام الميل إلى إعلاء كلمة الدين ، وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين ، حتى تسلم مقاليد الأمور فكان ذلك من فيض الله عليه .

ثم يشير إلى الدور الذي قام به شيخ الإسلام بقوله « وقد عرضنا على مارأينا من دواعي الصلاح ، وتنفيذ ما ظهر لنا من وجه النجاح ، إذ كان شيخ الإسلام قدوة العارفين ، الذي هو نم العون لنا في أمور الدين ، فأصدرنا هذا الكتاب رحمة من الله لمن وعاه ، ونقمة على من أعرض وعصاه . »

وفي الخطاب جانب سياسى لاداعى للإفاضة بالحديث عنه ، ولكن الذى يعيننا الإشارة إليه هنا، أن هذا الخطاب لم يؤد الغرض منه بين السلطانين، فاستمرت الحرب بين الدولتين ، ولم يحسم الخلاف بينهما إلا الحديد والنار على الرغم من اشتراك الدولتين فى دين واحد .

وفي رد السلطان قلاوون على السلطان أحمد يتضح كيف فشلت بينهما الوسائل لإيقاف الحرب . وقد ناقش السلطان قلاوون فى رده وثيقة السلطان أحمد وعرض أغراضها الواحد تلو الآخر وأخذ يرد عليها ردوداً مفحمة .

يقول بعد المقدمة « فإنه ورد الكتاب الكريم المتلقى بالتكريم المشتمل على النبأ العظيم من دخوله فى الدين ، وخروجه عن خالف من العشرة الأقربين . ولما

فتح هذا الكتاب فاتح الخير المعلم المعلم ، والحديث الذي صح عند أهل الاسلام وأصح الحديث ما روى عن مسلم . توجهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى في أن يثبت على ذلك بالقول الثابت « ويمضى في الخطاب إلى أن يقول « والحمد لله على أن شرح صدره للاسلام وألهمه شريف الالهام ، فحمدنا الله أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا الحل العالى المقام وثبت أقدامنا في كل موقف اجتهاد أو جهاد^(١) » .

وفي هذا الخطاب أيضاً ردود على الجوانب السياسية في خطاب السلطان أحمد كشف عن سوء العلاقات بينهما ولم يفد شيئاً في إيقاف الحرب أو تخفيف أعبائها بل كان رده جذوة جديدة في أتون تلك الحرب .

فقد تلقف السلطان قلاوون آخر عبارات خطاب السلطان أحمد وهي قوله إليه « وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة فيه، شكر الله مساعينا ومهد عذرنا . وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا . والله الموفق للرشاد والسداد، وهو المهيمن على البلاد والعباد وحسبنا الله وحده » .

تلقف قلاوون هذه الخاتمة ورد عليها بما يشعر بمدى الغيظ في نفسه، وذلك في قوله « وأما الاستشهاد بقوله تعالى « وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا » فما على هذا النسق من الود ينسج ، ولا على هذا السبيل ينهج ، بل لفضل التقدم في الدين حقوق تراعى وإفادات تستدعى » .

ثم يختم إليه خطابه بآية قرآنية أخرى تتقدمها عبارته « سمعنا المشافهة التي حملت لسان أفضى القضاة قطب الملة والدين ، وكان منها ما يناسب ما في هذا الكتاب من دخوله في الدين وانتظام عقده في سلك المؤمنين ، وما بسطه من عدل

(١) وصاف ص ١١٥

وإحسان وسيرة مشهورة بكل لسان ، فالمنة لله عليه في ذلك فلا يشينها ولا يشيها منه بامتنان ، وقد أنزل الله على رسوله في حق من امتن بإسلامه «قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين» .

وهكذا تغلبت الروح السياسية وحب التوسع على كل رغبة في وقف القتال ولم يستفد العالم الإسلامي من انتقال أحد سلاطين المغول إلى الإسلام ، بل استمر حب التوسع الاستعماري يستولى على نفوسهم ولم يحسم ما بينهما من خلاف إلا الحديد والنار كما أسلفنا .

نكسة تصيب الإسلام والمسلمين

لم تمتد الحياة طويلاً بالسلطان أحمد فقتل بعد عامين من حكمه فقد تولى عام ٦٨١هـ وقتل عام ٦٨٣هـ ، وقد فشل في سياسته من جميع النواحي ، فلم يوفق في إيقاف الحرب بينه وبين المصريين مع هذا التحول الجديد ، ولم يفكر في بسط سلطان هذا الدين وجعله ديناً رسمياً ، وهي الحركة البارة التي تمت — فيما بعد — على يد غازان ، فأمن بها التقلبات السياسية التي تستتر وراء الخلافات الدينية .

فكان إسلام السلطان أحمد وحده دون أن يحكم هذه الحركة أو ينميها باعثاً على الثورة عليه ، أضف إلى ذلك أن نظام تولية العرش عندهم لم يكن وراثياً بل كان لمن يقع عليه الاختيار من بينهم^(١) ، أو لمن يكتب له الظفر من بين العصاة .

فلما أعلن السلطان أحمد إسلامه استغل أورغون ابن أخيه هذه الحركة واتهمه بخيانة شريعة آبائه وسلوكه سبيل العرب الذين لم يعرفهم أحد من أسلافه^(٢) .

وانتهى الأمر بأن اتفق جماعة من الأمراء — وأبناءؤه من بينهم — مع أورغون خان وقتلوه^(٣) .

(١) كانت ولاية السلطان أحمد نفسه بالاختيار الذي تم بينهم — وصاف ص ١٠٥

(٢) آرنولد . الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٥

(٣) وصاف . ص ١٣٥ وآرنولد ص ٢٠٠

عادت الأمور الدينية بعد قتل أحمد إلى ما كانت عليه قبل إسلامه، بل اشتط الملوك منهم في معاملتهم للمسلمين، وأصر خلفاؤه الثلاثة^(١) الذين تولوا الحكم بعده على وثنيهم، واتهمز المسيحيون الفرصة ليلعبوا دوراً جديداً في صرف الأسرة الحاكمة عن الدين الإسلامي^(٢) واستؤنف الصراع العنيف بين الأديان الثلاثة وخاصة بين الدينين القويين الإسلام والمسيحية .

وامتد هذا النزاع طويلاً مدى عصر «أورغون وكيخاتو وبيدو» وهو قرابة اثنتي عشرة سنة، استطاع الإسلام في خلالها — على الرغم من قسوة ملاقاه أبنائه — أن يصمد خلال تلك التيارات العنيفة، وانتهى هذا الصراع آخر عهد السلطان بيدو، وكانت رأسه ثمناً لكرهيته للإسلام وميله إلى المسيحية^(٣) .

أما أعنف هذه الفترات وأقساها على الإسلام وأشدها محنة لأبنائه، فهي فترة أورغون التي أصيب فيها المسلمون والعالم الإسلامي بنكسة عنيفة في خلال حكمه الذي امتد قرابة ثمانى سنوات .

فبعد أن استقر الأمر له وقتل السلطان أحمد، وتفرغ لتنظيم مملكته، غالى في الاستبداد وأقصى المسلمين عن المناصب التي يشغلونها في القضاء والمالية، كما حرم عليهم الظهور في بلاطه^(٤)، ومنعهم من التدخل في أمور الجيش^(٥)،

(١) نذكر هنا ثبناً يبين سنى حكم ملوك المغول في إيران منذ هولاكو حتى نهاية القرن

هولاكو ٦٥٦ — ٦٦٣ هـ	آبافا ٦٦٣ — ٦٨١ هـ
تكودار ٦٨٣ — ٦٨١ هـ	أورغون ٦٨٣ — ٦٩٠ هـ
كيخاتو ٦٩٠ — ٦٩٤ هـ	بيدو ٦٩٤ — ٦٩٥ هـ
غازان ٦٩٥ — ٧٠٣ هـ	مجدد الدين ٧٠٣ — ٧١٦ هـ

(٢) آرنولد . الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٠

(٣) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2. p. 444

(٤) آرنولد . الدعوة إلى الإسلام ص ١٩٦

(٥) وصال ص ٢٤١

بل بالغ في مظاهر العنف والاستبداد فأطاح بأسرة الجويني — كباراً وصغاراً — على صورة بشعة، وأسرف في النكاية وأمعن فيها، فولى إدارة الدولة رجلاً يهودياً هو « سعد الدولة اليهودي ». فأصاب القوم حسرة مريرة وانطوت نفوسهم على الكراهية والبغض لهذا العهد ، وذلك الانقلاب الشنيع ، وتمكنت الحفيظة من نفوسهم للحاكم ورجاله إلى حد كبير .

ولم تكن أسرة سعد الدولة هذا ذات أصل — بالإضافة إلى يهوديته — بل كان أبوه في مبدأ أمره دليلاً بسوق الصناعة بالموصل ^(١) .

وقد بسط أورغون يده في شئون الدولة حتى دون الرجوع إليه ، بعد أن وثق به فارتفع شأنه وعلا نجمه ، وأذعن لأمره جميع لأمرء والحكام ، وأدخل كثيراً من أفراد أسرته في إدارة حكومات الأقاليم فأسند إدارة مدينة دار السلام إلى أخيه فخر الدولة، الذي كان يضرب به المثل في الجهل ، وجعل فارس تحت إمرة أخيه شمس الدولة ، ولو لم تكن خراسان وبلاد الروم تحت إشراف أمراء المغول أنفسهم لطمع في أن يولى عليها بعض جهاله كما يذكر الوصاف ^(٢) .

ولم يقتصر الأمر على مد السلطة لأسرته، بل عمل على اتساع نفوذ طائفة من بني جلده . فقد استغل اليهود مركز سعد الدولة وتغلغلوا في الحكومة ، وتورطوا في ذلك إلى حد أحفظ الناس عليه .

وقد تندر بعض فضلاء بغداد بذلك وأشار إلى هذه الأمور بقوله ^(٣) :

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ١٨ وانظر :

G. Browne : A Literary His. of Persia v. 3 p. 32

(٢) وصاف ص ٢٣٧

(٣) نفس المصدر ص ٢٣٨ . وانظر :

G. Browne : A Literary His. of Persia. v. 3 p. 32

يهود هذا الزمان قد بلغوا مرتبة لا ينالها فلك
الملك فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك
يامعشر الناس قد نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك
فاتنظروا صيحة العذاب لهم فمن قليل ترونهم هلكوا

ولم يسعد الحظ طويلا « سعد الدولة » فأصابته نكبة أودت بحياته سريعا
وشرب من الكأس التي طالما جرعها غيره ، فتوفي من أمد له في السلطان وهو
« أورغون » . وفي أعقاب وفاته قتل سعد الدولة .

وفي تلك النهاية يقول أحد الشعراء قصيدة على وزن القصيدة السابقة ورويها
يرد عليها . نظمها الإمام العادل زين الدين علي بن صاعد^(١) الواعظ الدمشقي .
يقول في مطلعها :

نحمد من دار باسمه الفلك هذى اليهود القروء قد هلكوا
وفي نهايتها يشير إلى تلك القطعة المتقدمة بقوله :

هجوهم أبتغى بهجوههم جناب خلد يزينا البرك
رغما لمن قال في قصيدته تهودوا قد تهود الفلك
جاءت فترة قصيرة بعد عهد أورغون تولى فيها « كيخاتو بن آبا » وامتد
حكمه أربع سنوات ، ثم جاء بعده ابن عمه « بيدو » وقصر حكمه فلم يجاوز بضعة
أشهر ، وقد اجتاز العالم الإسلامي فترتيهما في أمن ودعة وخاصة فترة كيخاتو ،
إذ لم يكن له اتجاه ديني يرمى إليه ويسلك في سبيله سياسة عنيفة ، بل اشتهر بشيء
من العدل وحسن السياسة يفسره هذان البيتان اللذان قيلا تصويراً لعهد :

(١) وصاف . ص ٢٤٦ — ٢٤٧ . والنظر :

G. Brown : A Literary His. of Persia v. 3 p. 34

فكأنما الجود الذى عم الورى لما تضاعف عدله لم يخلق
أعدى على أسد الشرى إنصافه يلقي فرائسه بقلب مشفق^(١)

لكن القوم تأمروا عليه وقتلوه لأنه رمى بالفسق والفجور^(٢). فاذا جاء عهد
« بيدو » أثر الدين المسيحى . وجهد فى وضع العقبات فى سبيل انتشار الإسلام
بين المغول، فحرم على كل شخص أن يدعو لذلك الدين أو أن ينشر عقائده بينهم^(٣).
كانت هذه الفجوة التى حدثت بين عهد السلطان أحمد وعهد غازان الذى
تولى بعد « بيدو » ميدانا للصراع العنيف بين الديانات من جديد ، وكان الدين
فى ذاته سبباً لأن يدفع القوم إلى التخلص من السلطان الحاكم ، فقد كان يرجع
إلى هذا السبب قتل السلطان أحمد بسبب غيرته على الإسلام وتحيزه إليه ، كما كان
قتل « بيدو » بعد ذلك باثنتى عشرة سنة بسبب كراهيته للإسلام وميله إلى المسيحية^(٤).

غازان يسلم ويعلن الإسلام ديناً رسمياً

حين أقدم حكم غازان، أشرق على العالم — من جديد — نور الإسلام إذ مكن له
هذا الحاكم من عدوان بقية الأديان عليه أو منافستها له وجعله دين الدولة الرسمى .
أما كيف أسلم غازان ؟ وكيف مكن لدينه ؟ وكيف جعله ديناً رسمياً ؟ فإننا
نفرد له كلمة فيما يأتى :

بالرغم من هذه الموجات المتعارضة لم تستقر الحياة الدينية على وضع خاص
حتى أيام غازان . ولم يكن غازان نفسه بمنأى عن هذه التيارات ، فاتجهت عقيدته
أيام شبابه إلى اختيار البوذية قبل اعتناقه الإسلام^(٥) ، وقد ولاه أبوه أورغون

(١) و صاف . ص ٢٦٧

(٢) أبو الفداء ج ٤ ص ٣٢ . و و صاف ص ٢٦٨

(٣) آرنولد . الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٠

(٤) G. Browne: A Literary His. of Persia v. 2. p. 444.

(٥) آرنولد الدعوة إلى الإسلام . ص ٢٠٠

خان هو وأخاه « خربنده »^(١) على خراسان وجعل مشيرها أميراً كبيراً هو الأمير « نوروز » .

وخلال إقامته بخراسان — أيام كان على دين الوثنية — عمل كثيراً على تشجيع ذلك الدين ، فشيد عدة معابد للبوذية في خراسان ، وكان يسير كثيراً بمصاحبة الكهنة الذين ينتمون إلى هذا الدين ، والذين كانوا قد وفدوا إلى فارس في جماعة كبيرة منذ بسط المغول سلطانهم في هذه البلاد^(٢) .

فلما أسند العرش إلى « بيدو » احتدم النزاع بينه وبين غازان ، فجمع هذا قوماً ممن دخلوا في طاعته من أقربائه وسار إلى قتاله ، فلما بلغ بيدو ذلك سار للقاءه . ولما التقى الجمعان أدرك غازان أن لا قبل له بمقاومته ، فراسله واصطلحا ، وعاد غازان إلى خراسان^(٣) .

وخلال هذه الأحداث لعبت شخصية أخرى دوراً هاماً في السياسة والعقيدة ذلك الدور الذي مثله « نوروز » في تهيئة السبيل إلى اعتلاء غازان العرش ، والقضاء بمعونته على كل العقبات التي اعترضته ، وتهيئته من جانب آخر إلى اعتناق الإسلام^(٤) .

وقد مالاً نوروز غازان وناداه بلقب الأمير ، وتنبأ له بأنه سيظهر لحماية عقيدة الإسلام ، وإعادتها إلى سابق مجدها ، كما أعلن له أنه إذا اعتنق الإسلام أصبح حاكم بلاد الفرس^(٥) ، على أن هذا التأثير إن يكن قد جاءه من الخارج وبدافع سياسي ، فنحن لا نستطيع أن ننسى ما كان يتجاوب في نفسية هذا الأمير من

(١) أبو الفداء ج ٤ ص ١٨

(٢) آرنولد . الدعوة إلى الاسلام . ص ٢٠٠

(٣) أبو الفداء ج ٤ ص ٣٣

(٤) وصاف . ص ٣١٦

(٥) آرنولد — الدعوة إلى الاسلام ص ٢٠١

القلق في عقيدته الدينية ، وأنه كان من الذين يفكرون دائماً في المسائل الدينية ، بل لم يكن من البساطة وسهولة الانقياد بحيث يتحول من دين إلى دين ، ومن عقيدة إلى عقيدة لمجرد عامل خارجي أو دافع سياسي .

وبهذا يشير آرنولد في قوله « إن غازان كان بطبعه يميل إلى تقلب نظره في المسائل الدينية ، لأنه درس عقائد الأديان المختلفة المنتشرة في زمانه ، واعتاد أن يقيم مناظرات مع أئمة كل من هذه الأديان » ثم يمضي آرنولد في الرد على الذين اتهموا غازان أنه إنما دخل الدين الإسلامي استجابة لإلحاح بعض الأمراء والمشايخ وتوسلاتهم بهذا التساؤل الذي يلقيه .

« ويسأل من يتصدى للدفاع عن عقيدة غازان الوثنية . أى شعور خطير يمكن أن يثير اهتمام حاكم في مثل هذه القوة والنفوذ فيلهمه تبديل دينه ؟ بل قل اهتمام أمير قام أسلافه الوثنيون بغزو العالم ^(١) » .

على أنه ما كاد غازان يعلن إسلامه الرسمي في يوم مشهود، من أبصار الناس وأسماعهم، حتى اهتزت له من جديد أفئدة القوم ، وأيد الله دينه بنصر من عنده، وأدخل فيه جنوده وأتباعه ومن رغب فيه . وقد بلغوا كما يذكر « وصاف » مائتي ألف ^(٢) . ولسان حاله كما يتمثل « قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

وكان أول عمل لغازان بعد إسلامه أن وطد للعقيدة الإسلامية الجديدة بين قومه وشعبه ، فجعله الدين الرسمي للدولة . بحيث أصبح خلفاؤه من بعده يدينون كذلك بالإسلام .

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٠٠

(٢) وصاف ص ٣١٧

مظاهر الحضارة

في عصر المغول بإيران

ونحن لا نتبع كل ألوان الحضارة وآثارها في عصرهم ، بل يكفي أن نشير إلى اهتمامهم بنوعين منها :

١ — الحضارة المعمارية . ٢ — الحضارة العلمية .

أولاً — الحضارة المعمارية

والشيء الذي يسترعى النظر ، ويسجل لهم بكثير من التقدير ، أنهم كانوا محبين للتعمير ، ويكاد يذهب القدماء والمحدثون إلى ذلك ، فقد رأينا الكثيرين من المؤرخين يقولون عنهم — منذ فتوحاتهم الأولى أيام چنكيزخان — إنهم أبقوا على الصنائع والفنانين ومهرة العمال الذين كانوا يجدونهم في المدن المفتوحة ، ثم يبعثون بهم إلى بلادهم الأصلية ليواصلوا هناك إنتاجهم تحت إشرافهم ورعايتهم .

لم يكن هذا قاصراً على شخص منهم دون شخص ، بل كان ذلك شبه سياسة عامة ساروا عليها منذ عهدهم الأول .

ومع أن چنكيزخان — موحد أسرة المغول — لم يكن على ثقافة تشهد له بسابق الاطلاع على حضارات الأمم أو ثقافتها . لكنه — كما تشير الروايات — كان على حظ وافر من النبوع الفكري ، وسرعة الاستجابة لكل ما يستفاد منه .

فيذكر صاحب « أخبار الدول » عنه أنه « كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه أسس بفكره قواعد لو أدركه الاسكندر ودارا لما وسعهما إلا اقتفاء أثره ، كما اخترع لنفسه قواعد في الملك ، وأمر عقلاء مملكته أن يصنعوا له خطاً وقلماً فصنعوا له قلم المغول ، ورتبوا له كتاباً سماه الياسق الكبير ^(١) » .

ويظهر أن موطنهم الأصلي كان يستهويهم كثيراً إلى حد أنهم كانوا يشفقون على حياة الفنانين والصناع أو أرباب الحرف بوجه عام حتى لقد يرحلونهم إلى تلك البقاع النائية — حيث موطنهم الأصلي — مهما بلغ عددهم . فيذكر « سيد أمير علي » أنهم في مدينة سمرقند بعد أن أباحوها وقتلوا سكانها أبقوا على ثلاثين ألفاً من أمهر صناعها ^(٢) وأرسلهم جنكيز إلى أبنائه في الشمال والشرق . ثم يمضي فيوضح القصد من ذلك في قوله « وهو عنايتهم بتجميل مسقط رأس الغازي » .

وقد احتملت بلاد مملكة « خوارزم شاه » وخراسان كثيراً من هذا العناء ، فالذين نجوا من أبنائها حرموا من الحياة فيها . فيذكر « الجويني » أنهم حين قدموا مدينة خوارزم ، وتم لهم فتحها ، أرسلوا أرباب الحرف من بنينا إلى بلاد المشرق ، وهناك — كما يقول — مواضع كثيرة من تلك الجهات عامرة بأهل خوارزم ^(٣) .

وكانت هذه الاتجاهات تسير لدى المغول وكأنما تتم في شكل سياسة عامة . فيذكر بروان أن المغول إذا أبقوا على حياة أحد من سكان مدينة أذعنت لهم ، فإنما ليستفيدوا من مهارته ^(٤) أو ليستخدموه ضد أبناء جنسه في ميدان القتال .

(١) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٨٤

(٢) سيد أمير علي — مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي — ص ٣٣٧ ترجمة الأستاذ رياض رافت .

(٣) جهانگشاي — ج ١ ص ١٠١

(٤) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2 p. 434

ومع هذا فقد أدت هذه الحركات العنيفة أيضاً إلى أن يفر — خوف الأسر وسوء المعاملة — كثير من الصناع والعلماء من وجه المغول إلى الجهات التي يمكن أن يحتضروا بها . فكما ذكرنا سابقاً لجأ بعضهم إلى الولايات الجنوبية من إيران واستظلوا بحكامها ، كذلك قد هرب كثيرون منهم إلى الأقطار التي تقع في الغرب من حركتهم ووفد إلى مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية كثير من الصناع والفنانين^(١) .

أما المنشآت التي يمكن أن تسند إليهم في ملكهم أو داخل الممالك الإسلامية فتشير منها إلى ما عرض له بعض المؤرخين :

فيذكر صاحب «جهانگشای» — أن قآن حينما انتهى من حروبه مع الخطا شيد عاصمة له تعرف «بقراقورم» أحضر لها الصناع وأرباب الحرف من بلاد الخطا وبلاد الإسلام ، وجعل لها بضعة أبواب . أحدها خاص بالملك ، والثاني لأولاده والثالث للخواتين ، والرابع للعامة^(٢) .

وبجانب ذلك كانوا يشيدون بعض ما فيه مظاهر الترف والراحة لأنفسهم فقد طلب قآن أن تقام له عاصمة أخرى يأوى إليها في الربيع ، فشيدها له المهندسون المسلمون وأطلق عليها «قرشى سودى» يصفها الجوينى أنها بناء جميل مرتفع ، زين بأنواع النقوش الجميلة ، وأعدت فيها الفرش ، وهي* له فيها عرش ، وشقت إليها قنوات المياه^(٣) .

على أن حظ العماثر الإسلامية لم يكن بأقل من حظ العماثر الأخرى . بل اعل الاهتمام بها كان كثيراً ، فقد جدد ما اندرس منها أو أصابته يد التدمير ، كما

(١) الدكتور زكى محمد حسن — الفنون الإيرانية ص ٢٩ طبعة دار الكتب الثانية.

(٢) جهانگشای ج ١ ص ١٩٢

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٣

استحدثوا الكثير منها . فيذكر صاحب جامع التواريخ ، أن أورغون أعاد تجديد مكان يسمى « باغ منصوریه » بعد أن درست وغفت آثارها (۱).

ويشير الجويني أنه بالغ في تجميعها حتى كانت الجنان تغير منها، وحتى كانت مضرب المثل في جمالها عند الشعراء فتغنوا بها (۲).

على أن سياسة التعمير كانت في ميولهم حتى منذ وثنيتهم الأولى ، ولم يفرقوا في هذه السياسة بين دين ودين ، فكانوا يبادرون بتجديد ماخر به أيديهم سواء أكان من العماثر الدينية أو المنشآت العامة ، فيذكر الجويني وينقل عنه صاحب جامع التواريخ أن هولاكو بلغ مكاناً يسمى « خبوشان » وكان عاصمة أصابها التخريب ، وتوقفت عنها موارد المياه ، وتهدمت جدر المسجد الجامع بها . ولما كانت من رغبات المليك — كما يقول الجويني — الميل إلى التعمير ، عرض عليه أمر هذه المدينة ، فأصغى لرأيه وأمر أن يعاد تجديدها وعمارتها ، وإقامة الأسوار بها ، وخفض عيش الرعية ، كما أن كل ما أنفقه عليها كان من خزائنه الخاصة ، ولم تتحمل الرعية شيئاً منها، فعاد إليها أهلها بعد أن هجروها سنوات (۳). وقد ساهمت السيدات أيضاً في إقامة المنشآت، بل بالغن في تقدير شعور الرعية

(۱) جامع التواريخ ص ۱۸۲ . كاترمير .

(۲) جهانگشای ج ۳ ص ۱۰۴ - ۱۰۵

(۳) جهانگشای ج ۳ ص ۱۰۵ . ولص عبارة « واز آنجا کوچ بود، تا بخوشان رسیدند وآن قصبه ایست که از اول خروج لشکر مغول تا این سال معطل وخراب مانده بود، واینیه واماکن آن یاب گشته، وتمامت کاریزها بی آب شده چنانکه بیرون دیوارهای مسجد جامع دیوار برپای نبود . و بیشتر از آن سکان و رعایای آن ربعی از آن قصبه را بیع کرده بودم. چون هوس و میل پادشاه بعمارت خرابیها مشاهده افتاد، قضیه این قصبه عرضه داشتم. پادشاه آن سخن را اصغافرمود ، وبتأسیس عمارت کاریز و رفع آبئیه و نصب بازار وخفض عیش رعایا و جمع ایشان یرلیغ داد. چنانکه هرچه در عمارت آن صرف می شد از خزانه نقد فرمود تا بر رعایا حمل نیفتد... »

فأمرن ببعض المنشآت العلمية والدينية . فيذكر عن أم هولاءكو، وكانت تسمى « سرقنتى » أنها شيدت مدرسة عالية مشتملة على ثلاث طبقات ببخارى وقفت عليها أوقافاً لاتعد ولا تحصى مع ميلها إلى النصرانية على ما قيل وفوضتها إلى الشيخ « سيف الدين البخارزى »^(١) .

أما المنشآت العامة فقد عني بها تجديد أو إنشاء ، ففي دائرة المعارف الإسلامية مادة تبريز ، أنه أنشئ بها في عهدهم مسجد ومدرستان ، إحداها للشافعية والأخرى للحنفية ، وبمارستان ومرصد كالموجود بمراغة . ومكتبة ومكان للدواوين ، ومكان يسكن فيه المشرفون على هذه المنشآت ، وصهريج لشرب المياه ، وحمامات مزودة بالماء الساخن ، وحسبت أوقاف تبلغ جملتها مائة تومان من الذهب للاتفاق منها على المنشآت^(٢) .

وهكذا كانوا يبذلون في إرضاء الناس ، وإرضاء أصحاب المذاهب المختلفة في العقيدة الإسلامية . كذلك يذكر عن السلطان « خدا بنده » أنه عندما أسلم كان يأخذ في جميع أسفاره خيمنتين يدرس في إحداهما على المذهب الحنفى والأخرى على المذهب الشافعى ، وتسميان بالمدرسة السيارة ، وكان طعام الطلبة ووظائفهم من مطبخه وخزائنه ، وكان يخدم بنفسه الشيخ علاء الدين السمناني^(٣) .

وقد اهتم الجوينى كثيراً بالتخفيف على الرعية والمساهمة فيما يعود عليها من وسائل الترفيه والرعاية . ففي أحداث سنة ٦٧٠ هـ يذكر صاحب الحوادث الجامعة أن علاء الدين الجوينى أمر بعمارة موضع في نهر جعفر من أعمال واسط سماه

(١) تلفيق الأخبار ج ٢ ص ٢٤

(٢) مادة تبريز ص ٥٤٥ من الترجمة .

(٣) تلفيق الأخبار ج ٢ ص ٢٤

« المأمّن » وبنى فيه ديواناً وجامعاً وخاناً وحماماً وسوقاً ، وانتقل إليه خلق كثير . كذلك كانت زوجته تساهم في إنشاء العماثر والمدارس ، فقد ذكر هذا المؤلف في حوادث سنة ٦٧١ هـ أن المدرسة التي أمرت بإنشائها قد تكاملت في تلك السنة ووقفها على الطوائف الأربع ^(١) .

على أنه إذا كان حظ المنشآت الدينية والمنشآت الاجتماعية — التي تفيد حياة المجتمع الإنسانى — كبيراً اهتم به كثير من ملوكهم ووزرائهم ، فإن المنشآت الأثرية والمنشآت العلمية لم يكن حظها بأقل من ذلك .

فقد كانت العماثر الإسلامية تعرف بضخامتها وعظمتها ، ونالت القباب التي تحتوى الأضرحة كثيراً من عناية سلاطين الإسلام في مختلف الدول ومختلف العصور ، فقبرة محمود بن سبكتكين في غزنه والسلطان سنجر السلجوقي في مرو قبل هذا العصر كانتا من أكبر العماثر الإسلامية وأفخمها وأروعها .

فاذا امتد الزمن إلى عهد المغول فقد مكن لسلاطينها من بسطة الحياة والترف والرخاء ما جعلهم ينفقون بسخاء على تلك العماثر والمنشآت .

فيذكر عن غازان أ. هـ سنة ٦٩٩ هـ عقد العزم على أن يتخذ مدينة « شام » مقراً لراحته الأبدية ، فشيد بها بناء أكثر ارتفاعاً من الكنبد الذي ابتناه السلطان سنجر في مرو ، وكان يعتبر — حينذاك — أكثر الأبنية ارتفاعاً في العصر الإسلامى ^(٢) .

وننتهى من هذا إلى الإشارة بما ذكره الدكتور زكى محمد حسن فيما يتصل بحركة المغول وتأثيرها على فن العمارة بقوله :

(١) الحوادث الجامعة — ص ٣٧٢

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٥٥ من الترجمة .

« والواقع أن التخريب الذي ينسب إلى غارات المغول ، بولغ في نتائج بعض المبالغة . فقد حدث حقيقة أن كسدت صناعة البناء وتهدمت عمائر كثيرة وهاجر الصناع والفنانون إلى آسيا الصغرى وإلى مصر » ويمضى في عبارته إلى أن يقول : « ولكن ما فعله المغول وتيمور وخلفاؤه في سبيل الفن وتشجيع الفنانين يجعلنا نفرض الطرف عما حدث في حروبهم الأولى من تدمير واضطهاد ^(١) » .

ثانياً — الحضارة العلمية

كانت حركة المغول في أولها — كما صورنا سابقاً — مثاراً لهجرة القوم من أوطانهم فراراً من هول الغزو وخشية أن يقعوا طعمة لل سيف والقتل ، ورأينا أن هذه الحركة دفعت في طريقها كثيراً من العلماء والمحققين ورجال الأدب إلى القرار من موطنهم والاتجاء إلى الدول التي يظنون الاحتماء بها .

كذلك قلنا إن بعض الولايات الإيرانية — وخاصة الجنوبية منها — حافظت على سيادتها ودخلت في طاعة الغزاة . وأمنت هول الغزو وشره ، وكانت بمثابة الحرم الآمن لجأ إليها الكثيرون من رجال العلم والأدب ، وكانت أهم هذه الولايات هي ولاية فارس التي كان على حكمها « سعد بن زنگي » واستخلفه عليها ابنه « أبو بكر » في طلائع تلك الحركة .

أما من حيث روح الغزاة أنفسهم بالنسبة لكبار الشخصيات والمبرزين في الدول التي فتحوها وخاصة بایران ، فإنها كانت روح مسالمة ، سلكت في الإبقاء عليهم منهجاً سليماً لا غبار عليه ، وبهذا فتحوا الطريق أمام موكب الحضارة

(١) الشنون الايرانية — للدكتور زكي محمد حسن — ص ٣٠ طبعة دار الكتب .

ليسير في الاتجاه الذي رسمته له الظروف ، وكثيراً ما كانوا يستجيبون لرغبات كبار الشخصيات ، حتى في أخرج الظروف وأشق المواقف .
ومنذ أيامهم الأولى ، وهم يعملون على الاندماج في الجماعة الإسلامية ، ويتخيرون من بينهم رجالاً يقومون بتوجيه شئون الدولة .

فهذا « فآن » ولما تستتب الفتوحات بعد أو يستقر له الغزو ، نراه ينصح « أورغون خان » — وقد ولاء شئون الدولة — أن ينتخب جماعة لمعونه في تدبير شئونها . فتم اختياره على ثلاثة هم ابنه المسمى « كراى ملك » ، واحمد بيتكجى — الكاتب — والصاحب علاء الدين عطا ملك ^(١) .

ثم تظهر مع الأيام شخصية علاء الدين ، ويبدو نفوذه عند الحكام والقادة فينصاعون لمشورته ويأخذون بأرائه ، فقد أذعن له هولاء كو عند فتح قلاع الاسماعيلية في إنقاذ المكتبات ، كما أسلفنا ، وقام بنواح كريمة للتخفيف عن الرعية وساهم بنصيبه في إذكاء الحياة العلمية .

وبالرغم مما أصيب به هذا العصر من أحداث ، شهد وفرة من أجلة العلماء الذين برعوا في مختلف العلوم والفنون ، سواء أكانت من العلوم النظرية أو العملية أو المدنية ، وهذا يدل على أن البيئة نفسها ، وحسن معاملة الحكام للرعايا والعلماء بصفة خاصة ، كانت تهيب لهذه الكثرة التي نلاحظها ، طيب الحياة وحسن الإنتاج .
ومما لاشك فيه أن بعض العلوم قد نالت رعاية الحكام لها أسبق من غيرها ، وهي العلوم التي تتصل بالحياة العملية ، فقد اتجه همهم — بادىء ذى بدء — إلى التعمير والإنشاء ، وتشجيع العلوم التي تساعد عليها .

(١) جامع التواريخ ص ١٦٤ . كاترمير .

ويذكر بارتولد أنهم لم يبالوا بالعلوم الدينية — بالطبع — قبل الاسلام ،
ولكنهم اجتهدوا لإنهاض حياة المدن ، وترقية الصناعة والتجارة ، مراعين في ذلك
منافعهم ، الخاصة وقاموا بحماية العلوم ذات الخطورة العملية كالطب والرياضة
والهيئة^(١) .

كما يجاريه في هذا الرأي تقريباً — مؤرخ شرقي آخر هو صاحب كتاب
« تلفيق الأخبار » فيشير إلى أنهم كانوا منكبين على العلوم والفنون خصوصاً
الرياضيات منها ، وذلك قبل فراغهم من فتح البلدان^(٢) .

أما المنشآت العلمية التي تشير إلى هذا النوع من العلوم العملية ، والتي ظهرت
مبكرة في عهد هذه الدولة ، فهو المرصد الإيلخاني الذي أنشأه هولاكو بمدينة
مراغه ، وذلك بمعونة العالم الرياضي « نصير الدين الطوسي » وجماعة معه^(٣) .

كان نصير الدين قبل التقائه بهولاكو يعمل لدى الاسماعيلية في قلعة « آلموت »
في خدمة رجل من رجالهم ، فلما فتحت القلعة حضر بين يدي هولاكو ، وبذلك
يشير صاحب « الحوادث الجامعة » بقوله « لما فتحت آلموت خرج نصير الدين
محمد الطوسي وكان في خدمة علاء الدين محمد بن الحسن الاسماعيلي ، وحضر بين
يدي هولاكو فحظي عنده وأنعم عليه ، فعمل الرصد بمراغه سنة ٦٥٧ هـ »^(٤) .

ويلتقي هذا المؤرخ مع صاحب « تاريخ كزیده » في أن الرصد عمل بمعونة

(١) بارتولد — تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٥ . ترجمة الأستاذ حمزة طاهر .

(٢) تلفيق الأخبار ص ٢٣ من الجزء الثاني .

(٣) تاريخ كزیده ص ٥٨١ . وعبارته . أز آثار هولاكو خان زبج خاني است
كه خواجه نصير الدين الطوسي ، باتفاق مؤيد الدين عروصي وفخر الدين اخلاطي
وديران قزويني ساخته است .

(٤) الحوادث الجامعة ص ٣٤١ .

بعض الشخصيات التي تنسب إلى جهات مختلفة ، ويتفقان كذلك على تسمية بعضها فيذكر في أحداث سنة ٦٥٧ هـ قوله « وفيها وضع نصير الدين الطوسي الرصد بمرآه ، وعين فيه جماعة منهم المؤيد العروضي من دمشق ، والفخر المرائي من الموصل والفخر الأخطي من تقيس ، والنجم ديران القزويني ، ومحيي الدين المغربي ، وكانوا يتولون عمله إلى أن انتحر في سنة ٦٧٢ هـ »^(١) .

وقد امتدت سطوة هذا العالم ، ويمكن له من القيام بعمله ووضعت تحت تصرفه أوقاف كثيرة كان يديرها بنفسه ، وأخذ يحوب البلاد ليجمع ما يفيد الرصد من الكتب . ففي حوادث سنة ٦٦٢ هـ يشير هذا المؤلف إلى أن نصير الدين وصل بغداد لتصفح الأحوال والنظر في أمور الوقوف ، والبحث عن الأجناد ، ثم انحدر إلى واسط والبصرة وجمع من الطرق كتباً كثيرة لأجل الرصد^(٢) .

كذلك قام هذا العالم بكتابة ذيل على كتاب « جهانگشاي » للجويني ، ضمنه حوادث سقوط بغداد ونهاية الخليفة . وهو من خير ما يرجع إليه في تلك الحادثة ، نظراً لمعاصرته لها ، ولوجوده فيها ، ولمركزه العلمي والاجتماعي .

وبجانب ذلك نهض بعمل آخر يدل على براعته في الرياضه والعلوم ، فقد عمل مقابلة بين الشهور العربية والشهور المغولية ، وأثبتها في جدول قائم بذاته ابتداء من سنة ٥٩٩ هـ وهي سنة جلوس چنگيزخان حتى مائة سنة بعد ذلك مما جعل الأستاذ القزويني يشير إلى مبلغ أهميته وقيمه^(٣) .

وقد برع هذا المؤلف بجانب ذلك في كثير من العلوم المختلفة ، في الإلهيات والطبيعات والمنطق والفلسفة والأخلاق . فيذكر ابن العبري هذا بقوله :

(١) الحوادث الجامعة ص ٣٥٠

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤١

(٣) تعليقات جهانگشاي ج ١ ص ١٠٣ للاستاذ القزويني .

« وفي هذا التاريخ (٦٧٥ هـ) توفي خواجه نصير الدين الطوسي الفيلسوف صاحب الرصد بمدينة مراغه . حكيم عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة ، واجتمع إليه في الرصد جماعة من الفضلاء والمهندسين ، كان تحت حكمه جميع الأوقاف في جميع البلاد التي تحت حكم المغول ، وله تصانيف كثيرة منطقيات وطبيعات وإلهيات اقليدس والجسطى ، وله كتاب أخلاق بالفارسية في غاية ما يكون من الحسن ، جمع فيه نصوص أفلاطون وأرسطو في الحكمة العملية . »

ثم يمضى في هذا إلى أن يذكر بعضاً من فضلاء عصره بقوله « وكان من الفضلاء في زمانه نجم الدين القزويني ، منطقي عظيم صاحب كتاب العين ، ومؤيد الدين العروضي ، ونفخر الدين المراغي ، وقطب الدين الشيرازي ، ومحيي الدين المغربي . ومن الأطباء المشهورين فخر الدين الأخلاطي ، وتقي الدين الحشاشي^(١) . »

العناية بالعلوم التاريخية وأهم المؤلفات فيها

لقد علم التاريخ عناية كبيرة من الحكام ، وتفتحت الحياة لرجال التاريخ كما تفتحت صدور الحكام لهم ، وتقلب أغلبهم في كثير من المناصب الرفيعة ، وابتسم لهم الحظ ، ونال بعضهم مركز الوزارة ، وتمكن هؤلاء بحكم مناصبهم في الدولة أن يشاهدوا الأحداث ، وأن يلموا بها إلام عيان ، كما تفتحت لهم أبواب خزائن الكتب وزودوا بكل ما يطلبون ليقوموا بأعمالهم العلمية على الوجه الذي يرتضيهم .

وهناك كثرة ملحوظة من الكتب القيمة التي ألقت في ذلك العصر — القرن السابع الهجري — والتي تعتبر عمدة المراجع التاريخية باللغة الفارسية فيما دار خلاله من حوادث ، وهي في ذاتها دليل فاطح على ما كان عليه سادة الحكم من رغبة صادقة في تشجيع العلم ، والتوسع على العلماء ، وإبلاغ بعضهم أسمى المناصب .

(١) ابن العبري ص ٥٠١

وقد أشار كثير من مؤرخي الآداب الذين عرضوا للحديث عن هذا العصر إلى هذه الظاهرة في معرض كلامهم على الحركة العلمية .

فيذكر الدكتور عزام بك في الفصل الذي كتبه عن حالة الأدب في عصر المغول عبارته « والذي يثير إعجاب المؤلف في هذه الحقبة . التأليف التاريخي وحده ، فقد عني التتار بتسجيل أخبارهم وتدوين مآثرهم وتعريف الناس بسير آبائهم ، فألفت كتب في التاريخ هي أحسن ما أنتجه عصر من عصور إيران » ^(١)

بل كانت هذه الظاهرة موضع غرابة كذلك عند الأستاذ القزويني . ففي مقدمته على جهانگشای يقول « ومن الغريب أن فن التاريخ في عهدهم نال رواجاً ملحوظاً ، وارتقى رقياً عظيماً ، ودونت فيه أحسن الكتب التاريخية ^(٢) » .

وبمثل هذا يذهب الدكتور رضا زاده شفق في كتابه « تاريخ أدبيات إيران » في قوله « إن بعض فروع العلوم — وخاصة ما يتصل منها بفن التاريخ — قد كان لها شأن عظيم ^(٣) » .

وقد ذكر الأستاذ القزويني في مقدمته على « جهانگشای » أهم الكتب التاريخية التي ظهرت في هذا العهد ، وجعل في مقدمتها ذلك الكتاب ، وكتاب « جامع التواريخ » وكتاب « وصال » وكتاب « تاريخ كزیده » وغيرها . ثم ينخص بالذكر الثلاثة الأولى ويفاضل عليها كتاب تاريخ جهانگشای ^(٤) .

(١) قصة الأدب في العالم ج ٢ ص ٥١٣ . للدكتورين أحمد أمين بك و زكي نجيب

(٢) جهانگشای ج ١ ص د من المقدمة .

(٣) تاريخ أدبيات إيران . للدكتور رضا زاده شفق ص ٢٥٩ . سنة ١٣٢١ هـ . ش . طهران

(٤) مقدمة جهانگشای ج ١ ص ٥ .

وعبارته : « شك نیست كه مهترین این كتب على الاطلاق سه كتاب — یعنی جهانگشای و جامع التواريخ و وصال — و تاريخ جهانگشای برآندوی زمانا — و شاید رتبة — سمت تقدم دارد » .

ولما كان لهذا الكتاب — كما أشار الأستاذ القزويني — مكانته العلمية بين مؤلفات هذا العصر . فإننا سنخصه بكلمة ، ونشير إلى شيء من تاريخ حياة صاحبه .

وليس يحملنا على هذا مكانة الكتاب بين غيره من الكتب فحسب ، بل هناك كثير من المزايا التي لم تتوفر لغيره من الكتب التي ألقت في ذلك العصر ، كما أن هناك كثيراً من الاعتبارات التي تحملنا على أن نفرد كلمة لصاحبه وذلك لما يأتي :

١ — إن صاحبه — كما أشرنا — دخل في وظيفة المغول مبكراً وتنقل في مملكتهم بحكم مركزه ، وشارك في مشاهدة كثير من الوقائع ، والتقى بكثير من الشخصيات في رحلاته، وجمع الكثير من المعلومات عن تاريخهم.

٢ — يعتبر هذا الكتاب أنفـس وأيسر الكتب التاريخية ، وهو خير مثال للأدب المنشور في ذلك العصر بجانب قيمته العلمية ، فمؤلفه أديب بارع جمع إلى مكانته العلمية، بساطة التعبير وسهولة الأداء ، والابتعاد عن الأسلوب المزخرف ، الذي أصيب به غيره من المتأخرين عنه أمثال الوصاف . ولهذا يعتبر ذلك الكتاب أهم نموذج للنثر في عصره .

٣ — لقد عاصر مؤلفه شاعرنا — سعدى الشيرازي — الذي نؤرخ له وتلاقيا ، كما كانت بينهما مودة مما سنعرض له . كذلك كان للشاعر مدائح فيه وفي أخيه شمس الدين .

ولهذا كان جديراً بأن نفرد له ولؤلفه كلمة دون غيره .

كتاب جهاسكشاي :

وهذا الكتاب نشره الأستاذ القزويني « في سلسلة يجب » وقدم له، يقع في ثلاثة مجلدات تشمل النواحي الآتية :

١ — المجلد الأول : وفيه ديباجة طويلة ، وفصل في عادات المغول وقوانينهم القديمة ، ثم فصل في القوانين التي وضعها چنگيز والتي تعرف باسم « الياسا » ثم يتحدث المؤلف عن تاريخ چنگيز وخروجه وفتوحاته في بلاد ما وراء النهر وإيران ، وإزالة مملكة خوارزمشاه وغيرها ، ثم فصل في تاريخ ابنه أوكتاى قاآن وابنه كيوك خان . وينتهى بفصلين مختصرين عن حياة جوجى وجفطاي ابنى چنگيز

٢ — المجلد الثانى : ويشرح فيه مباشرة في تاريخ ملوك خوارزم ويبسط الكلام فيما يتصل بسلاطينهم الأخيرين ، وخلال هذا الفصل يأتى على شىء من تاريخ ملوك الترك الكفار في بلاد ما وراء النهر وتركستان ، وملوك الترك المسلمين ، وفي آخر هذا المجلد يعرض لتاريخ حكام المغول وولاتهم على إيران من عهد أوكتاى قاآن إلى مجيئ هولاكو .

٣ — أما المجلد الثالث فيبدأ بتاريخ منكوقاآن الذى تولى سنة ٦٤٩ هـ . ثم تفصيل حركة هولاكو على بلاد إيران وقعه الاسماعيليه ثم يبسط الكلام في تاريخ اسماعيلية « آلموت » حتى انقراضهم على يد هولاكو .

وهناك ملحق يتصل ببعض نسخ المجلد الثالث في شرح واقعة بغداد كتبه « نصير الدين الطوسى »

ولصاحب جهانگشاى رسائل أخرى — بالإضافة إلى كتابه المذكور — فله رسالة تسمى « تسليه الاخوان » ضمنها تصوير المحن التي أصابته من وشاية اصطنعها « مجد الدين اليزدى » ثم رسالة أخرى لا يعلم عنوانها ألفها بعد الرسالة الأولى ، وهى متممة لها .

ويذكر الأستاذ القزويني أن منها نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس وذلك فى مقدمته على جهانگشاى .

وبالإضافة إلى هاتين الرسالتين له بعض مكاتبات ورسائل ضمن مجموعة من رسائل « منتخب الدين بديع » الكاتب الجويني .

قيمة هذا الكتاب بين المؤلفات ومدى الرجوع اليه

أثبت الأستاذ القزويني في مقدمته على جهانكشاي كثيراً من الكتب العربية والفارسية التي رجعت إلى هذا الكتاب والتي استعانت به في كثير من موضوعاته وفصوله .

فمن نقلوا عنه من العرب « أبو الفرج غريغوريوس بن هرون الطيب المالطي المعروف بابن العبري » المتوفى سنة ٦٨٥ هـ . وهو من النصارى اليعقوبيين المقيمين بمراغه، والذين كانوا معاصرين لعطاء ملك الجويني، وله تاريخ عام مطول بالسريانية ويقول عن مؤلف جهانكشاي إنه عديم النظر ، كما يذكر أن كل ما يتصل بتاريخ الخوارزمشاهيين والاسماعيلية والمغول — مما أثبتته في كتابه — مأخوذ من جهانكشاي ، وكذلك في مؤلفه الآخر بالعربية المسمى « تاريخ مختصر الدول » الذي اختصره من مؤلفه الكبير السرياني .

ومن أخذوا عن جهانكشاي من مؤلفي العربية « ابن طباطبا » الذي ألف كتابه « الفخرى » سنة ٧٠١ هـ واقتبس منه عدة فقرات في كتابه .

وهناك كتاب آخر بالعربية يقع في عشرين مجلداً « لشهاب الدين أحمد بن فضل الله الكاتب الدمشقي » المتوفى سنة ٧٤١ هـ . يسمى « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » نقل في الجزء الثالث منه عدة فصول من جهانكشاي مترجمة إلى العربية ومنها فصل بعنوان « ذكر خروج چنگيزخان وابتدای انتقال دولت وملكوت ملوك جهان بدو » وفصل آخر بعنوان « ذكر أبناء چنگيزخان » مطابقان لما في مسالك الأبصار .

أما الكتب الفارسية فمنها كتاب « رشيد الدين فضل الله » وزير غازان وأولجايتو . المسمى « جامع التواريخ » وقد ضمنه محتويات الأجزاء الثلاثة من جهانكشاي ، وبعض المواضع نقلها باختصار ، مثل تاريخ المغول في خراسان وإيران ، وأحياناً يبسط الكلام كما في تاريخ چنگيزخان منذ بدأت حياته حتى شرع في فتوح البلاد الغربية ، وتاريخ أولاده وأحفاده .

والكتاب الثاني الذي أخذ عن جهانكشاي بالفارسية هو كتاب « الوصاف » لمؤلفه « عبد الله بن فضل الله الشيرازي » نلخص في مجلداته الثلاثة كتاب جهانكشاي من أوله إلى آخره ، وجعل الجزء الرابع من كتابه ملحقاً له ، ويصرح المؤلف نفسه في ديباجته أن كتابه ذيل لجهانكشاي ، وقد شرع فيه حيث انتهى جهانكشاي أي من سنة ٦٥٥ هـ وامتد حتى سنة ٧٢٨ هـ .

ويشيد « الوصاف » كثيراً في ديباجة كتابه بكتاب جهانكشاي ومؤلفه ويقول في مقام التواضع :

وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أننى صفت ألف كتاب
كذلك يقول الأستاذ القزويني إن هناك بعض الكتب الأخرى التي أخذت عن جهانكشاي .

منها كتاب « البناء كتي » المسمى « روضة أولى الألباب في تواريخ الأكابر والأنساب » ومؤلفه أبو سايمان داود بن أبي الفضل البناء كتي ألف في حدود سنة ٧١٧ هـ .

ثم كتاب « روضة الصفا » ويقع في سبعة مجلدات ، وهو في تاريخ الإسلام وتاريخ إيران وخاصة تاريخ المغول والتموريين حتى أواخر عصر السلطان أبي الغازي حسين بيقر ، ومؤلفه محمد بن خاوند شاه المعروف « بميرخواند » المتوفى سنة ٩٠٣ هـ .

كذلك أخذ عنه « غياث الدين خواندمير » صاحب « حبيب السير » الذى ألف فى عصر الدولة الصفوية ، وهو تاريخ عام مشهور ، سجل الحوادث من البدء حتى وفاة الشاه « اسماعيل الصفوى » ويقع فى ثلاثة مجلدات ، وتوفى المؤلف سنة ٩٤١ هـ .

حياة الجوينى وصلته بالشاعر به وبأُغنية

اعتمدنا فى عرض حياة هذا المؤرخ الأديب على ما كتبه أيضاً الأستاذ القزوينى فى مقدمته على جهانكشاي . بالإضافة إلى ما أمكن الرجوع إليه من المراجع التى سيرد ذكرها . ونحن نتتبع أهم الأحداث فى تاريخ حياته ، وتاريخ أسرته متجنبين الاستطراد الذى لا يحتمله هذا الفصل .

كانت أسرة الجوينى إحدى الأسر القديمة المشهورة بایران . تناوبت الأعمال الهامة وتوارثتها ، فى دول السلاجقة وملوك خوارزم والمغول ، وأسندت وظيفة صاحب الديوان — وهى إدارة الشؤون المالية — إلى كثير من أفراد تلك الأسرة ، وبهذا عرف أغلب أفرادها بصاحب الديوان .

وقد ظفر بعض أعضاء هذه الأسرة بمناصب فى الدولة أعلى من ذلك ، كما كان الحال مع شمس الدين محمد ، أخى علاء الدين صاحب جهانكشاي . فقد أسند إليه آباقا ابن هولاكو وظيفة (الوزير الأعظم) وجعله صاحب الكلمة المطلقة ، وكان أيسر أعماله ما يتصل بالديوان ، لكنه عرف أيضاً (بصاحب الديوان) .

وهكذا كان الشأن مع علاء الدين نفسه ، فانه بعد أن أسندت إليه إدارة حكومة العراق العربى عقب زوال الخلافة . كانت له — بطبيعة الحال — أعمال الديوان أيضاً فى تلك الولاية ، فاشتهر كذلك بصاحب الديوان .

أما نسب هذه الأسرة فيعود إلى الفضل بن الربيع — صاحب خلفاء بني العباس — وكان هو وأبوه من قبل ، قد فوضت إليهما الحجابة والوزارة .

وأما أجداد الجويني فانهم اتصلوا بالملوك المعاصرين لهم من الخوارزمشاهيين والسلاجقة . اتصل جده الثاني — لأبيه — بالسلطان تكش بن إيل أرسلان ، وشاهد الحرب التي وقعت بينه وبين السلطان طغرل آخر سلاطين السلاجقة بولاية جوين .

كذلك اتصل خال جده هذا بالسلاجقة . وكان يسمى « منتخب الدين بديع » كان من مشاهير كتاب عصره المقر بين كثيراً للسلطان سنجر ، وجعله رئيس ديوان الإنشاء في حكومته ، وكان له دالة على هذا السلطان ، يحضر معه مجالس شرابه ويتندر وإياه كثيراً ، ويحكون من هذا أنه لما وقعت الحرب بين السلطان سنجر وبين آتسز ، وقع الشاعر المشهور رشيد الدين الطواط شاعر آتسز في يد رجال السلطان سنجر ، وكان الطواط قد هجاه هجاء لاذعاً ، فلما قبض عليه ورفع الأمر إلى السلطان تعرض له خال الجويني هذا مستشفعاً .

وكان السلطان قد أقسم ليقطعن الطواط إلى سبعة أقسام ، فقال للسلطان بهذه المناسبة ، إن الطواط طائر ضعيف لا يمكن تقطيعه إلى سبع قطع ، فلو تفضلت فأصدرت أمرك بأن يقطع قطعتين ، ضحك السلطان سنجر وعفا عنه .

وكان جد الجويني — عطا ملك — يسمى شمس الدين محمداً . يشتغل أيضاً في بلاط السلطان محمد الخوارزمشاهي ، وأسندت إليه أعمال الديوان في عهده ، وفي عهد ابنه جلال الدين .

أما أبوه بهاء الدين محمد ، فكان ملازماً لحكام المغول وعماهم ، وأسندت إليه أيضاً وظيفة صاحب الديوان ، وكثيراً ما كان ينوب عن حكام المغول في خراسان

وجميع 'بلاد الغربية عندما كانوا يذهبون لمقابلة الحاكم العام في موطنهم الأصلي وفي سنة ٦٣٣ هـ بعث في رسالة إلى أوكتاى قاآن، فأكرم وفادته وبالغ في احترامه وأسند إليه وظيفة صاحب الديوان في عموم المملكة .

وفي سنة ٦٥١ هـ بلغ بهاء الدين الستين من عمره ، فعزم على أن يقضى بقية حياته بعيداً عن أعمال الديوان . لكن لما كان الأمراء لم يرغبوا في اعتزاله العمل عزم على الذهاب إلى العراق ، فلما بلغ أصفهان توفي في تلك السنة .

أما عطا ملك صاحب جهانگشای . فقد ولد سنة ٦٢١ هـ ، وقد اضطلع بعمل الديوان والكتابة — كما يذكر عن نفسه — قبل أن يبلغ سن العشرين . ثم انتظم في سلك الكتاب الخصوصيين للأمير أورغون الذى تولى شئون الجانب الغربى قرابة خمسة عشر عاماً من سنة ٦٤١ هـ إلى سنة ٦٥٤ هـ وهى السنة التى قدم فيها هو لاكو إلى إيران، وكان تحت قبضة حكمه كل البلاد التى فتحت غرب نهر جيحون . وكانت علاقة علاء الدين بالأمير أورغون فى مدة إدارته علاقة طيبة وكثيراً ما كان يصطحبه فى أسفاره أو فى ذهابه إلى حاضرة ملكهم ، وكان يقوم دائماً فى تلك الأسفار بعمل الكاتب الخاص .

وقد بكر فى اصطحابه له إلى عاصمة ملكهم بينما كان لا يزال فى السابعة عشرة من عمره ، وهناك فى « قراقورم » العاصمة أمضى عطا ملك عاماً ونصف عام فى بلاط منكوقاآن ، — وكما يقص عن نفسه — لقى من مشورة أصدقائه وتشجيعهم له أن ينهض بكتابة مؤلف يقيد فيه آثار المغول وتاريخهم ، ينسخ به آيات القياصرة ويمحو به روايات الأكاسرة^(١) .

ويبدو أن المؤلف أحجم عن القيام بهذا الموضوع ، ولكنه تحت مشورة أصدقائه وإلحاحهم نهض بهذا العبء ، خاصة بعد أن تهيأت له ظروف لم

(١) المقدمة ص ٢٥ .

تتكامل لغيره ، فإنه أمضى ما يقرب من عشرة أعوام بين بلاد المغول والممالك التي فتحوها ، ورأى بعيني رأسه كثيراً من الوقائع الهامة ، وتجمعت له — في الواقع — سبل التعرف على أخبارهم وحوادثهم سماعاً أو عياناً ، ولهذا بدأ يقيد معلوماته وملاحظاته ، وشرع في تأليف كتابه سنة ٦٥٠ هـ وانتهى منه سنة ٦٥٨ هـ .

أما في عهد هولاكو فقد ظلت له أيضاً مكاتته ، وكثيراً ما كان يصاحبه في حركاته، وينتقل معه خلال حروبه وخاصة حروبه ضد الاسماعيلية ، وكانت له أياد بيضاء في إنقاذ مكتباتهم ، كما أنقذ ما فيها من آلات الرصد والآلات الأخرى .

وبعد أن أبقى على المصاحف النفيسة منها ، وبعض الكتب الهامة ، وما فيها من آلات علمية ، ترك بقية ما فيها من كتب الاسماعيلية التي تتصل بأصول مذهبهم أو فروعه عرضة للنهب أو التدمير . لكنه أنقذ منها كتاباً وحيداً هو الذي يتصل بتاريخ حسن الصباح نفسه المسمى « سرگذشت سيدنا » والذي أثبت المؤلف مختصره في كتابه المجلد الثالث ، ومنه خلاصة أكثر تفصيلاً في كتاب « جامع التواريخ » وضعها صاحبه في المجلد الثاني في تاريخ اسماعيلية « آلموت » وهذه الخلاصة التي اشتمل عليها الكتابان المذكوران لا نظير لها في غيرها من الكتب الأخرى .

كذلك صاحب هولاكو في فتح بغداد ، بعد أن فرغ من قلاع الاسماعيلية واتجه إليها سنة ٦٥٥ هـ . وفي سنة ٦٥٧ هـ فوضت إليه حكومة بغداد كما يصرح المؤلف في رسالته « تسلية الاخوان » وظل عطا ملك بقية مدة هولاكو على حكومة بغداد . فلما توفي هولاكو سنة ٦٦٣ هـ وتولى بعده آباقا جعل ممالك بغداد وفارس إلى « سوغونجاك أغا » من أمراء أسرهم الكبار، وجعل على بغداد علاء الدين الجويني نيابة عن « سوغونجاك » .

وخلال مدة حكم آباقا (٦٦٣ هـ — ٦٨٠ هـ) التي امتدت ثمانية عشر عاما كان علاء الدين يدير شئون حكومة بغداد مستمداً سلطته من سوغو نجا .

وجه علاء الدين جميع همته — خلال تلك الفترة — إلى تعمير البلاد ، وراحة الرعية ، وألقى عن كاهل الفلاحين والمزارعين كثيراً من الأعباء المالية ، وبذل جهداً مشكوراً في إنشاء القرى وإصلاح المزارع وشق القنوات ، ولم يمتد الخراب الذى أصاب بغداد والعراق العربى — بسبب حروب المغول — كثيراً . فسرعان ما دبت الحياة فيها من جديد ، وارتد إليها العمار ، واشتغل الناس بالزراعة وتضاعف دخل العراق ، وعمرت البلاد حتى صارت أكثر رخاء منها أيام الخلفاء .

وقد امتدت حكومة علاء الدين على بغداد أربعة وعشرين سنة ، أمضى ست سنوات منها فى عهد هولاكو من سنة ٦٥٧ هـ إلى سنة ٦٦٣ هـ ، وقریباً من ثمانية عشر عاماً فى سلطنة آباقا حتى سنة ٦٨٠ هـ ، ثم قرابة عام واحد فى عهد السلطان أحمد . وخلال هذه المدة وشى به كثير من أعدائه انتقاماً منه ، وقد آتت هذه الوشايات ثمارها فقضت على الكثيرين من أسرته .

نذكر من بين هذه الوشايات ما دبره صاحب الفخرى المعروف « بابن الطقطقى » . كان من مشاهير رجال المال بالعراق واستأجر بعض الأملاك بدون أجر ، فحصل بذلك على ثروة طائلة واتسع أمره شيئاً فشيئاً ، فأرسل خطاباً إلى آباقا خان يطلب عزل علاء الدين من حكومة بغداد . فأرسل « شمس الدين الجوينى » وزير المملكة الأعظم بهذا الخطاب إلى أخيه « علاء الدين » ببغداد وكتب له أيضاً خطاباً أرفقه معه ، أثبت فيه هذين البيتين :

كم لى أنبه منك مقلة نائم ييدى سباتا كلها نيهته
فكأنك الطفل الصغير بمهده يزداد نوما كلها حركته

أما الوشاية التي حيكت قبيل وفاته فقد كانت عنده من الأهمية بحيث ألف فيها رسالة خاصة سماها « تسلية الاخوان » . وعمل رسالة أخرى تعتبر ذيلًا للرسالة الأولى كتبها قبل أن تفجأه المنية بشهور .

دبر تلك الوشاية شخص يسمى « مجد الملك اليزدى » . كان من أهل يزد ، يعمل أبوه وزيراً لحكامها من الأتابكة الذين عرفوا بآتابكة يزد ، واتصل مجد الملك بيهاء الدين محمد بن شمس الدين الجويني في أصفهان فاختره لبعض الأعمال الهامة . لكن سرعان ما وقعت الواقعة بينه وبين أفراد هذه الأسرة وأخذ يوغر صدر المغول عليهم ، ولفق على علاء الدين أخباراً ، فأشاع عنه أنه اتصل بملوك مصر . لم تؤد هذه الوشايات إلى النتيجة المطلوبة في نظر مجد الملك ، فافتعل مكيدة أخرى ، وأخذ يشيع عنه أنه يحصل من أموال بغداد كل سنة ما يقرب من مائتي ألف دينار لم يرسل شيئاً منها إلى الخزانة العامة .

لكن هذه المكيدة لم تؤت ثمارها أيضاً ، فأخذ يحيك غيرها كذلك ، وما زال مجد الملك يفتعل المكائد ويدبر المؤامرات لعلاء الدين وأسرته حتى أوقعه أخيراً سوء طويته فيما كان يدبره لهم من القتل فقتل ، ثم قطعوه إرباً وأرسلوا بكل عضو من أعضائه إلى قطر من الأقطار كما يشير الوصاف إلى ذلك (١) .

كذلك يذكر صاحب «الحوادث الجامعة» في أحداث سنة ٦٨١هـ أن السلطان تكودار أحمد بعد أن جلس على العرش أعاد الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين إلى منصبيهما ، بعد أن أبعدا عنهما بتأثير وشاية مجد الملك ، وسلم هذا إلى الصاحب علاء الدين فقتله قتلة شنيعة ، إذ أرسلت أطرافه إلى البلاد وسلخ رأسه وحمل إلى بغداد (٢) .

(١) وصاف ص ١٠٩

(٢) الحوادث الجامعة ص ٤١٩

خاتمة حياة المصنف ومصير أسرته :

أما نهاية المصنف فانه بعد جلوس السلطان أحمد بن هولاكو وقع خلاف شديد بينه وبين ابن أخيه أورغون بن آباقا بن هولاكو .

وكان شمس الدين وأخوه علاء الدين من ألزم الناس بالسلطان أحمد ومدبري أمور مملكته ، ولهذا حنق عليهما أورغون ، وكثيراً ما كان ينسب وفاة أبيه آباقا إلى تدبير شمس الدين . إذ يقال إنه مات مسموماً ، وكان هذا أيضاً سبباً في مضاعفة البغضاء عليهم .

وفي سنة ٦٨١ هـ قدم أورغون من خراسان إلى بغداد . فلما بلغها طلب جميع ما تحت يد علاء الدين ، وكان لهذا نائب يسمى « نجم الدين الأصغر » مات حديثاً في بغداد ، فأصدر أورغون أمراً حتى يخرجوه من المقبرة ويلقوه في الطريق .

فلما بلغ الخبر علاء الدين تألم كثيراً وأصابه صدام توفي به ، ودفن في الرابع من ذي الحجة سنة ٦٨١ هـ في بلدة تسمى « مغان » ثم جرى به إلى تبريز فووري التراب في مقبرة « جرنداب » وقد أسعفته المنية قبل أن يشارك بقية أفراد أسرته نهايتهم المشؤومة . فانهم شربوا كأساً مريرة في نهاية محزنة بعد ذلك بقليل .

فأخوه شمس الدين — الوزير الأعظم — منذ أواخر عهد هولاكو وابنيه آباقا وتكودار — أى ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً — لقي حتفه المشؤوم هو وأبناؤه بأمر أورغون سنة ٦٨٣ هـ

كذلك قتل حفيده على بن بهاء الدين بن شمس الدين في « كاشان » ، ويعتبر مدفنه مزاراً من المزارات التي تقصد ، وأصيب أخوه « على » بعلّة الصرع فمات بها عندما سمع بتلك الكوارث ، كذلك قبضوا على منصور بن علاء الدين في نفس السنة واستشهد على جسر بغداد .

وفي سنة ٦٩٣هـ وصل تبريز صاحب « تاريخ وصاف » ، وزار مقابر الأسرة في « جرنداب » مترجماً عليهم ، وأثبت في تاريخه وصفاً مؤثراً لخاتمة شمس الدين وأبنائه الأربعة يحيى وفرج الله ومسعود وأتابك ، وابن أخيه وبقية أفراد أسرهم وذلك في قصيدة ثبت منها ما يأتي :

يا جرنداب من مقابر تبريز	ز سقاك الحيا الملك الهامى
فلقد أطبقوا ثراك على	غر وجوه ، على خدود كرام
ضم شمساً مقرونة بعلاء	ونجوماً حكمت بدور التمام
سبعة قد بكت عليهم نجوم	سبعة في ضيائها والظلام
فرج الله ، ثم يحيى ، ومسعود	وهرون ، منجد المستضام
وأبوهم محمد ، قد تقضوا	وجميع قتلى بحد الحسام
وشجاني مشوى عطا ملك	صاحب ديوان ملك دارالسلام
فعلى تلکم القبور تحايا	مردفات من ربنا بالسلام ^(١)

ويتمثل وصاف كذلك بهذه الأبيات عندما مر بمقبرة علاء الدين .

عطفتنا ، فحيتنا مساعيه إنها	عظام المساعى ، لا العظام البوالييا
مررنا به فاستوقفتنا رسومه	كما استوقف الروضُ الأطباء الجواريا
وقفنا فأرخصنا الدموع وربما	تكون على سؤم الغرام غوالييا
ولما تجاهشنا البكاء ولم نطق	عن الوجد إقلاعاً، عذرنا البواكيا ^(٢)

السرى وأسرة الجوينى

كان الشاعر على صلوات قوية بالصاحبين ، علاء الدين وأخيه شمس الدين ، وهناك كثير من القصائد في مدحهما ، وبجانب ذلك يذكر الرواة قصصاً ترمى إلى صلاته بهما ومدى تقديرهما له .

(١) وصاف ص ١٤٣

(٢) نفس المصدر ص ١٤٢

فأما ما يدور حول قصته مع علاء الدين ، فإنه أرسل لعامله بشيراز عشرة آلاف دينار ليسلمها للشيخ — وكان إذ ذاك في معتكفه بمدينة — فلما بلغ الرسول شيراز كان العامل قد قضى نحبه لعدة أيام مضت ، فعاد الرسول ثانية ، ويقال إن الشيخ بعث بآيات إلى علاء الدين فهم منها أنه لم يسمع بأمر الرسول والمال ، وبلغ الخبر شمس الدين الجويني ، فبعث إلى أخيه علاء الدين ليرسل بخمسين ألف أخرى مشفوعة بالرجاء في قبولها ، لينفق منها الشيخ على ما يراه من وجوه الخير بشيراز .

تسلم الشيخ المال الذي أرسل إليه ، وجعل منه رباطا بقلعة قهندز (١) ومن هذا القبيل أيضاً قصة يسندها الرواة إلى شمس الدين نفسه ، فيقال إنه بعث إلى الشيخ بخمسمائة دينار مع غلام ، فاختم الغلام منها خلال الطريق مائة وخمسين ، فأدرك الشيخ ذلك فكتب إلى شمس الدين يرمز إليه بقوله :

« خواجه تشریفم فرستادی و مال مالت فزون باد و خصمت نایمال
هر بدینساریت سالی عمر باد تابمانی سپید و پنجاه مسال »
ومعناها « بعث لي مولاي خلعة ومالا . فليزد الله في مالك ، ويهلك أعدائك
وليمد في عمرك بقدر دنائرك ، فتعيش ثلثمائة وخمسين عاماً » .

أدرك شمس الدين أن المال الذي أرسل إل الشيخ قد نقص ، وعرف مقدار ما أخذ منه ، وتقول الرواية إنه ترضى الشيخ واعتذر له .

وقصة أخيرة تشير إلى تكريم الشيخ وإجلاله من الصالحين معاً ، ذلك أن الشيخ حينما عاد من أحد أسفاره إلى الحج في طريقه إلى تبريز ، اتفق أن رآهما قادمين في الطريق في صحبة آباقا ، فلما رأياه على بعد ، ترجلا في الحال ، وانحيا أمامه ، وقبل يديه ورجليه ، كما أظهره بالغ السرور بآبقائه . تعجب آباقا من ذلك وسألهما .

(١) کلیات فروغی ص ٤٢

مَنْ الشيخ ؟ فأجاباه إنه أبوهما ، ولما كان قد عرف أن أباهما توفي أنكر عليهما ذلك ، فقالا له إنه أبوهما وشيخهما « سعدى الشيرازى » . فسأله آباقا نصيحة ، فقال له الشيخ « إنك لا تستطيع أن تحمل من الدنيا إلى العقب شيئاً سوى الثواب أو العقاب، وأنت مخير بين الأمرين ، فطلب إليه آباقا نظم هذا المعنى شعراً ، فنظم الشيخ فى الحال بيتيه :

« شہی کہ حفظ رعیت نگاہ میدارد حلال بادخراجش کہ مزد چوہا نیست
وگر نہ راعی خلق است زہر مارش باد کہ ہرچہ میخورد او جزیہٴ مسلمان نیست»

ومعناها « إن المليك الذى يحافظ على الرعية ، ليكن حلالاً له ما يأخذه من الخراج ، فان لم يكن راع لها ، فليكن سماً زعافاً ما يأخذه من جزية المسلمين » .

بكى آباقا حين سمع هذين البيتين ، وسأل الشيخ عدة مرات ، هل أنا راع أم لا ؟ فيرد الشيخ إذا كنت راعياً فالبيت الأول ، وإلا فالبيت الآخر .

ويذهب الأستاذ القزوينى إلى أن هذه القصص يبدو عليها أثر الوضع والاتصال ، ولا تخلو فى وقائعها من المبالغة الظاهرة .

وسواء أوضحت القصص أم لم تصح ، فإنها لم تغير شيئاً من وقائع صلة الشيخ بالصاحبين، فصّلته بهما ثابتة قوية، إذ أسندت إليهما أكبر أعمال الدولة فى حكومة المغول ، وعرفا بالعدل والإنصاف ، وأقاما كثيراً من المنشآت الخيرية ، واهتما بأمر الرعية اهتماماً بالغاً ، وكانت مكانتهما فى البيئة الإسلامية فى المحيط الذى يعيشان فيه مكانة لا تدانيها مكانة ، شهد بها الكثيرون ممن عاصروهم أو أرخوا لهم .
وصلة الشاعر بهما تبدو من مدائحه فيهما ، وهذه المدائح من غرر ما نظمه الشاعر فضلاً عن كثرتها كثرة ملحوظة^(١) .

(١) أنظر مدائحه « فى علاء الدين » فى الصفحات الآتية من كليات فروغى

٤٣١ ، ٤٣٩ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ ، فى قسم القصائد وص ٧٣٨ فى قسم البدائع

وانظر مدائحه فى شمس الدين فى الصفحات الآتية من النسخة المذكورة .

٤٤٤ ، ٤٦٥ ، ٨١٥

وانظر سعدى نامه . قزوينى ص ١٥٥ - ١٦٠

الشاعر لم يرث أحداً من آل الجويش :

رأى هنرى ماسيه فى تعليل هذه الظاهرة والرد عليه :

وهذا شىء يستلفت النظر إلى حد ما ، ويدعو إلى التساؤل . ذلك أن الشاعر على مبلغ صلته بأسرة الجوينى وحرصه على مدحهم ، ومع امتداد الحياة به ، ومشاهدته ما حل بهم من تعذيب وتشريد وقتل ، مع كل هذا ، لم يثبت للشاعر — قطعاً — شىء فى رثائهم .

ألم يدرك الشاعر هذه المأساة ؟ ألم تهز حادثتهم مشاعره ؟ ألم يؤثر له مرث فى غيرهم أو مدائح بعد عهدهم ؟ .

كل هذا يدعو إلى التفكير .

وقد ذهب الأستاذ « هنرى ماسيه » فى تعليقه لهذه الظاهرة مذهباً لائزاه معه . ونحن نعرضه ونناقشه .

يرى أن الشاعر إما توفى قبل وفاة عطا ملك الجوينى ونزول النكبة بأخيه وأبنائه ، وإما كانت وفاته بعد هذه الحوادث بقليل ، تلك الحوادث التى حدثت ما بين سنة ٦٨١هـ وسنة ٦٨٣هـ وبهذا يعلل سكوت الشاعر عن رثاء هذه الأسرة . ونحن نثبت — أولاً — النص الذى ورد فيه هذا رأى منقولاً عن دائرة المعارف الإسلامية فى موضوع « سعدى الشيرازى » . ثم نرد عليه . ونأخذ بعد ذلك فى تعليل هذه الظاهرة بما يعن لنا . وبما يرتبط بحوادث العصر ، وتاريخ الشاعر نفسه .

As in S'a di's works there is no allusion whatever to the tragical death of both the brothers, D. Juwaini (1282 — 1283) Massé thinks that the Poet have died before, or very shortly after these events.

ونحن نرد على هذا رأى بالأمور الآتية :

. أولاً — ثبت عند الرواة أن الشاعر توفى بعد نكبة الجوينيين . فعلاء الدين .

توفى سنة ٦٨١ هـ كما أسلفنا . وشمس الدين وأولاده وأبناء علاء الدين أصيبوا بالكارثة سنة ٦٨٣ هـ .

ثانياً — مع اختلاف الرواة في تحديد وفاة الشاعر ، فإنهم جعلوها بعد هذين التاريخين بثمانى سنوات على أقل احتمال ، وبأثنى عشرة سنة على أبعد احتمال ، ويشير إلى هذا الأستاذ عباس إقبال فى قوله : « در خصوص أيام حیات سعدى امر محقق اینکه او در یکى از سنوات ٦٩٠ با ٦٩١ یا ٦٩٤ هـ فوت کرده »^(١) وسنرى فيما يأتى عند التعرض لحياة الشاعر نفسه ، أن هناك شبه اتفاق بين المؤرخين على رأى الذى يقول بوفاة الشاعر سنة ٦٩١ هـ . وهو الرأى الذى قال به دولتشاه^(٢) .

ثالثاً — ثبت من مدائح الشاعر أنه عرض فى إحداها لمدح أحد ولاة شيراز سنة ٦٨٦ هـ ذلك هو — كما يقول الأستاذ القزوينى — مجد الدين أسعد الرومى . والذى ظل فى منصبه حتى ٦٨٨ هـ . ويستمد هذا من عبارة لصاحب « شيرازنامه » . يقول الأستاذ القزوينى فى عبارته : « مجد الدين بن أسعد رومى بتصریح صاحب شيراز نامه^(٣) ، درسند ششصد و هشتاد و شش ، يعنى در اواسط عهد اورغون بى حكومت شيراز منصوب شد ، و تاسنه ششصد و هشتاد و هشت در آن وظیفه باقى بود^(٤) » .

يثبت من هذا أن الشاعر مدح أحد الحكام فى عهد اورغون خان وأن الحياة قد امتدت به حتى تلك السنة . وهذه القصيدة التى نظمها سعدى فى مجد الدين مطلعها :

« جهان برآب نهادست وزندگى برباد غلام همت آنم كه دل بدون نهاد »

(١) عباس إقبال — سعدى نامه ص ١٦

(٢) تذكرة الشعراء — دولتشاه ص ٢٠٩ . طبعة ليدن .

(٣) شيراز نامه ص ٧٢—٧٣ (٤) سعدى نامه ص ١٤٦

يثبت من هذا — في غير تردد — أن الشاعر توفي بعد هذه السنوات
كما رأينا ، وكما ذكره الرواة ، وجرت به وقائع حياة الشاعر .

تفسير هذه الظاهرة :

يمكن تعليلنا لهذه الظاهرة بالأمور الآتية ، مستمدة من منطق الحوادث ،
ومن طبيعة الشاعر نفسه .

أولاً — في هذا التاريخ ما بين سنة ٦٨٣ هـ و ٦٩٠ هـ وقع العالم تحت تأثير
تلك السياسة العنيفة التي اتبعها أورغون ورجال حكومته في الولايات الإسلامية ،
وعصفت بالعالم الإسلامي في ذلك المحيط تلك العواصف المريعة ، وأصيب بتلك
النكسة القاتلة التي أشرنا إليها سابقاً ، والتي بدأت بحكم أورغون في أعقاب مقتل
السلطان أحمد ، فكمت الأفواه ، واحتبست الأنفاس في الصدور ، وانطوت
القلوب على لوعة حرى .

فلم يتمكن الشاعر من أن يعرض إحساسه . ولم يجبس المدامع بجفنيه بحسب
كما صور رثاءه للخليفة ، ولكنه هنا حبس أنفاسه في صدره أيضاً ، ولم يستطع هو أو
غيره — تحت ظلال هذا الإرهاب — أن ينبس ببنت شفة في قوم قضى عليهم
الحاكم العام بمثل تلك النهاية ، وإلا كان معادياً للحكومة الرئيسية فيعرض نفسه
لشدائد لا طاقة له باحتمالها .

ثانياً — ويمكن بالإضافة إلى هذا العامل قولنا إن الشاعر كان في هذا الوقت
— من أخريات حياته — معتكفاً في شيراز لا يساهم بالكثير أو بالقليل في مجرى
السياسة العامة في الدولة وتصوير ما يجد فيها من الحوادث ، وكان موطن التوجيه
السياسي العام في غير شيراز ، بل في غير فارس نفسها ، فاعتكف الشاعر في تلك
الظروف ، ورضى أن يقنع في عقر داره ، يستمع للأحداث العامة في الدولة دون

أن يفصح عنها أو يعبر عن رأيه فيها ، وإن كان هذا لم يمنع من اتصاله الضيق ببعض الحكام الذين كانوا في فارس أو شيراز نفسها ، الذين رأى فيهم أنهم يؤدون خدمات جليلة لموطنه .

ثالثاً — يلاحظ كذلك أن الشاعر كان مقلاً في مدائحه ، وكان مقلاً أكثر من ذلك في مراثيه ، وكان المدح كما يقول الشاعر مخالفاً لطبعه . يقول عند ما أقدم على مدح حاكم شيراز « أبي بكر بن سعد » حاكم ولايته الذي هز مشاعره ، وقدم له كتابه البوسيتان مشيراً إلى أن المدح ليس من طبعه .

« مرا طبع أزين نوع خواهان نبود سر مدحت پادشاهان نبود »

ومعناه « ليس لي طبع الراغبين في هذا النوع ، وهو أن أمدح السادة الملوك » .

رابعاً — ونحن يمكن أن نقسم مراثيه — على قلتها — إلى نوعين :

نوع رثى فيه أشخاصاً داخل موطنه من رجال حكومة الأتابكة الذين عاصروهم ، أو من الولاة الذين تولوا أمرها من أبناء وطنه تحت إشراف حكومة المغول .

ونوع رثى فيه جماعة خارج موطنه ، في الموطن الإسلامي العام .

فمن النوع الأول رثاؤه لأبي بكر بن سعد ، وابنه سعد بن أبي بكر ، ووزيرها فخر الدين أبي بكر (١) ومرثية أخيرة لرجل من عطاء شيراز يسمى عز الدين أحمد بن يوسف (٢) .

هذه هي مراثي الشاعر في أشخاص حكموا شيراز أو كانوا ذوي صلة بحكومتها . أما مراثيه في أشخاص خارج شيراز فلم توجد له مرث — قطعاً — في غير الخليفة المستعصم في مرثيته اللتين أشرنا إليهما سابقاً .

ومن المعروف أن نهاية الخليفة طوت معها نهاية الخلافة أيضاً في حادثة هزت

(٢) المصدر نفسه ص ١٦١

(١) سعدى نامه ص ١٣٢—١٣٣

جوانب العالم الإسلامي كله ، فتناول الشعراء والأدباء — كل في موطنه — هذه الحادثة وأظهروا شعورهم نحوها بما فاضت به قرائنهم ، وكانت مساهمة « سعدى » في رثائه للخليفة مشاركة منه للشعور الإسلامي العام من جانب ، وإظهاراً لما يكنه نحو الخلافة وموطنها بغداد من جانب آخر . فيبدو في هاتين المرثيتين مدى شعوره بالمرارة أيضاً على بغداد ، وفقدانها سطوة الملك وبهاء السلطان ، وهي المدينة التي كان لها في نفسه أكبر الذكريات حيث تناول فيها علومه الأولى .

وهكذا نرى الشاعر مقلاً في مراثيه ، فلا غرابة ألا يرثي أحداً خارج موطنه غير الخليفة ، ولا مبرر أن نلتمس لهذا بعض الأسباب التي تجانب الواقع ، إن كان لا بد لنا أن نعلل سكوت الشاعر عن رثائه لهذه الأسرة .

الفصل الثالث

ولاية فارس ومطامرها في القرن السابع الهجري

اصل التسمية واقسامها :

تشمل هذه التسمية منطقة في إيران ، تقع إلى الجنوب الغربي منها فيما يجاور الخليج الفارسي ، وحوض الدجلة والفرات . وترجع هذه التسمية إلى عهد الدولة الأسطورية الأولى ، التي تسمى بالپيشدادية ، إذ يقال إنها أخذت من « فارس ابن طهمورث ^(١) » أحد ملوكها .

ومن المؤرخين من يرجعها إلى اسم « بهلوان سام بن نوح ^(٢) » ثم استخدمت هذه الكلمة فيما بعد للدلالة على المملكة نفسها ^(٣) .

وكانت مملكة فارس قديماً ، تمتد من نهر جيحون حتى حوض نهر الدجلة والفرات ^(٤) ، ثم قصرت دلالتها على الولاية الجنوبية الغربية .

وكانت هذه الولاية تمتد مائة وخمسين فرسخاً في مثلها، بشكل مربع التكوين. يتاخم ركنها الشمالي أصفهان وكورها ، والشرقي كرمان وكورها ، والجنوبي المحيط الهندي ، والغربي خوزستان وكورها ^(٥) .

وكان لهذا الإقليم مكانته منذ القدم ، ففيه نشأت الدولة الأولى ، وفيه

(١) حاشية الشاهنامه العربية ج ١ ص ٢٠ للدكتور عزام بك وانظر أحسن

التقسيم ص ٤٢١

(٢) فارس نامه ص ١١٩ - ١٢٠

(٣) شیراز نامه ص ١٤

(٤) فارس نامه ص ١٢١

(٥) شیراز نامه ص ١٥

ظهرت الحضارة القديمة ، وفيه اتخذت أول عاصمة وهي اصطخر فارس ، ولا تزال فيه حتى الآن معالم تلك الحضارة القديمة . وتطور الزمن بهذا الإقليم فحكته دول قبل الإسلام . كان آخرها دولة آل ساسان ، فلما جاء الإسلام أشاد به كثير من المؤرخين .

ويذكر « ابن البلخي » حديثاً عن النبي عليه السلام قوله « لو كان هذا العلم معلقاً بالثريا لناله رجال من فارس^(١) » . ويروي صاحب شيرازنامه هذا الحديث على رواية أخرى يجعل كلمة الدين بدل العلم^(٢) .

ويورد صاحب « نزهة القلوب » قوله عليه السلام « إن الله خير بين خلقه من العرب قريشا ومن العجم فارسا^(٣) » .

والأمر لا يقف عند هذا في تمجيد أبناء ذلك الإقليم ، بل يذهب بعض المفسرين إلى أن القرآن وردت فيه إشارات إليه وإلى أبنائه في مواضع مختلفة ، فالآية « بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد » يرى بعض المفسرين أنها تشير إلى اعتداء اليهود على سيدنا زكريا ويحيى بالقتل ، فأرسل الله عليهم « كودرز الأشكاني » من أبناء فارس . كما يرى بعضهم أيضاً في قوله تعالى « ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون » أن ذلك إشارة إلى أبناء فارس^(٤) .

ويذكر ابن البلخي عن النبي عليه السلام — وقد سئل — لماذا هلك عاد وثمود ومن جاراتهم سريعاً وامتد ملك الفرس مع عبادتهم للنار ؟ فقال « لأنهم صمروا البلاد وعدلوا في العباد^(٥) » .

(٢) شيرازنامه ص ١٥

(٤) شيرازنامه ص ١٥

(١) فارس نامه ص ٧

(٣) نزهة القلوب ص ١١٢

(٥) فارس نامه ص ٥

أما أقسامها فيذكر « البشارى » فى كتابه « أحسن التقاسيم » أنها تحتوى ست كور.. هى — من ناحية خوزستان — فى حدها الغربى كما يأتى: « أرجان . أرد شیرخړه . داراب جرد . شیراز . شاپور . اصطخر ^(١) » لكن ابن البلخى يجعلها خمس كور..هى: « اصطخر . دارابجرد . أرد شیرخړه . شاپور خوره . قباد خوره ^(٢) » ويأخذ عنه هذا التقسيم صاحب «شیرازنامه ^(٣)» وصاحب « نزهة القلوب ^(٤) » . هذه هى أقسام فارس وكورها التى ذهب إليها المؤرخون .

فارس فى ظل الاسلام :

منذ عهد الإسلام الأول وعيون المسلمين تتطلع إلى فتح هذا الإقليم ، كما كانوا يرسلون إليه الكثير من الناس للتعرف على أحواله . فى عهد الحجاج أرسل من قبله — حين كان على العراق — من ينقل إليه أخباره ، فلما عاد وصفه بقوله « جبال ورجال وفيه من كل بلد بلد ^(٥) » .

وكانت الجيوش العربية قبل أن تدخل فارس تعسكر فى موضعين : أحدها بالكوفة شمالاً ، والآخر بالبصرة جنوباً ، ونفذت الجيوش التى كانت تعسكر فى البصرة إلى فتح البلاد المجاورة لها ، ففتحت البحرين وعمان ومكران وكرمان وفارس وخوزستان ، وكانت هذه البلاد من مضافات البصرة ^(٦) .

وبدخول الإسلام بلاد فارس أقيمت بها المساجد ، وهدمت أبنية الكفر ^(٧) ومهد الفتح أمام السياح والمؤرخين فدخلها كثير من المسلمين ، كما كانت نقطة ارتكاز اتسع منها الفتح شرقاً إلى الهند وأواسط آسيا .

ويشبه « المقدسى » طبيعتها وجوها بإقليم الشام . إذ يقول عنها حين سئل

(٢) فارس نامه ص ١٢١

(٤) نزهة القلوب ص ١١٣

(٦) فارس نامه ص ١٢٠

(١) أحسن التقاسيم ص ٤٢١

(٣) شیراز نامه ص ١٥

(٥) فارس نامه ص ٤

(٧) شیراز نامه ص ١٧

كيف وجَدَتْ فارس؟ . يجيب « وجدتها أشبه الأقاليم بالشام ، لأنها تجمع
أضداد الثمار ، وبها جروم ، وسرود (١) ومعتلات وجبال مشجرة عامرة ،
وعسل وزيتون ، وبركات ، لم أرها بعد الشام إلا بفارس » ، ثم يمضى فيقول
« إلا أنه معدن الجور والفساد ، حار الأطراف ، بارد السرود ، ورسوم الجوس
به ظاهرة ، وأكثر الضياع مقطعة (٢) » .

شيراز :

في هذا الإقليم الجنوبي الغربي قامت — وسطه تقريباً — مدينة جديدة
إسلامية ، نقلت إليها دفة الملك بعد العاصمة القديمة اصطخر ، تلك العاصمة التي
ظلت حاضرة الإقليم حقبة طويلة من الزمن .

ففي عهد عبد الملك بن مروان — حين كان الحجاج عاملاً على العراق —
جعل أخاه محمداً بن يوسف نائباً عنه في إدارة هذا الإقليم ، فأسس مدينة شيراز (٣)
ومن الآراء ما يجعل هذه المدينة أقدم في تاريخها من ذلك ، إذ يقال إن « شيراز
ابن فارس » هو الذي بناها قديماً ، وإنما مصرها المسلمون حين فتحوا الإقليم
واستطابها الملوك فنزلوا بها (٤) .

ويذكر صاحب « شيرازنامه » أن ملوك العجم القدماء كانوا يظنون مكانها
صومعة سليمان ، ومن هذا كانوا يتفاءلون بها (٥) .

ويزعم بعض المؤرخين أن السبب الذي دفع « محمداً بن يوسف الثقفي » إلى بنائها
أنه رأى في المنام جماعة من أهل الكرامة تهبط في مكانها ، وقالوا له سيظهر فيها
آلاف من رجال التصوف ، وستكون منبعاً للحكمة والطهارة ، كذلك يقال إنه

(١) الكلمة معربة عن گرم بالفارسية بمعنى حار . وسرد بمعنى بارد .

(٢) فارس نامه ص ١٣٢

(٣) أحسن التقاسيم ص ٤٢١

(٤) شيراز نامه ص ٢٠

(٥) أحسن التقاسيم ص ٤٢٣

رأى فى منامه يخطط دائرة فى مكانها ، ولهذا استدعى المهندسين وأمرهم أن يقيموا بناء شيراز (١) . ومن الآراء ما يجعل عمارتها قد جددت على يد « محمد بن القاسم ابن عقيل » ابن عم محمد بن يوسف الثقفى سنة ٧٤ هـ (٢) .

وظلت عمارت هذه المدينة تزيد على الزمن، وفى عهد عمر بن عبد العزيز أنشئ بها بعض المساجد ، وأسس بها عمر بن الليث مسجداً سماه المسجد العتيق (٣) .

فلما انتقل ملك المدينة إلى الديالة زادت عمارتها كثيراً ، وأول من غلب عليها ، « على بن بويه » فلما توفى تولى بعده ابن أخيه « عضد الدولة » الذى تبناه من قبل (٤) ، وفى عهده ذاع صيتها وانتشر خبر رفاهية الحياة بها فى جميع الأقطار فقصدها كثير من الناس ، وجلب إليها كثيراً من رجال الجيش وأقامهم بها حتى ضاق اتساعها ، فأنشأ خارجها مكاناً سماه « كردفنا خسرو » (٥) يصفه صاحب شيرازنامه « أنه كان مدينة كبيرة أقام وسطها سوقاً بلغ ما يحصل منه سنوياً ستة عشر ألف دينار ، كانت ترسل إلى ديوان عضد الدولة » ، ولم يبق من ذلك المكان حتى — عهد صاحب شيرازنامه — شيئاً ، وكان العامة يطلقون على مكانه « سوق الأمير » (٦) .

وفى عهد « صمصام الدولة بن عضد الدولة » (٧) رأى أن يقيم عليها سوراً ، لكن صاحب « مراصد الاطلاع » يقول إن الذى بنى هذا السور هو « أبوكاليجار » ويجعل طوله اثنى عشر ألف ذراع وعرض حائطه ثمانية أذرع (٨) .

أما أحسن أبنيتها ، فدار شيدها عضد الدولة يصفها « المقدسى » وصفاً يدل على مقدار عظمتها ، يقول : « وبنى بشيراز داراً لم أر فى شرق ولا فى غرب مثلاً ، ما دخلها عامى إلا افتتن بها ، ولا عارف إلا استدلل بها على نعمة الجنة وطيبها ،

- | | |
|-----------------------|-----------------------------|
| (١) شيرازنامه ص ٢١ | (٢) نزهة القلوب ص ١١٤ |
| (٣) شيرازنامه ص ٢٤ | (٤) أحسن التقاسيم ص ٤٤٩ |
| (٥) فارس نامه ص ١٣٢ | (٦) شيرازنامه ص ٢٥ |
| (٧) نزهة القلوب ص ١١٤ | (٨) مراصد الاطلاع ج ٢ ص ١٣٩ |

وخرق فيها الأنهار ، ونصب عليها القباب ، وأحاطها بالبساتين والأشجار ، وحفر فيها الحياض ، وجمع فيها المرافق والعدد ، وسمعت رئيس القراشين يقول « فيها ثلثمائة وستون حجرة ودارا » .

ثم يصف خزانة الكتب التي بها بقوله « وخزانة الكتب على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ، ولم يبق كتاب صنف إلى وقته - من أنواع العلوم كلها - إلا وحصله فيها . . والدفاتر فيها منضدة على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرسات ، فيها أسامى الكتب لا يدخلها إلا وجيه ، وطُفَّت في هذه الدار كلها أسفلها وعلوها » ، وهكذا يمضي « المقدسى » في عبارته إلى أن يختتمها بقوله : « وأظنه بناها على ما سمع من أخبار اللجنة » (١) . ثم تناوب شيراز الضعف وأصبحت - آخر عهد الديلمة - بأحداث جسام قضت على رونقها وبهاؤها (٢) ، وأدت إلى تخريب كثير من عمارتها (٣) .

فإذا انتقلت الولاية إلى حكم السلاجقة ، ظلت كذلك عاصمة الإقليم نفسه ، وقد بدأ هؤلاء حكمهم فيها سنة ٤٥٨ هـ . وبقيت تحت حوزتهم خمسة وثمانين عاما ، حتى تولى أمرها « الأتابكة السلغريون » فاستقلوا بالولاية ، وأقاموا حكومتهم في عاصمتها .

ولما حل السلاجقة أعادوا تجديد ما خرب منها ، كما وجهوا عنايتهم أيضاً إلى الإنشاء ، فأقاموا المدارس ، وأوقفوا عليها كثيراً من الخيرات (٤) .

فلما انتقلت هذه الولاية إلى حكم الأتابكة سنة ٥٤٣ هـ ، أخذ شأنها في عهدهم يعلو شيئاً فشيئاً ، وبلغت ذروتها في عهد « أبي بكر بن سعد »

(١) أحسن التقاسيم ص ٤٤٩

(٢) فارس نامه ص ١٣٣

(٣) شيراز نامه ص ٢٦

(٤) شيراز نامه ص ٢٤

وسنعرض إلى الكلام على مكانتها العلمية في عهد هذا الأمير ، ومدى ما كانت عليه من الرخاء وسعة العيش وأمن الحياة ، بالإضافة إلى ما بيناه سابقاً — من وصف الشاعر لها في عهده ، ووصفه هذا الوطن بالحرم الآمن يحج إليه الناس من كل فج عميق .

ونضيف إلى هذا ما قاله فيها صاحب « شيراز نامه » شعراً ^(١) :

بها يسكن الطبع النفور ويغتدى	بأنس من قلب المقيم قريعتها
يحن إليها كل قلب كأنها	يشاد برنات القلوب ربوعها
فكل ليالى عيشها زمن الصبا	وكل فصول الدهر فيها ربيعها

فارس قبيل حكومة الأتابكة

انتقلت فارس إلى أيدي السلاجقة منتصف القرن الخامس ، بعد أن كانت تابعة لحكومة آل بويه ، إذ انتزعها منهم السلطان « ألب أرسلان السلجوقي » سنة ٤٥٨ هـ ^(٢) . وبقيت فارس يتولى شئونها نواب عن السلطان الحقيقي مدى خمسة وثمانين عاماً ، تقلد الحكم فيها ستة حكام هم : « فضلوويه شبانكاره » ، وركن الدين خمارتكين ، والأتابك جاولى ، والأتابك قراچه ، والأتابك منكوبرس ، والأتابك بزابه » ^(٣) .

وكان « فضلوويه » حاكماً معيناً من قبل الديلمة ، فلما انتقل حكم فارس إلى السلاجقة أقر على البقاء في الولاية ، حاكماً عليها في عهد السلطان « ألب أرسلان السلجوقي » . ولكن سرعان ما اضطربت الأمور بينهما ، فسار إليه نظام الملك

(٢) وصال ص ١٤٨

(١) شيراز نامه ص ٢٢

(٣) حبيب السير ص ١٢٧

ليرده عن عصيانه ، فتحصن فضلو به بقلعة اصطخر ، فحاصره بها نظام الملك وقتله فيها . وفي هذا يقول الشاعر :

فضل من الله العزيز ونعمة كُفَّت فضول البغي من فضولون^(١)
وبانقضاء أيامه على فارس انتهت سلطة الديلمة وبدأ سلطان السلاجقة .

فلما انتقل الملك إلى هؤلاء ، تخيروا جماعة — ممن كانوا يقومون في بلاطهم ببعض الوظائف — إلى إدارة الأقاليم التي دخلت في حوزتهم ، وكان من بين هؤلاء رئيس أسرة الخوارز مشاهيين المسمى « آنوشتكين » فقد كان تركي الأصل يعيش في بلاط السلاجقة ، ولده ملكشاه ولاية خوارزم ، ومنه تأسست أسرة « ملوك خوارزم »^(٢) ومنهم أيضاً « نغ تكين » مملوك تكش السلجوقي مؤسس أسرة الأتابكة في دمشق^(٣) .

ويلاحظ أن أغلبية ولاية السلاجقة على فارس كانوا يلقبون « بالأتابك » ابتداء من جلال الدين الجاولي . فهو أول من لقب به من نوابهم^(٤) ، وكل من خلفه على الحكم من النواب تمتع به كذلك .

فما معناه ؟ وهل له علاقة بتلك الأعمال الإدارية ؟ وكيف اتسع حتى سمعنا عن انتشاره بين حكام الولايات المختلفة في طول إمبراطورية السلاجقة وعرضها ؟ . الكلمة تركية الأصل « أتا » بمعنى الجد أو الأب . وكلمة « بك أو بيك » لقب أو رتبة . ويفسر ابن الأثير هذه الكلمة « بالأمير الوالد » ومن عبارته في « نظام الملك » على لسان « ملكشاه » قد رددت الأمور كلها ، كبيرها وصغيرها

(١) . شيراز نامه ص ٣١٩ (٢) تاريخ گزیده ص ٤٨٦

(٣) مقدمة شيراز نامه — ص . ل .

(٤) و صاف ص ١٣٨ وحبيب السير ص ١٢٧

إليك ، فأنت الوالد ، وحلف له وأقطعته إقطاعاً زائداً على ما كان من جملة طوس مدينة نظام الملك ، وخلع عليه ولقبه ألقاباً من جملة « أتاك » ومعناه « الأمير الوالد »^(١) ، فظهر من كفايته ، وشجاعته ، وحسن سيرته ، ماهو مشهور .

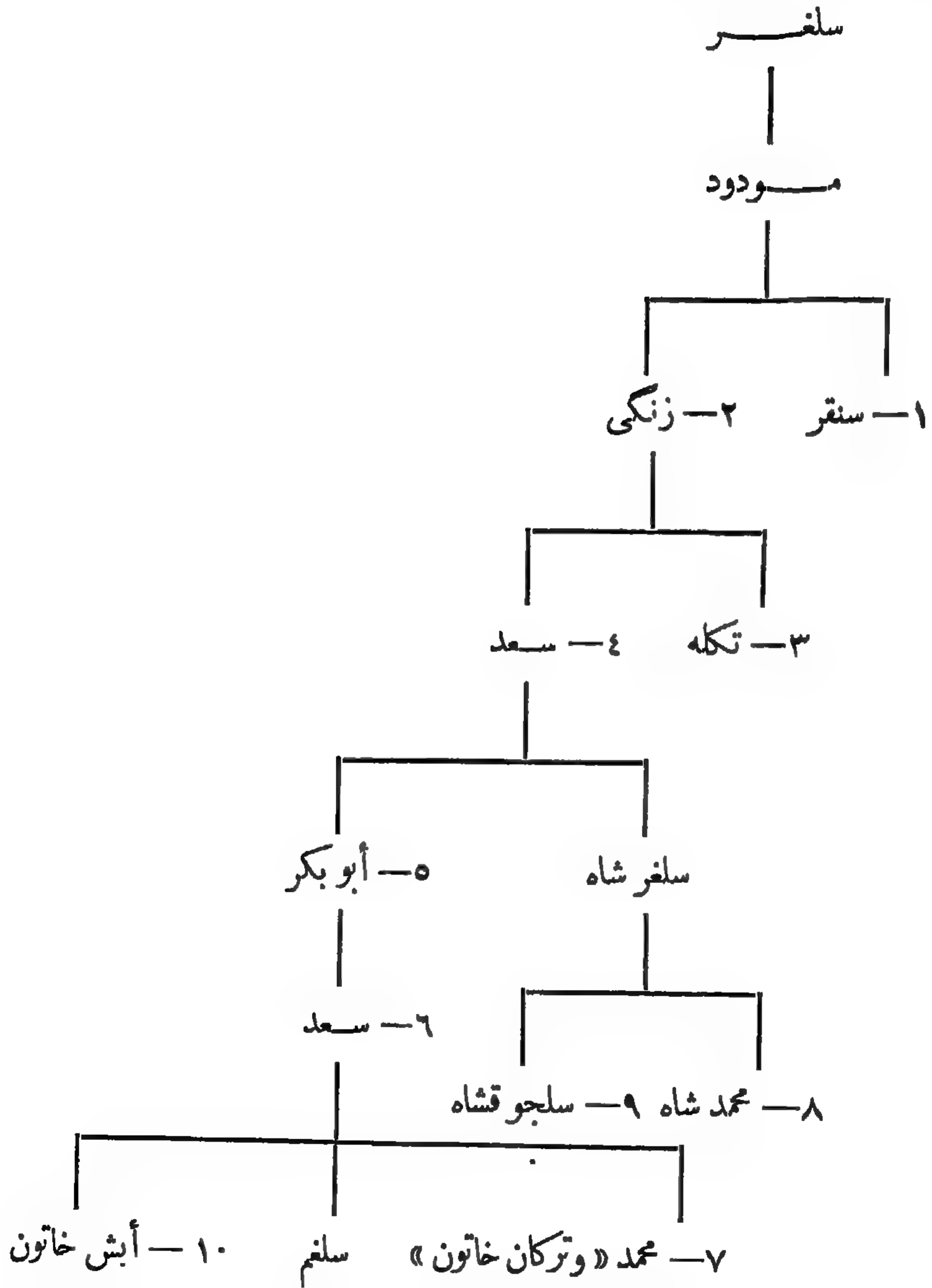
واستعملها المؤرخون المحدثون من الإيرانيين بمعنى « نائب السلطنة » فيذكر الأستاذ « بهمن كرمي » في مقدمته على كتاب « شيراز نامه » أن السلاجقة لم تكن لهم دراية بالأمور الإدارية . وإنما كانوا يوصفون بالشجاعة والقوة لا بحسن السياسة ، وذلك راجع إلى حياتهم البدوية . فاختر كل واحد منهم في إدارة شئون مملكته جماعة ممن يطمثون إليهم ، من مماليكهم الأوفياء ، وأغلب هؤلاء المماليك كانوا ممن وفدوا من بلاد القفجاق . ثم يمضي فيقول :

« فلما زال عصر السلاجقة الكبار ، وضعف ولاية العهد بعدهم عن إدارة شئون الدولة ، وجزئت دولتهم ، رفع مماليك السلاجقة كل واحد من الأمراء إلى كرسى السلطنة ، وجعلوا يديرون دفة الأمور عنهم باسم « نائب السلطنة » أو باسم « أتاك » . وبعد مدة ، تقلص حكم السلاجقة ، فاستولوا هم على السلطان واستقلوا في ولاياتهم »^(٢) .

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ٣٣ . المطبعة الأزهرية . (٢) مقدمة شيراز نامه ص ل .

أتابكة فارس

نستطيع أن نصور أعضاء بيت الأتابكة — الذين نعرفهم تاريخياً —
بهذه الشجرة . وندل على ترتيب من حكم منهم .



أصل هذه الأسرة من بلاد القفقاق ، ترجع إلى قبائل تركمانية الأصل .
 زحفوا على إمبراطورية السلاجقة ، حينما أدركها الضعف والانحلال^(١) . ويجعل
 صاحب « حبيب السير » مجموع هؤلاء التركمانيين خمسين ألفاً ، تفرقوا في
 الأطراف ، وكان من بينهم « سلغر » وأبناؤه وأتباعه . نزلوا بخراسان ، ونشروا
 الفتنة في تلك الجهات ، وأشاعوا الاضطراب ، حتى اضطر السلاجقة أن يضموه
 إلى جانبهم ، فولوه منصب الحجابة ، ثم نزع هو وأولاده وأتباعه إلى إقليم
 فارس^(٢) .

كان بين ابنه « مودود » وبين الأتابك « بزابة » صداقة . رغب هذا في
 الرحيل إلى أصفهان ، فاستدعى « مودودا » ليقيمه على فارس مكانه ، ولكن « بزابة »
 لقي حثفه بعيداً عن فارس . فطمع هذا في الملك وشجعه عليه ضعف السلاجقة .
 وانتهى الأمر بأن حوّل السلطان لأسرته^(٣)

١ — سنقر بن مودود : ٥٤٣ — ٥٥٨ هـ

تولى الحكم سنة ٥٤٣ هـ وارتفع شأنه ، وهو أول من وضع تاج السلطنة على
 رأسه من أعضاء هذه الأسرة^(٤) ، وسار في الرعية بالعدل والإنصاف ، ووقعت
 بينه وبين حاكم خوزستان مصادمات عنيفة انتهت بانتصاره عليه . وكان من
 منشأته بشيراز رباط سمي باسمه . وكذلك شيد مسجداً يعد من أهم مساجد شيراز^(٥)
 يعتبره صاحب تاريخ كزیده من مساجد الجمع^(٦) . وكانت وفاته سنة ٥٥٨ هـ
 وامتدت حكومته أربعة عشر عاماً .

(٢) حبيب السير ص ١٢٧

(٤) وصصاف ص ١٤٩

(٦) تاريخ كزیده ص ٥٠٥

(١) وصصاف ص ١٤٨

(٣) شيراز نامه ص ٤٨

(٥) شيراز نامه ص ٥٠

٢ — زنگى بن مودود : ٥٥٨ — ٥٧١ هـ

ما كاد يستولى على العرش حتى ائتمر به بعض رجال أسرته ، لإقصائه عن الملك ، وتتويج أحدهم المسمى « ألب أرسلان ^(١) » .

لكن المؤامرة افتضح أمرها قبل أن يتمكنوا من تنفيذها ، فراسل « أرسلان ابن طغرل » وطلب منه النجدة ، فأسغفه بها ، وسأله أن يقره على البقاء فى الملك فأجابه إلى ذلك ^(٢) .

وكان من منشآته بشيراز ، تجديد مزار الشيخ « أبى عبد الله محمد بن الخفيف الشيرازى » ، وأقام بجانبه رباطاً أوقف عليه أوقافاً كثيرة ، وامتد حكمه أربعة عشر عاماً ، وتوفى سنة ٥٧١ هـ ^(٣) .

٣ — تكله بن زنگى : ٥٧١ — ٥٩١ هـ

تولى العرش بعد أبيه ، عقب وفاته ، وثار عليه أحد أتاكبة آزرىيجان المسمى « جهان بهلوان » إذ انتهز فرصة خلو شيراز من الجيش ، فاتجه نحوها وأعمل القتل فى أهلها . لكن الأتابك « تكله » تغلب عليه وهزمه ^(٤) . كذلك خرج عليه ابن عمه « طغرل بن سنقر » وجمع جيشاً ، وقدم به شيراز ، لكن الحرب لم تدم طويلاً بينهما ، فأسره « تكله » وقضى على ثورته ^(٥) .

ويقال إنه تخير شخصية عظيمة من رجال فارس ليسند إليها منصب الوزارة ، ذلك هو « أمين الدولة الكازرونى ^(٥) » ، وأطلق يده فى تدبير شئون الدولة . كان هذا الرجل مشهوراً بالتقوى والصلاح ، فأنشأ رباطاً ومدرسة اشتهرت بمدرسة « أمينى » ^(٦) أقامها قرب المسجد العتيق .

(٢) تاريخ كزبده ص ٥٠٥

(٤) وصال ص ١٥٠

(٦) حبيب السير ص ١٢٨

(١) شيراز نامه ص ٥١

(٣) حبيب السير ص ١٢٨

(٥) شيراز نامه ص ٥١

وقد بسط تكله العدل في ولايته ، حتى امتدحه أحد الشعراء المسمى
« عز الدين السحمة » بقصيدة جاء فيها :

لعمر المعالي إن « تكلة » قد حوى من الملك ما لم يحو منه أعاجمه
فأين أنوشروان منه وعدله وأين سليمان النبي وخاتميه
تفرد بالآفاق « تكلة » شاهنا فلا من يحاربه ، ولا من يقاومه^(١)
وكانت وفاة تكلة بن زنگي سنة ٥٩١ هـ ، وامتد حكمه عشرين عاماً .

٤ — سعد بن زنگي : ٥٩١ — ٦٢٣ هـ

كان سعد من الشجاعة ، والقوة ، وسعة الحيلة ، والمران السياسي ، ما جعله
يمكن لدولته الناشئة ، بل يمد نفوذه ، وفتوحاته إلى غيرها . تولى شئون الدولة
وهي مقبلة على قحط ألم بها ، لم تشهد له مثيلاً من قبل ، حتى اضطر الناس أن
يأكلوا كل ما يمكن أكله ، ثم أعقبه وباء كبير أهلك كثيراً من الناس^(٢) .

وقد واجهته أحداث خارجية ، اضطر لأن يخوض غمارها لينقذ إمارته من
هولها . ففي سنة ٦٠٠ هـ أغار عليه الأتابك « أزيك بن بهلوان » مع شخص
آخر يسمى « كلجه »^(٣) . وقصداً شيراز ، وأعمالاً فيها غارة شعواء ، وفتكا
بأهلها . وفي هذا يقول الشاعر « عز الدين بنجره » :

ألا هات السلاف ولا تشجه فقد زج الأسى في القلب زجه
وضاق عليّ من أسفٍ إهابي لعمري أطرت لو صادفت فرجه
لعلّي أن طربت ذهبت غما تعال الناس من فتكات كلجه
أطال غلابنا وجنى أذانا وأتلف مالنا من غير حجة

(١) شيراز نامه ص ٥١

(٢) تاريخ كزیده ص ١٠٦

(٣) وصف ص ١٥٢

وقائلة إلام يكون نحسى فقلت إلى بلوغ السعد برجه (١)

على أنه لم تكد فارس تتنفس من هول هذه الغارة ، حتى فوجئت بغارة أخرى سنة ٦٠٢ هـ ، شنها عليها السلطان « غياث الدين بن السلطان محمد خوارزمشاه » . كان أبوه قد ولاه « كرمان » في حياته فاشتهر بسلطان كرمان ، ثم ذهب أول عهده إلى العراق وانضم إليه جماعة من أتباع أبيه هناك ، واتفق معهم على حرب « الأتابك سعد » واتجهوا نحو فارس ، وهزم الأتابك ، وعانت إمارته من تخريب « غياث الدين » الأمرين ، ثم عاد عنها (٢) .

حروبه وسياسته الخارجية :

بعد أن اجتازت إمارته تلك الحن ، التي واجهته في مستهل توليته العرش ، وجه عنايته إلى تدبير شئونه ، ثم أخذ يمهّد للفتوحات الخارجية ، فاستخلص « كرمان وسيرجان » ونصب على حكومتها ابن أخيه « عماد الدين زيدان » (٣) . ولما انتهى من ذلك ، اتجه أيضاً نحو العراق ، واستولى على أصفهان ، لكنه التقى في تلك الجهة بشخصية مارست الخطوب وعركتها . ذلك هو السلطان « محمد خوارزمشاه » ووقعت بين الإثنين مصادمات قوية ، أبدى فيها « سعد بن زنگي » من البسالة وضروب الشجاعة ما جعل السلطان محمداً يعجب به أيما إعجاب .

وفي إحدى الحروب — سنة ٦١٤ هـ — عزم الأتابك على لقاء جيش « السلطان محمد » بنفسه ، فاتجه نحو الري على رأس سبعائة فارس ، فانهزم جيش السلطان ، وفي تلك الحرب أبدى « سعد » من الأقدام والجرأة ما أدهش « السلطان محمداً » ، فأمر جيشه ألا يصيبه بسوء — إن تمكنوا منه — وإنما يحملونه

(١) وصاف ص ١٥٣ (٢) حبيب السير ص ٨٨

(٣) شيراز نامه ص ٥٢ ويذكره وصاف باسم محمد بن زيدان ص ١٥١

إليه أسيراً ، فلما وقع في أيديهم ، حمّله إلى « السلطان محمد » ، فأكرم وفادته ، وأعز جانبه ، ورحب بمقدمه (١) .

وانتهى الأمر بين الجانبين ، بأن طلب السلطان عقد الصلح بينهما ، ويتزوج ابنه « جلال الدين » من ابنة سعد « ملك خاتون » (٢) ويدفع ثلثي خراج فارس إلى السلطان ، فأجابه سعد إلى ذلك (٣) .

لكن هذه الأمور لم ترض ابنه « أبا بكر » فدبر الأمر في غيبة أبيه ، مع جماعة ممن التفوا حوله ، من الأعيان والأمراء ، فآلبهم على أبيه ، وطلب منهم البيعة فبايعوه ، فلما أحس سعد بذلك ، عاد إلى فارس يؤازره جيش من الخوارز مشاهيين — حلفائه الجدد — فامتنع الابن من تسليم البلاد إلى أبيه وجمع المساكر ، وخرج للقاءه . فلما تراءى الجمعان ، انحازت عساكر فارس إلى صاحبهم ، « الأتابك سعد » وتركوا ابنه في خاصته ، ومع ذلك حمل على أبيه ، فلما رآه أبوه ، ظن أنه لم يعرفه . فقال له أنا فلان ! فقال — إياك أردت (٤) ! وانتهى الأمر بهزيمة أبي بكر ، وأخذ أسيراً ، فزج به في قلعة « سفيد » (٥) كما يذهب إلى ذلك صاحب « شيراز نامه » ، وفي قلعة « اصطخر » كما يذهب إلى ذلك صاحب « تاريخ و صاف » (٦) .

فلما قضى الأمر وفي « سعد » بعهد « السلطان محمد » (٧) ، ولسان حاله — كما يقول و صاف — « إذا قلت في شيء نعم ! فآتمه فإن نعم دين على المرء واجب » (٨) .

أما سياسته نحو المغول ، فأهم ما قام به أنه جنب إمارته ذلك السيل الجارف ، الذي بدأ يظهر من ناحية المشرق ، في زحفهم نحو الغرب ، فحين ترمى إلى

(١) و صاف ص ١٥٣

(٢) شيراز نامه ص ٥٢

(٣) و صاف ص ١٥٤

(٤) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٤٦

(٥) شيراز نامه ص ٥٣

(٦) و صاف ص ١٥٤

(٧) حبيب السير ص ١٢٩

(٨) و صاف ص ١٥٤

أسماع الناس خبر قدومهم مظفرين ، سارع هو إلى إعلان الطاعة مع بعض أمراء الولايات الأخرى . وهذا ما ذكره صاحب « جامع التواريخ »^(١) وأشارنا إليه سابقاً^(٢) في تصويرنا لحالة فارس ، وكيف واجهت غزو المغول ، وذلك في الفصل الأول .

اصلاحاته الداخلية :

على الرغم من الحروب الخارجية ، والفتن الداخلية ، التي منيت بها فارس في عهده ، فانه وجه همه كثيراً إلى تنظيم الأمور الداخلية ، فاختار لإدارة البلاد معه وزيرين هما « ركن الدولة صلاح الكرمانى وأبو نصر أسعد »^(٣) . وكان الأخير ممن يجيدون قرض الشعر بالعربية والفارسية . وكثيراً ما كان « سعد » يرسله على رأس بعثات سياسية بينه وبين السلطان محمد الخوارزمشاهى ، فكان هذا يكرم وفادته ويجله ، كما كان يقارضه الشعر^(٤) . كذلك وجه الأتابك همه نحو التعبير ، فأنشأ كثيراً من العماثر الدينية ، والعسكرية ، والمدنية .

أنشأ الجامع الجديد بشيراز ، وهو المشهور بـ « جامع نو » ، ويقال عنه إنه لم يكن في جميع بلاد فارس والعراق وأغلب الأقاليم ، مسجد أوسع منه ، فانه كان يعد أكبر من مسجد الكوفة ، الذى أسسه الإمام على ، والمشهور أنه أكبر المساجد بالبلاد العربية^(٥) في ذلك العصر . كذلك أقام الأسواق العامة ، وشيد الحوانيت ، وبنى — على الطريق إلى تبريز — رباطاً يسمى رباط « شهر الله » وأوقف عليه القرى والمزارع والبساتين والحمامات^(٦) .

كذلك احتاط للناحية العسكرية ، فأنشأ سوراً عظيماً يحيط بشيراز مكان السور الذى أنشأه « جلال الدين الجاولى » والذى كان قد تهدم^(٧) .

(١) جامع التواريخ ص ١٥٠ كاترمير

(٢) انظر ص ١٨ سابقاً

(٣) حبيب السير ص ١٢٨

(٤) شيراز نامه ص ٥٤

(٥) ووصاف ص ١٥٠-١٥١

(٦) شيراز نامه ص ٥٤

(٧) ووصاف ص ١٥٥

الاضطراب في سنة وفاته وتحديدها :

وهناك خلاف بين المؤرخين في تحديد سنة وفاة سعد ، يشير إليه الأستاذ القزويني في مقاله «ممدوحين شيخ سعدى شيرازي» ، ويناقش الآراء التي عرضت لهذا . وهو يأخذ بالرأي القائل بأن وفاته كانت سنة ٦٢٣ هـ لا سنة ٦٢٨ هـ .

ونحن نلخص رأيه فيما يقول — توفي « سعد بن زنگي » سنة ٦٢٣ هـ ، كما يذهب إلى ذلك صاحب « جامع التواريخ » والوصاف ، وروضة الصفا ، وحبيب السير » ، وليست وفاته سنة ٦٢٨ هـ كما يذهب إلى ذلك صاحب « تاريخ كزیده » ويتبعه صاحب « لب التواريخ » و« جهان آرا » — وهنا يشير الأستاذ القزويني إلى أنه كان قد جاراهم في هذا الرأي ، في مقدمته لكتاب « المعجم في معايير أشعار العجم » ، ولكنه يجعل ذلك من قبيل السهو ، وهذا في عبارته :

« وبانيز در كتاب المعجم في معايير أشعار العجم بمتابعت ایشان همين قول را نقل کرده بوديم ، بدون شك سهو واضح است » .

ثم يرمى رأى صاحب « تاريخ كزیده » بالفساد والبطلان ، بما سنعرض له فيما بعد ، ونواصل هنا مناقشته لهذا الرأي ، وتدليله على عدم صحته بقوله :

١ — إن ابن الأثير أثبت في حوادث سنة ٦٢٥ هـ أن صاحب بلاد فارس وقد عينه بالاسم وهو الأتابك « أبو بكر بن سعد » قد عاون « جلال الدين منكبرتي » في حربه مع المغول . وذلك دليل على أن « سعدا » كان قد توفي قبل ذلك .

٢ — يصرح الوصاف أن « عميد الدين أسعداً الأبرزي » وزير « سعد ابن زنگي » وصاحب القصيدة المشهورة « بالشكنوانيه » والتي مطلعها :

من يبلغن حمامات ببطحاء ممتعات بساسال وخضراء

قد زج به أبو بكر في السجن ، هو وابنه ، بعد وفاة « سعد » ، وقد توفي « عميد الدين » المذكور سنة ٦٢٤ هـ . وهذا دليل كذلك على وفاة « سعد » قبل هذا العام .

٣ — يصرح الوصاف أيضاً، أن أبا بكر فتح جزيرة « كيش » وقتل آخر ملوكها يوم الثلاثاء الثاني عشر من جمادى الآخر سنة ٦٢٦ هـ ، وبديهي أن هذه الحادثة — التي عينت باليوم والشهر والسنة — برهان واضح على أن هذه السنة، هي إحدى سنوات حكم « أبي بكر » . فكيف يكون أبوه قد توفي سنة ٦٢٨ هـ . كما ذهب إلى ذلك صاحب « تاريخ كزیده » ؟ ^(١) .

انتهى تلخيص رأى الأستاذ القزويني ، ورده على صاحب « تاريخ كزیده » وبهذا يمكن التأكد من وفاة « سعد بن زنگي » في سنة ٦٢٣ هـ ، كما ذهب إليه صاحب « جامع التواريخ » و « وصاف » . وهما — من حيث الزمن — أسبق من صاحب « تاريخ كزیده » وكذلك — من حيث الثقة — أحق بالاطمئنان . وسنعود لمناقشة رأى آخر جاء به صاحب « تاريخ كزیده » في موضع — تخلص الشاعر — والذي اعتمد عليه أيضاً الأستاذ القزويني ، وذلك في دراستنا لحياة الشاعر في الباب الثاني .

وقد اتخذ « سعد بن زنگي » طرته هذه العبارة « وارث ملك سليمان ، مظفر الدنيا والدين سعد بن أتابك زنگي » وكان توقيع « الله بس (٢) » . ويرى صاحب حبيب السير أن « تخلص الشاعر » مأخوذ من اسم هذا الأمير (٣) .

لماذا لم يمدح الشاعر هذا الأمير مدحاً مستقلاً ؟

كانت حياة الشاعر الأولى ، في عهد هذا الحاكم ، فقد تفتحت عيناه على حكم يبسطه « سعد بن زنگي » على فارس . وفي شيراز ، أخذ يدرج الشاعر إلى الحياة العامة ، يتناول من أساليب المعارف الموجودة في عصره ، ما قدر له تناوله ، بين

(١) سعدى نامه ص ١٠٢-١٠٣ (٢) وصصاف ص ١٥٥

(٣) حبيب السير ص ١٢٨

أهله ومعاليه . وشاء القدر أن يموت أبوه ، وهو لا يزال فتى صغيراً غص الأهاب .
وتشير بعض الروايات ^(١) ، إلى أن أباه كان في رعاية هذا الحاكم ، الذي أظل الفتى
برعايته كذلك بعد وفاة أبيه .

فلما تفتحت الحياة للشاعر ، وتناول من التحصيل والمعارف ، قدراً يمكنه من
قرض الشعر ، كانت نفسه أعز عليه من أن يجعل شعره وسيلة للارتزاق ،
أو التزلف فيتقرب للملوك والحكام من طريق الشعر .

وعلى الرغم من أن الشاعر لم يبكر في إنشاد القصائد ، التي يمدح بها الناس ،
أو لم تمكنه الحياة أن يكون شاعر مدح ، فإن هذا لا يعني ألا يكون الشاعر مبكراً
في ألوان الشعر الأخرى ، أو في نظم الشعر بوجه عام . فكلياته تجمع الكثير من
ألوان الشعر ، وهي — في مجموعها ، وموضوعها ، وكثرتها — تدل دلالة واضحة على
أن الشاعر بكر في النظم منذ وقت يسمح له بإنشاد هذا القدر الضخم من الشعر .
ومع ذلك فلم يعرض الشاعر — قصداً — لمدح « سعد بن زنكي » — حاكم فارس —
في صدر حياته الأولى ، وإن كان قد مدحه — عرضاً — في المواضع التي
سنعرض له .

ولا يصعب علينا تفسير هذه الظاهرة ، إذا لاحظنا هذه الاعتبارات الآتية :

١ — نلاحظ أنه لم ينشد شيئاً من القصائد في لوني المدح أو الرثاء ، حتى
حدود الخمسين من عمره تقريباً . فإنه كان يزهد في هذا النوع . كما أشرنا
إلى ذلك سابقاً . وكانت أول مدائمه ، ما قاله يمدح فيها « أبا بكر بن سعد » في
مقدمة كتابه « بوستان » .

وأول مرثيه مارثي فيها الخليفة « المستعصم وبغداد » وكان تاريخ تقديمه
« البوستان » سنة ٦٥٥ هـ وقصائده في الخليفة سنة ٦٥٦ هـ .

(١) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ طبعة ليدن .

٢ — كذلك يمكن أن يقال ، إنه في الوقت الذي تفتحت فيه حاسته الشعرية ، في عهد « سعد بن زنگي » قد عاف الحياة المضطربة في فارس ، ورحل عنها إلى غيرها، يخفف عن نفسه، كما سنعرض إلى ذلك . فحتى موطنه الذي درج فيه لم يربط نفسه به ، ولم يعبأ بكثير أو قليل مما يدور فيه ، وقد بدأت رحلاته في أواخر عهد هذا الأمير .

٣ — يرى الأستاذ القزويني أن « سعدى » في سنة ٦٢٣ هـ — وهي السنة التي توفي فيها سعد بن زنگي — كان لا يزال شاباً في حدود العشرين أو فوقها بقليل ، ومن البديهي — في رأيه — أنه في تلك السن لم ينضج شعره ، كذلك لم يكن من الشهرة بحيث يستطيع معاشرته الملوك والكبراء ^(١) .

هذا ما يفسر لنا — إلى حد ما — تلك الظاهرة ، وهي عدم وجود مدائح للشاعر في « سعد بن زنگي » مستقلة . وهي الظاهرة التي أخذ منها بعض رجال الأدب أن « سعدى » لم يتخلص باسم هذا الأمير ، وإنما كان تخلصه مأخوذاً من اسم حفيده « سعد بن أبي بكر » وسنشير إلى ذلك عند الكلام على تخلصه . ومع ذلك فهناك بعض المواضع التي عرض فيها الشاعر لمدح هذا الأمير ، لكنها تجيء في ثنايا مدائحه لابنه « أبي بكر بن سعد » ^(٢) .

٥ — أبو بكر بن سعد : ٦٢٣ — ٦٥٨ هـ

لو أردنا تمثيل حياة هذه الأسرة ، لكانت أشبه بخط ، يكون مثلثاً . تبدأ إحدى نقط القاعدة عند أول حاكم منها ، وهو « سنقر » ثم يأخذ هذا الخط في الارتفاع — تدريجياً — حتى يبلغ القمة في عهد « أبي بكر » . إذ يعتبر عصره

(١) سعدى نامه ص ١٠٤

(٢) انظر كليات فروغی ص ٢٤٢ ، ٣٠٥ وسعدی نامه ص ١٠٢ — ١٠٥

في الحقيقة العصر الذهبي لهذه الأسرة . ثم يأخذ شأنها في الانخفاض ، حتى تنتهي إلى عهد « أبش خاتون » وهي النقطة التي ينتهي عندها الخط الذي نصور به حياة تلك الأسرة .

والواقع أن هذا الأمير — كما قدمته معظم الكتب — يعتبر على قمة أمراء الأتابكة من حيث طول الحكم ، واستقرار النظام ، واتساع نطاق الفتوحات ، وتشجيع العلماء ، وكثرة المنشآت .

ونحن نشير إلى طرف مما سجله بعض المؤرخين في التعريف به . فصاحب « شيراز نامه » يقول :

« أتابك أبو بكر چراغ دودمان سلغرو واسطه قلاده سلطنت بود ، بحكم وراثت واستحقاق على الاطلاق در خطه فارس مالك تاج وتخت گشت . وكوكب دولت در عهد او باوج ارتقاء واقتران يافت . »

إلى أن يقول :

فالدين مستبشر ، والمجد مبتهج والعرف منهمر ، والملك مفتخر^(١)
ويذكره « محمد بن قيس » في كتابه « المعجم في معاير أشعار العجم » بعبارة مستفيضة ثبت منها ما يأتي :

« خدواند پادشاه معظم ، خاقان أعظم ، مالك رقاب الأمم ، مولى ملوك العرب والعجم ، أعدل ولاية العالم ، أكمل رعاة بني آدم ، مظفر الدنيا والدين ، غياث الاسلام والمسلمين » إلى أن يقول : « وارث ملك سليمان السلطان الأعظم أتابك أبو بكر بن سعد^(٢) . »

ويرى الأستاذ القزويني أن كلمة « أبا بكر » اسماله وليست كنية^(٣) . كذلك يذكر « الوصاف » أنه لقب بلقب « قتلغ خان » وهو لقب تركي ، استحققه

(١) شيراز نامه ص ٥٥ (٢) المعجم في معاير أشعار العجم ص ٨

(٣) سعدى نامه ص ١٠٦

من « فا آ خان » حين دخل في طاعة المغول ، ودفع ما التزمه اليهم ، وعبارته « والتزام خراج وأتاوات نمود ، قا آن سيورغاميشى را يرليغ بالقب قتلغ خان أرزاني داشت » (١) .

ومعنى « قتلغ خان » كما يفسرها الأستاذ القزوينى « قتلغ بمعنى مبارك وسعيد » « وخان بمعنى ملك » فمعناها « الملك السعيد » (٢) . ويسجل بعض المؤرخين اسمه مقروناً بهذا اللقب . فيؤرخ له صاحب « شيرازنامه » تحت عنوان « ذكر أتابك مظفر الدين قتلغ خان أبو بكر بن سعد بن زنگى بن مودود السلغرى » (٣) .

أما كلمة « مظفر الدين » فهي لقب عرف به جميع ملوك السلغريين ، من أولهم حتى آخرهم ما عدا أش خاتون (٤) .

كيف تولى أبو بكر الحكم ؟

عرفنا سابقاً أن أبا بكر — حين رأى أباه قد انهزم في حربته مع السلطان محمد الخوارزمشاهى ، وتنازله عن ثلثى خراج فارس ، وقبوله زواج ابنته من جلال الدين — حين رأى ذلك ، عقد العزم على الخروج على أبيه ، فى جمع من حاشيته ، وخواصه لكن الأمر انتهى بانتصار أبيه عليه ، وزجه فى السجن ، فأمضى فيه سبع سنوات (٥) .

فلما دنا الأجل من أبيه ، فكر فيمن يخلفه على الأمر ، فأرسل فى طلب ابنه « أبى بكر » فمك إيساره ، وجيء به ، فتولى شئون فارس ، كما يذكر صاحب « شيرازنامه » .

(١) ووصاف ١٥٦ (٢) سعدى نامه ص ١٠٦

(٣) شيراز نامه ص ٥٥ — ووصاف ص ١٥٥

(٤) سعدى نامه ص ١٠١ (٥) شيراز نامه ص ٥٥

ولكن مؤرخاً آخر، هو صاحب « جامع التواريخ » يأخذ برأيه الأستاذ « القزويني » يذكر أنه كان بين وفاة أبيه وتوليته بضعة شهور، وأنه ظل حياً في قلعة « سپيد » ، فلما قضى « سعد بن زنگي » ، أخفى أمر وفاته ، وزيره « غياث الدين اليزدي » ، وبعث سراً من أطلق أبا بكر من سجنه ، وجيء به بين يدي الأمراء ، والجيش ، فأعلن لهم أن « الأتابك سعدا » . قد مات ، وأنه استخلف على الولاية ، ولي عهده « أبا بكر » فرضخ هؤلاء للأمر ، وأعلنت امارته (١) .

أما تاريخ ولادته ، فلم يعلم على وجه التحديد ، لكن لما كان قد بلغ السابعة والستين عام وفاته ، كما يصرح بذلك « رشيد الدين » (٢) وكانت وفاته في الخامس من جمادى الآخرة سنة ٦٥٨ هـ ، كما يذهب إلى ذلك أيضاً نفس هذا المؤرخ وغيره (٣) ، فلا بد أن يكون مولده في حدود سنة ٥٩١ هـ .

ولما كان عهد « أبي بكر » هو أزهى العصور وأطولها ، إذ يبلغ ستة وثلاثين عاماً ، وعاش في عهده الشاعر ، واستظل برعايته ، بعد أن عاد إلى موطنه ، فإننا نفرّد كلمة لمظاهر الحياة في عهده ، ونقسم الكلام فيها إلى ما يأتي :

١ — السياسة الخارجية .

٢ — السياسة الداخلية .

٣ — الحركة العلمية .

(١) سعدى نامه ص ١٠٧

(٢) جامع التواريخ ص ٣٣ طبع بلوشه وسعدى نامه ص ١٠٧

(٣) شيراز نامه ص ٦١ — ويجعل وفاته في جمادى الأولى سنة ٦٥٨ هـ . وبهذا

يذهب صاحب « تاريخ كزیده » أيضاً وإن لم يذكر الشهر . ص ٥٠٨

أولا - السياسة الخارجية

كان « سعد بن زنگي » قد صانع الخوارز مشاهيين ، والمغول من بعدهم ، وأدرك - ببعد نظره - ألا حيلة له لمقاومة هذا الطغيان ، فدخل في طاعتهم ، وقبل أن يتمتع بالاستقلال الذاتي - داخليا - وأن يدفع لهم الجزية ، إبقاء على إمارته ، وبهذا سلمت الإمارة من غارة المغول ، كما رسم بهذه الخطة الطريق لابنه من بعده ، فسار عليها ، وبهذا ظل عرشه في مأمن من تقلب الأحداث ، ووجه همه إلى الإصلاح الداخلي ، الذي كانت ولايته محتاجة إليه أشد الاحتياج نظراً لما قاسته من أهوال الحروب والتخرب في الفتن المتتالية ، التي انتابت الولاية بأجمعها ، وخاصة في الحرب التي نشبت بين أبيه وبين « أربك بهلوان » وبينه وبين « السلطان محمد وابنه غياث الدين^(١) » . وهي الحروب التي أسلفنا الإشارة إليها في عهد أبيه .

وكان دخوله كذلك في تحالف مع المغول ، خطوة موفقة ، أمنت على إمارته ، ووطدت له الحكم ، قهياً لوجوه الإصلاح الأخرى ، التي تطلبها ولايته . ويشير المؤرخون إلى أن تصافيه مع المغول ، كان حركة بارعة ، دلت على بعد نظر وإصابة رأي . فيذكر «وصاف»^(٢) :

« وبر كمال عافيت أندشني ، واصابت تدبير أو اين نكنه دليلي قاطع أست ، كه چون پا دشاه گيتي ستان چنگيزخان برملوك و بمالك مالك شد ، وعالميانرا آثار بأس وسطوت لشكر تبار معلوم گشت ، اظهار ايلي كرد وتنسقات وعرضات درصحبست برادر زاده خود تهمتن ، ببندگي قا آن فرستاد ، والتزام خراج وأتاوات نمود . قا آن سيور غاميش را يرليغ بالقب قتلغ خاني أرزاني داشت ، وسلطنت بمالك موروث بروي مقرر فرمود . »

(١) شيراز نامه ص ٥٦

(٢) وصاف ص ١٥٦

على أن الأمر لم يقف « بأبي بكر » في مصانعة المغول إلى هذا الحد ، بل نراه يبالغ في ذلك مبالغة ملحوظة . فقد أمد جيش المغول حين حصاره بغداد بجيش من قبله — وهو الأمير المسلم ، السني المذهب ، المتفق مع الخليفة الإسلامي ، في دينه ومذهبه — أرسل جيشاً تحت امره ابن أخيه « محمد شاه ابن سلغر شاه ^(١) » فلما تم الفتح لهولاءكو ، عاد فأرسل ابنه « الأمير سعداً ابن أبي بكر تهنئته ^(٢) » .

لكن هذه السياسة ، التي رسمها سعد ، وانتهجها أبو بكر ، ومضى عليها خلفاؤه من بعده ، إن كانت قد أمنتهم على البقاء في الحكم ، إلا أنها فتحت الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي الذي أصابها من المغول في توجيه السياسة العليا للولاية . فشعر الأمراء من بعده أن المغول لابد من اعترافهم بمن يتولى شأن الإمارة ، وستبدو هذه الظاهرة فيمن خلفه ، فإن الذين جاؤا بعده كانوا ولاية ضعافا ، قصر عهدهم ، وطال نزاعهم ، مما أدى إلى التدخل الفعلي من المغول ، وتوجيه السياسة حسب ما تمليه رغباتهم ، إلى أن قضى نهائياً على سلطان الأتابكة أيام « أبش خاتون » .

وبعد أن مكن « الأتابك أبو بكر » لإمارته في الداخل ، واستتب له الأمر ، وصانع المغول ، وأمن غائلتهم ، وجه همه نحو توسيع رقعة بلاده ، وكان الجانب الغربي من ولايته مطمح أنظاره . ذلك أن الجانب الشمالي كان يجاور مملكة الخوارز مشاهيين ، وقد بدأ يدخلها المغول من الشمال ، منحدرين من الشرق ، والجانب الجنوبي منها ، يحيط به ساحل المحيط الهندي ، والجانب الغربي بلاد العرب ، لا يفصلها عنها إلا ذلك الخليج الضيق خليج فارس .

كان بهذا الخليج عدة جزر متناثرة ، على القرب من شاطئيه ، ذات غلات

(١) سعدى نامه ص ١٠٥

(٢) حبيب السیر ص ١٣٠

قيمة ، يتولى شئون الجزء الشرقى منها ، أسرة قديمة تعرف بأسرة « بنى قيصر » .
ويتولى الجانب الغربى بعض أمراء العرب .

رغب « أبو بكر » فى ضم هذه الجزر إلى إمارته ، وامتدت مطامعه إلى عبور الخليج الفارسى ، والاستيلاء على البحرين ، وعلى بعض الجزر القريبة منها . فبدأ فتوحاته بالتوجه إلى جزر الجانب الشرقى ، فى الخليج الفارسى ، وكانت أسرة « بنى قيصر » تشرف على إدارة جزيرة قرب الشاطئ تدعى جزيرة « قيس^(١) » وكانوا يتولون أمورها منذ أيام الديلمة . فإذا كان عصر الأتابكة بفارس ، كانت حكامها على وفاق ، وحسن جوار ، مع أمراء تلك الأسرة . ففى عهد « سنقر بن مودود » بدأوا يرسلون الرسل من قبلهم لتقديم فروض الولاء .

فإذا كان عهد « أبى بكر » أسند أمر هذه الجزيرة إلى رجل منهم يدعى « ملك سلطان بن قوام الدين بن تاج الدين بن شاه بن جمشيد » . لم يرض بالإذعان لأبى بكر ، وشق عصا الطاعة عليه ، فجرد أبو بكر جيشاً ، واستولى على الجزيرة بأكملها ، فأضيفت إلى ممتلكات فارس^(٢) .

كان هذا إيذاناً بفتح بقية الجزر الموجودة بالشاطئ الشرقى ، فلما سقطت جزيرة قيس ، وجه فتوحاته إلى جزيرة أخرى تدعى « كيش » ، وقتل آخر ملوك أسرة « بنى قيصر » المسمى « ملك سلطان » وأعمل القتل والتنكيل فى أتباعه ، وقد سقطت هذه الجزيرة فى الثانى عشر من جمادى الآخر سنة ٦٢٦ هـ^(٣) .

لكن القائد الذى تولى فتحها وكان يسمى « سيف الدين أبا نصر علياً بن

(٢) وصاب ص ١٧٥

(١) وصاب ص ١٧٠

(٣) المصدر نفسه ص ١٧٥

تقباد « أراد اغتصاب الملك لنفسه ، في تلك الجزيرة ، فأعلن العصيان على الأتابك ، إلا أنه لم يظفر بذلك . وتم الأمر لأبي بكر على هاتين الجزيرتين ، بل على جميع بلاد الساحل الشرقى فى سنة ٦٢٨ هـ .

لم تقف مطامع أبى بكر عند استيلائه على جزر الجانب الشرقى ، من الخليج الفارسى ، بل امتدت مطامعه إلى الاستيلاء على جزر الجانب الغربى كذلك ، وكانت هذه الجزر تابعة لأمرأء من العرب .

بدأ بفتح جزيرة تسمى « أوال » وتشتهر « بالبحرين » ، وقضى على أميرها المسمى « محمداً بن محمد بن أبى ماجد (١) » ثم فتح « القطيف » وتم له ذلك فى يوم الجمعة الثانى من ذى الحجة سنة ٦٣٣ هـ (٢) . ولما انتهى من فتحها أقام عليها أميرين عربيين هما « عصفور بن راشد بن عمير ومانع بن على بن ماجد ابن عمير » وقبلأ أن يؤدى الجزية له سنوياً ، وبلغ مقدارها اثنى عشر ألف دينار مصرية (٣) .

شغلت هذه الفتوحات كثيراً من حكم « أبى بكر » فقد بدأت سنة ٦٢٦ هـ وانتهت سنة ٦٣٣ هـ . وقد أدى فتح هذه الجزر إلى علو منزلته ، وارتفاع شأنه ، وتناقل الناس سطوته على امتداد المحيط الهندى من خليج البصرة ، حتى سواحل الهند ، كما يقول « وصاف » .

بل يقول « صاحب حبيب السير » إن بعض بلاد الهند كانت تذكر اسمه فى الخطبة (٤) ، وبهذا تشير طرة توقيعه التى أثبتها « الوصاف » ، كما يأتى « وارت ملك سليمان ، عادل جهان ، سلطان البر والبحر ، مظفر الدنيا والدين أبو بكر » وكان توقيعه « الحكيم لله (٥) » .

(٢) حبيب السير ص ١٣٠

(٤) حبيب السير ص ١٣٠

(١) وصاف ص ١٧٩

(٣) وصاف ص ١٧٩

(٥) وصاف ص ١٧٨

ثانياً — السياسة الداخلية

اشتهر «أبو بكر» باليقظة، والحذر، وحسن اختيار الناس، وبلغ من حرصه على الإشراف بنفسه على أمور الدولة، أن كلف وزراءه وعماله الرجوع إليه، في كل الأمور — صغيرها وكبيرها — وكان يحاسبهم بنفسه، في أوقات فراغه، وكل من ثبت إهماله في عمله رفعه منه^(١).

كان أبوه في عهد حكمه قد استوزر رجلا يسمى «ركن الدين صلاح الكرمانى» لكن لم تطل وزارته كثيراً، إذ ضعفت الثقة به، فعزل^(٢) فولى بعده «الصاحب السعيد عميد الدين أسعداً الأبرزى». فلما انتقل الحكم إلى أبي بكر، أبعده عن الوزارة، إذ أحاطت به الشكوك والتهم، وثبت عليه أنه كان متصلاً مع خصوم أبيه، وهو السلطان «محمد خوارزمشاه». كما سمع عن قصيدة له مدح فيها السلطان على خلعة نالها من أمير المؤمنين، جاء فيها قوله:

وقيت الردى، يا من بأفعاله غدا	لواء المعالى والمحامد عاليا
وأضحى به روض الشرائع ناضراً	وأسمى به صدر الممالك حاليا
صوارمك البيض البواتر غادرت	ديار الأعادى، مقفرات خواليا
غدا لمعاليك الزمان مواليا	مطيعاً، وأبناء الزمان، مواليا
وجاءتك من دار الخلافة، خلعة	بعلياك، نالت مفخراً، ومعاليا
كذا القطرات النازلات من السما	إذا ما حللن البحر، صرن لآليا ^(٣)

أحس «أبو بكر» من خلال تلك القصيدة أن الشاعر في إشارته للخوارزمشاهى، يسىء إلى أولياء نعمته. فإذا عرفنا أن الحرب كانت بين الأسرنيين وأن أبا بكر غضب على أبيه، بسبب قبوله شروط الصالح القادحة، وأنه نفر من

(١) وصاف ص ١٥٧

(٢) حبيب السير ص ١٢٩

(٣) وصاف ص ١٥٦

تنفيذها ، وشق عصا الطاعة على أبيه ، حتى ألقى في غياهب السجن ومكث به
سبع سنوات

إذا عرفنا كل ذلك ، أدركنا — إلى أى حد — كان مبلغ تأثير هذه
القصيدة في نفس أبي بكر ، وخاصة في مثل عبارته «غدا لمعاليك» فاحتمد الغضب
بنفس أبي بكر ، ولم يجد بداً من أن يزج بهذا الوزير في السجن ، ومعه ابنه «تاج
الدين محمد» في قلعة «شكنوان» . فنظم في ذلك رباعية بعث بها إلى «أبي بكر» ،
كي يخلصه من هذا السجن هي :

« ای وارث تاج وملکت وافر مسعد بخشای خدای راجان و سر سعد
بر من که چونام خویشتن تا هستم همچون آلف ایستاده ام بر سر سعد» (١)

فلما استقر في السجن ، أنشد قصيدة عربية مشهورة مطلعها .

من يبلغن حمامات بطحاء ممتعات بسلسال وخضراء

وتعرف هذه القصيدة « بالشكنوانية » نسبة إلى القلعة التي حبس فيها ، فلما
تمذر عليه الورق والمداد لكتابتها ، أملاها على ابنه ، فنقشها على الحائط حتى حفظها ،
وظل الوزير بالسجن حتى توفي سنة ٦٢٤ هـ ، وبعد وفاته ، أخرج ابنه ، فروى
القصيدة على « صفي الدين أبي الخير بن أبي الفتح السيرافي » ابن خال صاحب
السعيد الوزير (٢) .

أما وزراؤه الذين عينهم بنفسه فكثيرون ، يذكر صاحب « شيرازنامه » أن
« أشهر هؤلاء الوزراء هو الأمير « مقرب الدين أبو المفاخر مسعود » والأمير « فخر
الدين أبو بكر » ، وكان « أبو المفاخر مسعود » محل تقدير واحترام من مشايخ
عصره ، ومن أشهر آثاره مدرسة عالية ، أقامها بالسوق ، واشتهرت « بمدرسة مقرب »

(٢) وصفا ص ١٥٦

(١) شيرازنامه ص ٥٧

ثم أقام بالقرب منها ، رباطا متصلا بالمسجد العتيق بشيراز ، وأنشأ بجوار الرباط ، داراً للحديث ، وأخرى للعلاج . كما شيد سبيلا للشراب ، لم يكن له مثيل في شيراز علواً واتساعاً ، ووقف على تلك المنشآت أوقافاً كثيرة^(١) .

ويذكر صاحب « تاريخ كزیده » أنه كان رجلاً حسن الطوية ، خبيراً ، لم يبلغ شخص آخر ما بلغه من المنزلة في عهده ، وكل إليه « أبو بكر » تربية أولاده وخواتينه .^(٢)

أما الوزير الأمير « فخر الدين أبو بكر » فقد أمضى عهده كذلك ، في إقامة المنشآت الهامة ، فابتنى على مقربة من باب قصر الأتابك ، مسجداً جامعاً ، وأقام بجواره رباطاً ، وداراً للحديث وداراً للعلاج^(٣) ، وجعل الجميع في مكان واحد .

ويشير الأستاذ القرويني إلى اسمه كاملاً في قوله « الأمير فخر الدين أبو بكر ابن أبي نصر الحوایجی » ويقول عنه إنه كان أول أمره ممن تخيرهم « أبو بكر » لتدبير شئون مأكله ، ومن هذا كانت نسبته « الحوایجی » ثم ابتسم له الحظ ، وارتقى حتى نال الوزارة^(٤)

وهذا الوزير هو الذي مدحه الشاعر « سعدی » في مقدمته على « الكلستان » بعبارة جاء فيها

(أمير كبير ، عالم عادل ، مؤيد مظفر منصور ، ظهير سرير سلطنت ، وشير تدبير محاسن ، كهف الفقراء ، ملاذ الغرباء ، مربى الفضلاء ، محب الأتقياء ، انتحار آل فارس يمين الملك) (٥) .

كذلك يقال إنه رثاه بقصيدته التي مطلعها .

« وجود عاربتی دل درنستاید بست همانکه مرهم جان بود دل بنیش بخت » (٦)

(١) شیراز نامه ص ٥٩ . (٢) تاریخ کزیده ٥٠٧ .

(٣) وصف ص ١٦٠-١٦١ . (٤) سعدی نامه ص ١٣١ .

(٥) کلیات فروغی ص ٧٨ . (٦) سعدی نامه ص ١٣٢ .

أما الأتابك « أبو بكر » نفسه ، فيجمع المؤرخون على أنه لم يترك وجهاً من وجوه الإصلاح ، إلا نهض به ، فقد وجه همه في الإصلاح الداخلي ، إلى جميع نواحي الحياة ، سواء ما كان يتصل منها بالحياة الدينية ، أو العلمية ، أو الاجتماعية ، أو السياسية . فابتنى المساجد ، وشيد المدارس وأقام المستشفيات ، وأصلح القرى ، وغرس الحدائق العامة ، واعتنى بالمزارع ، وأقام الطواحين ، وشيد الأربطة ، كل ذلك في جميع نواحي فارس ، وحبس عليها الأوقاف الكثيرة لينفق منها^(١) .

ثالثاً — الحركة العلمية في شيراز في عهد أبي بكر

يبدو أن الروح الدينية كانت متغلغلة في نفس هذا الأمير إلى حد كبير ، فبالرغم من أنه ألقى في السجن وزيراً استوزره أبوه من قبل ، وألحق به ابنه كذلك ، فإن هذا التصرف كان لما رآه فيهما من خصلة النفاق الوضيعة ، ولأن تدير أمور الدولة يحتاج إلى الاستعانة بمن يخلص له النصيح ، ويصدق المشورة ، فكان هذا هو الباعث الذي حدا به إلى إلقاء الرجل وابنه في السجن .

وقد بالغ « أبو بكر » في احترامه لرجال الدين إلى حد الإسراف ، بل إلى حد كراهيته للعلوم الأخرى المنطقية والفلسفية ، وكراهيته لرجالها كذلك . وسنفسر هذه الظاهرة في نفسية هذا الأمير ، لعلنا ندرك منها كيف تكيّفت حياته الشخصية ، بل الحياة العامة في شيراز عاصمة ملكه ؟ بل لعلنا ندرك أخيراً — كيف أوحى هذه الحياة الدينية ، التي طمح إليها « أبو بكر » — إلى شاعر مثل « السعدي » أن يساهم فيها ، فينظم هذا النوع من شعره الأخلاقي التعليمي . لعل فيه ما يسد هذه الرغبات الطموحة إلى هذا التوجيه ، ولعل فيه كذلك ما يعالج هذه الأوضاع الاجتماعية ، التي آلت إليها الحياة العامة في ذلك العصر ؟ .

(١) وصصاف ص ١٥٧ وتاريخ كزیده ص ٥٠٨ وحبيب السير ص ١٢٩
وشيرازنامه ص ٦٠

أما تربية « أبا بكر » الأولى فإنها كانت بين أحضان رجال الدين ، وقد حُبب إليه أبوه معاشرته هذه الطائفة ، واحترامها ، بل كان يحضر به — وهو لا يزال يافعاً — مجالس العلماء . وكانت فارس — إذ ذاك — تزخر بالكثير من العلماء الدينيين ، والمتصوفة على الإطلاق ، وظهر فيها — بوجه خاص — في هذا العهد طائفة كبيرة من هاتين الجماعتين ، وكان رجالهما محل تقدير الحكام ، وملئى رعايتهم وإكرامهم .

وكانت فارس في عهد أبيه « سعد بن زنگي » تحتضن كثيراً من الشخصيات العلمية ، وكانت شیراز خاصة قبلة أنظارهم ؛ ومن كبار العلماء الذين كان يحلهم ويحضر مجالسهم ، مصطحباً ابنه « أبا بكر » معه العارف العالم « روزبهان » المتوفى سنة ٦٠٦ هـ يذكره صاحب « شیراز نامه » بعبارة كلها تقدير وإجلال ، مشيراً إلى احترام « سعد وابنه أبا بكر » له . وحضورهما مجالسه .

« شيخ شيوخ الزمان ، سيد جلساء الرحمن ، شطاح فارس ميدان ، أبو عهد روزبهان ، ابن أبي نصر البقلي ، مقتداى أرباب طريقت ، وپیشوای أصحاب حقیقت بود ، در فنون علوم نظیر نداشت » إلى أن يقول :

« وأتابك سعد وأتابك أبو بكر بن سعد كه در آن عصر بسلطنت وایالت مملكت فارس اختصاص داشتند ، بمحاورت و معارضت آن حضرت مستبشر و مفتخر بودند » (١)

فإذا عرفنا أن « أبا بكر » ولد في حدود سنة ٥٩١ هـ وأن هذا الشيخ توفي سنة ٦٠٦ هـ ، وأنه خلال هذا الزمن ، لم يتجاوز الخامسة عشر ، أدركنا مبلغ حرص أبيه على توجيهه إلى تلك الناحية ، وأدركنا كذلك مبلغ حبه لطائفة رجال الدين بوجه خاص .

لازمته هذه الروح الطيبة ، نحو طائفة رجال الدين مدى حياته . ففي

(١) شیراز نامه ص ١١٦

سنة ٦٢٢ هـ حينما كان في السجن ، على إثر الخلاف بينه وبين أبيه ، أرسل خطابا إلى الشيخ « عز الدين زر كوب » يلتمس الدعاء له . كما طلب إليه أن يبلغ قدوة الأبدال « نجيب الدين » ليكتب إليه دعاء . فكتب الدعاء المطلوب ، وختمه بتلك العبارة « يا لطيف أدركنا بلطفك الخفي » وقد طلب إليه أن يكررها في اليوم ألف مرة^(١) .

فلما تولى شئون فارس ، واستوى على العرش بعد أبيه ، جعل احترام طائفة رجال الدين نصب عينيه ، واجتهد — كما يقول صاحب « حبيب السير » — في نصرة الدين الحق ، وإحياء علوم الدين ، وبذل جهداً في ذلك لم يجعل لعلوم الحكمة والفلسفة في أيامه شأنًا ، وفضل العباد والمتصوفة ، على غيرهم من رجال العلم ورجال الافتاء والمدرسين^(٢) .

كذلك يشير « الوصاف » إلى أنه بالغ في رعاية الدين الإسلامي ، واطهار شعائره ، وإحاطة رجاله ، إلى حد أرباب أصحاب العلوم الطبيعية والفلسفية وعبارته . « وتاحدى در تقويت دين مهدي ، واطهار شعار اسلام مبالغت نمود ، كه در زمان او هيچ آفريده ، بظاهر در علم حكيمات وجدليات ومنطق ، كه ميزان معي است شروع نيا راست كردن »^(٣) .

بل لعله بالغ في ذلك إلى حد كبير ، فأساء معاملة الموجودين منهم ، في عصره وأكرههم على الهجرة من شیراز ، في قول « الوصاف » أيضاً .

« لا جرم چند افراد ازأئمة نامدار وعلماء بزرگوار بواسطت نسبت علم حكمت ازعاج كرد ، وقهرا وجبرا از شیراز إخراج ، از آن جمله امام صدر الدين محمود الأشنهي ، والامام العلامة توده پشتي ، ومولانا عز الدين ابراهيم القيسي^(٤) »

ويؤيد هذا ما ذهب إليه أيضاً صاحب « شیرازنامه » ، في الفصل الذي

(٢) حبيب السير ص ١٢٩

(٤) وصاف ص ١٥٨-١٥٩

(١) شیرازنامه ص ٥٩

(٣) وصاف ص ١٥٦

كتبه عن الأئمة والعلماء الذين عاصروا أبا بكر ، يذكر من بينهم « خواجه
 أمام الدين جارى المكنى بأبي نصر » وكان أستاذاً « لأبي بكر » لا نظيره
 فى العلوم الشرعية ، ماهراً فى العربية إلى أن يقول .

« وينا بر آنچه غالب فن او علوم شرعى بوده ، در خاطر أتابك أبو بكر نشانده
 بود ، كه گروهى علما كه بعلوم حكمت وأصول مهارقى دارند ، بخلافت سنت
 وجماعت درس ودور ایشان مى گذرد ، وعوام شیراز را اضلال میکنند ، أتابك
 أبو بكر باخراج ایشان از شیراز حكم فرمود . از آن جمله صدر الدين أشنهى استحضار
 واستبصار او بكليات علوم عقلی ، چون بياض نهار از اقامت بينت استفناداشت ودد علم
 إلهيات وطبيعيات وهندسة وهيئة وجدليات وأدييات سعى فرموده بود ، واين جمله
 درس گفتى ، وامام شهاب الدين توده بشتى ، وولانا عز الدين قيسى وجمعى از ائمه
 ديگر هم از اين مقدمات از شیراز تبعيد فرمود » (۱) .

ومن كبار الشخصيات الدينية التي عاصرت « أبا بكر » ونالت إعجابه ،
 وتقديره القاضي « جمال الدين أبو بكر بن يوسف بن أبي نعيم المصرى » . تخيره
 أبو بكر ليتولى منصب قاضى القضاة بفارس كلها ، وكان من تصانيفه شرح
 مقامات الحريري . يقول عنه صاحب «شیراز نامه» .

« أتابك أبو بكر عظيم معتقد سيرة حسنة وآداب وأخلاق مرضيه أو كشت .
 وچون فضائل وكمالات باطريق أخلاق حميده جمع داشت ، منصب قاضى القضاة
 فارس را بر او مسلم فرمودند » (۲) .

وقد مدح بعض الشعراء هذا القاضي بقوله :

بضاعتى المزجاة مولای فاقبلن فانت عزيز المصر بل أوحد العصر
 وأوف لنا كيل العناية مفضلاً يزد لك ربى بسطة الجاه والقدر (۳)

يتضح من هذا أن فارس فى عهد الأمير «أبي بكر» كانت تغلب عليها روح
 دينية صوفية ، وقد مكن لرجال الدين ، والصوفيين فى حياته ، وبالغ فى إكرامهم

(۱) شیراز نامه ص ۵۷-۵۸ (۲) شیراز نامه ص ۱۲۶

(۳) ووصاف ص ۱۵۸

وتقديرهم ، فكان يحضر دروسهم ، وكان يطلب دعاءهم ويسأل رضاءهم . بل بالغ في احترامهم وتقديرهم إلى حد جعله يصغى لمشورتهم ويبدد غيرهم من رجال العلوم النظرية .

تحديد السنوات التاريخية في حياة أبي بكر

يهمنا هنا ، في تدوين عصر هذا الأمير ، أن نشير — بقدر الإمكان — إلى تحديد السنوات التاريخية لأهم المسائل في حياته ، لنعرف مدى ارتباط الشاعر به .

عاصر الشاعر عهد هذا الأمير كله ، وأدرك السنوات الأخيرة من عهد أبيه « سعد بن زنگي » كما عاصر ابنه « سعداً بن أبي بكر » وسندرك من هذا التحقيق ، بعض المسائل الغامضة في حياة الشاعر نفسه ، مما سنضطر إلى الكلام عليها في موضعه .

ويدفعنا إلى هذا ما نلاحظه من الاضطراب الذي يتصل بحياة الشاعر وصلاته بهؤلاء الأمراء مما وقع فيه المؤرخون قديماً وحديثاً . وأخص هذا الاضطراب ما يدور حول تحديد مولده ، وتعيين تخلصه ، وهل كان مأخوذاً من « سعد ابن زنگي » أو من حفيده « سعد بن أبي بكر » ؟ .

والسنوات التي أثبتتها المؤرخون « لأبي بكر » — على قلتها — يمكن أن يستمد منها باقي تواريخ الأحداث الهامة في عصره ، والتي لم يسجل تاريخها .

وليس هناك كبير خلاف بين المؤرخين فيما ذهبوا إليه من التحديد لبعض المسائل ، اللهم إلا ما يتصل بزمان توليته ، ، وقد أشرنا إلى ذلك الخلاف سابقاً . وانهينا إلى الأخذ بالرأي الذي قال بأنه تولى سنة ٦٢٣ هـ ، وهو الرأي الذي اعتمده أيضاً الأستاذ القزويني عند الكلام على سنة وفاة أبيه ، وتجنينا الرأي .

القائل بأن وفاته كانت سنة ٦٢٨ هـ للأسباب التي بسطها الأستاذ القزويني نفسه .
ولكن يبدو أن هناك خلافاً آخر في سنة وفاته ، وإن كان هذا الخلاف
هيناً عن الخلاف في سنة ولايته ، ذلك أنه لا يعدو من الفرق الزمنى عاماً واحداً .
فيجعل صاحب « شيرازنامه » وفاته في جمادى الأولى سنة ٦٥٨^(١) ، بينما يجعل
« وصاف » هذا التاريخ سنة ٦٥٩ هـ^(٢) دون تحديد للشهر ، وإن كانا يلتقيان
بعد ذلك ، في تحديد مدة حكمه وسنه حين أدركته المنية ، فيجمعان على أن حكمه
امتد ستاً وثلاثين عاماً ، وأنه توفي في سن السبعين .

« ورشيد الدين » وهو معاصر له ، يلتقي مع صاحب « شيرازنامه » في سنة
وفاته ، ويختلف عنه فقط ، في تحديد الشهر ، فيجعله جمادى الآخر من العام
نفسه^(٣) . ولكنه يذهب في مدة توليته السلطان مذهباً مخالفاً للثنتين ، فهو يرى
في شيء من دقة التحديد ، أن مدة سلطنته هي أربعة وثلاثين عاماً وستة أشهر
واثنا عشر يوماً^(٤) . فكان وقت جلوسه على العرش كان في أحد الجُماد بين
سنة ٦٢٣ هـ .

أما سنه وقت وفاته ، فإن « رشيد الدين » يخالف كذلك ماذهب إليه
« وصاف » وتبعه في الرأي صاحب « شيرازنامه » . فبينما يجعلان وفاته في سن
السبعين يجعل « رشيد الدين » سنة وفاته في السابعة والستين .

ونحن — من جانبنا — نميل إلى الأخذ برأى « رشيد الدين » فإنه معاصر

(١) شيرازنامه ص ٦١

(٢) وصاف ص ١٨٠ . ويشير الأستاذ القزويني إلى أن ماورد في نسخة «بمبي»
مخالف لبعض النسخ الخطية من كتاب وصاف . ويرى أن ذلك من سهو النساخ .
فإن أغلب المؤرخين يجمعون على أن سنة وفاته هي ٦٥٨ هـ . أنظر تعليقات ص ١٠٧
من سعدى نامه .

(٣) سعدى نامه ص ١٠٧ (٤) نفس المصدر ص ١٠٦

تماماً لعهد أبي بكر، مما ساعده على تحرى الدقة في التحديد الزمني ، باليوم والشهر والسنة .

ونستطيع بهذا أن نستخلص سنة ولادته على وجه قريب من الدقة . فإنه لما كان قد توفي سنة ٦٥٨ هـ في سن السابعة والستين فإن سنة ولادته تكون سنة ٥٩١ هـ .

وبجانب هذه السنوات — التي أشار إليها المؤرخون — نستطيع أن نستخلص السنوات التي وقعت فيها بعض الأحداث الهامة في عصره ولم يشر المؤرخون إلى تحديدها . ونحن نعرف أنه كان سجيناً حتى سنة ٦٢٣ هـ حين وفاة أبيه ، وكان قد أمضى في هذا السجن — كما يقال — سبع سنوات ، فكان القبض عليه حدث سنة ٦١٦ هـ . ولما كان هذا الأمير قد ولد سنة ٥٩١ هـ فكأنه قاد تلك الثورة ، وهو في سن الشباب الطموح ، الذي يأبى على نفسه قبول الهزيمة والاستكانة . وعلى ذلك يكون وقت قيادته لتلك الثورة في حدود الخامسة والعشرين ، وهو نفس السن المناسب لإدراك خطورة المؤامرة التي دبرها ، كما أنه السن التي يستطيع فيها أن يستحوذ على ثقة رجال الدولة والأمة معاً ، وخاصة في مثل هذه المواقف التي تحتاج إلى رفع علم العصيان وإلى المغامرة والكفاح .

الشاعر وأبو بكر بن سعد

أهم شخصية اتصل بها الشاعر ، وارتبطت حياته بحياته ، في كثير من مراحلها . وقد امتدت مدة حكمه بفارس إلى ما فوق الثلاثين عاماً . والشاء قد عاصر هذا الأمير، واكتملت له حاسته الشعرية في عهده ، وانتقاد له العنان ، فنضج شعره ، وسرى في الآفاق، حتى وصف نفسه بأنه حاز قصب السبق في البلاغة ، في عهد «أبي بكر» .

« كه سعدى كه كوى بلاغت ربود در أيام بوبكر بن سعد بود
والقطعة التي يمتدح فيها هذا الأمير ترد في « البوستان » تبلغ سبعة وأربعين

بيتاً كما في كليات فروغى . وقد تضمنت هذه القطعة عدة أغراض هامة ، تنقل
فيها الشاعر من غرض إلى غرض ، ومن وصف إلى وصف .

ويجدر بنا أن نلم بهما ، فنحللها ونشير إلى أغراضها . وترد هذه القطعة بعد
مقدمة في مدح الذات الإلهية ، وقطعة في مدح الرسول عليه السلام ، وأخرى
في سبب نظم الكتاب .

وفي مطلع القطعة يذكر الشاعر أن طبيعته لم تألف هذا النوع من مدائح
الملوك والوقوف بأبوابهم . لكن إن كان ذلك المدح على غير طبيعته ، فإنما
اندفع إليه لغرض آخر ، هو تأريخ حياته الشخصية مع حياة الأمير الذي كان
معاصراً له .

وإذا كانت الحياة قد جمعت بينهما ، في بلد واحد ، وعصر واحد ، فلا أقل
من أن يذكره الشاعر حتى يدرك الناس أن « سعدى » — وقد حاز قصب السبق
في البلاغة — كان في عهد الأمير « أبى بكر بن سعد » . هذه هي أغراض الأبيات
الثلاثة الأولى من المطلع .

« مرا طبع ازين نوع خواهان نبود	سرسدحت پادشاهان نبود
ولى لظلم كردم بنسام فلان	مگر باز گویند صاحب دلان
که سعدى که کوى بلاغت ربود	در آیام بو بکر بن مسعود بود »

وفي ثنایا هذه القطعة كثير من الأوصاف ، وكثير من الأغراض . يتنقل
فيها الشاعر من وصف إلى وصف ، ومن غرض إلى غرض . وأحياناً توجد
مناسبة لهذا الانتقال ، وأحياناً لا توجد ، وكثيراً ما يعود الشاعر إلى غرض سبق
الكلام عليه .

وسنعالج الكلام عليها من حيث الوحدة بينها في الغرض ، لا من حيث
ترتيب الأبيات فيها .

والشاعر نفسه يدرك أن صفات الأمير متعددة بحيث لا يحتمل كتابه هذا احتواءها أو يتسع لها ، بل لعل الأمر — لو عرض له بما يليق — لاحتاج إلى كتاب آخر بجوار هذا الكتاب . يبدو ذلك من بيتيه :

« برون ينم أوصاف شاه از حساب نكنجد درين تنگ ميدان كتاب
گر آنجمله را سعدى إلشا كند مگر دفتری ديگر املا كند »

ونحن نستطيع بعد ذلك أن نقسم — بوجه عام — الأوصاف التي عرض لها الشاعر إلى ثلاثة :

١ — أوصاف سياسية تعرض سياسة هذا الأمير في إدارته لدفة الحكم ، وحسن تدبيره لها ، وما كان لهذه السياسة من أثر ظاهر ، في داخل مملكته وخارجها ، حتى استقر فيها النظام ، وساد الأمن بين ربوعها ، وانتشر فيها العدل .

٢ — أوصاف اجتماعية كمنت في طوايا الأمير ، ونشأ عليها ، وكان لها أثرها الظاهر في حياته الشخصية ، وحياة الذين أحاطوا به في قصره أو إمارته .

٣ — أوصاف عامة ودعاء لهذا الأمير في ختام القطعة بأن يؤيد الله ملكه ويثبت قواعده ، ثم مدح لأبيه ، وترحم عليه .

ولنأخذ الآن في عرض ما تقدم على النحو الذي ذهبنا إليه في التقسيم وعلى نفس الترتيب :

١ - الأوصاف السياسية

ويظهر أن سياسة الرعية — بنشأ من العدل والطف ، والنظر في شئونها بما يحفظ الحياة بينها هادئة مطمئنة — كان ذلك أمنية من الأمن التي تعتلج في النفوس القلقة المضطربة ، يرد لها طمأنينتها ، ويسكن من خواطرها على ماتلقى من خشونة الحياة وعنف السياسة .

كانت هذه أمنية النفوس في تلك الأيام التي سادت فيها المحنة من جراء الغزوات المتتالية بفارس ، ومحنة الغزو المرير الذي منيت به الجماعة الإسلامية عامة في هجوم المغول .

ولعل ما فطر عليه هذا الأمير من حب الرعية وسياستها بما يطمئنها كان دافعاً لهذا الشاعر أن تتحرك مشاعره . فينشد هذه القطعة وغيرها في هذا الأمير ، وكلها تموج بأوصاف العدل ، والقضاء على الظلم ، والعمل بقدر ما في وسعه لإراحة الرعية . ولعل الشاعر لم نفتته هذه اللفظة الطيبة ، في أن يضرب المثل بشخصية إسلامية كبيرة اشتهرت بالعدل بين الرعية ، ذلك هو سيدنا «عمر بن الخطاب» بل كانت منه لمحة لطيفة في التقابل بين «أبي بكر الأمير» «وعمر الخليفة» في هذا البيت ، مشيراً إلى عدله وحسن رعايته .

«جهانبان دين پرور داد گر نیامد چو بوبکر بعد از مر»
فإذا مائله «عمر بن الخطاب» في عدله ورعايته للدين . يأخذ بعد ذلك في التحدث عن مظاهر هذا العدل ، في مواضع مختلفة من القطعة . لا يكاد يشعر بالمناسبة إلا وينفذ منها ، للتحدث عن هذا العدل ، وفي صورة جديدة .

وهو يصور عدله أولاً تصويراً عاماً ، بأن الإنسان لا يرى في عهده محنة وليس من يشكو ظلم القوة :

«نبینی در آیام او رنجی ای که نالد زبیداد سر بنجه ای»
بل لعل العدل في عهده عدل لا نظير له ، عدل يستقر فيه الأمن . وتهدأ فيه النفوس الجازعة ، وتسكن الخواطر الهلعة ، أفلا يكفي أن يكون العدل مبسوطاً ، حتى لو ضل الابن — في هذه الولاية — بعيداً عن أبيه ، لاطمأن كل منهما على نفسه ، وبعد الخوف عنه ؟

« چنان سایه گسترده بر عالمی که زالی نیندیشد از رستمی »^(۱)

وبهذا يتغنى الشاعر بعدل الأمير، غناء يدفعه، بل يدفع كل من يستطيع الحديث، إلى التحدث عنه، وإلا فليعدم لسانه.

« زبان آوری کاندیرین امن و داد سیاست نکوید زبانش مباد »

فهو بهذا يشهد بنفسه على ما في تلك الولاية من العدل بالرعية، والأمن في ربوعها، بل ينكر على من يستطيع الكلام ولا يتكلم بأن يحرمه الله نعمة الكلام.

وبجانب صفة العدل — التي تغنى بها الشاعر — وصفه أيضاً بحسن التدبير، وبعد النظر. وإذا كان الشاعر قد استطاع أن يجد القياس في مماثلته في صفة العدل « بعمر بن الخطاب » فإنه كذلك استطاع أن يعقد مشابهة له، في هذه الصفة بما فعله « الإسكندر الأكبر » في قوله مشبهاً له في سياسته مع المغول :

« سکندر ہدیوار روین و سنگ بکرد از جهان راہ یاجوج تنک
ترا سد یاجوج کفر از ست نہ روین چود دیوار اسکندر ست »^(۲)

هذا بعض ما يصور به الشاعر عدل الأمير، وحسن تدبيره، وذلك من الصفات السياسية.

۲ - الأوصاف الاجتماعية

أما صفاته الاجتماعية، فنحن نقدم منها — أولاً — صفة عامة. يذكره فيها بقوله إن العالم لا يذكر مثله عاقلاً، عريق الأصل، منذ كان الوجود.

چنوئی خردمند فرخ نرثاد ندارد جهان تاجهانست یاد

(۱) ضرب الشاعر مَثَل الأب « زال » ومثل الابن « رستم » وكلاهما بطل من أبطال الايرانيين القدماء كناية عن مطلق أب وابن.

(۲) يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى قصة بأجوج وبأجوج في سورة الكهف « قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن نجعل بيننا وبينهم سداً ؟ »

وإذا كان يوصف بذلك الأصل النبيل ، فقد بلغ — مع هذا — حداً من التواضع يشيد به الشاعر إشادة طيبة . فمع أن تاجه ، يكاد يلمس السماء ، في علو ورقة ، فإن رأسه لا تزال — من التواضع — على الأرض .

«كله كوتسه برآسمان برين هنوز از تواضع سرش بر زمسين»
وبجانب ما يذكر له من التواضع ، فإنه كذلك بار بالضعفاء والمعوزين . لم يعرض له مهموم في حياته ، إلا خفف آلامه ، وسكن خواطره ، وهو في هذا مدفوع بحبه للخير . لا ينبغي جزاء ولا شكورا .

«نديدم چنين گنج وملك وسرير . كه وقفست بر طفل ودرويش وپير
نيامد برش دردناك از غمي كه نهاد بر خاطرش سرهمي»
وهكذا كان للأمير من حذبه على الضعفاء ، ورعايته للمعوزين ، ذكر جميل يسرى في الآفاق ، لا تخفى عنه خافية ، وينتشر صيت كرمه في الحياة الدنيا .
«نه ذكر جميلش نهان ميرود كه صيت كرم درجهان ميرود»
هذا الكرم الذي حدا بالشاعر أن يفاخر به ، ويشيد بمآثر الأمير ، حتى كأنه بحر في العطاء ، وكنز في السخاء . . . لا بل إن البحر والكنز يستمدان وجودهما من وجوده .

«زهی بحسب بخشایش وکان جود كه مستظهر ند از وجودت وجود»
وهناك صفة أخرى استلزمها الظروف العامة ، التي كان يجتازها العالم الإسلامي إذ ذاك ، فكثير من الناس كانوا يفتشون عن مأوى يلجأون إليه ، ويأمنون فيه على أنفسهم وأرواحهم ، من تلك النكبات التي واجهتهم في حرب المغول .

فإذا كان الأمير باراً برعيته ، كريماً على أهلها ، عطوفاً عليهم ، فلن ينسيه ذلك أن يحمي دمار اللاجئين إليه . وهكذا وجدوا فيه وفي إمارته ، الأمان والنجاة

والملاذ . بل وجدوا فيها الحرم الآمن . وهو في هذه الصفة لا ينسى المقايسة أيضاً
بين تلك الأمانة وعاصمتها « شيراز » وبين « البيت العتيق » :

« گرازقته آید کسی در بنسناه ندارد جز این کشور آرا مگاه
فطوی لباب کبیت العتیق حوالیه من کل فج عمیق »

٢ - الأوصاف العامة والدعاء للأمير :

وفي ختامها . يعرض الشاعر — إجمالاً — بيتاً ، يذكر فيه أن هذه الإمارة
بلغت حظاً من حسن الإدارة . وترتيب أمورها واستقرار نظامها ، مما لا نظير له
في غيرها — حديثاً وقديماً — حتى مملكة « فریدون » التي كان يضرب بها
المثل ، فيما سارت عليه من العظمة والقوة والجلال .

وهكذا يمضي الشاعر في تعداد عظمة هذا الأمير ، وبيان نواحيه الطيبة ،
ويعرض لنا صوراً مختلفة مما كان عليه ، من عدل وحسن تدبير ، ومن تواضع
وكرم ، وحسن رعاية لمن يقصده من اللاجئين .

والشاعر يعمد إلى تقوية هذه الصور التي يوردها ، بضرب الأمثلة المتكررة
في كل ما يعرض له من المعاني . وفي ختام هذه القطعة يسند الشاعر إلى نفسه
العجز والتقصير على أنه مهما أوتي من فصاحة أو بيان ، فلن يستطيع أن يوفيه
شكراً على ما بدا من سياسته العادلة ، ومكارمه الكثيرة .

ولهذا لم يبق أمام الشاعر — أخيراً — إلا أن يختتمها برفع أكف الضراعة
لله وحده ، فهو الذي يستطيع أن يوفيه ما هو أهل له من جزاء ، فليكن الله معيناً
له وراعياً . . .

« فروماندم از شکر چندین کوم همان به که دست دعا گسترم
جهانت بکام و فلک یار باد جهان آفرینت نگهدار بساد »

وبهذا يمضي الشاعر في الدعاء للأمير استجابة لعجزه عن الوفاء بما يستحقه
من شكر ومن تقدير .

وأخيراً ينتقل الشاعر — من هذا كله — إلى مدح والد الأمير ، والترحم عليه . هذا الوالد الذي لم تذهب ذكراه من الدنيا ، لأنه أنجب ولداً هو خير الأبناء وأحسنهم .

«نرفت أزجهان سعد زنگی بدرد که چون تو خلف نامبردار کرد»
وبعد أن يترحم على والد الأمير، في ييتين آخرين يمدح الشاعر الفرصة مناسبة للانتقال ، إلى مدح الحفيد ، وهو « سعد بن أبي بكر » في قوله :

«گراز سعد زنگی مثل ماند وباد فک یاور سعد بن بوبکر باد»
هذه هي القطعة التي يقدم بها الشاعر هذا الأمير للناس ، والتي أخذ منها بعض رجال الأدب أن الشاعر قدم كتابه « البوستان » لهذا الأمير .
وفي الكتاب عامة يردد الشاعر — في مواضع مختلفة منه — أوصافاً لهذا الأمير ، تدور حول العدل ، والكرم أيضاً . تأتي في بعض قطعه من بابي العدل ، والإحسان في ذلك الكتاب^(١) .

وهناك بجانب هذا مواضع وردت في كتابه الآخر «الكستان» عرض فيها لذكر هذا الأمير^(٢) .

أما القصائد التي نظمها الشاعر فقد ورد فيها قصيدتان في رثائه خاصة^(٣) كما ورد ذكره عرضاً في قصيدتي رثاء الخليفة^(٤) .

٦ — سعد بن أبي بكر ١٨ يوماً من سنة ٦٥٨ هـ

رأينا كيف صور المؤرخون عهد أبيه من قبل ، وأن عصره — بإجماعهم — كان أزهى العصور . بلغت الدولة القمة في عهده ، من حيث الاستقرار ،

(١) کلیات فروغی . بوستان ص ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٣٨٦

(٢) کلیات فروغی ص ٧٥ ، ١٩٣ ، ٧٩٩

(٣) المصدر نفسه ص ٤٨٣ ، ٤٨٥

(٤) المصدر نفسه ٤١٤ ، ٤٨٦ والنظر سعدی نامه — قزوینی ص ١٠٥ — ١١٠

والإتساع ، والإنشاء ، والتعمير . ومن حيث الحياة العلمية ، حتى عد عصره بحق العصر الذهبي .

والواقع أنه ما كاد يموت « أبو بكر » حتى حل الضعف والانحلال بالدولة ووقف الإنشاء والتعمير . بل وقف النوفى جميع نواحي الحياة ، وأخذت الحياة السياسية وغيرها ، تتدهور بعد عهد « أبى بكر »

وكان مرد هذه الأمور راجع — فى كثير من الأحيان — إلى قصر عهد أمراءها ، من جانب ، وإلى الفتن الداخلية — التى نشبت بين الأمراء وأولياء العهد للوثوب إلى كرسى الإمارة — من جانب آخر ، بل إن بعض الأمراء كان من صغر السن ، والضعف بحيث تدخلت السيدات فى الولاية عليهم ، وإدارة شئون الإمارة بأيديهم .

وبجانب هذه العوامل لا ننسى أن نذكر أن السياسة التى رسمها المغول فى شئون هذه الإمارة ، بدأت قبل هذا . لكن نفوذهم أخذ يقوى فى الإمارة على حساب ضعف حكامها ، ومد هؤلاء أيديهم للمغول ، يلتمسون السلطة ، وتثبيت العرش .

وكما ضعف نفوذ الأمراء ، قوى نفوذ المغول ، حتى انتهى الأمر أخيراً بانتقال الحكم إلى أيديهم أيام « أبش خاتون » . فولوه بعض أمراءهم ، أو بعض من يتوسمون فيه حسن الإدارة ، وصدق الإخلاص لهم .

وسيتضح ذلك مما سيأتى ، ابتداء من عهد هذا الأمير . وهذا ما تصور عبارة « وصاف » .

« وأزان تاريخ تا إروز روزن بلا فراخ تر ميشود ، وعقده أمور مشكل ميگردد »

و يتمثل بهذا البيت فى تصوير تلك الحالة .

«لا يعجب الناس منهم إن هم انتشروا مضي سليمان وانحل الشياطين»^(١)
ونلاحظ أنه بعد أن تولى «سعد بن زنگي» عرش الإمارة بعد أخيه «تكلة»
جعل تولية العرش وراثية تقليدية في بيته ، فاستحضر ابنه «أبا بكر» وفك أساره
من السجن ، وجاء به ليتولى عرش الإمارة بعد أن كان قد سجنه تأديباً له على
خروجه عليه .

وسواء أكانت شخصية «أبي بكر» ساعدت على توليته العرش ، فوثب
إليه بمجدارة ، أو أنه لم يكن له مزاحم قوى ينافسه السلطان ، فإنه تولى العرش
بعد أبيه ، وكان عليه — هو أيضاً — أن يمهّد الأمر لابنه «سعد بن أبي بكر»
ولهذا أخذ يعمده إعداداً يفتح له الطريق للوصول إلى العرش والمجيء به إليه ،
إن فاجأته المنية ، دون أن يرتب له الأمر .

كان أبو بكر يسير على سياسة حسن الجوار مع المفلول ، منذ تولى عرش
الإمارة ، وكان كثيراً ما يرسل الجيوش ، أو الوفود تلو الوفود ، وعلى رأسها أحد
أمراء البيت ، لتساهم في الفتوح ، أو في تقديم فروض الولاء للفاثحين . ورأينا أنه
أرسل ابن أخيه «محمد شاه بن سلفر شاه» لمساعدة هولاء كوفي فتح بغداد .

وقد بكر أبو بكر في توجيه ابنه كذلك نحو هذه السياسة ، ولعله انتظر عليه
— فقط — حتى يمكن أن يتوسم فيه القيام بمثل هذه المهام ، فيجعله على رأس
الوفود لتقديم التهاني ، أو إظهار الولاء لهؤلاء كوفي .

وأول مرة ظهر فيها سعد على مسرح الحوادث ، كان في تهيئة أبيه له ، بعد
أن اجتاز عهد الصبا ، وافتتح عهد الشباب ، فأرسله على رأس وفد إلى هولاء كوفي
ليهنئهم على فتح آخر قلاع الإسماعيلية سنة ٦٥٤ هـ^(٢) .

(١) وصصاف ص ١٨١

(٢) سعدى نامه — الأستاذ القزويني ص ١١٢

ومنذ ذلك العام — وكلما دعت المناسبة — كان أبوه يرسله إلى بلاط المغول لتمثيله في تقديم التهاني ، أو مزوداً بالمال المتفق عليه أتاوة عن إمارته . فلما انتهى هولاكو من فتح بغداد، أرسله أبوه في السابع من شعبان سنة ٦٥٦ هـ ليمثله في تهنئته بهذا الفتح^(١) ، قاستقبله هولاكو ، استقبلاً حسناً ، وأعز جانبه وأكرم وفادته . فلما تم الأمر لهولاكو واتجه نحو الغرب يواصل فتوحه ، وبلغ بلاد اللور وأتم فتحها سنة ٦٥٨ هـ كان سعد قد أرسل — من قبل أبيه أيضاً — على رأس وفد تهنئة هولاكو ، مزوداً كذلك بالهدايا النفيسة التي بعث بها أبوه^(٢) .

وفي أثناء عودته بالطريق سمع ب وفاة أبيه ، وانتقال مقاليد الأمور إليه ، ولكن القدر لم يمهله بعد وفاة أبيه أكثر من ثمانية عشر يوماً^(٣) ، إذ مرض وهو في الطريق . أصيب بزعاف واستسقاء ففقد نحيبه ، دون أن يصل حتى إلى « شيراز » نفسها ، وكانت نهايته بمدينة تسمى « طبرتو » من أعمال آزر ييجان . كان أبوه وهو في حياته قد بادر بزواجه مبكراً ، فعقد له على فتاة من بيت ملكي آخر هي « ترکان خاتون » ابنة أتابك يزد « قطب الدين محمود شاه » وكانت كما توصف سيدة ذات سياسة وتذير ، لم تكذب بوفاة زوجها ، حتى عملت على نقل جثته إلى « شيراز » ودفنته بالمدرسة العضدية التي أنشأها .

وينقل صاحب شيراز نامه عن « ابن الجوزي والثعالبي » أن الحاكم السادس في الدولة الإسلامية ، ليس له نصيب وافر من الحكم . ويوردون من هذا القبيل « الحسن بن علي » في الخلفاء ، « ومحمداً الأمين » في حكم آل عباس ، ويجعل هو

(١) جامع التواريخ — ص ٣٢٢ — كاترير

(٢) شيراز نامه ص ٦١ وسعدی نامه ص ١١٢

(٣) وصف ١٨١ ويذكر صاحب تاريخ كزیده أنها اثناعشر يوماً ص ٥٠٨

على هذا القياس حكم « سعد بن أبي بكر^(١) » فإنه لم يظفر بأكثر من أيام محدودة ويقال إنه بالرغم من هذا قد ضربت السكة باسمه^(٢) بمجرد وفاة أبيه ، ونودي به في المساجد أميراً ، في المدة القصيرة التي أعقبت أباه، وقبل حضوره إلى شيراز. لكن هذه أعمال تقليدية تمت في غيبته بحكم التقاليد الموروثة .

متى ولد هذا الأمير ؟

والتحقيق التاريخي في حياته القصيرة ، نعتمد فيه على ما سجله المؤرخون . وعلى ضوءه نفترض بقية التواريخ للأحداث الهامة في حياته ، كي نحدد — بقدر الإمكان — تاريخ مولده، ومدى حياته بالتقريب، لنذكر منها هل يمكن أن ترتبط حياته بحياة الشاعر نفسه ؟ وهل بلغ سنًا يمكن أن يحمل رجلاً في سن الشاعر ومنزلته بحيث يجعل تخلصه مأخوذاً من اسم هذا الأمير ؟؟

ويمكننا بالرجوع إلى بعض التواريخ ، التي حدثت في حياة أبيه ، أن نذكر منها التواريخ الهامة في حياته الشخصية ، فقد ذكرنا سابقاً أن المؤرخين في شبه اتفاق جعلوا وفاة أبيه ، في أحد الجُماديين سنة ٦٥٨ هـ ، وأنه توفي بعد أبيه بثمانية عشر يوماً ، فالفرق بين تاريخ وفاة الابن ووفاة الأب لا تعدو أياماً قصاراً .

والمؤرخون كذلك يقولون إنه أنجب من زواجه ولداً هو « محمد بن سعد » وكان لا يزال صبيّاً ، لا يتمكن من إدارة دفة الأمور بنفسه ، فأشرفت عليه أمه « ترکان خاتون^(٣) » . وكانت ذات ذكاء وفطنة ، يصفها وصاف بقوله :

« زنی رای زن بافطنت و فن بود ، بنظم ملک پادشاه و مصالح قیام نمود . و رعایت رعیت را در کنف راحت و رفاهیت بداشت ، و اطراف بروجر را بدین صنعت از ضیعت و اتلاف مأمون الساحة گردانید^(٤) » .

(١) شیراز نامه ص ٦٢ (٢) شیراز نامه ص ٦١
(٣) سعدی نامه ص ١١٣ (٤) وصصاف ص ١٨١

ولسنا نستطيع أن ندرك كم من الزمن عاش هذا الصبي ، وإن كنا قد عرفنا أنه لم يبلغ سن الرشد بعد ليستطيع تولي العرش بنفسه ، ولكن الأستاذ القزويني ، يذكر أنه حين وفاة «سعد» كان ابنه «محمد» في الثانية عشرة . وكان له أيضا ابنتان — كبرى وتسمى «سلغم» وصغرى وتسمى «أبش خاتون» — ولكنه لا يحيلنا على المصدر الذي استقى منه هذا القول وإن كنا نأخذ بهذا الرأي أيضا فهو في السن التي لم تمكنه من القيام بشئون الدولة دون الإشراف عليه .

وهناك بجانب هذا ، تاريخ آخر عرض له المؤرخون في مجرى حياته ، وهو إرساله لأول مرة على رأس بعث إلى هولاكو ليهنئته ، نيابة عن أبيه بعد فتح آخر قلاع الإسماعيلية سنة ٦٥٤ هـ .

ونستطيع أن نفترض بعض الوقائع وأن نقيس عليها الزمن المناسب لها فلعلنا نصل إلى شيء في معرفة سنة ولادته ، وبالتالي مدى حياته ، ولننظر للمسألة من الوجوه الآتية :

أولا — رأينا أن أول سنة ظهر فيها على مسرح الحوادث كانت سنة ٦٥٤ هـ فإذا يمكن أن يكون قد بلغ من السن في ذلك الوقت . . . ؟ يمكن أن نقدر سنه إذ ذاك في حدود الخمسة والعشرين عاما . وهي السن اللائقة للقيام بمثل هذه المهمة في مثل بلاط «هولاكو» فيكون مولده — حسب هذا التقدير في حدود سنة ٦٣٠ هـ . وسنه عند وفاته سنة ٦٥٨ هـ لا تتجاوز الثلاثين .

ثانياً — وهذا تقدير مناسب ، إذا لاحظنا أيضا تقدير المؤرخين لسنه ، فينقل الأستاذ القزويني عن صاحب «مزارات شيراز» في ترجمة حياة هذا الأمير أنه كان في عنفوان شبابه عند وفاته ، إذ يعلق على عبارة هذا المؤرخ « وكان ملكا شابا جميلا » بقوله :

« واضح میشود که وی در عنفوان جوانی (١) »

(١) سعدی نامه ص ١١٣

وهذا ما يقربنا من صحة الافتراض السابق الذى انتهينا فيه إلى أن هذا الأمير قد توفى وهو فى حدود الثلاثين . وأن ميلاده كان فى حدود سنة ٦٣٠ هـ .
ثالثاً — يضاف إلى هذا ما يؤخذ أيضاً من أوصاف الشاعر له ، فى مدحه حال حياته ، وراثته له عند وفاته ، فانه لم يتخط فى كلا الناحيتين مرحلة الشباب .
فأما وصفه فى « البوستان » فيرد فى قطعة تحت عنوان « مدح سعد بن أبى بكر بن سعد » . ترى « كليات فروغى » وبعض نسخ « البوستان » أنها فى مدح هذا الأمير . وترى غيرها أنها فى مدح ابنه « محمد شاه » . لكن كثيراً من الوقائع تؤيد أنها فى الأب وليست فى الابن . وسنعرض لذلك عند مدائح الشاعر فى ابنه « محمد شاه » .

ومطلع هذه القطعة بيت يوصف فيه بالشباب السعيد الحظ المشرق الضمير :
جوان جوانبخت روشن ضمير بدولت جوان وبتدبير پير ، (١)
ونحن نعرف أن البوستان قدم لأبى بكر سنة ٦٥٥ هـ . وعند وفاته ، قد رثاه الشاعر أيضاً بقصيدة وصفه فيها بالشباب كذلك فى بيته الآتى :
« پس از سرگ جوانان گل مماناد پس از گل در چمن بلبل مخواناد » (٢)
فهو فى نظر الشاعر نفسه لم يتخط سن الشباب حين وفاته سنة ٦٥٨ هـ .
وعلى ذلك يكون تقديرنا لسنة الثلاثين عند وفاته تقدير مقارب للحقيقة .

مدائح الشاعر ومراثيه فى هذا الأمير :

كان نصيب هذا الأمير من ذكر الشاعر له نصيباً لا بأس به ، وإن لم يبلغ نصيب أبيه ، ولعل أهم ما خلد به الشاعر اسم هذا الأمير هو كتابه « الكاستان » الذى قدمه له فى حدود سنة ٦٥٦ هـ بعد أن قدم « البوستان » لأبيه فى العام الذى سبق .

(١) كليات فروغى ص ٢٢٥ (٢) كليات فروغى ص ٤٨١

ويشير الشاعر — في مقدمته لهذا الكتاب — إلى ذلك بعد عبارة منشورة
بقوله البيت الآتي :

«على الخصوص كه ديباجه^١ هما يوتش بنام سعد أبوبكر سعد بن زنگيست^(١)»

هذا هو الموضع الذي ورد فيه ذكر لهذا الأمير من كتاب «الكلستان».

وقد أشرنا سابقاً إلى أن هناك قطعة في الكتاب الثاني «البوستان» يختلف
فيها الرواة . فيقول بعضهم إنها في مدح الأمير «سعد بن أبي بكر» ولي العهد ،
بينما يجعلها الآخرون في مدح «محمد بن سعد» . وقلنا إن القطعة في مدح الأب
ولست في مدح الابن .

وبجانب المواضع التي عرض فيها لمدحه في كتابيه «البوستان والكلستان»
هناك مواضع أخرى ينتقل فيها إلى الحديث عنه ، وذلك في مرثيتين من
مراثي أبيه^(٢) .

أما مراثيه الخاصة فمرثيتان : إحداها تقع في باب المراثي ، والأخرى في باب
الترجيعات من كليات فروغى^(٣) .

٧ — محمد بن سعد وأمه ترکان خاتون : ٦٥٨ — ٦٦١ هـ

تلقت أمه وحدها هول الصدمة في أبيه ، ونفذت إلى الحكم وصية على ابنها
الذي لم يتجاوز الثانية عشرة ، كما أسلفنا ، وكان أول عمل اتجه إليه ذهنها ، أن
بعثت إلى «هولاكو» بالوزير «نظام الدين أبي بكر» لتقديم فروض الطاعة
والولاء^(٤) . ليقرها على تصرفها في توريث ابنها عرش الإمارة بعد أبيه
تحت إشرافها .

(١) كليات فروغى ص ٧٨ (٢) كليات فروغى ص ٧٠٦، ٤٨٦، ٤٨٣
(٣) كليات فروغى ص ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٥ وسعدى نامه. قزويني ص ١١٠، ١١٥
(٤) وصاف ص ١٨١

ويبدو أن أهالي شیراز لم يستقبلوا هذا الوضع من جانبهم بالرضا والقبول ، فتشاءموا من ذلك^(١) . وكانت سياسة «هولاكو» نفسها ترمى إلى إقرار السياسة التي يتفق عليها مادامت لم تؤد إلى قلق ، أو اضطرابات ذات خطورة . وكان أن أقرها على ما فعلت ، وسمح لها أن تصرف شئون الدولة وصية على ابنها .

ويذهب صاحب « حبيب السير » مذهباً مناقضاً تمام المناقضة ، لما ذهب إليه « الوصاف » في الناحيتين . فيرى أن الاختيار تم بين أكابر « شیراز » على تولية ابنها العرش تحت وصايتها ، وأقر « هولاكو » ذلك ، كما يرى أن الوزير « نظام الدين أبا بكر » أراد إفساد الأمر عليها لدى « هولاكو » ، فتوجه من نفسه بالهدايا وإعلان الطاعة — طمعاً في الملك — لكنه لم يفلح فيما ذهب إليه^(٢) . وسواء أكان الأمر هذا أو ذاك ، فإنها تولت الحكم مباشرة ، بعد وفاة زوجها في نفس الشهر . ومن المصادفات أنه في الشهر نفسه خطب لثلاثة من حكام الأناطقة . خطب في أوله « لأبي بكر » ، فلما توفي خطب لابنه « سعد » فلما توفي خطب لابنه « محمد » .

وكأنما خلقت « ترکان خاتون » لتواجه النكبات في زوجها وابنها ، بل في حياتها شخصياً ، فلم تمتد حياة ابنها طويلاً . فما كادت تمهد له الأمر ، ويستقر الحكم في أيديها ، حتى توفي وهو لا يزال صبياً إثر سقوطه من سطح القصر في شهر سنة ٦٦١ هـ^(٣) بعد سنتين وسبعة أشهر من تاريخ ولايته ، فدفنته أمه بجوار أبيه ، وهي تتمثل بهذا البيت :

« این چه باداست کزو غنچه شکفته بریخت

وین چه سیل است که بر کند زین شمشاد^(٤) .

(١) وصاف ص ١٨٢

(٢) حبيب السير ص ١٣٠

(٣) وصاف ص ١٨٢

(٤) شیراز نامه ص ٦٧

الشاعر ومحمد بن سعد

نشير هنا إلى خلاف بين نسخ من « البوستان والكلديات » عامة في قطعة يسندها بعض الرواة إلى الشاعر في مدح « سعد بن أبي بكر » . ويسندها الآخرون إليه في مدح « محمد بن سعد » .

وتتفق النسخ جميعها ، في أن نهاية القطعة السابقة لها والتي قالها الشاعر في مدح « أبي بكر بن سعد » هو هذا البيت :

وگر از سعد زنگی منل ماند و یاد فک یاور سعد بو بکر باد

ثم يأتي الخلاف في عنوان القطعة وفي مطلعها .

فأما الذين ذهبوا إلى أن القطعة في مدح « سعد بن أبي بكر بن سعد » فقد جعلوا مطلعها :

« جوان جوانبخت روشن ضمیر بدولت جوان وبتد پیر پیر (١) »

وأما الذين أثبتوها في مدح « محمد بن سعد » فقد جعلوا مطلعها :

« آتابک مجد شهی نیک بخت خداوند تاج و خداوند بخت (٢) »

ثم كان البيت التالي ، لهذا البيت ، هو الذي تقدم ، والذي أثبتته بعض النسخ مطالعاً للقطعة . وتمضي بقية القطعة في مجموع النسخ ، على رواية واحدة ، فبالخلاف فقط في العنوان ، وفي بيت المطلع .

ومن الحق هنا ، أن نقف للفصل في هذه المسألة بما يعن لنا . ونحن نميل إلى أن نجعل هذه القطعة في مدح الأمير « سعد بن أبي بكر » . وليست في مدح ابنه « محمد بن سعد » وذلك للأسباب الآتية :

١ — أن جميع النسخ تجمع على أن نهاية القطعة التي امتدح فيها الشاعر

« أبا بكر بن سعد » هو هذا البيت :

(١) كلديات فروغی ص ٢٢٤ (٢) بوستان Graff ص ٢٥

« گراز سعد زنگی مثل ماند و یاد فلك ياور سعد بوبكر باد »

وفي نظرنا ، أن الشاعر أراد أن يهيم الذهن للحديث عن هذا الأمير ، فمن المناسب أن يكون الانتقال إلى مدحه ، لا إلى مدح ابنه .

٢ — لو كانت هذه القطعة في مدح الأمير « محمد » لكان الانتقال إليه بعد مدح جده الثاني « سعد بن زنگی » وجده الأول « أبي بكر » فيه تجاهل لأبيه « سعد بن أبي بكر » . والمقام هنا أنسب لأن يكون الانتقال في المدح إلى « سعد » الابن لا إلى « محمد » الحفيد .

٣ — أن الوصف الذي ورد في مطلع هذه القطعة وخلالها ، مناسب لأن يكون في « سعد » من أن يكون في « محمد » . فان الأوصاف التي وردت في المطلع ، تدل على أنه شاب سعيد الحظ ، مشرق الضمير ، فتي في الدولة ، وشيخ في التدبير . هذا هو تفسير البيت الأول الذي عرض لوصف الأمير مطلقاً ، دون أن يشير إلى من هو هذا الأمير . ؟ ؟ سوى أن بعض النسخ تجعل عنوان القطعة في مدح « سعد » وفي الأخرى يمدح « محمداً بن سعد » مع إضافة البيت الذي يشير إلى اسمه .

ونلاحظ أن هذه الأوصاف التي وردت في مختلف النسخ ، تناسب — إلى حد بعيد — أن تكون في « سعد » لا في ابنه « محمد » . فانه كان فتي ، عهد له أبوه بالقيام بالكثير من المهام ، ومنها سفارته إلى بلاط المغول . وأنه كان في تلك السن ، قد بلغ مبلغ الرجال ، فأشرف على الثلاثين ، لا مبلغ الفتيان فحسب . في الوقت الذي لم يكن فيه « محمد » — حين إنشاد البوستان — على فرض أنه تم إنشاده دفعة واحدة وانتهى سنة ٦٥٥ هـ — لم تكن سن « محمد » إذ ذاك تتجاوز السابعة ، فانه قد توفي سنة ٦٦١ هـ وهو في سن الثانية عشرة ، فلم يبلغ مبلغ الفتوة ،

حتى ولا مبلغ من يتولى شئون الإمارة بنفسه بعد وفاة أبيه ، وبالتالي لم يأت عملاً يستحق المدح .

رأى الأستاذ القزويني والرد عليه

على أن الأستاذ القزويني ، يذهب إلى تأييد الرأي القائل ، بأن هذه القطعة في مدح « محمد بن سعد » وذلك — في نظره — للأسباب الآتية :

١ — إن الشاعر بعد أن أتم « البوستان » سنة ٦٥٥ هـ أضاف إلى ذلك الموضع ، هذه الأبيات في عهد سلطنة « الأتابك محمد ٦٥٨ هـ — ٦٦١ هـ ^(١) » .

٢ — كما يرى أن عنوان هذه القطعة ، في نسخة شاهدها — يؤرخ نسخها سنة ٧٦٧ هـ — تحت هذا العنوان « ستايش أتابك محمد بن سعد بن أبي بكر » ويذكر استطراداً أنه في جميع النسخ الأخرى ، يكتب عنوانها أيضاً بنفس هذه العبارة ، أو بمضمونها .

٣ — ثم يذهب في تأييد هذا الرأي كذلك إلى أن البيتين الآتين صريحان في مدح الأتابك « محمد » نفسه وهما .

« صدف را كه بينی زدر دانه بر نه آن قدر دارد كه يك دانه در
تو آن در مكنون يك دانسه كه پيرايسه سلطنت خانه »

ومعناها « إن الصدف الذي تراه ممتلئاً بحب الدر ، ليست له تلك القيمة ، التي تحتويها حبة واحدة . وأنت تلك الحبة الوحيدة ، التي هي كالدر المكنون ، زينة لبيت السلطنة » .

فيرى الأستاذ أن هذين البيتين ، إشارة إلى الابن الوحيد لأبيه ، حيث أنه . في الواقع — كان محمد هو الغلام الوحيد لسعد بن أبي بكر

(١) سعدى نامه ص ١١٦

ونستطيع بعد إجمال آراء الأستاذ أن نرد عليها — بالإضافة إلى ما أوردناه سابقاً — بالأمور الآتية :

١ — يرى الأستاذ أن الشاعر أضاف بنفسه، عدة أبيات — بعد أن أتم «البوستان» سنة ٦٥٥هـ — في عهده سلطنة « محمد شاه » التي انتهت سنة ٦٦١هـ ومع تسليمنا بإمكان الإضافة على النسخة التي تمت في عهد « أبي بكر » أحياناً أو قطعاً أخرى ، وبالتالي بأن « البوستان » تم على دفعتين . فإن الخلاف الذي بين النسخة التي أخذ عنها الأستاذ وغيرها من النسخ الأخرى ، التي جعلت القطعة في مدح « سعد بن أبي بكر » ليس في الأبيات جميعها ، لكنه في بيت واحد هو الذي جعل في مطلع القطعة ، مشيراً إلى اسم الأمير « محمد » .

والقطعة كلها تبلغ ثمانية أبيات — كما أوردها الأستاذ القزويني — يتردد فيها وصف للأمير يصح أن ينصب على « سعد بن أبي بكر » أو على « ابنه » . فإن الخلاف بين النسخ ليس في القطعة كلها ، ولكن في البيت الأول ، وليست الإضافة التي أضيفت ، في مطلع القطعة ، يقع غيرها في عموم الأبيات ، وليس بين النسخ خلاف في هذا .

٢ — إن النسخة التي اعتمد عليها الأستاذ القزويني في تأييد رأيه ، لا يقوى الاعتماد عليها أنها تؤرخ سنة ٧٦٧هـ . فهي نسخة متأخرة — من حيث الزمن — عن النسخة التي عثر عليها مخطوطة بخط « علي بن أحمد بن أبي بكر البيستوني » والتي كان تاريخها سنة ٧٢٦هـ^(١) .

فهذه النسخة أسبق من النسخة التي اعتمد عليها الأستاذ القزويني . كما يقال

(١) انظر بدايع شيخ سعدى . طبعة كاوياني نشر . ت . إيران . سنة ١٣٠٤هـ ص ٥٥ . ومقدمة كليات فروغى ص ٨ .

إنها عن نسخة بخط الشاعر نفسه . وهذه النسخة هي التي نشرت بإيران أخيراً ،
وقام بنشرها الأستاذ فروغى .

٣ — البيتان اللذان ذهب الأستاذ القزوينى فى تأييد رأيه عليهما ، واللذان
أشرنا إليهما سابقاً ، لا ينصان صراحة على الأمير « محمد » . فمن الممكن أن
ينصب معناهما على أبيه كذلك ، فهو أيضاً درة وحيدة فى بيت السلطنة . وإذا كان
الأمير « محمد » يعتبر وحيداً فإن أباه كذلك يعتبر وحيداً أيضاً ، ولم تشر كتب
التاريخ ، أو التراجم إلى أن « سعداً » كان له إخوة آخرون من أبيه « أبى بكر » .
ولو قد كان له ، لأمكن أن ينازع السلطان لهذا الحفيد الصغير الضعيف ، الذى
أسرعت أمه فى احتضانه ، والوصاية عليه .

فالبيتان صالحان كذلك لأن يكونا فى « سعد » نفسه لا فى « محمد » الأمير .

٤ — وبجانب هذه المناقشة — إذا نظرنا إلى البيت الذى يشير إلى اسم
محمد — لأحسنا بأنه قلق فى موضعه ، مقحم بين موضعين ، مضطرب الصلة
بما قبله وبعده ، يشعر معناه بالافتعال كذلك .

ويبدو هذا الاضطراب ، فى الانتقال المفاجئ من مدح الجسد إلى مدح
الحفيد ، وفى عدم انسجام معنى البيت الذى بعده على الأمير محمد . فهو يقول .

« جوان جوانبخت روشن ضمير بدولت جوان وبتدير پير »

كيف ينسجم هذا الوصف فى فتى لم يبلغ الحلم بعد ؟؟ وكيف يكون هو
نفسه شيخاً فى التدبير ، بينما لا تزال الوصاية جاثمة على صدره ، لا يفارق قصره
إلا فى رعاية الرائدین ؟؟؟

فالمسألة من هذه الوجوه جميعاً ، تؤيد صحة القطعة فى « سعد بن أبى بكر »
وليست فى « ابنه محمد » .

أما تفسير مجيء بعض النسخ بهذا البيت في طليعة القطعة ، فأمر سهل رده .

ولسنا نسلم بأن الشاعر بنفسه هو الذى وضع هذه القطعة ، ولا هذا البيت وحده ، ولكننا نسند ذلك إلى عبث الرواة ، وتلاعب النساخ . وأنهم ليعانى الأدب والعلم من أمرهم الشيء الكثير !

ونشير إلى ما ورد عن هذا الأمر فى مقدمة « كليات فروغى » . فهو يقول ، « إنه فى مدى السبعائة سنة التى مضت بعد وفاة الشاعر ، ظهرت نسخ كثيرة من الكليات ثبت فيها أغلاط كثيرة ، إما من طريق السهو ، أو من طريق التصرف ، الذى كثيراً ما كان يقع عمداً ^(١) » .

الشاعر وتركـان خاتون

مع هذه الأدوار العظيمة ، التى لعبتها فى توجيه سياسة الإمارة ، وفى إدارة دفة الأمور ، فإن حظها من مدائح الشاعر ، لم يكن كثيراً ، كما أنه تجاهل وفاتها أيضاً فلم يكن له مرث فيها .

ونشير — بجانب ذلك — إلى أن الشاعر كان يتحرج كثيراً فى ذكر اسمها ، أو حتى وضع عنوان صريح لقصائده فيها ، وإنما كان يؤخذ من مفهوم العبارة أنها فى مدحها . وليس يصعب علينا تفسير هذه الظاهرة .

وقد أشار الأستاذ القزوينى إلى أن صمت الشاعر عن ذكر اسمها لم يكن.

(١) كليات فروغى ص ٣ وانظر مدائحه الأخرى فى كليات فروغى ص ٦٤٧، ٥٥٤

وانظر سعدى نامه قزوينى ص ١١٥-١١٩

اتفاقاً ، بل كان قصداً ، اقتضاه موقف المتحدث عنها ، تمشياً مع قواعد اللياقة والاحترام ، مع سيدة السلطنة في ذلك العصر .

فكما أن العادة جرت على أن تكن مستورات بأشخاصهن عن العيون ، فكذلك ينبغي أن تكون أسماءهن ، مستورة عن الأسماع كذلك .

ولهذا نجد الشاعر يعمد إلى وصفها بأوصاف لائقة تشير إليها ، ولا تفصح عنها . ولعل ذلك هو الذى أوحى أيضاً إلى بعض النساخ والرواة ، أن يضعوا لها العناوين اللائقة .

فأما الشاعر فكان يكنى عنها ، بوصف رقيق لائق ، وهو كلمة « حرم » وفى المواضع التى رغب فى التحدث عنها ، كان يشير إليها مستخدماً هذه الكلمة ، مسبوقة بالإضافة كما فى « أهل حرم ^(١) » أو متبوعة بصفة كما فى « حرم عفت وعصمت ^(٢) » .

وقد أوحى الكناية عنها الرواة والنساخ أن يضعوا عناوين مناسبة كمثل « وله فى الحرم المعصوم » أو « وله فى الستر العالى ^(٣) » أو ما حول ذلك .

٨ — محمد شاه بن سلغر شاه : ٨ أشهر من سنة ٦٦١ هـ

لعل السياسة التى سلكها هذا الشاب — مع ما كان له من التقدير العظيم فى نظر أبى بكر أيام حياته ، وحتى فى نظر هولاء كو ، لما كان يبدى من البسالة والشجاعة فى مساعدتهم فى الحرب — ولعل سلوكه الشخصى ، وانحرافه عن الدين وتجنبه ، سياسة المسألة ، التى كان ينبغي أن يأخذ بها « ترکان خاتون » . لعل مسلكه فى كل ذلك ، أدى إلى قصر حكمه ، وبالتالي إلى القبض عليه وإرساله ، إلى بلاط « هولاء كو » على النحو الذى سنورده .

(١) كليات فروغى ص ٨٥ (٢) نفس المصدر ص ٦٤٧

(٣) النظر سعدى نامه . قزوینی ص ١٢٤، ١١٩

أخذت « ترکان خاتون » تتدخل في توجيه شئون الأمانة، وتلعب دوراً هاماً في تدبير الأمور، وتشرف بنفسها على معالجة الحوادث، التي تواجه الدولة. فدبرت الأمر بينها وبين رجال الدولة، بعد وفاة ابنها على تولية « محمد شاه بن سلغر شاه »^(١). وكانت قبل ذلك قد زوجته كبرى بناتها « سلغم »^(٢). وكان عمه « أبو بكر » يلمح فيه كذلك الرجولة والهمة. فعرفنا أنه قد دبر له جيشاً، ومضى به ليساعد « هولاء كو » في فتح بغداد، فأبدى في تلك الموقعة، شجاعة وقوة مراس، أعجبت « هولاء كو » إلى حد بعيد^(٣).

لكن يبدو أنه ركب رأسه، وامتلاً غروراً، حين قبض على زمام الأمور بنفسه، وانصرف عن تدبير شئون الدولة، وصرف وقته بين اللهو واللعب، وأسرف في ذلك إلى حد أغضب أمراء الدولة، وعلى رأسهم « ترکان خاتون » نفسها التي كان لها الفضل الأكبر، في وصوله إلى العرش.

ثم حدث أن طلقت منه ابنتها « سلغم » وزوجتها من ابن خالها الأتابك « يوسف شاه بن علاء الدولة » أتابك يزد^(٤). وهكذا وقع هذا الشاب في خطأين عظيمين. خطأً شخصي في مجونه، وتجنبه روح الدين، وتظاهره بذلك. وخطأً سياسياً، في تجاهله شخصية ترکان خاتون، فلم يظفر بتأييد الشعب، أو أبناء البيت المالكي على السواء، بالرغم من ماضيه المجيد.

ولهذا دبرت « ترکان خاتون » الأمر مع بقية الأمراء، وقادت ضده حركة محكمة، أدت إلى القبض عليه، وخلعه عن العرش، وإرساله إلى « هولاء كو ». أسيراً، وظل في أسره حتى توفي في نفس السنة التي تولى فيها وهي سنة ٥٦٦١ هـ. وكانت مدة حكمه لا تزيد على ثمانية أشهر^(٥).

(٢) سعدى نامة ص ١١٩

(٤) سعدى نامة ص ١١٩

(١) وصال ص ١٨٣

(٣) وصال ص ١٨٣

(٥) حبيب السبر ص ١٣١

وهكذا انتهى بعيداً عن موطنه محروماً من تقدير الشعب له ، ومحروماً كذلك من تقدير الشاعر ، فلم يكن له فيه قصائد مدح أو رثاء .

٩. — سلجوق شاه بن سلغر شاه : ٧ أشهر من سنة ٦٦٢ هـ

كان سلجوق شاه — كما يصوره التاريخ أيضاً — شاباً طموحاً ، ولكنه ضل الطريق كذلك ، كما ضل أخ له من قبل . هو « محمد شاه » وإن كانت أساليب الضلال مختلفة بعض الاختلاف ، فالأول تجنب سياسة المصانعة مع ترکان ، والثاني رأى أن يأمن غدرها فابتنى بها أولاً ، ثم غدر بها أخيراً .

والأول ارتكب سياسة الجون والاستهتار ، فنفر منه الشعب ، وثار ضده حتى قبض عليه ، وأرسل إلى هولاكو أسيراً ، ف قضى نحبه هناك . والثاني صانع المغول ، كما صانع ترکان ، ولكن على دخل وضلال ، فكما قضى على « ترکان » ركب رأسه كذلك ، وسار في الطريق حتى النهاية ، فتخلص من عمال المغول ، ورعاياهم في « شيراز » قتلاً وغدراً مما نفرهم منه ، وجعلهم يعلنون الحرب عليه ، حتى وقع آخر الأمر أسيراً ، ولم يدم حكمه أكثر من بضعة أشهر كأخيه .

هذا مجمل لقصته ، أما تفاصيل حياته ، فيقال إن أمه ، من بيت ملكي آخر هو بيت السلاجقة ^(١) ، ولعل في اختيار هذا الاسم ما يشعر بذلك ، وكان أكبر من أخيه « محمد » بعام واحد ^(٢) . وفي أيام « محمد بن سعد » كان قد زح في السجن بقلعة اصطخر ^(٣) . فلما تولى أخوه أمور الدولة . انتهز هو هذه الفرصة ، وبعث إليه برعاية يسترضيه بها ، ويذكره بحاليهما ، وما بينهما من فروق ، ويطلب إليه أن يفكه من سجنه ، في رباعيته الآتية .

(١) حبيب السير ص ١٣١ (٢) سعدى نامه ص ١٢٤
(٣) حبيب السير ص ١٣١

« درد و غم و بند من درازی دارد عیش و طرب تو سر فرازی دارد (۱) »
بر هر دو مکن تکیه که دوران فلک در برده هزار گونه بازی دارد (۲) »

كانت شخصية « ترکان خاتون » لا تزال هي المسيطرة على الموقف ،
والقابضة على زمام الأمور ، خلال تلك الأحداث التي حلت بفارس . فقد
شغلت حياتها جزءاً من حياة « سعد بن أبي بكر » بعد زواجها به ، وظلت مشرفة
بنفسها على إدارة شئون الدولة ، أيام ابنه « محمد » ، وتشارك في توجيه السياسة
العليا أيام « محمد شاه » .

فلما آل الحكم إلى « سلجوق شاه » بعد فكه من السجن ، قدم إلى
شيراز ، فاستبشر أهاليها بقدومه ، وتوليته ، وكان أول عمل قام به رغبته أن
يأمن جانب « ترکان خاتون » ، فزوجها (۳) لكن عهده — على قصره — كان
مليئاً بالأحداث الهامة في حياة هذه الدولة . لم يطل الوفاق بينه وبين زوجته ،
فعمل على التخلص منها ، فقتلت واحتزرت رأسها (۴) ، لكن هذه الحادثة جرت
عليه نكبات أخرى من الداخل ومن الخارج .

غضب عليه بعض الأعيان فأجهز عليهم (۵) ، وغضب عليه أهل ترکان
— أمراء يزد — وشكوه إلى هولاكو (۶) ، فلما أحس بغضبه عليه ، ركب رأسه
وأعلن العصيان ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل جمع رجال المغول بشيراز ،
 وقتلهم جميعاً مع زوجاتهم ، وأتباعهم ، وأحرق دورهم (۷) .

عندئذ أعد « هولاكو » جيشاً كثيفاً لتأديبه ، وأمر عليه « التاجو

(۱) في شیراز نامه کلمه دلنوازی بدل سرفرازی ص ۶۲ .

(۲) و صاف ص ۱۸۳ (۳) نفس المصدر ص ۱۸۴

(۴) شیراز نامه ص ۶۳ (۵) حبيب السیر ص ۱۳۱

(۶) شیراز نامه ص ۶۳ (۷) سعدی نامه . قزوینی . ص ۱۲۴-۱۲۵

وتيمور^(١) « ولحق بهما أمراء الأطراف كذلك^(٢) . وتكون جيش عام من المغول ، والمسلمين ، من نفس بلاد فارس وتوابعها ، فكان هذا الجيش يمثل جهات مختلفة من أصفهان وبلاد اللوز ويزد وكرمان^(٣) .

أعد « سلجوق شاه » من جانبه العدة للقاء هذا الجيش ، ولكي يأمن على ثروته وأمواله ، حمل كل ما في خزائنه^(٤) ، لتكون تحت متناول يده إذا اقتضى الأمر .

وكانما أحس أن لا طاقة له بالمقاومة ففر إلى ساحل عمان^(٥) ، ونزل ببلدة تسمى « خورشيف^(٦) » وأعد العدة للهرب بالسفن ، لكن « التاجو » تبعه حتى اضطره أن يعود إلى « كازرون » . فلما التقى الجمعان ، اعتصم « سلجوق شاه » بمسجد الشيخ « أبي اسحق الكازروني^(٧) » ، ولجأ معه في هذا المسجد ، جيش كثيف من بني خوولته - أتراك السلاحقة - كما انضم إليه أهالي كازرون^(٨) . أحاط المغول بالمسجد ، وقذفوه بالحجارة ، والسهم ، وقطع الأخشاب . وكان بين رجال « سلجوق شاه » أحد القواد الأبطال المسمى « مينكلي بيك » . كان من خواصه ، شجاعاً قوياً . ضرب الأمر بينه وبين « سلجوق شاه » ليهبما بشدة على المغول ، فلعلهم يرتدون عن هذا الحصار ، لكن « سلجوق شاه » مانع في الأمر ، بدعوى أنه لا يملك القدرة على سرعة الحركة لبدائته^(٩) .

عندئذ جمع « مينكلي بيك » ما استطاع حمله ، من الخزانة وانقض على المغول ، هو وأبناؤه ، وبعض أتباعه ، انقضاض الأسود ، حتى فتحوا في جبهتهم

-
- | | |
|----------------------|------------------------------|
| (١) ووصاف ص ١٨٦ | (٢) شيراز نامه ص ٦٣ |
| (٣) ووصاف ص ١٨٦ | (٤) سعدى نامه . قزويني ص ١٢٥ |
| (٥) حبيب السير ص ١٣١ | (٦) ووصاف ص ١٨٦ |
| (٧) نفس المصدر ص ١٣٢ | (٨) ووصاف ص ١٨٩ |
| (٩) حبيب السير ص ١٣٢ | |

ثغرة ، نفذوا منها إلى الخارج . لكن أتابك يزد « علاء الدولة أخا ترکان خاتون » تعقبه . فلما أدركه ارتد إليه « مينكلي بيك » وطلب إليه أن يعود ، وإلا عرض نفسه ، ورجاله للهلاك . لكن الأتابك اغتر بكثرة ما لديه من الرجال والأعوان فلم يستمع لهذا النصيح ، فعطف عليه « مينكلي » وقذفه يسهم ألقاه على الأرض ، وفر هو غانماً إلى البصرة ومنها إلى مصر . وأمضى بها بقية عمره (١) .

أما مصير « سلجوق شاه » فقد اقتحم المغول عليه المسجد ، وأعملوا في رجاله السيف ، حتى قبضوا عليه ، وحملوه إلى قلعة « سفيد » فزج فيها ، حتى توفي سنة ٦٦٢ هـ (٢) بعد حكم لم يدم أكثر من سبعة أشهر ، انطوت خلالها هذه الأحداث الجسام .

وقد كان — لشجاعته و بسالته — محل تقدير عند الشاعر فمدحه بقصائد كثيرة (٣) .

١٠ — أبش خاتون : ٦٦٢ — ٦٨٥ هـ

كانت الأحوال بعد سلجوق شاه ، تؤذن بغروب شمس هذه الأسرة ، فإلى جانب الأحداث الهامة ، التي أدت إلى القتل والسفك ، والتي انتهت بالحرب — كما صورنا — كانت هناك عوامل أخرى ، أدت إلى كثرة تغلغل نفوذ المغول عن ذي قبل .

انتهت بانتها « سلجون شاه » أفراد هذه الأسرة من الرجال ، الذين يتولون العرش ، ولم يبق من سلالة الأتابكة ، إلا « سلغم وأبش » ابنتا سعد ابن أبي بكر من زوجته « ترکان خانون » وكانت سلغم الكبرى قد تزوجت من

(١) حبيب السير ص ١٣٢ (٢) شيراز نامه ص ٦٤

(٣) کلیات فروغی ص ١٤١، ٤٥٦، ٤٥٨، ٥١٦ والنظر سعدی نامه . قزوینی ١٢٤ — ١٢٧

« محمد شاه بن سلغر شاه » كما أسلفنا ثم انتقلت بعده إلى ابن خالها ، فاتجهت أنظار المغول إلى أختها « أبش خاتون » . وكان قلب « منكوتيمور بن هولاكو » يرنو إليها .

ويقع الخلاف بين المؤرخين في الوقت الذي زفت إليه فيه ، ويعرض صاحب « حبيب السير » إلى هذا الخلاف ، فيذكر عن صاحب « روضة الصفا » أنها حين انتهاء عهد « سلجوق شاه » كانت تحتة فعلا . كما يذكر عن صاحب « تاريخ كزیده » أنها زفت إليه سنة ٦٦٣ هـ بعد سنة من حكمها ^(١) .

ويؤيد الأستاذ القزويني الرأي القائل بأنها كانت قد زفت إليه قبل توليتها العرش ^(٢) ، فلما أعلنت ولايتها ، خطب لها ، وضربت السكة باسمها كذلك ^(٣) . ويشير « الوصاف » إلى أن الحكم كان — منذ ذلك الوقت — اسمياً في أيدي الأتابكة وواقعياً في أيدي المغول .

ولكن يرى أن المدة التي أمضتها بشيراز ، قبل زواجها ، كانت مدة طويلة . ما بين سنة ٦٦٢ هـ وسنة ٦٧٢ هـ أشرفت فيها على دفة الحكم ، وهي بقاعدة الدولة . ولم تذهب إلى بلاط المغول إلا في حدود سنة ٦٧٢ هـ في صحبة الأمير « سوغونجاق » لتتصل بزوجها « منكوتيمور بن هولاكو » ^(٤) .

وسواء أذهبت مبكرة إلى بلاط المغول ، أم بقيت تدير دفة الدولة بشيراز ، فإن الأمور — في حقيقتها — كانت بأيدي عمال المغول وموظفيهم . وقد امتد حكمها مدى اثنين وعشرين عاماً من سنة ٦٦٢ هـ إلى سنة ٦٨٥ هـ . ومن المحقق أنها أمضت المدة ما بين سنة ٦٧٢ هـ إلى سنة ٦٨٢ هـ بأزر بييجان في بلاط المغول .

(٢) سعدى نامه ص ١٢٧

(١) حبيب السير ص ١٣٢

(٤) وصاف ص ١٩٧

(٣) شيرز نامه ٦٤

اجتازت في تلك الفترة بقية عهد حكومة « هولاكو » وابنيه « آباكا وتكودار »
وقدرا من حكم « أورغون خان » تقلبت عليها ، وعلى دولتها ، فيها أحداث
جسام وخطوب .

ففي مطلع حكمها ، ثار عليها رجل يسمى « سيد شرف الدين ابراهيم » ادعى
أنه من الأشراف ، واغترب بعض حياته ، في نواحي خراسان ، ولكن شيراز
استهوته فجمع طائفة من التركمانيين ، وائتمر معهم على نزاعها السلطان ، والاستيلاء
على الدولة ، واتجه بهم نحوها ، لكن جيش المغول ترصد له ، حتى إذا أشرف
على شيراز أوقع الهزيمة به ، في مكان يسمى « بل كوار ^(١) » وانتهت تلك
المؤامرة سنة ٦٦٦ هـ .

وفي سنة ٦٨٠ هـ فجعت في زوجها « منكوتيمور » ^(٢) . أصابته ضربة قاتلة ،
تلقاها من المصريين الذين التحم بهم في أرض الشام ، فلما توفي زوجها ، أذن لها
« تكودار أحمد » الذي كان إذ ذاك على عرش المغول ، في العودة إلى بلادها ،
فعادت إليها في حدود سنة ٦٨٢ هـ .

فلما أشرفت على المدينة ، فرح أهاليها بعودة أميرتهم إليهم ، فهرعوا جميعاً
لاستقبالها ، وعطلت الأسواق ، وأقفلت الحوانيت وانتشر المطربون في شوارع
شيراز ، يغنون القوم ويطربونهم ، وأمضت شيراز شهراً كاملاً وهي غارقة في
مظاهر البهجة والسرور ^(٣) .

لكن أيام السعادة لم تطل بها وبقومها ، فلم تكد تعود إلى موطنها ، حتى
أخذت توجه بنفسها أمور الدولة ، متناسية وجود ممثلي المغول في إمارتها . فأغضب

(٢) سعدى نامه ص ١٢٨

(١) شيراز نامه ص ٦٤

(٣) سعدى نامه ص ١٢٨

ذلك أولى الأمر وأحفظهم عليها . أضف إلى ذلك أن السياسة العليا في دولة المغول ، قد تغيرت عندما آل الأمر إلى « أرغون خان » بعد عهد « تكودار » القصير . والذي ساد فيه الاستبداد ، والظلم ، واضطهاد الناس ، وتشريد رجال الدولة ، وقتل كبارها ، كما أسلفنا الإشارة إلى ذلك .

فتغيرت — تبعاً لهذا — سياسة الدولة العليا مع الولايات الخاضعة لها ، ونصب « أورغون » حاكماً جديداً لفارس يدعى « السيد عماد الدين أبو يعلى » . إذ كان من المقربين إليه ، فلما قدم فارس ، لم يكثرث « بأبش خاتون » ف وقعت الخصومة بينه وبينها ، فأسرت العداء له مع جماعة من خواصها حتى انتهى الأمر أخيراً بأن قتله بعض مماليكها ، في سوق شيراز سنة ٦٨٣ هـ ونهبوا قصره^(١)

فلما سمع « أورغون » بذلك أرسل الرسل والأعوان في طلبها ، مع خواصها وحملوها عنوة إلى معسكره مهانة ذليلة ، وقتل من ثبت الجرم عليهم ، فلما أمضت « أبش » سنة وبضعة أشهر ، بين يدي المغول ، توفيت هناك سنة ٦٨٥ هـ ودفنت . في « جرنداب » بتبريز^(٢) . وبعد مدة أحضرت جثتها ابنها من « منكوتيمور » التي تدعى « كردوجين » ودفنتها بالمدرسة العضدية التي كانت قد أنشأتها أمها من قبل ، والتي كان فيها مدفن أبيها وأخيها محمد . وبموته انتهت أسرة السلغريين . بفارس ، وانتقلت فارس من مملكة يدير شؤونها حكام من أبنائها إلى مجرد ولاية تابعة ، يعين لها حاكم وموظفون من قبل المغول .

الشاعر وأبش خاتون

كان حظ أبش من مدائح « سعدى » أقل بكثير من حظ أمها « ترکان خاتون » . وإذا كان « سعدى » قد تخرج في التصريح باسم أمها ، فانه أيضاً

(٢) وصاف ص ٢٢٢

(١) سعدى نامه ص ١٢٩

تخرج في ذكر اسم ابنتها ، ولعل الشاعر — مع ذلك — لم يجد لها ما تستحق أن تمتدح به فيكثر من مدحها كما أكثر من مدح أمها .

فبالرغم من أن السلطان امتد في يدها ، أو بقيت هي تمثل السلطان مدى اثنين وعشرين عاماً . وأصبحت فارس بالكثير من الأحداث في عهدها ، وكانت بطبيعتها تدفع الشاعر إلى الحديث عنها ، فانه — مع هذا — صمت ولم يذكر شيئاً . وكل ما يعرف من هذا الموضوع غزلية لم تعرف فيها شخصية المدوح ، ولم تتضح صفاته أو أعماله ، حتى يمكن الحكم عليها فيمن قيلت .

وكل ما يدل على أنها قيلت في « أبش خاتون » عنوان وضع لها في بعض النسخ « وله في مدح أبش بنت سعد » وفي بعضها الآخر بعنوان « ذكر باد شاه إسلام أيك أبش عليه الرحمة (١) » .

وهذا العنوان الأخير مأخوذ مع القطعة بالتصوير الشمسي وأثبت النص الأستاذ القزويني في مقاله « ممدوحين شيخ سعدى شيرازي » في مواجهة صفحة ١٣٠ من « سعدى نامه » . ويدل هذا العنوان إلى حد بعيد على عبث النساخ وعدم تدقيقهم حتى اضطر الأستاذ القزويني أن يشير إلى ذلك ويصححه (٢) .

* * *

فارس تحت حكم المغول

الأمير انكيانو أول مندوب لادارتها

عرفنا — سابقاً — أنه بعد وفاة « سليحوق شاه » آخر أمراء الأتابكة ، لم يوجد من تلك الأسرة سوى « أبش خاتون ابنة سعد بن أبي بكر » . فوليت العرش سنة ٦٦٢ هـ وبقيت حتى سنة ٦٨٥ هـ .

(١) سعدى نامه . قزويني ص ١٣٠ (٢) نفس المصدر ص ١٣٢

وكانت فارس في عهدها خاضعة — بالاسم — للأتابكة، وبالفعل تحت نفوذ المغول، فتولى إدارة شئونها من قبلهم بعض نوابهم، ودخلت فارس بعد موت « أبش » تحت حكم هؤلاء النواب، إلى أن انقضى عهد المغول نهائياً في إيران. كان أول من تولى من أمراء المغول إدارة هذه الولاية، الأمير « انكيانو » عهد إليه بالأمر « أبا قاخان بن هولاكو »، ونصبه — على جميع فارس سنة ٦٦٧ هـ. وكانت فارس — إذ ذاك — تضرب الفوضى في أطناجها، ففسدت الأمور، واختل نظام الأمن، وعاث اللصوص وقطاع الطرق في البلاد.

وكان الظروف أوحث إلى من بيدهم الأمر إلى اختيار الأمير « انكيانو » فكان يجمع بين الهيبة والقوة، مع عدل وذكاء وكياسة. فرد الأمن إلى نصابه، وقضى على أيدي الطامعين المعتدين (١).

لكن شدة بطشه، وسطوته، أوغرت صدور جماعة من أكابر فارس. فلجأوا إلى « آباقا » ورفعوا إليه شكايتهم، مقرونة بالكثير من الوشايات المحكمة. إذ أسندوا إليه أنه يسلك في حكمه سياسة غير رشيدة من التمييز والتخريب، ولم يكتفوا بذلك، بل بالغوا في الأمر، وكان الفرصة قد واتتهم فاغتنموها، ودبروا وشاية محكمة.

ذلك أنهم رفعوا إلى الحاكم العام أن حب السلطان قد استهوى « انكيانو » وتمكن من نفسه، ووجدوا الدليل على ذلك بين أيديهم.

كان الأمير « انكيانو » قد ضرب السكة في عهده على ولاية فارس، ونقش عليها — تحت اسم المليك — علامة تشير إليه، فرفعوا قطعة منها إلى الحاكم العام، فعزله وبعث به — بعيداً — في سفارة طويلة شاقة، إلى بلادهم أواسط آسيا (٢).

(١) سعدى نامه. قزويني ص ١٣٤ (٢) نفس المصدر ص ١٣٤

ولا يعلم على التحقيق مدة حكمته بفارس . لكن تاريخ مجيء خلفه إلى
شيراز كان سنة ٦٧٠ هـ (١) . فكان حكمته على فارس كانت حوالى أربع
سنوات من سنة ٦٦٧ هـ إلى سنة ٦٧٠ هـ .

الشاعر والأمير أنكيانو

ولم تنقطع صلات الشاعر بحكام فارس ، وعملها بعد أسيرة الأتابكة ، فقد
اتصل بالكثيرين منهم ، وبخاصة من كان في نظره محل تقدير وإعجاب .
والشاعر في قصائده ، التى يمتدح بها هذا الأمير ، يجعلها ميداناً يعرض فيه
الكثير من النصائح ، والمواعظ ، وعدم الاعتماد على الدنيا . فهو فيها — كما
فى غيرها — من القصائد الأخرى ، التى كان يمتدح فيها الملوك أو الحكام ،
يقيم من نفسه مرشداً هادياً ، وناصحاً أميناً ، لم ينزلق إلى التزلف ، أو المدح المزيف .
ولعل الظروف نفسها ، التى انصل فيها بهذا الحاكم ، كانت توحى إليه
بهذا المسلك أكثر من ذى قبل . فقد تبدلت الأمور ، وزالت دولة ، وحلت
محلها دولة أخرى . زالت دولة إسلامية ، وخضعت البلاد لحكم أجنبي ، وولى
شئون البلاد حكام غير مواطنين ، وغير إسلاميين كذلك .

فلا أقل من أن يعرض الشاعر مدائح ، فى ثوب جديد ، يطوى خلاله
النصيحة والموعظة ، وخاصة أنه فى ذلك الوقت ، كان قد عمّر وبلغ مرتبة تحول
له أن يكون الناصح الواعظ أكثر من ذى قبل .

أما المواضع التى ردد الشاعر ذكره فيها فهى أربعة . أحدها نثر فى مقدمة
الكليات (٢) ، وثلاث أخرى وردت شعراً فى بعض قصائده (٣)

(١) شيراز نامه ص ٦٥ وانظر وصاف من ص ١٩٣—١٩٥

(٢) كليات فروغى ص ٦٥ (٣) نفس المصدر ص ٤٤٨ ، ٤٤٥ ، ٤٨٨

الأمير سوغونجاق

تولى بعد الأمير أنكيانو، وهو أيضاً من مشاهير أمراء المغول، قد انتدب للاشراف على شئونها سنة ٦٧٠هـ، لكن سرعان ما ترك الأمر لغيره بعد أن دبر أمور المملكة. فوزع الإدارة بين ثلاثة: اثنان من أمراء المغول، هما «بولغان وتونياق»، وآخر من رجال شيراز نفسها، هو من عرف — بعد — بالأمير «محمد بك»^(١). ولقد استمر هذا يقوم بنصيبه في تدبير مأسسند إليه من شئون الإمارة مدى سبع سنوات، حتى سنة ٦٧٧هـ إذ قتل في الحرب التي وقعت بين الشيرازيين وجيش «تكودار أحمد» فكان بين القتلى.

ويلاحظ أن الشاعر بعد عهد الأمير «انكيانو» بفارس لم يمدح أحداً من حكام المغول سواء من الذين تولوا شئون الإمارة أو كانوا من الحكام الكبار، فلم يظهر بمدائحهم من رجالهم سوى «هولاكو وانكيانو».

وكل من عرض الشاعر لمدحهم كانوا من الذين يتخيرون لإدارة بعض الأعمال بشيراز من قبل المغول. أو من الذين كانوا من أعيان الإمارة^(٢) لانجد حاجة إلى ذكرهم، ونحيل القارئ على ما كتبه الأستاذ القزويني بشأنهم^(٣)

حكومة فارس في آخر القرن السابع الهجري

امتد حكم سوغونجاق ومن تخيرهم لإدارة شئون إمارة فارس حتى نهاية عهد أورغون خان سنة ٦٩٠هـ.

وابتداء من هذا التاريخ، حتى نهاية عهد المغول بإيران، ولى الأمر بحكومة فارس — من قبل آخر ملوكهم — رجل يعرف «بالمملك السعيد جمال الدين ابراهيم الطيبي»^(٤)

(١) شيراز نامه ص ٦٥ (٢) نفس المصدر ص ٦٥

(٣) النظر سعد نامه ص ١٣٨ وما بعدها (٤) شيراز نامه ص ٧٣

تولى شئون الحكومة ابتداء من سنة ٦٩١ هـ في مستهل عهد كيخاتو ،
وأمضى هو وأولاده من بعده ، مدة في حكم ولاية فارس من قبل المغول ، تنتهى
سنة ٧٢٥ هـ .

وكما كانت الأحوال آخر عهد ملوك المغول بإيران ، تؤذن بأفول نجم هذه
الأسرة ، كذلك كانت الأحوال بإمارة فارس تؤذن بأفول نجمها كذلك ، فقد
تبدلت الأحوال كثيراً بهذه الإمارة ، وإن كان « جمال الدين » قد أبدى كثيراً
من القوة في تصريف شئونها ، وامتدت سلطته ، فكان يتخير من قبله بعض
النواب لإدارة شئونها .

ولما توفى سنة ٧٠٦ هـ كان قد ترك خلفه أولاداً . من أقوام شخصية الملك
الأعدل « عز الدين عبد العزيز » .

ولى الحكم بعد وفاة أبيه ، واستمر فيه حتى عهد « أبى سعيد » ، وقد ظهرت
خلال حكمه بعض ثورات ، كانت ترمى إلى إبعاده عن الإمارة ، لكنه تغلب
عليها وختمت حياته سنة ٧٢٥ هـ ، إذ قتل أثناء وجوده بتبريز ، فجيء به إلى
شيراز ، ودفن بجوار أبيه .

توزع الملك بعده جماعة من إخوته ، كان أظهرهم « شمس الدين محمد ^(١) »
لكن أيامه لم تطل كثيراً ، فاستولى كل واحد من بقية الأخوة على ناحية من
نواحي فارس ، وتبادلوا أمور الولاية بينهم حتى ضعفت سلطتهم . وبهذا انتهت
الأيام الأخيرة في حكومة فارس سنة ٧٢٥ هـ كما تقدم .

ولم يظهر في ذلك العهد القصير شيء يذكر من العائز أو الآثار ، وهكذا
قضى على تلك الإمارة التى لمع تاريخها في عهد أسرة السلفريين .

(١) شيراز نامه ص ٧٥

البَابُ الثَّانِي

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

أُسرة الشاعر والفموصه الذى يحيط بمجاء

لم يُقدَّر لشخص من الأشخاص — حين يولد — أن اسمه سيلمع أو سينتفض ، وأن حظه فى الحياة سيكون ذا شأن أو لا شأن له ، وأن توفيقه فى الإنتاج سيكون ذا خطورة أو لا قيمة له .

ولم تكن وسائل تقييد الحوادث فى تلك العصور — مما يتعلق بكثير من الأفراد — من الدقة والنظام بحيث يمكن الاطمئنان إليها . على أنه بجانب ذلك لم تخل حياة أبناء الكبراء من اهتمام وعناية ، فدونت كثير من حوادثهم الهامة ، وبهذا أمكن التعرف على بعض تواريخ تتصل بحياة الذين يرتبطون بهم أو يعاصرونهم .

لكن — مع ذلك — تبقى كثير من الحوادث مبهمه غامضة مرهونة بالظروف التى تحيط بها ، كما أن النتائج التى ينتهى إليها — من تلك الناحية — ليست حاسمة فى تاريخ الأشخاص ، بل لعل الكثير من النتائج التى ينتهى إليها — مع ما يبذل فيها — ضلال عن الحقيقة ، ومجافاة عن الصواب .

وليس إلا السبيل الوحيد ، وهو أن تلتقط حياة الأشخاص من آثارهم التى يتركونها ، أو مما يكتب عنهم بعد عصرهم .

فاذا أضفنا إلى ذلك أن وسائل الكتابة والنسخ في العهود السابقة ليست هينة ، ظهرت لنا مشكلة أخرى . فالكثير من التصحيف ، والكثير من الرواية يبعثان على الكثير من الضلال كذلك في الذهاب إلى رأى دون رأى ، أو تأييد وجهة نظر دون أخرى .

وشخصية « سعدى الشيرازى » بالرغم من خطورتها في الحياة الأدبية والاجتماعية ، وبالرغم من المركز الجليل الذى شغلته — منذ اندمجت في الحياة العامة ودخلت في الجماعة الأدبية — بالرغم من هذا ، لم تنج من كثير من الصعوبات ، بل لعل حياتها أحيطت بصعوبات تفوق ما أحاط بغيرها ممن على شاكاتها .

تبدو هذه الصعوبات الكثيرة فيما ورد عنها من مختلف الآراء ، لا في مذهبها في الحياة ، ولا في آرائها التى تلقيت عنها ، بل كذلك فيما يدور حول ما كان يمكن الفصل فيه ، مثل مولده ونشأته وبعض ألوان حياته

يبدو هذا الخلاف حول مولده ، أكان قبل القرن السابع الهجرى أو فى مستهله ؟ كذلك يقع خلاف آخر حول اسمه شخصياً ، أهو « مشرف الدين » أو « مصلح الدين » أو غير هذا وذاك ؟ كذلك يقع الخلاف كثيراً حول تخلصه ، أينسب إلى « سعد بن زنگى » أم إلى « سعد بن أبى بكر » ؟ .

كذلك يقع الخلاف فى قصصه ، ورحلاته ، والأشخاص الذين اتصل بهم ، والأما كن التى رحل إليها .

أقصصه واقعية فى موضوعها وأشخاصها وأما كتبها ؟ أم خيالية أريد بها استخراج عبرة أخرى خافية غير مكشوفة . . . ؟ أم هى خليط بين هذا وذاك . . ؟ كل هذه الأمور التى كان يمكن الفصل فيها بسهولة ، لاتزال — حتى الآن — متارخلاف وجدال كبير بين الكثيرين من رجال الأدب والنقد قديماً وحديثاً مما سنعرض له فى موضعه .

والذين درسوا الشاعر دراسة تقوم على النقد والتحليل واجهوا هذه المشاكل وأحسوا بها وسجلوها .

فالأستاذ « عبد العظيم خان الكركاني » الذي نشر « الكلستان » كتب في مقدمته أن تاريخ الشاعر مجهول مشكوك فيه ، ولا يمكن بطريق التحقيق ، أن نعلم عن حياته وأيام تحصيله ، وأسفاره الطويلة ، والأشخاص الذين اتصل بهم شيئاً صحيحاً^(١) . وليس ذلك إلا لأن ما كتب عن الشاعر ، في كتب التذاكر والتاريخ — على ما يذهب إليه الأستاذ — مشكوك فيه ومحل شبهة^(٢) .

على أن الغربيين ، ممن عرضوا لدراسة الشاعر ، يرون كذلك المشاركة في هذا الرأي الذي ذهب إليه « الكركاني » .

فقد ذكر الأستاذ « آربري Arbery » أن الثقة ضعيفة بالأخبار التي ترتبط بالشاعر، رغم تعدد أخباره ، وكثرة ما ترجم له، وخاصة فيما يتصل باسمه وحياته^(٣) .

والقصص — نفسها — التي تدور عليها كتبه — كما يرى « الكركاني » بعضها موضوع لا يتصل بالواقع ، وكذلك أحداث حياته ، كانت أيضاً مبهمة ومجهولة ، والشاعر نفسه لم يتحدث عن حياته ، بطريق كامل أو بشكل واف^(٤) .

وعلى ذلك نسير في طريقنا نستخلص حياة الشاعر من بين تلك الآثار المتباينة المتضاربة . فان قدر لنا أن نرسم حياة صحيحة كاملة ، فذلك أمر نرجوه ونسعى إليه ، وإلا فنحن لا نزال في طريق الاجتهاد .

ولننضم الآن في عرض تاريخ أسرته مما بين أيدينا من المراجع التي أمكن الوصول إليها .

(١) الكركاني — مقدمة الكلستان . ص كج .

(٢) الكركاني — مقدمة الكلستان ص . كد

(٣) Arbery : Kings and Beggars p. 6.

(٤) الكركاني — مقدمة الكلستان ص — يه

أسرة الشاعر :

وأول صعوبة تواجهنا في تحقيق شخصية الشاعر ، هي معرفة أسرته ، التي انحدر منها معرفة دقيقة ، ومع أن رجال التذاكر والمؤرخين ، اجتهدوا كثيراً في التحدث عما يدور حول حياته ، إلا أنهم لم يلتفتوا إلى الحديث عن أسرته ، بشيء هام . بل كان حديثهم عنها لاما .

ولقد أدى ذلك إلى خلاف كبير في تحقيق شخصية الشاعر نفسه ، ومعرفة أخبار أسرته .

ونحن نعرض للحديث عن أخبار أسرته عامة من أجداده إلى أولاده ، قبل أن ندخل في تفاصيل حياته الشخصية .

أجداده

والظاهر أن الشاعر كان ينحدر من أسرة دينية ، يثبت ذلك من أقواله شخصياً ، ومن بعض ما ذكره عنه أصحاب التذاكر .

فهو يقول عن قبيلته ، إنه كانت جميعاً من رجال الدين ، وأنه شب كذلك ولم ينحرف به الطريق عن أن يكون رجل دين كأسرته ، إلا هوايته الصوفية ، التي صرفته إلى قرض الشعر في العشق الصوفي ، إذ يقول .

« همه قبيلة من رجال دين بودند مرا معلم عشق تو شاعری آموخت » (١)
ويتسق مع هذا ما نقله الأستاذ « السكرگانی » عن صاحب كتاب « سلم السموات » من أن أمه كانت تنحدر من أسرة دينية كأسرة أبيه (٢) .

أبوه

ويشير صاحب كتاب « تذكرة الشعراء » في ترجمته للشاعر أن أباه كان في خدمة الأتابك « سعد بن زنكي » ، كما يشير إلى أنه اتخذ تخلصه كذلك من هذا الأمير (٣) .

(١) تاريخ أدبيات إيران ٢٦٤ — طبع طهران سنة ١٣٢٠ ش للدكتور رضا زاده

(٢) السكرگانی — مقدمة السكسكان — ص — ج

(٣) دولتشاه — تذكرة الشعراء — ص ٢٠٢ طبعة ليدن

ولعل ذلك تؤيده قطعة من الشاعر ترد في الكليات في قسم «الصاحبيات»

يشير إلى هذه العلاقة في قوله ، منها .

بدرم بندهٔ قديم تويستسود	عمر در بندگی بسربرده است
بنده زاده چو در وجسود آمد	هم بروی تودیده بر کرده است
خدمت دبگری غخوا هسد کرد	که ورا نعمت توپرو رده است (١)

ومعنى هذه الأبيات .

« إن أبى خادمك منذ القدم ، أمضى العمر فى خدمتك . . .

حين رأى ابنه باب الوجود ، تفتحت عيناه على وجهك . . .

إنه لا ينبغي أن يكون فى خدمته غيرك ، فانه ريب نعمتك » .

وليس لهذه القطعة عنوان يفهم منه فيمن قيلت ؟ وليس من خلال كلماتها إشارة إلى اسم الذى قيلت فيه ، وهى كما نرى يرد فيها فقط ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب .

وكما يبدو من معنى هذه القطعة ، أن المخاطب كان فيها بمنزلة الحاكم ، وأن ضمير المتكلم والغائب ، يشيران إلى والد وابنه ، وأن الأب كان فى خدمة هذا الحاكم ، وحين أشرف الابن على الحياة ، تفتحت عيناه على وجه هذا الحاكم . ثم عاد الشاعر فى البيت الأخير ، ليدل على نوع هذه العلاقة بين الحاكم وبين الأب والابن ، وأنها كانت إما خدمة عامة فى الدولة ، أو وظيفة فى البلاط . وعلى كل حال يتبين منها ذلك الاعتراف . فانه كان لا ينبغي أن يدخل فى خدمة غيره ، وأنه كان ريب نعمته .

وهذه الأبيات ثابتة من كليات الشاعر . لا يستطيع أن ننفي نسبتها إليه ، وضمير المتكلم فى هذه الأبيات هو مفتاح المسألة فان ثبت أنه « السعدى » فقد حل بهذا المفتاح كثير من المشاكل ، وأهمها مشكلة تخلصه .

(١) كليات فروغى ص ٨١٧

ولا تعرض لهذه المسألة الآن فإننا سنتحدث عنها في موضعها ، ولكننا نحاول
— فقط — أن نثبت مرجع الضمائر إلى من تعود . . . ؟؟؟؟

وصحة نسبة الأبيات إلى الشاعر لم تكن محل خلاف ، ومطلع القطعة — كما
رأينا — كلمة أب ، مضافة إلى ضمير المتكلم . والمتكلم هنا ، من يكون سوى
سعدى نفسه ؟ . قال كلام لا يتجه إلى العموم ، بل هو كلام خاص ، في موضوع
خاص ، يبين حالة خاصة ، يعترف فيها بيد أسدت إليه نعمة .

وتؤيد هذه القطعة — إلى حد بعيد — ما ورد في بعض كتب التذاكر ،
من أن أباه كان فعلاً في خدمة الأتابك « سعد بن زنگي^(١) » وأنه — بهذا —
اتخذ تخلصه ، كما تشير بعض الروايات إلى أن الشاعر نفسه ، كان متصلاً
أيضاً بهذا الحاكم ، ومن أجل ذلك جعل تخلصه باسمه^(٢) .

على أن صلة الشاعر بهذا الحاكم ، لم تكن فاصرة على عهد أبيه فحسب ، بل
امتدت كذلك بعد وفاته ، فيرى « براون » أن الشاعر كان على صلة بهذا
الحاكم ، وأنه اتخذ تخلصه منه ، وأرسله ليتم دراسته بالمدرسة « النظامية » ببغداد^(٣) .
والشاعر نفسه يشير إلى أنه كان يتلقى العلوم في تلك المدرسة ، وأنه كان
كذلك يتلقى إداراً .

« مرا در نظاميه إدار بود شب وروز تلقين وتكرار بود »^(٤)
ومن الممكن افتراض أن يكون هذا الإدرار قد جاءه من ذلك الأمير ، وأنه
بولى الإنفاق عليه وخاصة بعد وفاة أبيه .

ولعل الشاعر لم يطل به المقام كثيراً في بغداد ، فعاد إلى شیراز ، وظل بها

(١) دولنشاہ — تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ (٢) رضاقلی خان . ریاض العارفین ص ١٤٤

(٣) G Browne : A Literary His, of Persia v. 2. P. 527

(٤) الکرگانی — مقدمة الکلیستان . ص . لب

حتى سنة ٦٢٣ هـ ، وهى السنة التى توفى فيها «سعد بن زنگى» وكانت فارس قد أصيبت بما أصيبت به من الثورات ، والاضطرابات المتتالية ، فضاق صدر الشاعر عن الإقامة فيها ، وخاصة بعد موت ولى نعمته^(١) ، كما يشير إلى ذلك الأستاذ «الكرگانى» فتركها راحلاً .

متى مات أبوه ؟ وإلى أى سن بلغ الشاعر حين وفاته ؟
يشير الشاعر إلى أنه افتقد أباه صغيراً فى سن الطفولة ، فيقول فى باب الإحسان ، من كتابه «البوستان» مشيراً إلى ذلك .

« مرابا شد از درد طفلان خبر كه در طفلى از سر بر فتم پدر (٢) »
ولكننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط متى مات أبوه ؟؟؟ وليس بين أيدينا ما يشير إلى ذلك ، إلا بعض إشارات قليلة فى كتابيه «البوستان» و«الكلستان»
تحدد حوادث له فى حياة أبيه ، وثبتت — إلى حد ما — السن التى بلغها الطفل فى حياة أبيه ، وهى ثلاث قطع .

١ — قطعة فى «البوستان» يشير فيها إلى طفولته ، وإلى بعض الأحداث التى وقعت له فى عهد أبيه . يذكر فيها أنه خرج معه أحد أيام الأعياد — التى يخرج فيها الشيرازيون عادة إلى ظاهر مدينتهم للترويح والتسلية — فضل الطريق عن أبيه ، وتشاغل عنه باللعب ، وافتقده أبوه فى كثرة الزحام . فلما وجده قرصه بأذنه موجهاً إليه اللوم .

« همى يادم آمد زعهد صسغر	كه عیدى برون آمدم با پدر
ببازیچه مشغول مردم شسدم	در آشوب خلق از پدرم شسدم
بر آوردم از هول و دهشت خروش	پدر ناگهانم بمالید گوش « (٣) »

(١) الکرگانى . مقدمة الكلستان — ص. ٥٠ . (٢) کلیات فروغی — باب الاحسان ص ٢٧ (٣) نفس المصدر — باب النوبة ص ٣٩٩

ويبدو أن سنه في تلك الحادثة ، لم تكن تتجاوز السادسة أو ما حولها .
 ٢ — قطعة أخرى يشير فيها إلى حياة أبيه أيضاً ، ومن الممكن أن يكون
 وقتها في حدود التاسعة أو العاشرة ، وهي أيضاً في « البوستان » الباب التاسع
 « باب التوبة »^(١) يقول فيها إنه يذكر عن عهد أبيه ، أنه اشترى له لوحاً
 ودفترًا وخاتماً ، وقد باع خاتمه بثمان زهيد ، لقاء بضع بلحات .

« زعهد پدر يادم آمد همی که باران رحمت برآوهر همی
 که در خردیم لوح ودفتر خرید زهرم یکی خاتم زر خرید
 پدر کرد ناگه یکی مستری بخرمائی از دستم انگستری »
 ٣ — والقطعة الأخيرة تشير إلى سن أبعد من ذلك ، وإلى أن أباه كان
 لا يزال حياً ، وأنه في تلك السن كان يأخذ نفسه بعبادة شاقة ، إذ يقيم الليل
 ويذهب ويتقشف ، وأنه — ذات ليلة — كان يسهر على خدمة أبيه .

ونضع نص هذه العبارة ، ثم نستخلص منها ما تذهب إليه ، وهذه القطعة
 ترد في « گلستان » في الباب الثاني « أخلاق الدراویش » يقول فيها

« یاد دارم که در ابام طفولیت منعبد بودم ، و شب خیز مولع زهد
 و پرهیز ؛ شی در خدمت پدر رحمة الله عليه نشسته بودم ؛ و همه شب دیده برهم نبسته
 و مصحف عزیز بر گنار گرفته ، و طایفه گرد ما خفته ، پدر را گفتم . از اینان
 یکی سر بر نمی دارد . . . الخ »^(٢) .

ويستخلص من هذه العبارة أمور منها :

أولاً — أنه كان مبكراً في حياة الزهد والتقشف ، بينما كان لا يزال في
 أيام الطفولة .

ثانياً — أنه في إحدى الليالي ، لم تغفل عيناه عن خدمة أبيه ، والمصحف

(١) کلیات فروغی ص ٣٩٦ . (٢) نفس المصدر — گلستان ص ١١٣ .

الكريم محمول معه ، وأن بعض الذين كانوا معهما ، ناموا من حولها ، فأنكر ذلك عليهم ، لأنهم لم يمضوا بعض الوقت في العبادة .

ثالثاً — كما يمكن أن يستنتج من هذا ، أن طفلاً يقوم بالعبادة ، ويلتزم مسالك الزهاد والمتقشفين الذين يحفظون القرآن ، لا تقل سنه عن الثانية عشرة ، وهذا ما يذهب إليه بعض المؤرخين ، فيرى الأستاذ « الكركاني » أن سنه — في هذه المناسبة — لا تقل عن الثانية عشرة^(١) ، كما يؤيد هذا الرأي أيضاً ما ذهب إليه الأستاذ « سعيد نفيسي^(٢) » .

لم يشر الشاعر — بعد هذا — إلى حياة أبيه في عهد أبعد من هذه السن ويبدو أن الشاعر أرسل إلى النظامية بعد وفاة أبيه ، وبعد أن استكمل الدروس الأولى ، التي كان يتلقاها في شيراز على والده ومعلميه .

على أنه في سن إرساله إلى بغداد ، لابد أن يكون قد اجتاز الثانية عشرة ، بل لعله أدرك الخامسة عشرة من عمره ، حتى يتهيأ نموه العلمي للتمكن من التحصيل في جامعة « كالنظامية » تضم بين جدرانها أركان العلم ، وأعلام الأدب ، وهي دروس في المرحلة الثانية بعد مراحل التحضير .

أمه

والإشارة إلى والدته — في كتب التذاكر — قليلة ، وحظها كذلك من ذكر ابنها لها قليل أيضاً . وكل ما ظفرنا به من الإشارة إليها في كتب التذاكر ، ماورد عنها في سياق الحديث عن أسرته عامة . وقد سبق أن أشرنا إلى ما أورده صاحب كتاب « سلم السموات » وأنها كانت من « كازرون » وأن أباه يدعى « مسعود الكازروني » وأن هذه الأسرة كانت من الأسر الدينية .

(١) الكركاني — مقدمة الكلستان ص.ل.

(٢) نفيسي — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الخامس . ص ٤٤٦ .

ونص عبارة صاحب كتاب «سلم السموات» التي نقلها الأستاذ الكرگانی هي
«شيخ سعدی پدر و مادرش هر دو از نژاد علما و فضلا بودند» (١).
وترجمتها إن «والد سعدی وأمه كانا من سلالة العلماء والفضلاء» .
وللشاعر عبارة تتصل بأمه في كتاب «الكلستان» وهي تصور حادثة له
معها . واعلمها — إذا ذاك — كانت قد بلغت سنًا كبيرة . تشير القطعة إلى أنه
أغلظ لها القول مرة ، وأنه أساءها في خشونة وقسوة ، وأنها كانت مسنة ضعيفة
بينما كان هو لا يزال شابًا . والقطعة ترد كأغلب قطع «الكلستان» بين
النثر والشعر .

«وقتی بجهل جوانی بآنک بر مادر زدم ، دل آزردہ بکنجی نشست ، وگریان
همی گفت ، مگر خردی فراموش کردی ، که درشتی میکنی .
چه خوش گفت زالی بفرزند خویش چو دیدش ہلک افکند و پیلن
گر از عهد خردیت یاد آمدی کہ بیچارہ بودی در آغوش من
نکردی در این روز بر من جفا کہ توشیر مردی و من پیرزن» (٢)
وترجمة القطعة «أغلظت القول يوماً في والدتي ، وقد تملكني جهل الشباب
فتحسر قلبها ، وانطوت إلى ناحية تبكي قائلة . لعلك نسيت صغرك فأغلظت لي القول !
ما أحسن قول سيدة عجوز إلى ابنها ! حين رأيت في مقدوره صراع الوحوش
الضواري . لو أنك تذكرت عهد صغرك ، وأنت العاجز الضعيف بين أحضاني ،
لما جفوتني اليوم ، وأنا سيدة ضعيفة ، وأنت قوى كالأسد» .

يؤخذ من هذه القطعة ، أن أمه قد عاشت حتى وقت متأخر — على فرض
أن حوادث القطعة من قبيل الواقع — وأنها بلغت مبلغ الشيخوخة ، في قوله على
لسانها «پیرزن» .

(١) الكرگانی — مقدمة الكلستان . ص . ج . (٢) کلیات فروغی . الكلستان
الباب السادس «در ضعف و پیری» القصة السادسة ص ١٧٧ :

وبعد هذا ، لا نجد مكانا آخر يشير فيه إلى أمه . لكن تبقى ظاهرة لا بد من تحليلها . وهي أنه لم يؤثر له شعر في رثاء أبيه أو أمه .

ويبدو أن أباه كان قد قضى نحبه قبل أن تتمكن له موهبة الشعر ، ولعل أمه قد ماتت أثناء رحلاته ، فلم يعلم بوفاتها إلا حين عودته إلى شيراز . والمفهوم كذلك أن الشاعر ، كان مقلا في مرثيه ، وأنه لم يبدأ هذا اللون إلا بعد عودته إلى شيراز فلم يؤثر له مرث في موطنه قبل سنة ٦٥٨ هـ وهي السنة التي توفي فيها « أبو بكر ابن سعد وابنه سعد بن أبي بكر » ومرثيه في الخليفة وبغداد التي كانت سنة ٦٥٦ هـ

إخوته .

لم يعرف عن إخوته إلا أخ واحد . وترد قصته في الرسالة السادسة من رسائل الشاعر في مقدمة الكليات في قسمها الثالث تحت عنوان « حكاية شمس الدين تازيكو » .

وملخص تلك الحكاية أن « شمس الدين تازيكو » كان يقوم على شئون التجارة العامة بالدولة ، وفرضت على التجار بضاعة بأسعار مرتفعة ، ولم يعرف « تازيكو » بهذا الأمر . وقد تسلم أخو الشيخ — بصفته أحد التجار — بعض أنواع تلك التجارة ، فلما رأى الأمر في غير طاقته ، ذهب يرفع الشكوى إلى أخيه ، وكان معتكفاً في خلوة الشيخ « أبي عبد الله الخفيف » .

فتألم لهذا الأمر وفكر في دفع هذا الأذى — لا عن أخيه فحسب — ولكن عن كافة التجار تخفيفاً عليهم ، وعلى فقراء المدينة بشكل عام .

وتمضي القصة فتقول ، وفي الحال تناول الشيخ رقعة وكتب عليها بضعة أبيات جعل في طليعتها هذا البيت .

« زأحوال براد دم بتحقيق دایم که ترا خبر نباشد »

يشير إلى أنه كان يقوم بتجارة البلح ، وقد ساء حظه فيها وذلك في قوله .
« خرمای بطرح من دهندش بخت بد آراین بترنباشد »
ويذكر فيها كذلك مدى ما كان عليه المحصل ، من شدة وقسوة ،
وأنه لم يكن أسوأ منه .

« وآنگه تو محصلی فرستی ترکی که از او بتر نباشد »
تناول شمس الدين هذه الرقعة وضحك ، وفي الحال أمر بمناد ينادى أن كل
من ابتاع له بلح ، فليحضر .
اجتمع التجار لديه وسألهم عن أمرهم ، ورد لهم ما أخذ منهم من مال ، إن
كانوا قد دفعوا الثمن ، فإن كان منهم من لم يدفع أخذ البضاعة دون مقابل .
ثم تمضى القصة فتقول إن « تازيكو » قدم إلى الشيخ بنفسه واعتذر له
وطيب خاطره ^(١) .

ويبدو أن القصة غير موضوعة ، فقد أثبتتها كليات الشاعر المختلفة ، وأشار
إليها الكثيرون ممن كتبوا عن الشاعر ، وإن كان يعارضها بعض المحدثين دون
أن يبدى سبباً للاعتراض عليها ^(٢) .

زوجاته وأولاده

نتم الكلام هنا — في هذا الفصل — عن بقية أسرة الشاعر الذين كانوا
ذا صلة به من زوجات أو أولاد ويبدو أن في هذا الوضع من — سبق الكلام
عن الزوجات والأولاد — قبل الكلام عن الشاعر ، شيئاً من الخروج عن المألوف
المنطقي ، لكننا بصدد الحديث عن أسرته العامة ، ثم الكلام فيما يتصل بزوجاته
وأولاده ، سواء أكان من أحاديث الرواة ، أو من أحاديث الشاعر نفسه .

(١) كليات فروغى ص ٦٩ .

(٢) سعيد نفيسى — مجلة مهر — العدد السادس — السنة الخامسة ص ٥٦١ .

لم تكن حياة الشاعر — على الوضع الذى سارت عليه — حياة إقامة واستقرار ، تدعو إلى تكوين أسرة بالمعنى المعروف . فهو رجل مطواف ، جعل العالم كله وطناً له ، لا يحل في مكان إلا وسرعان ما يرحل عنه ، حسبما تشتهي نفسه وترغب ، والركون إلى الزواج ركون إلى الهدوء والاستقرار . ومع ذلك فإن الشاعر قد صادفته في حياته ظروف ، لعلها فرضت عليه أن يتزوج . ولسنا ندري من أمر هذه الظروف إلا القليل النادر الذى يحيط به الغموض كذلك .

والمواضع التى عرض فيها الشاعر لذكر زوجاته أو أولاده لبست كثيرة ، بل هى في موضعين اثنين . أشار في أحدهما إلى زوجة له ، وأشار في الثانى إلى ابن له . فالموضع الذى أشار فيه إلى زوجته ، يرد في قطعه من « الكلستان . باب أخلاق الدراويش » يتكلم فيها عن إحدى رحلاته إلى الشام ، وأنه وقع أسيراً في يد الفرنجة ، في الحروب الصليبية . فحملوه ليعمل في خنادقهم ، فرآه أحد أعيان حلب وكان له به سابق صيحة ومعرفة ، فافتداه منهم بعشرة دنانير ، وراققه إلى بيته ، ثم زوجه من ابنته بمائة دينار ، لكنه أحس في معاملتها أنه استبدل أسراً بأسراً ، إذ أخشنت له الحياة فطلقها^(١) .

والقطعة الأخرى التى يشير فيها إلى ابنه ترد في « البوستان » في الباب التاسع « باب التوبة » يشير إلى أن له ابناً توفي بمدينة « صنعاء » باليمن . وهو — بطبيعة الحال — كان من زوجة أخرى ، تزوجها في إحدى رحلاته ، والشاعر يرثى هذا الابن رثاء حاراً ، في قطعة من قطع ذلك الباب تبلغ أربعة عشر بيتاً ، ويدور مغزاها حول معنى القضاء والقدر^(٢) . ولا اعتراض لنا على وقائع القصتين .

(١) تدل القصة على سرعة بديهة الشاعر وروحه التهامية اللاذعة . قالت له زوجه . ألسنت أنت من اشتراك أبى بعشرة دنانير . . . ؟ فقال نعم ؟ ولكنه باعنى لك بمائة دينار . (٢) كليات فروغى . بوستان . باب التوبة . ص ٢٠٣ .

الفصل الثاني

مولد الشاعر

بالرغم من الدراسة الطويلة المستفيضة ، لم يتحقق حتى الآن تاريخ مولد سعدى ، ولا تزال كل دراسة جديدة ، تحاول أن تذهب مذهباً جديداً ، وإلى الآن لم يجمع المحدثون على رأى قاطع فى مولد الشاعر .

وليست هناك شخصية — فيما أعتقد — ابتعدت فيها الفروض بعضها عن بعض — إلى حد كبير — بمثل ما ظهر حول ميلاد الشاعر . فلا يتصور مدى الفرق الزمنى بين أبعد تاريخ افترض لميلاده ، وأقرب تاريخ . وهل يتصور أن يمتد الفرق عند المؤرخين بين أبعد تاريخ وأقرب به إلى خمسة وأربعين عاماً ؟ وإنها لعمر آخر ! ! ! ! .

فأبعد زمن افترض فيه ميلاد الشاعر كان سنة ٥٧١ هـ ^(١) ، وأقرب زمن افترض لميلاده كان سنة ٦١٥ هـ ^(٢) .

والواقع أن تحديد وقت بعينه ، لشخصية من الشخصيات ، فى تاريخ مولدها — دون الرجوع إلى وثائق ثابتة ، أو نص معترف بصحته ، ومعاصرته لنفس الشخص — أمر من الأمور الصعبة . وكل ما يصل إليه الباحث فى هذه الناحية ، هو مجرد افتراض أو تخمين .

(١) الطاف حسين . فى كتابه حبات سعدى ص ٧ . طبع طهران وقد أشار بهذا الرأى أيضاً الأساذ السكرگانی ص ١٠ من مقدمة السكستان .

(٢) عباس اقبال — سعدى نامه ص ٢٥ .

ونحن — من جانبنا — سنعرض لهذه المسألة ، وطريق الوصول فيها إلى رأى قاطع أمر نرجوه ، وهو أيضاً افتراض نفترضه ، ونذهب في تأييده بما يعن لنا من الآراء . .

وقبل أن نعرض — شخصياً — للتدليل على صحة ما نذهب إليه ، نحب أن نستعرض الآراء التى أشارت لهذه الناحية ، وهى فى الواقع لاتعدو ناحيتين .

أولا — ناحية يذهب إليها القدماء .

ثانياً — ناحية يذهب إليها المحدثون .

أما الناحية الأولى — ناحية القدماء — فلا تتعرض لأمر الميلاد بكثير أو نذكر فقط سنة الوفاة ، وهى — مع ذلك أيضاً — تعرض للأمر وكأنما تقطع بما ذهبت إليه .

الأخرى — التى يسلكها المحدثون — هى الطريق المعتمد على النقد ، وتأييد الرأى بالحجج والأدلة .

وسنأخذ فى بحث المسألة عند كلا الطرفين ، ولعلنا نهتدى فى النهاية إلى نتائج نطمئن إليها .

عرض آراء القدماء ونتائجه :

ولنسلك مع القدماء أولاً طريقهم ، ونأخذ الموضوع من نهايته ، وهى تحديد سنة وفاة الشاعر ، لعلنا نصل إلى بداية حياته .

وبين أيدينا من القدماء جماعة من رجال التاريخ ، وأخرى من رجال الطبقات ، ومن أوائل من أرخ له من رجال التاريخ « حمد الله المستوفى » فى كتابه « تاريخ كزیده » الذى أتمه فى حدود سنة ٧٣٠ هـ . وهو ينص على أن وفاته كانت فى سابع عشر ذى الحجة سنة ٦٩٠ هـ ^(١) .

(١) تاريخ كزیده ص ٨٢٠

ثم يأتي بعده مؤرخ آخر هو صاحب « حبيب السير » المتوفى سنة ٩٤١ هـ . وهو يتردد بين اختيار تاريخين ذهب إلى أحدهما صاحب « تاريخ كزیده » السابق الإشارة إليه . وأخذ الآخر عن « عبد الرحمن الجامي » المتوفى سنة ٨٩٨ هـ في كتابه « نفحات الأنس » وهو شوال سنة ٦٩١ هـ^(١) دون أن يؤيد أحد الرأيين . أما كتب الطبقات ، فبين أيدينا منها الكثير ، وقد ترجم له كثيرون منهم ، ومن المتقدمين من هؤلاء صاحب كتاب « تذكرة الشعراء » المتوفى سنة ٨٩٢ هـ وقد ترجم للشاعر في إفاضة — كمادته لتراجمه في مشاهير الشعراء — وكتابه خاص بالتراجم لهم ، فهو من هذه الناحية ، كالمختص في موضوعه ، وليس كصاحب « تاريخ كزیده » .

وهو يذكر تاريخ الوفاة في شيء من التحديد باليوم والشهر والسنة . بل يثبتته نظماً في نصين مسبوقين بكلمة « وعزیزی » على عادته في عدم التصريح بالناظم يقول في أحدهما :

« وعزیزی تاریخ وفاة آن بزرگوار برین نوع گوید .
 شب آدینه بود و ماه ششوال زناربخ عرب « خ ص ا » سال
 همای روح پاک شیخ سعیدی بیفساند از غبارتن پر و بال^(٢)
 وترجمة هذين البيتين إجمالاً « أن تاريخ وفاة سعدي ، كان في ليلة الجمعة ، من شهر شوال من التاريخ العربي ، الذي يقابل في مجموعه ، ما يقابل حروف كلمة « خاص » من حساب « الجمل » . وانحاء في هذا الحساب ، تقابل الأرقام — ٩٠ — والألف تقابل الرقم — ١ — والصاد تقابل الرقم — ٦٠٠ — فالجموع = ٦٩١ .

ونظمه الآخر يؤدي — في جملة — إلى هذا المعنى .
 ونحن وإن لم نكن من أنصار هذا النوع ، من التحديد الزمى ، في مثل

(١) حبيب السير ص ١٣٠ (٢) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٩

هذه التواريخ باليوم والشهر والسنة ، على هذا الوضع من جعل العبارة موزونة ،
إلا أن ذلك لم يمنع من اطمئناننا إلى الأخذ بهذا الرأي .

وليس من العسير إخضاع النظم ليألف منه هذا التاريخ إجمالاً ، حتى يمكن
أن يقال إن الشاعر ، إنما اصطنع التاريخ اصطناعاً ليسهل عليه الوزن ، فان أداء
المعنى أمكن صياغته في قالبين مختلفين .

ولو كان التاريخ بغير هذا لأمكن صياغته أيضاً ، على وضع مناسب ، متضمن
للعدد المراد ، لكن من ناحية أخرى نسي الشاعر أن يذكر لنا كم من الأيام
مضت من شوال ؟ ؟

وليس يعنينا اليوم بذاته ، ولا عدد الأيام التي مضت من شوال ، لكن
يعنينا أن الكثرة من المؤرخين ورجال الطبقات ، أخذت بهذا الرأي في جملته
وإن لم يذهبوا إليه تفصيلاً ، فقد رأينا صاحب « حبيب السير » ينقل عن
« جامي » في « نفحات الأنس » أنه توفي في شوال سنة ٦٩١ هـ .

وكذلك من الذين أرخو للشاعر بالعربية ، من رجال الطبقات ، صاحب
« مزارات شيراز » وقد جعل وفاته سنة ٦٩١ هـ^(١) .

ومن رجال الطبقات المتأخرين صاحب « رياض العارفين » — رضاقلی خان
المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ قال بوفاته أيضاً سنة ٦٩١ هـ^(٢) . وهكذا يكاد يتفق
معظم المؤرخين على وفاته في ذلك التاريخ .

لم يكن الأمر في حاجة إلى التدليل على هذه المسألة بعرض هذه الآراء
المختلفة ، لكننا ذهبنا هذا المذهب لأمرين .

أولاً — لنكون رأياً شبه متفق عليه ، بين كثرة من المؤرخين ، وقد رأينا

(١) السكرگانی — مقدمة الغلستان ص . ط (٢) رياض العارفين ص ١٤٤

أن الكثرة تكاد تجمع على وفاته سنة ٦٩١ هـ ، وأن بعضها يذهب في التحديد فيذكر الشهر واليوم ، وعمدة هذه الآراء وأولها رأى « دولتشاه » .

ثانياً — لنبين الخلاف بين أكثر الآراء ، وبين رأى صاحب « تاريخ كزیدم » فالفرق الزمنى — وإن لم يكن بعيداً بين الرايين — إلا أن رأيه فى هذه العزلة ، يجعله ضعيفاً لا يؤخذ به ، وسنعرض لضعف رأى آخر له عند الحديث على تخلص الشاعر .

وبالإضافة إلى ما ذهب إليه صاحب « تذكرة الشعراء » من تحديد وفاته فإنه ذكر أن الشاعر عمر مائة واثنين من السنين . وجعل هذه السنوات الطويلة موزعة كالآتى : ثلاثين سنة فى التحصيل ، وثلاثين أخرى فى السياحة والتنقل بين أقطار ربع المسكونة ، وثلاثين أخيرة ، انقطع فيها للعبادة والطاعة ، والاثنتى عشرة سنة الباقية ، فى مساعدة الناس وإسداء المعونة لأصحاب الطريق ^(١) .

والرأى الذى ذهب إليه « دولتشاه » فى هذا التقسيم أخذه عنه بعض المؤرخين من الإيرانيين ومن الغربيين . فأخذ به صاحب « رياض العارفين — رضاقل خان » وإن كان قد جعل السنوات الاثنتى عشرة فى مقدمة السنوات التى عاشها ، وجعلها تنقضى فى تربيته الأولى ^(٢) . ويبدأ التقسيم بعدها ثلاثين سنة بالتساوى . على النحو الذى ذهب إليه « دولتشاه » . وكذلك يأخذ عنه هذا التقسيم صاحب « آتشكده » ^(٣) لطف على بيك المتخلص بأذر المتوفى سنة ١١٣٤ هـ .

ولعل ذلك هو الذى أوحى إلى الغربيين ، أن يذهبوا هذا المذهب ، فى تقسيم حياة الشاعر الطويلة . فأخذ بفكرة التقسيم كثير منهم « براون ^(٤) » كما أخذت

(١) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ (٢) رياض العارفين ص ١٤٣

(٣) آتشكده — شعراء اقليم فارس — طبعه الهند :

(٤) G. Browne : A Literary History of Persia v. 2 p. 527

به كذلك « دائرة المعارف الإسلامية » في ترجمتها للشاعر .

ونحن لا يعني أن تكون هذه الأقسام متساوية إلى هذا الحد ، أو أن تكون السنوات الباقية من هذه المقادير المتعادلة ، أمضاها الشاعر قبل أن تمتد حياته ، فتتسع لهذا القدر الطويل أو أنها كانت خاتمة حياته .

لكن مما يلحظ أن الشاعر كان معمرأً ، وأنه عاش مدة طويلة على ما يذهب إليه المؤرخون — ونحن إذا اعتمدنا السن التي أخذ بها القدماء من المؤرخين ، وهو الرأي الذي ذهب إليه صاحب « تذكرة الشعراء » في تاريخ وفاته — وهو سنة ٦٩١ هـ — واستقطعنا منه هذه السنين الطويلة التي عاشها . أمكننا أن نعرف تاريخ مولد الشاعر (٦٩١ — ١٠٢ = ٤٨٩ هـ) . وهذا هو أحد الفروض في تاريخ ميلاده .

ومع هذه السن الطويلة ، نلاحظ كذلك أن بعض المؤرخين ، يمعن في المغالاة أكثر من هذا ، وبطيل حياة الشاعر إلى المائة والعشرين سنة . ويذهب في تقسيمها أيضاً مذهباً هو أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة . فيجمل حياته أربعة أقسام ، كل قسم منها ثلاثون عاماً على التساوي ، أمضاها كما يأتي : في التحصيل ، والارتحال ، والتصنيف ، والاعتكاف^(١) . وهو رأي يجعل ميلاد الشاعر سنة ٥٧١ هـ .

وهذا التقدير لا يخلو من مبالغة لا دليل عليها ، كما أن هذا المذهب في التقسيم المتساوي يشمر بالافتعال .

والغريبون — بجانبهم — يذهبون في آرائهم إلى أن حياة الشاعر ، تبدأ على العموم قبل مطلع القرن السابع الهجري ، فيجعله « براون » سنة ٥٨١ هـ^(٢)

(١) أ. طاف حسين في كتابه حيات سعدى ص ٧ . طبعه طهران

(٢) G. Browne : A Literary History of Pers v. 2 p. 526

١١٨٥ م. وتجعله دائرة المعارف الإسلامية سنة ٥٨٠. ويشير الأستاذ الكرگانی إلى الاختلاف بين هذه الآراء دون أن يغلب رأياً على رأى^(١).

هذه هي مجمل الآراء التي ذكرها القدماء ومن تبعهم.

عرض آراء المحدثين ونتائجه :

وأول ما يبدو على هذه الآراء ، أنها لم تسلم بآراء القدماء — على علائها — بل بحثت الموضوع بحثاً معتمداً على النقد والمقارنة . تحاول أن تستمد الأدلة ، وتعللها ، وإن كانت أيضاً قد اعتمدت على مجرد فروض .

وأهم ما يواجهنا من هذه الآراء ، ثلاثة : هي رأى الأستاذ إقبال ، والأستاذ القزويني ، والأستاذ نفيسي . والأول قصد عرضاً لدراسة هذا الموضوع بمناسبة العيد السبعائوي لإنشاء الكلستان . وذلك في مقاله الذي سماه :

« زمان تولد و اوایل زندگانی سعدی » أي زمن ولادة الشاعر وأوائل حياته .

والثاني : مقال في هذه المناسبة أيضاً ، أشرنا إليه سابقاً ، يدور حول من مدحهم الشاعر ، ويعرض — استطراداً — للحديث عن ميلاده ، بما يجعله في حدود سنة ٦٠٠ هـ^(٢) أو فوقها بقليل . إذ يجعل عمره وقت وفاة « سعد ابن زنگی سنة ٦٢٣ هـ » في حدود العشرين أو أكثر قليلاً ، دون أن يعرض للتدليل أو المناقشة . وعبارته .

« بنا بر این پس شیخ در وقت وفات سعد بن زنگی در حد سنه ٦٢٣ هـ ظاهراً جوانی بوده است ، در حدود بیست و اندساله » .

والثالث : بحث عام عن « سعدی » نشر تبعاً في مجلة « مهر » في السنة

(١) الكرگانی — مقدمة الكلستان . ص . د

(٢) سعدی نامه — مزویی . ص ١٠٤

الخامسة منها ، من العدد الأول حتى السابع ، ويذهب في رأيه ، إلى أن مولد الشاعر ، كان أيضاً في حدود سنة ٦٠٠ هـ إلى سنة ٦٠٦ هـ وذلك في قوله .

« چون عقیده که بصواب نزد بکتر است آنست، که سعدی در حدود سنة ٦٠ هـ تا سنة ٦٠٦ هـ ولادت یافته است، » (١)

عرض لرأى الأستاذ اقبال :

وهو كما يتبين من عنوانه في صميم الموضوع . وفي الواقع قد عرض الأستاذ في إفاضة لهذه المسألة ، وناقش الآراء التي تقدمته ، ودل على ما يذهب إليه .

فقاله من هذه الناحية جدير بأن نقف عنده ، وأن ندرس ردوده وآراءه . والأستاذ يعترف مقدماً بصعوبة البحث في هذه الناحية كذلك ، وأن مولد الشاعر ليس معلوماً ، وحتى الآن لم نصل إلى دليل قطعي ، ونص عبارته .

« سال تولد سعدی معلوم نیست ، و تاکنون در هیچ سندی معتبر بنظر نرسیده است » (٢) .

ونأخذ الآن في إجمال رأى الأستاذ ومناقشته .

يشير الأستاذ إلى أن السنوات التي عرض لها الشاعر في كتاباته — تحدد حوادث معينة — قليلة ، لا تمدو ثلاثاً . هي تاريخ تأليفه « البوستان » . وتأليف « الكلستان » الأول سنة ٦٥٥ هـ والثاني سنة ٦٥٦ هـ . ثم قصيدة أخرى أنشدها في أحد ممدوحيه سنة ٦٨٠ هـ حين أسند إليه عمل من الأعمال الإدارية في فارس .

وغير هذه السنوات لم يعرض الشاعر لشيء يعين تاريخاً في مجرى حياته . ثم يرد الأستاذ على أصحاب التذاكر ، ومن جارا هم من المستشرقين ، ما ذهبوا إليه في تحديد سنوات حياته . ويرى أن كل ما كتب في هذا الموضوع ، إنما هي فروض لا أدلة عليها ولا سند لها (٣) .

(١) نفيسي — مجلة مهر — العدد الثاني — السنة الخامسة ص ١٤٣ .

(٢) سعدی نامه — اقبال . ص ١٦ (٣) المصدر السابق ص ١٦

ثم يناقش أهم هذه القروض بعد أن يعرضها في قوله :
« أما استنباطي كه بعضي از محققين از بيتي از اشعار سعدی مذکور در گلستان
راجع بشمار سنين او کرده اند ، بعني بيت ذيل .

ای که پنجاه رفت و در خسروای مگر این پنج روزه در یابی
که بر حسب آن شیخ با یسی در حدود ۶۵۶ - ۵۰ = ۶۰۶ منولد سده باشد نیز
بنظر نگارنده نمیتواند »

ومعنى العبارة « أما الاستنتاج الذى استمدته بعض المحققين من بيت يرد فى
أشعار سعدى فى الغلستان يوضح سنه . وهو

بامن مضت بك خمسون عاماً ولا زالت لاهيا . لعلك تدرك هذه الأيام الخمسة
وينبغي على حسب هذا البيت أن يكون الشاعر قد ولد فى حدود سنة ۶۰۶ هـ
فلا يمكن أن يوافق وجهة نظرى » .

ثم أخذ الأستاذ يورد اعتراضاته على هذا الرأى من ثلاثة وجوه .
أولاً — أنه لم يثبت — بأى وجه — أن الخطاب فى هذا البيت للشاعر .
ولكنه من نوع الخطاب العام .

ثانياً — أن هذا البيت ، ورد مطالعاً لإحدى قصائد سعدى ، وثابت فى جميع
كلياته . ثم أدرجه فى كتابه « الغلستان » على مجرى عاداته فى الاقتباس .

ثالثاً — أننا لو جعلنا هذا الخطاب المبهم هو طريق التحقيق ، لأرغمنا على
التسليم كذلك ، بأن الشاعر فى وقت نظمه « للبوستان » — أى قبل « الغلستان »
بعام واحد — كان يبلغ السبعين من عمره ، وذلك من بيت يرد فيه أيضاً يقول :
« ألا أى كه عمرت بهفتاد رف مگر خفته بودى كه برباد رفت » (۱)

« يامن بلغت السبعين من عمرك ، لعلك كنت نائماً فان العمر قد ولى بك »

وهذا البيت بوضعه الراهن يناقض — فى رأيه — الاستشهاد السابق . ثم يختم

(۱) سعدى نامه — اقبال ص ۲۳

الأستاذ هذه المناقشة بتعجبه، من أن البعض يذهب مذهب البيت الأول ، والبعض يذهب مذهب البيت الآخر ، وكل جماعة تغضى بعينها ، عن مدلول البيت الثاني إلى أن يقول :

« وحق اینست که هیچیک از این گونه خطابهای عام شاعر را که ابتدا راجع بشخص اونیست ، برای بیان احوال او منطاعتبار قرار ندهیم . »

ومعنى العبارة « والحق أن هذا النوع من المحاطبات العامة للشاعر ، لا يعود على شخصه ولا نعتد بها فى بيان أحواله . »

أما رأى الأستاذ — شخصياً — فى تحديد مولد الشاعر ، فهو يقوم كذلك على مجرد الافتراض ، فى مسألة يشعر الأستاذ « إقبال » نفسه — كما يشاركه فيها غيره — أنها مضطربة محتاجة إلى التصحيح ، تلك هى حادثة اتصال الشاعر « بابن الجوزى » والتلقى عليه ، وثبتت عبارته فيما يلى :

«سهمترین اشاره ای که در کلیات سعدی راجع ببدایت احوال او در دست اُست ، و آن برای تعیین زمان تخمینى تولد و شروع کار سعدی اوثق مصادر شمرده مى شود ، اشاره اوست در گلستان بشیخ اجل «أبو الفرج بن جوزی» در یکی از حکایات باب دوم ، که در آنجا سعدی «أبو الفرج بن جوزی» را در عنفوان شباب خود مربی و شیخ خویش میخواند و میگوید . »

ثم ينقل عبارة «الگلستان» التى تشير إلى هذه الحادثة من تلك القصة وهى:

چندانکه مرا شیخ اجل «أبو الفرج بن جوزی رحمة الله عليه» ترك سماع فرمودى وعزلت اشارت كردى ، عنفوان شبابم غالب آمدى و هوا و هوس طالب ناچار بخلاف رأى مربى قدیمى رفتمى ، و از سماع و مجالست حظى برگرفتمى ، و چون نصیحت شیخم یاد آمدى گفتمى :

قاضى أربا ما نشیند بر فشانده دست را محاسب گرمى خورد معذور دارد مست (۱) را

ثم يأخذ فى تصحيح شخصية « ابن الجوزى » المقصودة من هذه العبارة ، والتى تتفق مع سن الشاعر وحالته .

(۱) سعدى نامه — اقبال ص ۲۳

ويرى — ومعه الأستاذ القزويني^(١) أيضاً — أن هناك شخصين يشتركان معاً في الاسم والكنية واللقب والوظيفة ، وبينهما قدر من الزمن ، أحدهما « ابن الجوزي » الجد المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . والثاني — ابن الجوزي — الحفيد الذي يجتمع معه في الاسم والكنية واللقب والوظيفة أيضاً ، والذي مات هو وأبوه وأخوته في حوادث بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

ويقوم افتراض الأستاذ على أن قصد الشاعر من أبي الفرج المذكور في « الكلستان » هو الحفيد لا الجد . وهو الذي أسند إليه التدريس في المدرسة « المستنصرية » ببغداد نيابة عن أبيه ، ومنذ سنة ٦٣٣ هـ حتى مقتله ، كان يشغل وظيفة الحسبة .

ويستطرد الأستاذ في قوله بما معناه — ولما كان الشاعر يتلقى عليه وهو في عنفوان شبابه ، كان عمره سنة ٦٣٣ هـ في حوالى العشرين أو أقل من ذلك ، حتى يتمشى هذا مع تعبيره عن نفسه ، « عنفوان الشباب » ، وحتى يكون في سن يحتاج فيها إلى النصيح والإرشاد كما يقول .

ثم يخرج الأستاذ من هذا الافتراض بقوله :

« أكرين استنباط وتقدير ، كه ظاهراً عيبي در آن ديدۀ نبي شود صحيح باشد ، تولد آن سخنگوى استاد در حدود سنة ٦١٠ — ٦١٥ هـ اتفاق افتاده . و بنا بر اين سن اودر موقع نظم بوستان و إنشاء گلستان ما بين چهل و چهل و پنج بوده است ومعنى العبارة :

« لو صح هذا الاستنتاج الذى لا يرى فيه عيب ظاهر . فإن مولد الشاعر في حدود سنة ٦١٠ — ٦١٥ هـ . وبناء على ذلك ، فسنة وقت تأليف « البوستان والگلستان » ، ما بين الأربعين والخامسة والأربعين .

(١) قزويني . في حاشيته على جهانگشای ح ٣ ص ٤٦٣ — ٤٦٦

ثم يذهب الأستاذ أيضاً ، مذهباً آخر ، في تأييد هذا الرأي من جانب آخر ولكن بعبارة شبيهة بنفس العبارة التي استمد منها استنتاجه الأول . تقوم أيضاً على مجرد افتراض وتخمين .

فيعتمد على أن الشاعر يشير في « البوستان » إلى أن من شيوخه « شهاب الدين أبا حفص عمر بن محمد السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ » وذلك من قوله « مرا شيخ دانای مرشد شهاب دواندرز فرسود بر روی آب »

ويرى من مفهوم هذه العبارة ، أن الشاعر كان في عهد شبابه ببغداد ، يتلقى العلم على شيوخ عصره ، وأنه — حتى سنة ٦٣٢ هـ — كان لا يزال شاباً يتقبل نصائح مرشديه^(١) .
مناقشة آرائه :

هذه هي مجمل آراء الأستاذ اقبال التي عرض لها ، وهي كما رأينا تنقسم إلى قسمين أساسيين .

أولاً — مناقشته لآراء الذين افترضوا مولد الشاعر من بيته الذي يرد فيه أنه حين إنشاء « الكلستان » كان في سن الخمسين ، وأن مولده — تبعاً لذلك — كان في حدود سنة ٦٠٦ هـ .

ثانياً — افتراضه الذي ذهب إليه ، من واقعتي تلقى الشاعر على « ابن الجوزي والسهروردي » خارجاً من افتراضه في هاتين الحادتين إلى أن مولد الشاعر كان ما بين سنة ٦١٠ و ٦١٥ هـ .

ونحن بدورنا نناقش كلا الرأيين لعلنا نصل إلى إحدى اثنتين : إما أن نقبل أحدهما دون الآخر ، أو نرفضهما ، ونذهب مذهباً جديداً .

وانعود فنعرض هنا إجمالاً ما ذهب إليه الأستاذ في رد الرأي الأول وآراؤه لا تعدو ثلاثاً .

(١) اقبال — سعدى نامه ص ٢٥

١ — إن الخطاب في البيت ، القصد به العموم ، لا الشاعر نفسه .

٢ — إن هذا البيت ، ورد مطلقاً لإحدى قصائد الشاعر ، ثم نقله إلى « الكستان » على طريقه في الاقتباس والاستشهاد .

٣ — إن البيت يناقضه بيت « البوستان » الذي يجعل سن الشاعر وقت إنشاده في السبعين ، مع أن إنشاده كان قبل « الكستان » بعام واحد . ونحن نناقش هذه الآراء بما يأتي .

أولاً — إن البيت — موضع المناقشة — لم يكن للعموم بوجه من الوجوه ، وإنما هو لخطاب الشاعر نفسه ، وتحسره على أيامه الماضية التي أتلفها دون فائدة . والبيت موضوع بين عبارتين ، تصوران حاله .

ونحن نضع العبارة أمامنا ، كي يتحقق مدى انطباقها على الشاعر . يقول في ديباجة « الكستان » .

« يكسب نامل أيام گذشته میگردم ، و بر عمر تلف کرده تأسف میخوردم ،
و سنک سرچه دل بالمس آب دیده می سقم ، و این بتها مناسب حال خود میگفتم »

ثم يذكر قطعة من الشعر تبلغ إثني عشر بيتاً ، يرد البيت — موضوع الحديث — الثاني منها ، ومطلع هذه القطعة .

« هر دم از عمر میسرود نفسی چون نگه میکی بمناسد بسی
ای که پنجاه رفت و د خوابی مگر این پنج روزه در یابی » (١)

فكما نرى ، يشير الشاعر في مقدمة هذه العبارة المنشورة إلى نفسه في ضمير المتكلم « تأملت أيامي الماضية ذات ليلة ، وتأسفت على تلف عمري » وفي آخر العبارة يقول « وأقول هذه الأبيات في شرح حالي » ثم يوردها .

أما الغرض من انتقال الشاعر من ضمير المتكلم — في عبارته المنشورة —

(١) کلیات فروغی ص ٧٥ — ٧٦

إلى ضمير المخاطب — في عبارته الشعرية — فإنما يجري ذلك ، مع بعض مذاهب الشعراء في استحضار الغير ، أو الإشارة إليه ، في مقام التحسر نيابة عن المتحدث نفسه .

وهذه ظاهرة موجودة في مختلف الآداب ، يذهب إليها كثير من الشعراء في التماس مخاطب عام ، لمشاركته فيما يعرض من المعاني العامة ، التي يشترك فيها كل الناس ، ولبس المقصود بها شخص آخر غيره ، فالمقصود هو المتكلم .
على أن الذي يزيد في تأييد هذا الرأي أن الشاعر بعد أن فرغ من القطعة المنظومة عاد من جديد . يوجه الكلام إلى نفسه في قوله :

« بعد از تأمل این معنی ، مصلحت آن دیدم که در نشیمن عزلت نشینم »
أى بعد أن تأملت هذا المعنى ، رأيت من المصلحة إن اعتكف في خلوة الاعتزال
ثانياً — إن وجود البيت مطلقاً لإحدى قصائده : لا ينهض دليلاً على أنه أنشده قبل ذلك في مناسبة ، ثم نقله حين إنشاء « الكلستان » على طريقتيه في الاقتباس . فمن المعروف المؤكد أن الشاعر أتم كتابه « الكلستان » سنة ٦٥٦ هـ في الوقت الذي لا نعلم فيه — بالضبط — تاريخ هذه القصيدة التي يرد فيها هذا البيت .

لكننا نعلم أن قصائد الشاعر — في بابي المدح والرثاء — لم تكن أسبق من سنة ٦٥٥ هـ وهي السنة التي مدح فيها « أبا بكر » حين قدم له « البوستان » .
هذا فيما يتصل بقصائد الشاعر التي تتصل بالمدح ، وأما قصائده في الرثاء ، فلم تكن أسبق من سنة ٦٥٦ هـ وهي السنة التي قتل فيها الخليفة ، وتحول الحكم عن بغداد بعد فتح المغول .

وقد وردت القطعة التي جاء بها هذا البيت ، بين مجموع قصائد الشاعر في بابي المدح والرثاء من كلياته ، وتضع لها نسخة « فروغى » عنوان « پند » أى بصيحة .

وحقيقة يرد الخطاب فيها للعموم ، ولكنه للمشاركة ، واستحضار الذهن عند القارئ أو المخاطب، ولن تكون النصيحة إذ لم يوجه الخطاب فيها إلى الغير؟؟؟ على أنها تشعر في الوقت نفسه بمكانة الشاعر في المجتمع ، فأخذ يسديه نصائح التي لم يمتنع عن توجيهها — حتى للملوك — وجدير بهذه النصيحة أن تصدر عن الشاعر في سن متأخرة ، لا يبعد أن تكون بعد تقديمه « الكاستان » .

على أننا — بجانب ذلك كله — نجد فيها بيتاً اعلمه يجعل المسألة في صفنا أكثر من ذلك ، وهذا البيت ينتقل فيه الشاعر إلى خطاب نفسه إذ يقول :
« سعديا راستى زخلق مجسوى چون تودر نفس خسودنمى يابى » (١)
ومعناه :

« يا سعدى لا تطلب الاستقامة من الناس حين لا تجد لها أنت في نفسك » .
فهو هنا — أيضاً — يتحسر على نفسه أنه أضاع عمره هباء ، وأنه يرسم طريق الرشاد للناس ، ولكنه يأأس من ذلك . ثم يعزى نفسه بأنه مهما فعل من الخير فقليل ، ومادام لم يجد في نفسه الاستقامة ، فلن يطلبها من الناس .
ثالثاً — وأما وجود التعارض بين معنى بيتي « الكاستان والبوستان »
إذ أنه في الأول يبلغ الخمسين ، وفي الثاني يبلغ السبعين ، وأن الفارق بينهما عشرون عاماً ، بينما كان إنشاء « الكاستان » بعد « البوستان » بعام واحد .
فأمر نستطيع رده كذلك بما يأتي :

١ — أنه لا يلزم في بيت « البوستان » أن يكون الخطاب فيه للشاعر نفسه ، فالموقف هنا مخالف تمام المخالفة لما هو موجود في « الكاستان » فالبيت في هذا الأخير يرد في قطعة محاطة بالتحدث عن الشاعر نفسه وعن شئونه ، والكلام متسق بعضه مع بعض لا يؤثر فيه التنقل بين الضمائر .

(١) كليات فروغى ص ٤٧٣

بينما هو في « البوستان » مطلع لقطعة ، بل مطلع لباب بعينه ، هو الباب التاسع وموضوعه « في التوبة وطريق الصواب »^(١) .

والخطاب فيه للعموم ، وهذه هي طريق الشاعر في طلائع معظم أبواب هذا الكتاب ، وطلائع كثير من قطعه ، يعتمد فيها إلى التحدث مع المخاطب ، ومشاركته إياه ، ثم يتخير مطلعاً مناسباً للباب أو القطعة التي يتحدث عنها ، وبوجه الكلام فيه للمخاطب : يقول في الباب الأول — باب العدل .

« چه حاجت که نه کرسی آسمان نهی زیر پای فسرزل ارسلان »

وفي الباب الثاني « باب الإحسان » يقول في المطلع .

« اگر هوشمندی بمعنی گسرای که معنی بماند ز صورت بجای »

وفي الباب الثالث يقول في مطلعته .

« ترا عشق همچون خودی ز آب و گل رباید همی صبر و آرام دل »

وهكذا في بقية الأبواب ، وفي الكثير من حکایاته ، يفتتحها باستحضار المخاطب ، ترد فيها الإشارة إليه ، كما وردت في مطلع الباب التاسع بالبيت الذي نتحدث عنه .

٢ — إن هذا الباب — كما نرى — في التوبة وطريق الرشاد ، ومن المناسب أن يتخير لها سناً كبيرة ، تناسب من يطلب إياه أن يثوب إلى رشده ، بعد طول حياة ، فيعتمد إلى طلب التوبة ، والرغبة في انتهاج طريق الصواب .

٣ — ومع ذلك فمن الآراء ما يجعل « البوستان » عمل على دفعتين^(٢) تمت إحداها في عهد « أبي بكر » وقدمت إليه . والأخرى بعد هذا العهد . وهذا يفسر بعض الخلافات الموجودة بين نسخ الكتاب .

٤ — على أن هناك رواية أخرى ، تروى لبيت « البوستان » الذي يشير

(١) کلیات فروغی — بوستان ص ٣٨٨ (٢) قزوینی — سعدی نامه ص ١١٦

إلى زمن تأليفه لو صحت ، فإنها تتسق في المعنى مع البيت الآخر الذي ورد في « الكلستان » وهذه الرواية .

• زششصد فزون بود هفتاد و پنج كه پردرند این نامبر دار گنج^(١) ،
وذلك بدل روايته على الوضع الآتي :

زششصد فزون بود بنجاه و پنج . البيت

والمعنى في الأول أنه تم سنة ٦٧٥ هـ وفي الثاني تم سنة ٦٥٥ هـ .

ونعتقد — من جانبنا — أن الروائتين صحيحتان تشير الأولى إلى إتمام « البوستان » نهائياً ، كما تدل على أن « البوستان » عمل على دفعتين ، أو أن بعضاً منه قدم سنة ٦٥٥ هـ « لأبي بكر » . فاذا تم إنشاده وتنظيمه ، كان ذلك في وقت متأخر ، لعله يدرك هذا العهد . وبهذا نقرب من القول الذي يذهب بأن الشاعر حين تم إنشاد « البوستان » كان في سن السبعين مأخوذاً من يته الموجود فيه .

الا أيكه عمرت بهفتاد رفت البيت

لو صح أن الإشارة فيه للشاعر نفسه .

وبهذا — أيضاً — نصل إلى نتيجة واحدة من طريقتين مختلفتين غير متعارضتين . وهي أن سن الشاعر — وقت اتمام « البوستان » نهائياً سنة ٦٧٥ هـ — كان سبعين عاماً من هذا البيت .

وكان وقت إتمامه « الكلستان » سنة ٦٥٦ هـ يتجاوز الخمسين قليلاً

فالنتيجة في التقدير الأول هي : $٦٧٥ - ٧٠ = ٦٠٥$

وهي في التقدير الثاني : $٦٥٦ - ٥٠ = ٦٠٦$

وهما زمانان يتفقان مع بعضهما لا فرق بينهما في أمر كهذه المسألة .

(١) نفيسي — مجلة مهر — العدد السادس — السنة الخامسة ص ٥٦٤ .

هذه هي مجمل الآراء التي ترد بها اعتراضات الأستاذ « إقبال » على من ذهب بالقول إن مولد الشاعر كان في حدود سنة ٦٠٦ مأخوذاً من بيت « الكلسان »

الرد على رأى الأستاذ إقبال

وأول ما يواجهنا في رأيه أنه — أيضاً — جعله افتراضاً وتخميناً ، ونحن لا نغلب فرضاً على فرض دون دليل قوى ، وحتى الفرض الذى ذهب إليه ، يدور حول أمر تقديرى بحت لم يأخذ الشاهد فيه من أقوال الشاعر نفسه ، أو يستمد الدليل عليه من آرائه، وإنما استمد فرضه هذا من مقايضة بين سن الشاعر وسن شيوخه الذين اتصل بهم في دراسته .

وهذه مسألة اعتبارية بحتة . فالثابت أن الشاعر امتدت صلته بأساتذته زمناً طويلاً ، ومع ذلك فلم يعرف — حتى الآن — على وجه التحديد ، متى بدأت صلته بأساتذته ؟ ومتى انتهت ؟

والنقاد — كما رأينا — مضطربون في تحديد شخصية « ابن الجوزى » التى دار حولها رأى الأستاذ إقبال . أهو الجدل المتوفى سنة ٥٩٧ هـ أم الحفيد المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

ومع تسليمنا بأنه ابن الجوزى الثانى — كما ذهب إليه الأستاذ إقبال — فإن وظيفة الحسبة التى بدأت لابن الجوزى سنة ٦٣٣ هـ كانت قياساً لسن العشرين للشاعر عند الأستاذ إقبال . فعلى أى أساس نفترض هذا السن . ؟ ؟ ؟

ومن المؤكد أن الشاعر اتصل « بابن الجوزى » قبيل أن يصل إلى تلك الوظيفة فعلاً ، وباعتراف الأستاذ « إقبال » نفسه أن « ابن الجوزى » هذا انتقل إلى التدريس بالمستنصرية سنة ٦٣١ هـ . ولم يثبت أن الشاعر اتصل في دراسته بهذه المدرسة . بل يقول — كما يقول الرواة أيضاً — إنه تعلم في المدرسة النظامية

والشاعر يحدثنا أنه كان يتقاضى ادرارا أيام وجوده بالمدرسة النظامية . فإذا ثبت أن « ابن الجوزى » هذا كان من شيوخه في التعليم فلا بد أن تكون صلته به أيام كان بالنظامية أى قبل سنة ٦٣١ هـ .

فالقول بأن سن الشاعر كان فى العشرين فى الوقت الذى انتقل فيه « ابن الجوزى » إلى وظيفة الحسبة سنة ٦٣٣ هـ هو مجرد فرض تقديرى لا سند له .

كذلك جعل الأستاذ نهاية حياة « السهروردى » المتوفى سنة ٦٣٢ هـ تحديداً لسن العشرين عند الشاعر فى حين أن السهروردى شغل منصب التدريس قبل وفاته بمدة طويلة ، من حياة طويلة ، بلغت ما يقرب من مائة عام تقريباً . « ٥٣٩ — ٦٣٢ » هـ ^(١) .

ولاندري — على وجه التحديد — متى بدأت صلته بهذا الأستاذ ؟ أكانت فى أخريات حياته أم قبلها . ؟ وهل كان يستطيع « السهروردى » حتى آخر عمره الطويل أن يظل أستاذاً بالنظامية . . . ؟ وعلى أى أساس نربط سن العشرين عند الشاعر بسنة وفاة أستاذه . . . ؟ .

فالذهاب إلى أن الشاعر كان فى حدود العشرين عند ما توفى « السهروردى » هو أيضاً فرض لا نستطيع أن نجد الدليل عليه .

ونحن بعد ذلك نخلص من هذه المناقشة إلى افتراض سن الشاعر فى مطلع القرن السابع الهجرى . وعمدنا فى هذا رأى هو بيت « الكلستان » الذى ألف سنة ٦٥٦ هـ ، والذى يبنى عليه المؤرخون افتراض مولده بالقياس إلى هذا البيت سنة ٦٠٦ هـ . وهو رأى اقترب منه الأستاذ « القزوينى » ، والأستاذ « نفيسى » ممن عرضنا إلى آرائهم فى هذه المسألة، ونضم إليهما الأستاذ « الكركانى » فى مقدمته

(١) إقبال . سعدى نامه ص ٢٥

على « الغلستان » . فيجعل مولده ما بين سنتي ٦٠٠ — ٦٠٦ هـ^(١) .
وإني أميل إلى الذهاب بأن مولد الشاعر كان — على أصح الفروض —
سنة ٦٠٠ هـ

وفي تأييد هذا الرأي — بالإضافة إلى ما مضى — أذكر ما يأتي :
إننا لو رجعنا إلى البيت الذي جعلناه مصدر هذا التحديد وهو بيت
« الغلستان » الذي اعتمدنا عليه في تاريخ مولده سنة ٦٠٦ هـ . لوجدنا مضمون
عبارة تحتل أن يكون سنة قد جاوز الخمسين بسنوات .
« اي كه پنجاه رفت ودرخوابي مگراين پنج روزه دريساي »
فهو يذكّر أن الخمسين قد مضت ، وأنه تجاوزها في قوله « پنجاه رفت » أي
من مضت به الخمسون ، أو تجاوزته الخمسون .
ونحن نميل إلى أن نجعل هذا التجاوز ، لا يعدو منتصف العقد السادس بكثير
وعلى ذلك فميلاده كان في مشرق القرن السابع الهجري أي سنة ٦٠٠ هـ تقريباً
وعلى أصح الفروض .

(١) الگريگانی — مقدمة الغلستان ص — كح .

الفصل الثالث

اسم الشاعر ونحقيق ما يدور حوله

وهذه مشكلة أخرى لا تقل صعوبة عما واجهنا أو يواجهنا من المشاكل ، ولعل من المؤرخين من رأى أنها أول المشاكل التى تواجه الباحث .

فيذكر الأستاذ « نفيسى » أن اسمه ونسبه هما أول إشكال يواجه الباحثين ، وقد وقع المؤرخون — قديماً وحديثاً — فى خلاف كبير حول تحديد اسمه ونسبه ، وحتى الذين كانوا قريباً من عصره ، لم يعطونا رأياً صائباً نعتمد على صحته ، فمع أن « حمد الله المستوفى » كان قريباً من عصره ، فإنه لم يعطنا رأياً قاطعاً^(١) .

تعددت الآراء القديمة فى هذه المسألة وكل رأى ذهب مذهباً مخالفاً ، دون أن يجد سنداً من نص صحيح ، أو إشارة قاطعة تفيد اليقين والاطمئنان .

ويثبت الأستاذ الكركانى كثيراً من هذه الآراء^(٢) فى مقدمة كتابه ، مشيراً إلى تضاربها تضارباً قوياً ، ونحن نضع بين أيدينا آراء الذين تحدثوا عن الشاعر من المؤرخين أو رجال التذاكر ، وسنرى منها أنه لا يوجد بينهم اتفاق عام .

١ — فمن المؤرخين صاحب « تاريخ كزیده »^(٣) الذى ألف سنة ٧٣٠ هـ

يقول عنه .

« مشرف الدين مصلح الشيرازى » .

وصاحب « حبيب السیر »^(٤) الذى ألف سنة ٩١٤ هـ يقول فى توسع .

(١) نفيسى — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الأول ص ٤٦

(٢) الكركانى — مقدمة الكلسنان — ص. ج . (٣) تاريخ كزیده ص ٨٢٠

(٤) حبيب السیر ص ١٣٢

« الشيخ شرف الدين بن مصلح الدين سعدى الشيرازى » .
٢ — ومن أصحاب التذاكر « دولتشاه » فى كتابه « تذكرة الشعراء »
الذى ألف ٨٩٢ هـ .

يقول : « شيخ مصلح الدين سعدى ^(١) » .
« والجامى » صاحب « نفحات الأنس » الذى ألف سنة ٨٩٨ هـ يقول .
« مصلح الدين سعدى الشيرازى » .
« وآذر » صاحب « آتشكده » الذى ألف سنة ١١٧٤ ^(٢) هـ يقول .
« شيخ مصلح الدين المتخلص بسعدى » .
« ورضاقل خان » صاحب « رياض العارفين » الذى ألف سنة ١٢٨٨ هـ يقول .
« شيخ شرف الدين مصلح بن عبد الله » . ويشير إلى أن البعض يقول
إنه « مصلح الدين » أيضاً ^(٣) .

ونحن لانستطيع أن نقبين من خلال هذه الآراء رأياً نطمئن إليه . ونستطيع
أن نجعلها جميعاً تحت ناحيتين .

أولاً — ناحية المؤرخين . وأصحاب هذا رأى كما شاهدنا صاحب « تاريخ
گزیده » وبيجارى صاحب « حبيب السير » . وعبارة الأول لا يتضح فيها
مكان كلمة « مشرف الدين » من الاسم كله — أهى لقب أم اسم ؟ . بينما حدد
وضعها صاحب « حبيب السير » فجعلها الاسم دون اللقب . وجعل « مصلح
الدين » اسم أبيه وإن كان قد خالف الأول فيجعلها « شرف الدين » بدل
« مشرف الدين » .

(١) تذكرة الشعراء ص ٢٠٢ (٢) آتشكده آذر فى شعراء اقليم فارس .

(٣) رضاقلخان — رباعى العاوين — ص ١٤٣

ثانياً — والرأى الثانى هو ما ذهب إليه أصحاب التذاكر . ويكادون يلتقون عند رأى واحد . فهى كلها — وعلى رأسها صاحب « تذكرة الشعراء » — يذكر أنه « شيخ مصلح الدين » دون أن يذكر اسم أبيه . ولعل من جاء أخيراً من رجال الطبقات نقلوا عنه . فهم متفقون معه — جميعاً — فى الاسم وأنه « مصلح الدين » .

ويأتى آخر هؤلاء وهو صاحب « رياض العارفين » فيجمع بين الرأيين . يتفق مع أصحاب التذاكر فى قوله « ويقول البعض إنه مصلح الدين » وإن كان يترجم له بعبارة لا يتفق فيها مع غيره من المؤرخين فى قوله .

« هو الشيخ شرف الدين مصلح بن عبد الله » فيتفق مع صاحب « حبيب السير » فى كلمة « شرف الدين » وإن كان يجعلها فى مقام اللقب . ويجعل اسمه « مصلح » وأبوه « عبد الله » بينما يجعل صاحب « حبيب السير » « شرف الدين » اسم الشاعر « ومصلح الدين » اسم أبيه .

نخرج من هذا العرض إلى أن المؤرخين ، ورجال الطبقات وقعوا فى اضطراب فى تحديد اسم الشاعر ، واسم أبيه ولقبه وكنيته .

ومن هنا كانت الإشارة التى ساقها الأستاذ « نفيسى »^(١) وأيدها الأستاذ السكرگانی^(٢) فى أن التناقض واسع بين المؤرخين فى اسم الشاعر ونسبه .

ولا سبيل لنا — من بعدهم — إلى تأييد رأى دون رأى ، أو تغليب رأى على آخر . ولا اعتماد لنا على ما ذهب إليه صاحب « تاريخ كزیده » مع تقدمه وأسبقته ، ولا الذى ذهب إليه رجال الطبقات جميعاً .

(١) نفيسى — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الأول ص ٤٥
(٢) السكرگانی — مقدمة السكستان . ص ج (٣) المصدر نفسه ص ٤٥

وسينتج مما ظهر من العبارات القاطعة في تصحيح نسبه واسمه إن كلا الرأيين
جانب الصواب .

ومن حسن الحظ أنه عثر — أخيراً — على إحدى النسخ المخطوطة
« للگلستان » التي نقلت عن نسخة بخط « سعدی » نفسه ، وهي التي أخذ
عنها الأستاذ « الکرگانی » في نشره هذا الكتاب . وعبارته .

« در کتاب گلستانی که مأخذ نگارنده ، ويطبع آن افدام نموده است ، وکاتب
آن در آخر کتاب ادعا کرده است که از روی نسخه خط شیخ نسخه گرفته ،
ومقابله کرده است ، در پشت ورق اول کتاب عبارت ذیل نوشته شده است —
کتاب گلستان فی النوادر والأمثال والشعر والحکایات . أنشأه العبد الفقير المحتاج
إلى ربه — أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدی الفارسی غفر الله له ولوالدیه » (۱)

ولا يشير الأستاذ « الکرگانی » إلى تاریخ النسخة التي خطها الشاعر ، والتي
نقلت عنها النسخة المطبوعة من « الگلستان » . لكن الأستاذ « نفیسی » يشير
إلى تلك النسخة ويجعل تاریخ کتابتها بخط « سعدی » سنة ۶۶۲ هـ في شهر المحرم
أى بعد ست سنوات من إتمام « الگلستان » ونص عبارة « نفیسی » هي :

« در پشت نسخه معتبری از گلستان که از روی نسخه اول خط سعدی
نوشته شده ، وآقای قریب آنرا انتشار داده اند ، نام مؤلف کتاب چنین آمده است .
— أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدی الفارسی — وأصل آن نسخه را سعدی
بخط خود در محرم سنة ۶۶۲ هـ یعنی شش سال پس از آنکه گلستان را تمام کرده ست
نوشته بوده (۲) » .

وبجانب ذلك نجد ما يدل على صحة هذا الرأي أيضاً دلالة لا تقبل الشك في تحديد
اسم الشاعر واسم أبيه .

فقد نقلت — مصورة بالفوستات — عبارة مكتوبة على وجه أول صفحة من
صفحات « الگلستان » التي أخذ عنها الأستاذ « فروغی » ، وهذه الورقة مواجهة
لصفحة ۸ من « سعدی نامه » وبها هذه العبارة .

(۱) الکرگانی . مقدمة الگلستان . ص . ۷ .

(۲) نفیسی . مجله مهر . السنة الخامسة . العدد الأول ص ۴۷

فرغ من تسطير كتاب الطيبات^(١) قائله العبد الفقير الحقير المستمند بعفوه مشرف بن مصلح السعدي غفر الله له في غرة ذي الحجة سنة احدى وستين وستائه .

وتاريخ هذه المخطوطة قريب من المخطوطة التي نقل عنها الأستاذ «الكرگانی» والتي أشرنا إليها سابقاً ، أنها كانت سنة ٦٦٢ هـ . ولكنها تفتقر عنها في العبارة فهي لا تذكر الكنية ولا الموطن .

كذلك يذكر الأستاذ « آربری » Arberry^(٢) أن هناك نسخة يملكها الخطاط المشهور « مير عماد » المتوفى سنة ١٦١٢ م عليها توقيع « سعدى » بالعبارة الآتية « أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدي الفارسي » .

وبجانب هذا يقول الأستاذ « نفيسي » إن هناك لوحة حجرة موضوعة على مقبرة الشيخ منذ اليوم الأول لوفاته . ولا تزال باقية على جدار المكان ، مكسورة من المقدمة وغير واضح ما عليها . وفي العبارة التي بقيت عليها مكان كلمة أو كلمتين غير موجودتين . كما يحى أيضاً تاريخ وفاة « سعدى » ، الذي كان حتماً منقوشاً عليها ، ولم يبق من اسمه ونسبه إلا كنيته وتخلصه .

وذلك هو ما بقي على تلك اللوحة يورده بالوضع الآتي .

« مجمع الفضائل الملكية ، ينبوع المحامد السنية ، ذو المعاني اللطيفة ،

المشار إليه بالبنان ، أبو عبد سعدى »

وص العبارة :

(اینک پارهٔ آرزوگمی که از روز نخست بر سر خاک نهاده بودند، در همان مقبرهٔ شیراز باقی مانده که بر دیوار جای داده اند و آواز آن نسکسته و نابود شده . و آریان آن یکی دو کلمه نیز نسکسته . و آریان رفته است . و تاریخ فوت سعدی که حتماد

(١) هذه الكلمة نقراً قريبة من «الطبعات» ولعل المصنوع بها الكلمات أو الطيبات .

(٢) Kings and Peggars p. 6

روی آن كنده بودند آزدست رفته . و آزانام ونسب أونیز بجز كنیه وتخلص چیزی نمانده وآنچه آزان سنك باقی مانده بدین قرار است مجمع الفضائل ينبوع المحامد . . . الخ (۱) .

ويخرج الأستاذ من هذه الآراء إلى أمور قاطعة في اسم الشاعر ونسبه وهي :

۱ — إن كنية الشاعر هي « أبو عبد الله » وكلمة « الله » غير موجودة في النص المحفور ، لكن تفهم من إضافة كلمة « عبد » إليها .

۲ — إن القدر الموجود بين كلمة « أبو عبد » و « سعدی » لا يتسع لأكثر من أربع كلمات هي كما يمكن تقديرها — « الله مشرف بن مصلح »

وبهذا يمكن أن يكون اسم الشاعر ونسبه كاملاً

« أبو عبد الله مشرف بن مصلح سعدی » وهو ما يتسق مع ما وجد على ظهر النسخة المحققة « للگلستان » الذي نشره الأستاذ الكرکانی

فليس — إذن — كلمة « عبد الله » اسماً له أو لأبيه وإنما هي كنية له . كما أن كلمة « مشرف الدين » التي وردت عند بعض المؤرخين ليست لقباً له أو لأبيه لكنها اسم له غير مضافة لكلمة « الدين » . وهي بضم الأول وفتح الثاني وتشديد الثالث كما ضبطها الأستاذ الكرکانی نقلاً عن النسخة التي أخذ عنها . لكنه لم يتبع الشدة على الراء بحركة . هل هي الفتحة أم الكسرة ؟ .

والمعنى أقرب لأن نجعلها الكسرة بدل الفتحة حتى تكون اسم فاعل يصدر عنه التشریف .

وكذلك الأمر في كلمة « مصلح الدين » التي وردت عند البعض . ليست لقبه أو لقب أبيه لكنها اسم أبيه بدون إضافه إلى كلمة « الدين » .

بقي أن نذكر من أين جاء هذا الخلط والاشتباه عند النساخ أو الرواة ؟ . وهو أمر ندد سهلاً ويسيراً في إضافة كلمة « الدين » إلى « مشرف ومصلح »

(۱) نفیس . مجله مهر . السنة الخامسة . العدد الأول ص ۴۷

واستبدال كلمة « شرف الدين » بدل « مشرف » وذلك أن كلمة « مشرف » و« شرف » قريبتان من بعضهما ، ومن السهل قوائمها على النساخ أما كلمة « الدين » فهي تقرب كذلك من كلمة « ابن » ومن الممكن أن يقع فيها من لا يدقق . وهذا ما يذهب إليه الأستاذ « الكركاني » في تعليل ذلك الخلط ^(١) .

أما نسب الشاعر إلى الموطن ففي نص الأستاذ « الكركاني » الذي أخذ عنه نسخته ، أن الشاعر نسب نفسه إلى « فارس » وفي نصوص رجال الطبقات أنه ينسب إلى « شیراز » . ولا اعتراض لنا على الخلاف بينهما . فإنه ينسب نفسه إلى الوطن الكبير بينما ينسبه رجال الطبقات والمؤرخون إلى موطن ولادته شیراز .

ولا خلاف في أنه ولد بشیراز كذلك فإنه يشير إلى هذا في عدة مواضع من كتبه .

ففي الكلستان في الباب الخامس في المقدمة التي تشير إلى دخوله « كاشغر » ومشاهدته طالباً يقرأ مقدمة « الزمخشري » . فيسأله الفتى عن موطنه فيجيبه « شیراز » .

« مولدم برسید ، گفتم . خاک شیراز » ^(٢)

وفي إحدى غزلياته يشير إلى ذلك بقوله :

« هر مناعی زمعدنی خسیرد شکر از مصر وسعدی از شیراز » ^(٣)

أما كلمة شيخ فيمكن أنها أسندت إليه تقديراً لمكانته الروحية ، أو الصوفية ، أو رعاية لسنه ، أو منزلته .

وقد تردد إطلاق هذه الكلمة على الشاعر في حياته ، حتى من كبار الشخصيات

(١) الكركاني — مقدمة الكلستان ص ١٠٠ .

(٢) کلیات فروغی — گلستان ص ١٦٧

(٣) الكركاني — مقدمة الكلستان ص ١٠٠ .

ففي الرسالة السادسة من رسائله ، وهي التي تتعلق ببقاء الشاعر « لآباقا خان »
والصاحبين « شمس الدين وعطا ملك » يذكران في قولهما « لآباقا » حين سألهما
من يكون ذلك الشيخ ؟ يجيبانه « إنه أبونا ، وشيخنا » والعبارة .
« گفتند آى خداوند، اوبدرما وشيخ ماست(١) » .

أما متى يمكن أن يكون قد فاز بهذا اللقب ؟ فإننا نعتقد أنه ظمر به منذ أيام
رحلاته واختلاطه الكثير بالناس ، وقيامه مرات كثيرة بالوعظ والإرشاد بينهم ،
فنال تقديرهم واستحق لهذا أن يخلعوا عليه لقب شيخ .

ويرى الأستاذ « السكرگانی » أنه خلال إقامته الطويلة بسوريا نال فيها لقب
الشيخ الكبير في « دمشق » فانه كان موضع احترام الناس . ولأول مرة في تلك
المدينة ومدينة « بعابك » كما يقول — جمع بين شهرته كأديب كبير ، وبين
واعظ ديني شهير^(٢) .

(١) کلیات فروغی ص ٦٥ (٢) السكرگانی مقدمه السکلسنان ص . ٦٠

الفصل الرابع

نقص الشاعر والخوف منه

وهذه أيضاً مسألة من المسائل التي لم يجمع فيها على رأى بين القدماء ، كما اختلف المحدثون فيها كذلك .
وأساس هذه المشكلة أمران .

١ — أنه لم يرد نص صريح — من نصوص الشاعر — يدل على تحديد الشخص الذي استمد منه تخلصه .

٢ — أن الشاعر عاصر حاكين من حكام أسرة الأتابكة ، الذين عاش وعاشت أسرته في كنفهم بشيراز ، وكلاهما يسمى سعداً .

عاصر « سعداً بن زنگي » كما عاصر « سعداً بن أبي بكر » وكلا الجد والحفيد له اسم سعد ، ومن هنا كان مورد الاضطراب عند القدماء والمحدثين .

وتمضى المسألة عند القدماء — فيما يذهبون إليه — كأنها أمر مسلم به غير محتاج إلى تدليل أو مناقشة ، بخلاف ما نلاحظ عند المحدثين .

ونحن نجمع آراء القدماء كما وردت أولاً ، ثم نقاش آراء المحدثين ثانياً ، فإذا ذهبنا إلى رأى دون رأى ، فسنقيم الدليل على وجهة نظرنا ، فيما نذهب إليه ، ولعلنا نوفق في ذلك .

عرض عام لهذه الآراء : آراء القدماء

وقد أشار الأستاذ « القزويني »^(١) إلى من تكلم من القدماء عن تخلص « سعدى » وجعلهم قسمين .

١ — قسم يذهب في تخلصه إلى « سعد بن زنگي » — الجد .

(١) قزويني — سعدى نامه ص ١١٠

٢ — وقسم يذهب إلى أنه تخلص باسم « سعد بن أبي بكر » — الحفيد .
 أما من ذهب إلى الرأي الأول فقد قال عنهم إنهم أربعة ، هم أصحاب
 « حبيب السير ، وجهان آراء ، وآتشكده ، ورياض العارفين ^(١) » .
 والذين ذهبوا إلى الرأي الثاني هم أصحاب « تاريخ كزیده ، ومزارات شیراز » .

ونص هذه العبارة من مقال « ممدوحین شیخ سعدی » هي كما يلي :

« چنانکه از تاریخ کزیده ^(٢) ومزارات شیراز ^(٣) مستفاد میشود، شیخ از
 بستگان ومنتسبان این شاهزاده بوده ، وهمانا تخلص وی نیز ازنام او مأخوذ
 وبدون شبهه صواب همین قول است ؛ به آنچه صاحب حبيب السير ، وجهان آراء ،
 وآتشكده ، ومرحوم هدايت گفته اند كه تخلص شیخ مأخوذ ازنام سعد بن
 زنگی است » .

ثم يدل على صحة ما يذهب إليه بآراء سنعرض لها ونناقشها فيما بعد . وترجمة
 هذه العبارة .

وكما يستفاد من تاريخ « كزیده ومزارات شیراز » كان الشيخ من
 المتصلين بهذا الأمير « سعد بن أبي بكر » والمنتسبين إليه ، وكذلك اتخذ تخلصه
 أيضاً من اسمه ، ولا شك أن الصواب هو نفس هذا القول . وليس ما يذهب إليه

(١) صاحب حبيب السير، هو غياث الدين خواند مير من رجال القرن العاشر الهجري
 وصاحب جهان آراء، هو القاضي أحمد الغفاري من رجال القرن الحادي عشر الهجري
 وصاحب آتشكده، هو لطف علي بك المتخلص بأذر من رجال القرن الثاني عشر الهجري
 وصاحب رياض العارفين . هو رضا قلي خان المتخلص بهدايت من رجال القرن
 الثالث عشر الهجري .

(٢) تاريخ كزیده ص ٨٢ . وعبارته مقتضبة وهي « سعدی شیرازی وهو
 مشرف الدين مصلح شیرازی و بانابك سعد بن أبي بكر سعد بن زنگی منسوب است »
 (٣) مزارات شیراز . هامش سعدی نامه ص ١١١ وعبارته « الأتابك سعد بن
 أبي بكر بن سعد بن زنگی . كان ملكاً شاباً جمللاً حسن السيرة صافي السريرة
 محباً لأهل الفضل مريباً لهم . قد انتسب اليه الشيخ مشرف الدين مصلح »

صاحب «حبيب السير»^(۱) وجهان آرا^(۲)؛ و آتشکده^(۳) و المرحوم هدايت^(۴) .
أن تخلص الشيخ مأخوذ من اسم «سعد بن زنگی» .

والمفهوم من إجمال عبارة الأستاذ «القزويني» أنه وجد بين المتقدمين —
الذين يعتمد عليهم في حياة الشاعر — أربعة تذهب إلى أن تخلصه مأخوذ من
«من سعد بن زنگی» واثنين يذهبان إلى أنه اتخذ من «سعد بن أبي بكر» .

ونستطيع أن نضيف إلى الآراء التي يذهب إليها الأستاذ في جعل التخلص
مأخوذاً من اسم «سعد الأكبر» رأياً آخر لم يشر إليه هنا ، وإنما أشار إليه
في مقدمته على كتاب «المعجم في معايير أشعار العجم»^(۵) ذلك هو رأي دولتشاه^(۶)
ولعله أول مرجع في هذه المسألة لقدمه وإحاطته .

وبهذا تستكمل آراء أغلبية رجال الطبقات الذين يعتمد عليهم في تاريخ الشاعر .
هذه هي آراء القدماء ، وهي كما نرى تعرض للأمر دون مناقشة أو تدليل ،
ونحن لا نذهب إلى تغليب رأى على رأى ، دون أن ندخل في المسألة آراء المحدثين
ثم مناقشته .

آراء المحدثين . من قال بتخلصه بسعد الأكبر

وأهم من ذهب من المحدثين الذين اطاعنا على آرائهم ، وجعلوا تخلص الشاعر
من «سعد بن زنگی» هو الأستاذ «الكرکانی» . وإن كانت أدلته مقتضبة

(۱) حبيب السير ص ۱۲۸ . وعبارته — في معرض الكلام عن سعد بن زنگی
«وشیخ مصلیح الدین سعدی شیرازی را در تخلص بوی منسوب میدانند» .
(۲) لم يتيسر الاطلاع على نص هذا الكتاب لأنه غير موجود بمصر
(۳) آتشکده . «ظهور التیج در زمان سعد آتابک است و بدین جهت سعدی
تخلص میکرده»

(۴) ریاض العارفین ص ۱۲۴ «ظهورش در زمان سعد بن زنگی بوده و بسبب
خصوصیت آتابک مذکور سعدی تخلص فرمود» .

(۵) مقدمة المعجم في معايير أشعار العجم ص . ط — ی

(۶) دولتشاه — تذکرة الشعراء ص ۲۰۲ . وعبارته « و ظهور شیخ در
زوزگار آتابک سعد بن زنگی بوده است ، گویند پدر شیخ ملازم آتابک بوده ، و وجه
تخلص شیخ سعدی بدان جهت است » .

دفع رأی من قال بتخلصه من « سعد بن أبي بكر » ، و يذهب أيضاً بعض الإيرانيين
والغریبین إلى مشاركتة هذا الرأي وعبارته .

« در باب تخلص وی مینویسد ، چون سلطان زمانش أتابك سعد بن زنگی بوده ،
لهذا سعدی تخلص نموده ، ولی صاحب تاریخ گزیده حمد الله مستوفی قزوینی مینویسد
چون سعدی ملازم سعد دوم سرابو بکر بوده . لهذا ابن تخلص را اختیار کرده اند
ودلیلشان آنست که سعدی در زمان سلطنت سعد بن زنگی در شیراز نبوده ودر
اشعار ونوشتهای خود ویرا مدحی نکرده .

اعتراضی که بنظر نگا رنده پرفول دوم وارد میشود این است که هرگاه سعدی
بواسطه ملازمت سعد بن ابوبکر این تخلص را اختیار کرده باشد البته باید بعد از
مراجعت بشیراز باشد . در اینصورت باید سعدی در آیام تحصیل خود در بغداد
ومسافرتها که کرده تخلصی اختیار نکرده باشد با تخلصی دیگر داشته ، و یا هیچوجه
شعری نگفته باشد . و این مطلب بغایت بعید ، بلکه فریب بمحال است (۱) .

وترجمة هذه العبارة كما يلي :

« فی باب تخلص « سعدی » یذکرون أنه لما كان سلطان عصره هو
« سعد بن زنگی » . فلماذا اتخذ منه « سعدی » تخلصه لكن صاحب « تاریخ
گزیده » یذکر أنه لما كان السعدی ملازماً « لسعد بن أبي بكر » فلماذا اختار
تخلصه منه ، ويختار البعض القول الثاني ^(۲) ، ودليلهم على ذلك أن « سعدی »
فی عهد حكم « سعد بن زنگی » لم يكن فی شیراز ، ولم يمدحه فی شعره أو رسائله
لكن الباحث « يقصد نفسه » يترض على القول الثاني ، بأنه لو كان
« سعدی » قد اختار تخلصه من أجل ملازمته « لسعد بن أبي بكر » لكان
بالتأكيد بعد رجوعه إلى شیراز . وعلى ذلك ينبغي أن يكون « سعدی » فی
عهد تحصیله ببغداد وسفره ، لم يتخذ تخلصاً ، وأنه كان له تخلص آخر ، أو لم يقل
شعراً قط ، وذلك أمر بعيد للغاية ، بل قريب من المحال .

(۱) السكرگانی - مقدمة السکستان . ص . ذ .

(۲) لعله بشیر بذلك إلى آراء المحدثين ممن ذهبوا هذا المذهب .

هذا هو أهم الآراء المعارضة في جعل تخلص الشاعر مأخوذاً من « سعد بن أبي بكر » يتزعمه الأستاذ الكرگانی ، ويدلل عليه .

وقد نهج منهجه هذا جماعة من الإيرانيين المحدثين ، وإن لم يذهبوا في عرض آرائهم والتدليل عليها كما ذهب هو . كذلك يذهب إلى نفس هذا الرأي بعض الغربيين .

ومن بين الإيرانيين الأستاذ « قاسم تويسرکانی » في بحث له عنوانه « سخن سعدی » فبعد أن يرد على المعارضين ببعض ما ذهب إليه الأستاذ « الكرگانی » . يعود فيرى في النهاية ، أن الأمر حقيقة لا يخلو من إشكال في إسناد تخلص الشاعر إلى إحدى الشخصين .

لكنه يذهب في ذلك مذهباً لا نوافقه عليه في الخروج من هذا الإشكال ، إذ يرى أنه من المحتمل أن يكون تخلص الشاعر إما اتخذ من شخص آخر غير هذين الأميرين أو هو وصف له ، وعبارته :

« پس در وجه تخلص سعدی بدین نام اگر حتماً بخوایم ، این کلمه را بیکی ازدو سلسلهٔ آتابکان منسوب بداریم ، در هر حال خالی از اشکال نیست ، چه نسبت آن را بسعد اول بدهیم ، وجه بسعد دوم . بنا براین میتوان احتمال داد که تخلص وی از نام هیچیک ازدو سعد گرفته نشده . وبنام دیگری ، یا سعد وصفی منتسب بوده باشد(۱) » .

لكن هذا الرأي — الذي ذهب إليه هذا الكاتب — لا نستطيع أن نقبله أو يبلغ مبلغ الاطمئنان لدينا ، فهو فضلاً — عن أنه مجرد فرض لا تؤيده الوقائع فإنه بعيد الاحتمال ولا يحل الاشكال .

وإلى نفس الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ « الكرگانی » تذهب دائرة المعارف الإسلامية في مناقشة قصيرة .

(۱) قاسم تويسرکانی — سخن سعدی ص ۴

فهى تشير إلى أن أبا الشاعر كان فى خدمة الأتابك « سعد بن زنگى »
 وتجعل تخلصه من اسمه ، ثم تذكر أن بعض الآراء ^(١) تخالف هذا رأى فى جعل
 التخلص « لسعد الأصغر » وترد على هذا بقولها : إن « سعداً الثانى » لم يعتل
 العرش إلا حين كان « سعدى » فى السابعة والستين ^(٢) ، وقد كتب الكثير
 من مؤلفاته ثم عاد إلى شیراز ، ولم يمتد حكم « سعد الثانى » إلا اثنى عشر يوماً ،
 فلم يكن لديه أية فرصة ليؤدى عملاً جليلاً ليكون بذلك محل تقدير « سعدى »
 بينما كان جده راعياً لوالد الشاعر .

كذلك يرى « براون » — دون مناقشة — أن الشاعر لما كان فى رعاية
 الأتابك « سعد بن زنگى » أتابك فارس ، لهذا جعل تخلصه من اسمه ، وسرعان
 ما أرسله للالتحاق بالمدرسة النظامية ببغداد ^(٣) .

هذه هى آراء الذين ذهبوا إلى أن تخلص الشاعر مأخوذ من « سعد بن زنگى »

من قال بتخلصه بسعد الأصغر

هناك جماعة أخرى ترى أن تخلصه مأخوذ من « سعد بن أبى بكر » . وعلى
 رأس هؤلاء الأستاذ « القزوينى » والأستاذ « عباس اقبال » .
 الأول فى مقدمته لكتاب « المعجم » ^(٤) ومقاله « ممدوحين شيخ سعدى » ^(٥) .
 والثانى فى مقاله « زمان تولد وأوايل زندگان سعدى » ^(٦) الذى نشر فى
 « سعدى نامه » .

(١) لعلها تقصد آراء القدماء مثل تاريخ كزیده .

(٢) ترى الدائرة فى النسخة الانجليزية . أن مولد الشاعر كان سنة ٥٨٠ هـ .
 وهذا خطأ لا يتفق مع التقدير المذكور لسن الشاعر . والصواب ما ثبت فى النسختين
 الفرنسية والألمانية من أن مولده كان سنة ٥٩٠ هـ .

(٣) G. Browne: A Literary History of Persia v.2, p. 527.

(٤) مقدمة المعجم فى معايير أشعار العجم ص ١٠٠ ط — ى .

(٥) سعدى نامه ص ١١٠ (٦) نفس المصدر ص ٢٧ .

رای الاستاذ القزوينی

ولما كان رأي الأستاذ « القزويني » هو الأساس ، وقد عرض له في موضعين فإننا نفرّد له المناقشة أولاً .

ونحن نسجل نص عبارته — على طولها — ثم نقاشها ، وقد كتب الأستاذ مقدمته لكتاب « المعجم » سنة ١٩٠٩ م . ثم عاد فأشار إلى هذه المسألة في مقاله الثاني بعد ذلك التاريخ . مع تصحيح بعض الآراء التي كان قد ذهب إليها ، والتي أخذها عن صاحب « تاريخ كزیده » .

وهذا هو نص العبارة كما وردت في المقدمة المذكورة .

« ودر اینجا لازمست که اشاره بغلطی مشهور . در باب تخلص شیخ « سعدی شیرازی » بنائیم ، وآن اینست که بسیاری از تذکره نویسان ، که اولین ایشان « دولتشاه سمرقندی » است ، گفته اند ، که شیخ از مداحان آتابک « سعد بن زنگی » بوده ، ووجه تخلص او « بسعدی » نیز از نام همین پادشاه مأخوذ است واین امر خطای محض است چه .

اولاً — در تمام کلیات شیخ مدحی یا ذکری از « سعد بن زنگی » اصلاً و مطلقاً نیست .

ثانیاً — مصنف این کتاب — چنانکه گفتیم — در پنج سال آخرت سلطنت « سعد بن زنگی » و اوائل سلطنت « أبو بکر بن سعد بن زنگی » در شیراز ، و در ملازمت دویاد شاه مذکور بسر می برده است .

و در این کتاب از اشعار غالباً شعرای متقدمین ، و متأخرین ، و معاصرین خود ، مانند کمال الدین اسماعیل المتوفی سنة ٦٣٥ هـ استشهاد آورده است .

و مع هذا هیچ اشاره ، و ذکری از « سعدی » نمیکند . و اگر شیخ معاصر « سعد بن زنگی » بوده . یعنی در عهد او در شیراز اقامت داشته . این سکوت مصنف از او با آنکه هر دو بنا بر این تقدیر — در يك عصر ، و يك شهر و در خدمت يك شاه ، بسر می برده اند — هیچ وجهی و محلی نخواهد داشت .

هذه هي القضية ورده عليها . ثم يعرض الأستاذ رأيه في قوله :

« و صواب قول صاحب تاريخ كزیده است که شیخ « سعدی » از ملازمان « سعد بن أبي بکر بن سعد بن زنگی » — که در سنه ٦٥٨ هـ دوازده روز بعد از وفات پدرش وفات یافت — بوده است . و تخلص « سعدی » نیز از نام همین شاهزاده مأخوذ است . و کتاب گلستان را نیز بنام همو تألیف کرده است . چنانکه گوید .
على الخصوص که دیباجه هما یونش بنام سعد أبو بکر سعد بن زنگی ست

وظاهر آست که مراجعت شیخ از سفرهای دور و دراز بوطن خود ، واستقرار وی در شیراز در اواخر سلطنت « أبو بکر بن سعد بن زنگی » بوده است ، و در همان اوقات کتاب « بوستان » را بنام آن پادشاه ، در سنه ۶۵۵ هـ کرده است چنانکه گوید ز ششصد فزون بسود پنجاه و پنج که پر در شد این نامبردار گنج « وگلستان » را در سال بعد ، یعنی در سنه ۶۵۶ هـ چنانکه گوید . . . در آمدت که ما را وقت خوش بود ز هجرت ششصد و پنجاه و شش بود و چون سلطنت « أبو بکر بن سعد بن زنگی » مدت سی سال یعنی از سنه ۶۲۸ (۱) الی ۶۵۸ طول کشید منافاتی ندارد ، که « شمس قیس » و شیخ « سعدی » — با وجود آنکه هر دو معاصر آن پادشاه بوده اند — زمان یکدیگر را درك نکرده باشند . چه « شمس قیس » اوایل عهد اودرك کرده بوده ، « و شیخ سعدی » اواخر آرا . والله المصادی الی الصواب .

وترجمة هذه العبارة هي :

« ويلزم هنا أن نشير إلى خطأ مشهور ، في باب نخلص « سعدی شیرازی » ذلك أن كثيرا من رجال التذاكر ، وأولهم « دولتشاه السمرقندی » قد قالوا أن الشيخ من الذين مدحوا الأتابك « سعداً بن زنگي » ، وتخلصه أيضاً بكلمة « سعدی » مأخوذ من نفس هذا الأمير ، وهذا الأمر خطأ محض لأنه .

أولاً — لا يوجد في جميع كليات الشيخ مدح أو ذكر « لسعد ابن زنگي » مطلقاً .

ثانياً — أن مصنف هذا الكتاب — كما قلنا — أمضى السنوات الخمس من آخر حكم « سعد بن زنگي » وأوائل عهد « أبي بکر بن سعد » في شیراز ، وفي ملازمة كلا الحاکمین ، واستشهد في هذا الكتاب بأشعار أغلب الشعراء المتقدمين ، والمتأخرين ، والمعاصرين له ، أمثال کمال الدين إسماعيل المتوفى سنة ۶۳۵ هـ .

(۱) صحیح الأستاذ الفزونی نفسه هذا التاريخ الذي أخذ عن صاحب « تاريخ گزیده » . معتمداً في هذا على بعض حوادث وشواهد تتصل بعصر « أبي بکر بن سعد » وقد عرضنا لهذا الخلاف في الرسالة عند الحديث على وفاة « سعد بن زنگي »

ومع هذا لا يوجد ذكر أو إشارة عن « سعدى » . ولو أن الشيخ كان معاصراً
« لسعد بن زنگى » — أى أقام فى عهده بشيراز — فلا معنى لسكوت المصنف
عنه ، مع أن كليهما — حسب هذا التقدير — كانا فى عصر واحد ، ومدينة
واحدة ، وفى رعاية ملك واحد .

هذه هى المشكلة فى نظر الأستاذ . وأما رأيه هو فيبدو فى قوله الذى مضى فى
عرضه ونترجه بما يأتى :

« والصواب هو قول صاحب « تاريخ كزیده » فان الشيخ « سعدى »
كان ملازماً « لسعد بن أبى بكر » الذى توفى سنة ٦٥٨ هـ . بعد اثنى عشر يوماً
من وفاة أبيه . وتخلص « سعدى » أيضاً مأخوذاً من هذا الأمير ، وألف له كذلك
كتاب « الكلستان » ، كما يقول :

جعلت على اخلصوص ديباجة هذا الكتاب العظيم باسم سعد بن أبى بكر
ابن سعد بن زنگى .

والظاهر أن عودة الشاعر إلى موطنه من أسفاره الطويلة البعيدة ، واستقراره
فى شيراز كان أواخر عهد أبى بكر بن سعد بن زنگى . وفى نفس الوقت الذى ألف
فيه « البوستان » باسم ذلك الأمير سنة ٦٥٥ هـ كما يقول :

فى عام ستمائة وخمسة وخسين ، امتلاً هذا الكنز بالدر الثمين .

والكلستان بعده بعام أى سنة ٦٥٦ هـ كما يقول :

حين كان عهدنا سعيداً كان ذلك فى عام ستمائة وست وخسين من الهجرة .
ولما كانت سلطنة « أبى بكر بن سعد » امتدت من سنة ٦٢٨ هـ إلى سنة ٦٥٨ هـ ،
فليس هناك ما ينفى ، أن « شمس قيس » ، « والشيخ سعدى » لم يدرك أحدهما الآخر ،
مع معاصرتهم لهذا الأمير ، فان « قيسا » أدرك أوائل عهده ، وأدرك « الشيخ
سعدى » أواخره . والله الهادى إلى الصواب » انتهت الترجمة .

وكلام الأستاذ القزويني في موضعيه — وكما يبدو — ينقسم إلى الأقسام الأساسية الآتية .

أولاً — عرض لرأي أصحاب التذاكر ، وعلى رأسهم دولتشاه .
ثانياً — هدم هذا الرأي بما ذهب إليه من الأدلة التي أوردها ، والتي لا تعدو دليلين .

١ — أنه لا يوجد في كل الكليات مدح أو ذكر لسعد بن زنگي .
٢ — أن صاحب المعجم لم يشر إلى الشاعر ، أو يقتبس منه كالحال مع معاصريه .

ثالثاً — إيجاد رأي جديد — دون الدفاع عنه — وهو الرأي الذي قال به صاحب « تاريخ كزیده » . وأن الشاعر ينسب إلى سعد بن أبي بكر .

الرد على الأستاذ القزويني

أولاً — أما عن المسألة الأولى : وهي عرضه لرأي أصحاب التذاكر ، وعلى رأسهم دولتشاه السمرقندي ، فقد ورد في نص عبارة الأستاذ ما يأتي :

« كه بسيارى از تذكرة نویسان ، كه اولین ایشان دولتشاه سمرقندی است گفته اند ، كه شيخ از مداحان آتابك سعد بن زنگى بوده ، وجه تخلص او « سعدى » نیز از نام همین پادشاه مأخوذ است ، واین امر خطای محض است » .

ويبدو أن الأستاذ القزويني أخذ مفهوم العبارة عموماً . فإن الشاعر الذي يتخلص بشخصية من الشخصيات ، لا بد أن تكون له فيها مدائح ، فقال إن الشيخ من الذين مدحوا الأتابك « سعداً بن زنگي » . نقلاً عن مفهوم عبارة دولتشاه .

ونحن إذا رجعنا لنص صاحب تذكرة الشعراء — دولتشاه — فإننا نجد بهذا الوضع .

« وظهور شيخ در روزگار آتابك « سعد بن زنگى » بوده است . گویند پدر شيخ ملازم آتابك بوده ووجه تخلص شيخ سعدى بدان جهت است » .

« أى أن الشيخ كان فى عهد الأتابك « سعد بن زنگى » ، ويقال إن أباه كان من ملازمى الأتابك، ووجه تخلص « الشيخ سعدى » من هذه الناحية .
فعبارة دولتشاه صريحة فى أن الشيخ كان فى عهد الأتابك « سعد بن زنگى »
— فحسب — دون أن يشير إلى مدائح ، ولكن أباه كان على صلة بالحاكم ،
فكان تخلص الشاعر به مأخوذاً من هذه الصلة .

وهذا أنسب فى مثل موقفنا من « الشيخ سعدى » و « سعد بن زنگى » .
فحتى عهد وفاة هذا الحاكم سنة ٦٢٣ هـ ، لم يثبت له مدائح إلا بعد عودته إلى
شيراز ، فانه كان يأنف من هذا النوع ، ولعل الشاعر رأى فى باكورة حياته
الشعرية أن يتخذ تخلصه باسم هذا الحاكم تقديراً لرعايته له ولأبيه من قبل ، حتى
يكون ذلك بمثابة الإعلان وعرفان الجليل .

كما يثبت ذلك من الأبيات التى أشرنا إليها سابقاً ، فى مثل هذه المناسبة .
ثانياً — وأما عن المسألة الثانية : وهى تدلية على بطلان رأى « دولتشاه »
بما أورده من الدليلين اللذين أشرنا إليهما .

١ — فعن الدليل الأول . « وهو أنه لم يوجد فى كليات الشاعر مدح
أو ذكر لسعد بن زنگى » فىمكن أن يرد على عبارة الأستاذ « مدحى يا ذكرى »
التي ذكرها ، بأن الشاعر حتى وفاة « سعد بن زنگى » أو قبلها بقليل ، كان مهتماً
بالتحصيل ، والتوجيه الدينى لا الشعرى . ولكنه إرضاء لحاسته الشعرية كان
يقرض أبياتاً خفيفة لا تبلغ إطالة القصائد التى تقال فى المدح أو الرثاء . والتى
تعرض لمثلها بعد عودته إلى شيراز من رحلاته الطويلة ، وفى المناسبات التى أشرنا
إلى بعضها سابقاً .

على أن الأستاذ القزويني نفسه ، يغنينا عن إطالة الدفاع فى هذه المسألة ،
وذلك فى الموضع الآخر من أبحاثه ، وهو ما أثبتته فى مقاله « ممدوحين شيخ
سعدى » . ولعلها تفصل فى رأى بجانبنا . يقول :

« بنا بر این پس شیخ در وقت وفات « سعد بن زنگی » در سنه ۶۲۳ هـ — ظاهراً — جوانی بوده است ، در حدود بیست یا بیست و اند ساله ، و بدیهی است که در این سن هنوز برتبه شاعری ، شهرت و معاشرت باملوك ، و اكابر ، نرسیده بوده است . و بهمین جهت است بدون شك كه در تمام کلیات او از نظم و نثر چنانكه سابق (۱) نیز گفتیم . مطلقاً و اصلاً ، مدحی یا مرثیه در حق سعد بن زنگی (۲) . »

و ترجمه هذه العبارة :

« وبناء على ذلك ، كان الشيخ وقت وفاة « سعد بن زنگی » سنة ۶۲۳ هـ — على ما يبدو — شاباً في حدود العشرين أو أكثر ، و بدیهی أنه في هذا السن لم يكن قد بلغ — بعد — مرتبة في الشعر و شهرة تمكنه من معاشرت الملوك و الأكابر . ولهذا لم نشاهد في جميع الكليات نظماً أو نثراً — كما سبق أن قلنا — مدحاً أو رثاء ، في شأن « سعد بن زنگی » على وجه الإطلاق . »

هذا من ناحية ملاحظة الأستاذ أن الشاعر لم يمدح « سعداً بن زنگی » قصداً . أما ملاحظته أنه لم يرد عنه ذكر في الكليات فغير طبيعي أيضاً . فإن هناك إشارات كثيرة عرض فيها الشاعر لمدح « سعد بن زنگی » في « البوستان » . وقد أشرنا إلى بعضها . والأستاذ القزويني نفسه قد ذكر في موضوعه « ممدوحين شيخ سعدی » هذه المواضع ، وقد أخذناها عنه .

۲ — وعن الدليل الثاني الذي ذهب إليه ، وهو أنه مع معاصرته لصاحب المعجم ، ووجودها في عهد حاكم واحد ، وفي مدينة واحدة ، لم يقتبس صاحب المعجم شيئاً من شعر « سعدی » في كتابه ، كما فعل مع غيره ممن عاصروه ، فهذا أيضاً يمكن رده بالأمور الآتية :

(۱) يشير بهذا إلى ما كتبه في مقدمة كتاب المعجم سنة ۱۹۰۹ م .

(۲) قزوينی — سعدی نامه ص ۱۰۴

(١) نقول — بالإضافة إلى ما تقدم — إن الشاعر حتى ولو تمكنت منه ملكة الشعر في ذلك الوقت ، ليصح النقل عنه ، والاستشهاد بأقواله . فمن الممكن أن يكون في هذا العهد ، قد غادر شيراز في رحلاته الطويلة ، وصاحب كتاب المعجم أتم كتابه سنة ٦٣٠ هـ^(١) . والشاعر في هذا الوقت ، كان قد بلغ الثلاثين من عمره ، ولعل له بعض الشعر ، لكنه كان غائباً عن شيراز في رحلاته التي كان قد بدأها قبل ذلك^(٢) .

نضيف إلى ذلك أن الشاعر — بحكم عدم رغبته في صناعة قصائد المدح — فإن شعره لم يكن جارياً على الألسنة ، في مثل ذلك السن حتى يمكن أن يستشهد به .
(ب) على أننا يمكننا أيضاً أن نستمد من الأستاذ القزويني نفسه ، دليلاً على دفع هذا الاشتباه ، من عبارة له في نفس النص وهي العبارة التي وردت آخره .
ففي آخر العبارة الطويلة التي عرضنا لها ، يشير إلى أنه لما كانت مدة حكم « أبي بكر بن سعد » امتدت ثلاثين عاماً من سنة ٦٢٨ إلى سنة ٦٥٨ هـ . فليس هناك ما ينفي أن « شمس قيس » « والشيخ سعدى » لم يدرك أحدهما الآخر ، مع معاصرتهم لعهد ملك واحد ، فإن « قيساً » أدرك أوائل عهده وأدرك الشاعر أواخره .

(١) النظر مقدمة كتاب المعجم .

(٢) يرى الأستاذ نفيسي أن الشاعر كان في الشام بين سنتي ٦٢٧-٦٢٨ هـ أسيراً في حرب الصليبيين . انظر مجلة مهر السنة الخامسة — العدد الثاني ص ١٣٩
كذلك يرى ابن الأثير أن الفرنجة استولت على بيت المقدس سنة ٦٢٥ هـ ، وأنهم في أوائل سنة ٦٢٦ هـ ، قصدوا حصن بارين بالشام ، ونهبوا بلاده وأعماله ، وأسروا وسبوا . ومن ظفروا به طائفة من التركان ، كانوا نازلين في ولاية بارين ، فأخذوا الجميع ولم يسلم منهم إلا النادر . انظر حوادث سنة ٦٢٦ هـ .
ولعل سعدى كان هناك في ذلك الوقت ، وأنه وقع أسيراً مع من وقعوا ، وهو ما يلتقي مع رأى الأستاذ نفيسي كذلك .

(ح) فإذا أضفنا إلى ذلك أن الأستاذ القزويني يذكر في نفس هذه المقدمة أيضاً أن « محمدًا بن قيس » أتم كتابه قبل قدومه شيراز ، وأنه افتقد مسوداته سنة ٦١٧ هـ في قلعة « فرزين » مع أمتعته الأخرى فراراً من المغول ، وأنه عاد فكتبه في شيراز وأتمه سنة ٦٣٠ هـ .

إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نضيف — إلى ما سبق — رأياً جديداً من نفس الأستاذ للتدليل على خلو الكتاب من الإشارة إلى « سعدى » .
وعبارة الأستاذ :

ودر سنه ٦١٧ — چنانکه گذشت — مسودات کتاب المعجم ، با سایر کتب ، و آمتعۀ اودر پای قلعه فرزین در حمله مغول تلف شد .

(د) فإذا أضفنا إلى ذلك ، أن الأستاذ القزويني قد عاين أثبت أن « سعداً بن زنگي » توفي سنة ٦٢٣ هـ لا سنة ٦٢٨ هـ وأن « محمدًا بن قيس » قد أقام السنوات الخمس الأخيرة من وفاته التي انتهت — حسب التحقيق الصحيح — سنة ٦٢٣ هـ فيكون بدء قدومه إلى شيراز ، في حدود سنة ٦١٨ هـ . وبهذا نكون قد اقتربنا كثيراً من حياة الشاعر الأولى ، فإنه في ذلك الوقت كان سنه قد بلغ الثامنة عشرة ، فلم يكن مشهوراً بشكل عام . ولعله خلال ذلك رحل إلى بغداد ، أو هاجر موطنه إلى رحلاته الأخرى .

ثالثاً — وأما عن المسألة الثالثة والأخيرة ، وهي جعله هذا التلخيص مأخوذاً مما ذهب إليه صاحب « تاريخ كزیده » وذلك في مقدمته « لكتاب المعجم » . ومنه ومن صاحب كتاب « مزارات شيراز » وذلك في مقاله « ممدوحين شيخ سعدى » . فإنه من الممكن كذلك رده . معتبرين أن الرأي الأساسي — في تلك المسألة — هو رأي صاحب « تاريخ كزیده » لا صاحب « مزارات شيراز » فإنه متأخر زمنًا ، وغير متخصص كذلك .

ونزد علی هذا بما یأتی :

۱ — أن الأستاذ — فی ذهابه إلى هذا الرأي — لم یمدنا بالدلیل علی ما ذهب إليه ، سوى العبارة العامة التي قدم بها بقوله « والصواب قول صاحب تاریخ گزیده » ونحن ننقل عبارة الأستاذ ، ونقابلها بعبارة صاحب « تاریخ گزیده » . « وصواب قول صاحب « تاریخ گزیده » است که شیخ « سعدی » از ملازمان « سعد بن ابی بکر بن سعد بن زنگی » (که در ۶۲۸ هـ دوازده روز بعد از وفات پدرش وفات یافت) بوده است وتخلص « سعدی » نیز از نام همین شاهزاده مأخوذ است .
والعبارة — كما نرى — تشير إلى أن « سعدی » كان من ملازمی « سعد بن ابی بکر » ثم يستخلص من هذا أن تخلصه كان أيضاً من هذا الأمير .

علی أن نص صاحب « تاریخ گزیده » فی ترجمته للشاعر یفید أنه كان منسوباً إليه ، وليس من ملازمیه . بل لعل الملازمة لم توجد إلا بعد عودته فی العهد الذي كان فيه أيضاً ملازماً لأبيه ابی بکر ، فإنه منذ عودته إلى شیراز كان يستظل برعاية حاکمها « ابی بکر » وكان — بطبيعة الحال — يتصل أيضاً بابنه « سعد » وقد انتهت هذه الصلة بينه وبين الأميرین سنة ۶۵۸ هـ عندما توفیا

ومع ذلك ، نضع عبارة صاحب « تاریخ گزیده » لنرى مبلغ دلالتها ، واقتضاها ، وبعدها عن الصواب فی كثير من مدلولاتها .

« سعدی شیرازی وهو مشرف الدین مصلح شیرازی . وبأنا بک سعد بن ابی بکر منسوب . بشیراز در سابع عشر ذی حجه سنة تسعين وستمائة درگذشت ، مردی صاحب وقت بود و نظم و نثر خوب دارد و شهرتی ناتمام . شیوه غزل بر او تمام شد » .
ثم یقتبس من شعره خمسة أبيات ، وتنتهی ترجمته للشاعر علی هذا النحو من الاختصار والاقتضاب .

علی أننا — بعد ذلك كله — یمكننا أن نرد رأي صاحب « تاریخ گزیده » أيضاً . بعد ما انتهينا من مناقشة آراء الأستاذ القزوينی .

ولننظر للنص نفسه ، وأهم ما يشير إليه من المسائل المحدودة ، ثلاث نواح أساسية في حياة الشاعر يشارك فيها غيره :

- ١ — اسمه : مشرف الدين مصلح الشيرازي .
- ٢ — نسبته : وبأتابك سعد بن أبي بكر سعد بن زنگي منسوبست .
- ٣ — وفاته : بشيراز در سابع عشر ذى حجة سنة ستائة وتسعين درگذشت .

ولقد انتهينا سابقاً إلى الرأي الأخير — ولعله الفاصل — في مسألتين من هذه المسائل ، وهما المسألة الأولى والأخيرة ، ورأينا أن اسمه — على الرغم من الخلاف الكبير حوله — قد وجدت فيه نصوص مادية ثابتة ، نقطع بصحتها ، وهي التي انتهت إلى جعل اسمه على هذا الوضع « أبو عبد الله مشرف ابن مصلح » .

وبصرف النظر عن أن صاحب « تاريخ كزیده » لم يذكر الكنية ، فإنه لم يورد الاسم مورداً صحيحاً ، فجعله « مشرف الدين » بدل « مشرف » فقط . وهو كما نرى تقصير أو سهو .

وأما المسألة الثالثة ، وهي أمر وفاته ، فقد رأينا رجال التاريخ والطبقات ينعقد رأيهم على أنه في شوال سنة ٦٩١ هـ وليس في ذى الحجة سنة ٦٩٠ هـ كما انفرد به صاحب « تاريخ كزیده » .

وقد كان من الممكن أن نتجاوز عن مناقشته في المسألة الثانية — مسألة نسبة الشاعر — بعد ما رأينا بعده عن إصابة الرأي في المسألتين الأولى والثالثة . لكن الأستاذ القزويني جعلها عين الصواب ، فيما ذهب إليه في كلامه .

ونحن نورد مناقشتنا لهذه المسألة من وجوه .

نحن لا نثق كذلك فيما ذهب إليه صاحب « تاريخ كزیده » في هذه المسألة عدم ثقتنا به ليس مبعثها ملاحظناه من انفراجه برأى دون غيره .

ليس من هذا وحده ، ولكن من جانب آخر ، هو أن آراء صاحب « تاريخ كزیده » يجب أن تؤخذ بالكثير من الحيطة والحذر ، وهي ليست مهمة توجه في توثيقه . لكن ظروف العمل الذي أقدم عليه من تلخيصه تاريخ البشر عامة في كتابه مضافاً إليه الكثير من الأبواب الأخرى ، فضلاً عن أنه نهض بأعمال علمية — بالإضافة إلى هذا — أهمها نظمه التاريخ في كتابه « ظفر نامه » وهو منظومة بلغت خمسة وسبعين ألف بيت . كل ذلك لعله — حمله — على التسرع وعدم التريث والتدقيق .

وقد لاحظ عليه ذلك كثيرون من الباحثين عند الكلام عليه ، والحكم على أعماله .

فالأستاذ « براون » في مقدمته لهذا الكتاب نفسه ، يرى أنه أقل مرتبة وشأناً من الكتب الثلاثة التي تؤرخ لعصر المغول ، وهي كتاب « جهانگشای » « وجامع التواريخ » « والوصاف » .

وعبارته في هذا :

« ولی از حیث رتبه و شأن از سه کتاب سابق الذکر پائین تر است (۱) »
كما يلاحظ الأستاذ « نفیسی » أن الأمر اشتبه على صاحب « تاريخ كزیده » في مسألة تخلص الشاعر مع قرب الزماني منه . فبعد أن يورد — قوله أن مسألة اسمه ونسبه وقع فيهما خلاف كثير بين الكتب التي عرضت لها — يقول عن صاحب « تاريخ كزیده » .

« حتی کسانی که بزمانی او نزد يك بوده اند ، مانند حمد الله مستوفی ، در تاريخ كزیده ، درین باب اشتباه کرده اند » (۲) .

(۱) المقدمة على تاريخ كزیده ص د . سلسلة جب .

(۲) نفیسی — مجلة مهر — السنة الخامسة — العدد الأول — ص ۴۶

وترجمتها « بل الناس الذين كانوا قريباً من عمره ، مثل حمد الله المستوفى في « تاريخ كزیده » اشتبه الأمر عليهم في هذا الباب » .

على أننا نختتم هذه المناقشة بالرأى الذى قال به الأستاذ القزوينى نفسه عن صاحب « تاريخ كزیده » . فإنه قد رأى فيه أن بعض آرائه ترمى « بالبطلان والفساد » وأنها وقع فيها الكثيرون ممن جاءوا بعد صاحبها وآخر الذين وقعوا فيها الأستاذ القزوينى نفسه .

وملخص المسألة أن الأستاذ ، نقل عنه — في مقدمة « كتاب المعجم » التى عملها سنة ١٩٠٩ هـ — تاريخ وفاة « سعد بن زنگى » . وإنها كانت سنة ٦٢٨ هـ بينما التحقيق العلمى الذى قام به الأستاذ نفسه فيما بعد ^(١) بالإضافة إلى آراء المؤرخين الآخرين أثبت أنها كانت سنة ٦٢٣ هـ .

فعاد الأستاذ القزوينى في مقاله « ممدوحين شيخ سعدى » — وبين البحثين ما يزيد عن ثلاثين عاماً — يناقش قول صاحب « تاريخ كزیده » ويناقضه بما ظهر له من آراء وأدلة جديدة استمدتها من حوادث التاريخ ، ومن المقارنات بينها ويرميها بالبطلان والفساد .

ونحن نقبس من عبارة الأستاذ ما يشير إلى ذلك :

« بنا بر این ، پس قول صاحب « تاريخ كزیده » . ويتبع أو « لب التواريخ » وجهان آرا » كه وفات « سعد بن زنگى » رادر ششصد و بیست و هشت نگاشته اند (ومائز سابقاً در مقدمه المعجم في معابر أشعار العجم بمتابعت ایشان همین قول را نقل کرده بودیم) بدون شك سهو واضح است . ودلیل قطعی دیگر ، بر بطلان قول « تاريخ كزیده » آنست » .

ثم يعود بعد قليل فيقول :

« و باز دلیل قطعی دیگر بر فساد قول صاحب تاريخ كزیده »

(١) في مقاله — ممدوحين شيخ سعدى .

ويختم المناقشة له بقوله وقد أعاد وصفه بالبطلان وذلك في عبارته :
« باری در بطلان قول صاحب گزیده ومن تبع او ، أصلاً وأبدًا ، جای أدنی شك وشبهة نیست (۱) » .

وهكذا تنتهي من هذه المناقشات بحكم « الأستاذ القزويني » نفسه على رأي صاحب « تاريخ گزیده » الذي جعل رأيه — في مسألة تخلص « سعدی » — هو عين الصواب . ويبدو من هذا مدى ما نحتاجه من التحفظ في الأخذ برأي هذا المؤرخ .

رأى الأستاذ اقبال في هذه المسألة ومناقشته

بقيت هناك آراء أضافها الأستاذ اقبال إلى مجموع ما قال به الأستاذ القزويني للتدليل على صحة نسبة الشاعر إلى هذا الأمير .

ونحن نلخص هذه الآراء ، ونشير إليها ، ثم نناقشها .

أولاً — يقول إن شهرة سعدی ، بدأت في أيام « أبي بكر بن سعد » وليست في أيام أبيه ، ويؤخذ ذلك من عبارة للشاعر في قوله شعراً .

که سعدی که گوی بلاغت ربود در ایام ابو بکر بن سعد بود (۲)

ونص عبارته بعد هذا البيت :

« میفهماند که شهرت سعدی در عهد « آتابک بو بکر سعد » شروع شده بود نه در عهد پدرش سعد » .

ومعناها يفهم أن شهرة سعدی بدأت في عهد « أبي بكر » لا في عهد أبيه .

والواقع أن البيت الذي أشار إليه الأستاذ كحجة له . يفيد أن الشهرة بلغت أوجها ، وليست بادئة في الشروع ، فانه يصرح فيه أنه قد حاز قصب السبق في البلاغة في عهد « أبي بكر » ، وذلك سنة إنشائه « البوستان » عام ۶۵۵ هـ . ولا بد أن يكون الشاعر طوى سنين كثيرة حتى انقادت له أساليب البلاغة وملك زمامها .

(۱) سعدی نامه — قزوينی — ص ۱۰۳

(۲) سعدی نامه — اقبال — ص ۲۶

ويؤيد ذلك أن الشاعر يصف نفسه في مكان آخر وصفاً يفهم أنه بلغ أوج الشهرة في البلاغة في عهد « أبي بكر » نفسه، وذلك سنة إنشاء « الكلستان » بعد إتمام « البوستان » بعام واحد .

إذ يقول في مقدمة « الكلستان » الذي أتمه سنة ٦٥٦ هـ . عبارته الآتية :
« ذكر جميل سعدى كه در أفواه عوام افتاده است ، وصييط سخنش كه در بسيط زمين رفته . وقصب الجيب حديثش كه همچون سعد شكر ميخورند » .
إلى أن يقول :

« بلکه خداوند جهان ، قطب دائرة زمان ، وقائم مقام سليمان
أبو بكر بن سعد .

يتضح من هذا أن شهرة الشاعر كانت قد بلغت أوجها في عهد « أبي بكر » وليست مبتدئة في طريقها .

فكيف تكون شهرة « سعدى » كانت شائعة في الظهور سنة ٦٥٥ هـ . كما ذهب إلى ذلك الأستاذ إقبال . ٢٢

على أننا نلاحظ بالإضافة إلى ذلك من كلمة « سعدى » الواردة في بيته السابق في « البوستان » . ومن عبارته « ذكر جميل سعدى » الواردة في « الكلستان » . أن الشاعر كان مشهوراً بهذه التسمية ، وأن هذه الشهرة تداولتها الألسنة ، وأن صييط كلامه منتشر في الآفاق .

فلمن تعود هذه النسبة « وسعد بن زنگي » أسبق في الوجود من « أبي بكر » نفسه وبالتالي من ابنه « سعد » ؟ ؟ .

ثانياً — الرأي الثاني الذي يذهب إليه الأستاذ إقبال . أن سعدى في مقدمته للكلستان . بعد أن يمتدح أبا بكر . يبجل الأمير « سعداً بن أبي بكر » ويقدم له « الكلستان » في عبارته :

« بعد از ذکر آتابك نام این شاهزاده را تبجیل تمام میبرد ، وگلستان را در حقیقت باو اهداء مینماید و میگوید » .

ثم يورد أبياتاً فيها هذا البيت :

على الخصوص كـه ديباجهٴ هما يولش بنام سعد أبو بكر سعد بن زنگى است
وردنا على ذلك أن تبجيله «سعداً الأصغر» ، وتقديمه «الكستان» إليه ،
والإشارة إليه أيضاً فى بعض غزلياته ، بما يفيد التبجيل كذلك ، كل هذا لا يفيد
— مطلقاً — أنه اتخذ تخلصه من هذا الأمير .

فان الشاعر كما قدم «البوستان» لأبيه قبل هذا بعام واحد ، رأى أن يقدم
«الكستان» — وفيه ما فيه من القصص السهلة اللطيفة الممتعة إلى ابنه الأمير .
وإيراد الإشارة إلى هذا الأمير ، فى بعض الغزليات ، لا يقطع بالتخلص إليه .
فجانب من غزلياته قالها بعد عودته إلى شيراز وبدء التقائه بالأمر وأبيه .
ثالثاً — على أن الأستاذ «إقبال» لا يستبعد أن يتخلص بأمر فى عهد أبيه ،
فهذا — كما يقول — موجود فى الأدب الفارسى ، ومثل ذلك تخلص الشاعر
«قاآنى» من «قاآن مرزا»^(١) .

وهذا — أيضاً — صحيح لو أن «أبا بكر» كان يملك أن يطلب من الشاعر
اتخاذ تخلصه من ابنه «سعد» فان هذا لم يولد إلا فى حدود سنة ٦٣٠ هـ ، فى
الوقت الذى بلغ فيه الشاعر الثلاثين ، وفى الوقت الذى كان فيه خارج شيراز ،
وظل بعيداً عنها حتى عام ٦٥٤ هـ ، أو ما حول ذلك تقريباً قبل تقديم
«البوستان» .

وهذا — أيضاً — صحيح لو لم يكن هناك تلك المشابهة ، والجمع بين الجد
والحفيد باسم واحد .

فالمشكلة من أساسها لا تزال موجودة ، هل لم يكن الشاعر قد اتخذ له تخلصاً
قبل أن يوحى إليه أبو بكر باتخاذ اسم ابنه تخلصاً له ؟؟؟

(١) إقبال — سعدى نامه ص ٢٧

أو أنه لم يقل شعراً بالمرّة ؟ ؟ ؟ ؟ وهذا يعيد المشكلة جذعة من جديد .

خلاصة المسألة :

أما وقد انتهينا من عرض هذا الموضوع ، على الوضع الذى افترضه القدماء والمحدثون ، فإننا — كما تبين من مناقشاتنا السابقة — نميل إلى الأخذ بالرأى القائل بأن الشاعر استمد تخلصه من « سعد بن زنگى » . وليس من حفيده « سعد بن أبى بكر » .

ولن يأتى ذلك مما لاحظناه من كثرة الآراء التى تذهب إلى هذا قديماً ، ولا مما ذهب إليه من قالوا بذلك أيضاً من المحدثين ، ودلّوا على صحة مذهبهم ، لكن من نواح أخرى تدعم هذا الرأى القائل بأن « سعدى » اتخذ تخلصه من « سعد بن زنگى » .

ويجب أن تعالج المسألة من ناحية جديدة ، غير تلك التى ذهب إليها الذين تولوا التدليل على آرائهم .

فالمعروف أن الذين أدلوا برأيهم — مؤيدين مذهبهم — كانوا قسمين . وكل قسم منهم تبع رأياً قديماً أخذ يبرهن عليه .

لكن يمكن أن تعالج المسألة من جانب آخر ، هو الجانب الطبيعى لها فيما أعتقد .

ونحن أولاً — وقبل كل شيء — نضع أنفسنا أمام هذا السؤال ما هو التخلص فى الأدب الفارسى . . . ؟ ؟ ؟

المعروف أن التخلص نسبة الشاعر إلى شخص ، أو موضع ، أو حرفه ، أو غيرها والشاعر كما رأينا يستمد تخلصه من شخص .

ويجب أن يكون بحث هذه المسألة على ضوء الاعتبارات الآتية : —

أولاً — متى ظهرت الحاسة الشعرية عند الشاعر ، حتى يمكن أن يفكر
 في اختيار تخلص له ، أو يمكن أن يسبغ عليه هذا التخلص . . ؟ ؟
 وما هي الألوان الشعرية ، التي يمكن أن يتغنى بها الشاعر ، في عهد الشباب
 المبكر ؟ ؟ ؟ وهل ثبت فيها وجود تخلص له ؟ ؟ ؟
 ثانياً — في أي وقت ترك الشاعر شيراز ؟ ؟ وفي أي وقت عاد إليها ؟ ؟ وهل
 في الوقت الذي تركها فيه كان « سعد بن أبي بكر » قد رُده الوجود ؟ ؟ ؟
 ثالثاً — ماذا كان الشاعر ينسب نفسه في كلامه قبل ظهور « سعد بن أبي
 بكر » أو في عهد نشأته ، وعهد طوافه الذي امتد حتى سنة ٦٥٤ هـ تقريباً
 حين عاد إلى شيراز ؟ ؟ ؟

ولنأخذ في علاج الرد على هذه المسائل بما يأتي :

أولاً — أما عن المسألة الأولى . وهي في أي وقت ظهرت حاسته الشعرية .
 يرى البعض أنه بكر في قرض الشعر ، حتى يقال إنه بدأ ينظمه في عهد
 الأتابك « سعد بن زنگي » ^(١) . ويرى الأستاذ « هنري ماسيه » ^(٢) كما رأى من
 قبله « روس » ^(٣) أن الشاعر يشير في الأبيات الآتية إلى « سعد بن زنگي » .
 وهذه الأبيات قد ذكرناها سابقاً ، والتي مطلعها :

بدرم بنده قديم تو . . . الخ

وقد دللنا على صحة إسناد هذه الأبيات للشاعر ، وأن مرجع الضمائر فيها ،
 كانت تدل عليه ، وعلى أبيه ، وعلى حاكم الولاية « سعد بن زنگي » .
 كذلك تشير دائرة المعارف الإسلامية إلى أن غزلياته القديمة — وهي أول

(١) الطاف حسين — حيات سعدى . ص ١

(٢) نقل رآبه الأستاذ الكرگانی في مقدمته على الكلستان ص . لا .

(٣) Rcss : Sadi's Gulistan, p. 3.

الألوان الشعرية التي تغنى بها — تبدو أنها من عمل الشباب في قولها

On the other hand the Ghazaliyat — i — Kadim appear to be a work of his youth.

وهذا الرأي صحيح تؤيده كذلك طبيعة الغزليات نفسها ، وطبيعة حياته الشخصية .

فهو يشير إلى أنه نشأ نشأة دينية أول الأمر ، لكنه انحرف إلى قرض الشعر في العشق الصوفي . في قوله .

«همه قبيله» من معلمان دين بودند مرا معلم عشق ترا شاعری آموخت»

إذن ، تبيننا من هذا ، أن الشاعر كان له شعر في الشباب ، وإثبات هذا كاف في التدليل على صحة نسبة التخلص لـ « سعد بن زنگی » لو ثبت أن هذا الشعر كان يرد فيه التخلص باسم « سعد » — كما هو موجود في الغزليات القديمة ، التي نظمها الشاعر في طور الشباب — ولكننا نمضي في بحث ما افترضناه سابقا ، حتى يتأيد الأمر من جوانب متعددة .

ثانيا — وأما عن المسألة الثانية . وهي في أي وقت ترك شیراز؟ وفي أي وقت عاد إليها؟ .

فترى دائرة المعارف البريطانية^(١) — ويأخذ برأيها أيضاً الأستاذ الكركاني ، بعد أن يترجم عبارتها في هذا الموضوع — أن الشاعر وقت

(١) ولص عبارة الدائرة :

And he returned to Isfahan just at the time of the inroads of the Mongols. When the Atabig Sa'd (In whose honour sa'di took his pen-name) had been desposed by the victorious Khwarizm ruler of Chiyass-uddin (1226) distressed by misfortune of his patron and disgusted with the miserable condition of Persia. Sa'di quitted Shiras and entered upon the second period of his life — that of his wanderings (1226-1256).

وترجمة هذه العبارة في مقدمته على الكلستان ص . ٥ .

فتنة المغول العامة ، وفي الوقت الذي هزم فيه « سعد بن زنگي » أمام « غياث الدين الخوارزم شاهي » سنة ٦٢٣ هـ . تألم الشاعر من سوء حظ ولي نعمته ، وترك شيراز التي تعرضت للتدمير والخراب ، والتي اغتم لها كثيراً ، وابتدأ — إذ ذاك — وقت رحيله سنة ٦٢٣ هـ وانتهى سنة ٦٥٣ هـ . « ١٢٢٦ — ١٢٥٦ م »
والشاعر نفسه يكاد يشير إلى ذلك في مقدمة « الكلستان » ، في قوله
وقد طلب الاغتراب ، حيث شاهد فتنة المغول تحيط بالعالم الإسلامي ، يقول
مشيراً إلى وقت الهجرة ، حين صار العالم مثل شعر الزنجي .

برون رقتم از تنگ ترکان که دیدم جهان درهم افتاده چون موی زنگی
ويشير إلى رجوعه بقوله .

چو باز آمدم کشور آسوده دیدم بلنگان رها کرده خسوی بلنگی
چنان شد در أيام سلطان عسادل آتاک أبو بکر بن سعد زنگی

وبهذا يشير الشاعر إلى انفعاله مما أصاب العالم الإسلامي ، من حوادث
المغول ، وتأثره لما أصاب موطنه فارس ، فطلب الرحيل عنه .

ويبدو أن ذلك كان حوالي سنة ٦٢٣ هـ ، وفي هذه السنة ، وتلك السن التي
بلغها الشاعر — وهي ثلاثة وعشرون عاماً ، كان الأمير « سعد بن أبي بكر »
لم يكن قد ظهر في الحياة ، فإننا قد رأينا سنه حين وفاته لم تكن تتجاوز
الثلاثين ، وأنه توفي سنة ٦٥٨ هـ فمولده حوالي سنة ٦٢٨ هـ . أي أنه ولد والشاعر
بعيد عن شيراز .

هذا من جانب . ومن جانب آخر ، يرى الأستاذ « نفيسي » أن الشاعر أسر
في الحرب الصليبية التي وقعت ما بين سنة ٦٢٧ — ٦٢٨ هـ وعبارته .
« پس بگانه جنگی که ممکن است سعدی در آن حاضر بوده شد . جنگ
ششم است که از ٦٢٧ — ٦٢٨ هـ طول کشیده (١) » .

(١) نفيسي . مجلة مهر . العدد الثاني — السنة الخامسة ص ١٣٩

فهو في هذه الحرب كان خارج شيراز ، بل خارج فارس كلها ، وأنه كان أسيراً فيها ، وقبل ذلك كان قد أمضى مدة بالشام ، وعلى هذا لا بد أن يكون خروجه من فارس قبل هذا التاريخ بزمن لا يقل عن سنة ٦٢٣ هـ . وهي السنة التي قدرنا خروجه فيها من شيراز ، وذهب إلى هذا الرأي بعض من أشرنا إليهم . على أنه لم يعد إلى شيراز إلا في حدود سنة ٦٥٣ هـ أو سنة ٦٥٤ هـ على أبعد تقدير ، فوجد فارس تحت حكومة « أبي بكر بن سعد » .

ولم يثبت أنه اتصل « بأبي بكر » أثناء هذا الطواف الطويل ، فلما عاد إلى شيراز لم يخرج منها إلا في فترات قصيرة للحج ثم يعود ، وهذه كانت بعد أن استقر بشيراز مدة لا تقل عن خمس سنوات ، ولعلها كانت بعد وفاة « أبي بكر وابنه » في سنة ٦٥٨ هـ .

ثالثاً — وهنا ننتقل إلى المسألة الأخيرة وهي ، ماذا كان يسمى نفسه في كلامه قبل مولد « سعد بن أبي بكر » أو في عهد نشأته ، وفي أثناء رحلاته ؟ . وفي هذه المسألة نشير إلى ناحيتين :

١ — وقائع حدثت للشاعر وتحدث فيها عن نفسه وذكر نسبته وتخلصه « بسعدى » .

٢ — أشعار ثبت أنه قالها في تلك المدة ، وفي مدة مبكرة قبل ظهور « سعد بن أبي بكر » أو قبل علو شأنه . ومعظمها قطع من كتايبه ، وكثير من غزلياته .

أما عن الناحية الأولى . فالشاعر يحدثنا كثيراً في مجرى الحديث بينه وبين غيره أثناء رحلاته ، أنه معروف للناس باسم « سعدى » أى بتخلصه ، وليس باسمه الشخصي ، وأن شهرته بهذا الاسم بدأت مبكرة .

وفي قطع من كتابيه « الكلستان والبوستان » — سواء أ كانت من القطع الموضوعية أو الواقعية — يتحدث عن نفسه أنه كان معروفا بين الناس باسم « سعدى » وفي الجهات المختلفة التي رحل إليها يشتهر بهذا الاسم أيضاً ، ويذكر أنه كان يعرف أثناء رحلاته باسم « سعدى » .

ففي التركستان . في مدينة « كاشغر » حين دخل مسجدتها وقد وجد صبياً يقرأ مقدمة الزمخشري في النحو ، ويكرر المثال المشهور ضرب زيد عمراً . يسأل الشاعر الفتى — في سخرية — يابني اصطلاح الخوارز مشاهيون والخطا ، ولا تزال الخصومة بين زيد وعمرو^(١) وتمضى المحادثة بين الشاعر والفتى . فيسأل هذا . من أين الشيخ ؟ فيجيبه الشاعر : من « خاك شيراز » . ويعود الفتى يسأل : ألا تذكر شيئاً عن « سعدى » ؟؟

وفي جزيرة « كيش » بالخليج الفارسي ، يتحدث الشاعر أنه نظر هناك تاجراً ميسور الحال ، أضافه ذات ليلة ، وأخذ يحدثه عن شؤونه ورغباته في الجهات التي يرحل إليها طلباً للتجارة ، حتى إذا عـد منها كثيراً . قال له أخيراً : « ياسعدى »^(٢) إني أريد الذهاب إلى الصين .

هذا من بعض قصصه في « الكلستان » .

وهناك ضمن قصص كتابه الآخر « البوستان » قصة تدور حوادثها حوله شخصياً ، ويرد فيها أنه كان معروفاً باسم « سعدى » بينما كان لا يزال شاباً ، وهذه القصة ترد في الباب الرابع « التواضع » من أبواب ذلك الكتاب مطلعها :

« فقيهي كهن جامسه تنكست در ايوان قاضي بصف برنست »

ولعل حوادث هذه القصة تقع في إحدى مدن الشام ، وملخصها أنه قدم

(١) كليات فروغى — گلستان ص ١٦٦

(٢) كليات فروغى — گلستان ص ١٤٢

ذات مرة على مجلس جماعة من الفقهاء ، وقد عرضت لهم مشكلة لم يستطيعوا حلها . فدخل عليهم ، وكان منظره على حال رقيقة فامتعضوا منه ، وطلبوا إبعاده عن المجلس ، ولما رأى القوم يتصاولون ولا يستطيعون إصابة الحقيقة ، تقدم لهم بالفتوى فيها ، على غير ما كانوا يذهبون .

وانتهى الأمر بتعجبهم من أمرهم وأمره ، وتمضي القصة فتقول إنه بعد ذلك قد ترك المجلس ومضى .

وفي هذه القطعة بيت يساعدنا مدلوله على التأكد من أن الشاعر كان معروفاً باسم «سعدى» — منذ كان شاباً — وذلك في هذا البيت :

«وزأبجا جوان روى همت بتافت برون رفت وبازش نشان كس نيافت»
ومعناه «ولى الشباب من هناك بوجهه ، وذهب ولم يعثر إنسان على أثر له» .

وتختتم القصة فتقول إنهم بدءوا يبحثون عنه ، ويذكرون أوصافه ، إلى أن يلتقى بالباحثين أحد الذين يعرفون «سعدى» فيقول لهم هذا البيت .

«يكي گفت ازین نسوع شیرین نفس در این شهر سعدی شناسیم و بس» (١)

ومعناه «فقال واحد ، إنى أعرف فى هذه المدينة أن «سعدى» وحده هو المعروف بتلك الأوصاف» .

والرواة يذكرون بجانب ذلك بعض اللطائف التى وقعت له خلال رحلاته ومنها تلك الفكاهة اللطيفة التى يروونها فيما حدث بينه وبين شاعر آخر من مشاهير الشعراء هو «هام التبريزى» (٢) .

ذلك أن سعدى ذهب ذات مرة فى سياحاه إلى تبريز ، ورغب أن يدخل حماماً ، فشاهده بالحمام الشاعر «هام التبريزى» . وكان «سعدى» على حال لا تدعو «هاما التبريزى» إلى تقديره واحترامه .

(١) کلیات فروغی — بوستان — الباب الرابع — التواضع ص ٣١٦ .

(٢) النظر حياة الشاعر فى كتاب آتسکده — والفصحة فى دائرة المعارف الاسلامیة .

وتدور محادثة بين الشاعر « هام » والحمامي على مسمع من الشاعر « سعدى »
يسأل صاحب الحمام . من يكون ذلك الرجل مشيراً إلى سعدى . . . ؟ ؟ ؟ يجيب
صاحب الحمام . على مسمع من « سعدى » . إنه شيرازى . فيقول « هام »
يا لله ! أرى الشيرازيين فى تبريز أكثر من الكلاب . !!!

فسرعان ما يرد عليه « سعدى » بهذه العبارة اللاذعة .
نعم ! وهذا بخلاف ما عندنا ، فإن التبريزيين فى شيراز أقل من الكلاب !!!
وتمضى الرواية فتقول بأن الشاعر « هاما » أخذ يسأل ذلك الشخص الذى
أدرك أنه من شيراز .

ماذا تعرف من أمر « سعدى » ؟ . فيجيبه بأبيات من شعره الغزلى الذى
كان مشهوراً به . وتنتهى القصة بأن يتعارفا . ويعتذر له « هام » .

أما عن غزلياته — وبخاصة القديمة منها — فإننا نراه يتخلص فيها باسم
سعدى ، ومن المؤرخين من يقول إن هذه الغزليات اشتهر بها « سعدى » قبل
غيرها من ألوان الشعر الأخرى^(١) . وأنها تمثل طور الشباب^(٢) فى نظر البعض .
كذلك يظهر من أسلوب بعض غزلياته وروحها ، أنها تشير إلى حوادث
معينة . فيذكر الأستاذ « على أصغر حكمت » أن هناك غزلية لعله أشدها فى أسره
وفىها يرد تخلصه كذلك باسم « سعدى » يقول فيها :

«إى موئس روزگارى سعدى	رقتى ونزقتى از ضميرم
إى باد بهسار عنبرين بوى	در پاى لطافت تو سیرم
چون بگذرى بجاك شيراز	گو من بفلان أسیرم» ^(٣)

فهو يذكر فى هذه الغزلية تخلصه « بسعدى » فى البيت الأول ، وبأسره
وحنينه إلى موطنه شيراز فى البيت الثالث .

(١) حبيب السير ص ١٣١ . (٢) دائرة المعارف الاسلامبة .

(٣) الأستاذ على أصغر حكمت — سعدى نامه ص ٤٦ وکليات فروغى ص ٦١٧ .

وهناك كثير من غزليانه العربية ، تشف أيضاً عن مدى حنينه إلى موطنه ،
ولعلها قيلت في بيئة عربية ، وخلال بعده عن موطنه أيضاً ، وقبل عودته إلى
شيراز . يقول في إحداها ، ويذكر تخلصه ، وشوقه إلى أهله :

ألا إنما السعدى مشتاق أهله تشوق طير لم يطعه جناح^(١)

وفي أخرى ، وقد شكى بعده وحنينه كذلك :

وها نفس السعدى أولى تحية تبليغكم ربح الصبا حيث حلت^(٢)

فإذا انتهينا إلى وقت عودته إلى شيراز من رحلاته الطويلة . فانه يذكر
حنينه وولمه بها في قطعة فارسية يرد تخلصه في نفس المطلع :

«سعدى إينك بقدّم رفت وپسر باز آمد مفتی ملت أصحاب نظر باز آمد»^(٣)

ويظهر أنه كان بالشام كذلك في هذا الوقت فعاد إلى شيراز ؛ إذ يشير إلى
ذلك في قوله من هذه القطعة أيضاً :

«میلش از شام بشیراز بغسرو مانست که باندیشه شیرین بشکر باز آمد»

وهكذا عاد سعدى إلى موطنه شيراز عودته التي اطمأن إليها واستقر فيها ،
وقد طاف أركان العالم حتى صارت كلها تتحدث به ، كما يشير إلى ذلك في قوله
متخلصاً أيضاً باسم سعدى في بيته الآتي :

«هفت کشور نمی کنند امروز بی مقالات سعدی انجمنی»^(٤)

ألا يدل كل هذا على أن الشاعر قرض الشعر في وقت مبكر ، وأنه عرف
باسم « سعدى » في هذه الألوان الشعرية ، التي قرضها في صدر حياته ، وفي أثناء
رحلاته قبل ظهور «سعد بن أبي بكر»؟؟؟

(٢) نفس المصدر ص ٤١٩

(١) کلیات فروغی ص ٤١٦

(٤) اقبال — سعدى نامه ص ١٤

(٣) کلیات فروغی ص ٤٣٨

الفصل الخامس

رمزت الشاعر

لو أن الأمر يمضي في هذه الرحلات حسب خطة موضوعة ، لغرض جغرافي أو تاريخي ، أو كان الشاعر يرسم خطاً لتنقلاته ، لوضح الأمر في ذلك ، ولاستطعنا أن نتتبع خطواته ، فنعرف الجهات التي رحل إليها ، وأقام فيها ، وانتقل منها .

ولم يعن الشاعر — من ناحيته — أن يوضح الغرض من رحلاته فيما كتب ، وليس بين أيدينا في كلامه ما يفصل في هذا الخلاف ، كذلك لم يكن الشاعر ذا ثراء ينفق على نفسه ، وعلى رحلاته وهجراته الطويلة ، فيأمن المكاره التي يتعرض لها .

ومهما يكن من أمر الخلاف بين النقاد والمؤرخين ، من أن هذه الرحلات كلها أو بعضها لا صحة لها في الواقع ، لما يحيط ببعضها من مشاق ومتاعب ، ولما كانت تتعرض فيه حياته الشخصية لكثير من الأخطار التي أخذ يصورها في بعض رحلاته . فالواقع أن بعض هذه الرحلات وقع فعلاً ، وتنقل فيها في أماكن حقيقية ، وجرت له بعض الحوادث ؛ ولكن — مما يؤسف له — أنه لم يذكر بجانب ذلك واحداً من أولئك الأشخاص التاريخيين الذين عاصروه ، وكانت لهم شهرة في المواطن التي رحل إليها ، من ملوك أو أمراء أو شعراء أو غيرهم . على أننا نلاحظ شيئاً هاماً في داخل كل قصة يجعل مسرحها بلداً من البلاد ، فالشاعر في هذه القصص عامة ينتهي منها إلى غرض من الأغراض يتصل بموضوع الباب الذي أقيمت فيه القصة ، وهذا ما يجعلنا نحتاط بين اعتبار الرحلة واقعية

حدثت في الواقع ونفس الأمر ، أو أن هناك أمراً ألهم الشاعر لوضع قصة عنها فكان الانتقال إليها .

ودراستنا للأسباب التي يمكن أن تحمل هذا الشاعر ليقوم بتلك الرحلات يستلزم أن نلقى نظرة على أحوال عصره وظروفه الشخصية ، فلعل فيها بعض ما يحمل الشاعر على أن يقوم بتلك الرحلات . فلقد تفتحت عيناه على لون آخر من ألوان الحياة حين بعث به إلى بغداد ، ليستكمل دراسته . فلعل الإقامة في تلك المدينة مدة تحصيله هونت عليه ترك موطنه الأول ، كما حبت إليه الاغتراب فيما بعد ، ففي كل بيئة يعيش فيها يمكن أن يكسب منها كسباً جديداً ، من التعرف على أحوال الناس ، ودراسة شئونهم وما يتصل بهم .

وتصوير حياة الشاعر فيما بعد—وكما نعرف من إنتاجه—تشهد أنه كان رقيق الطبع ، مرهف الحس ، وعلى جانب كبير من نفاذ البصيرة . فما تكاد تحيط به الأحداث حتى تؤثر في نفسه تأثيراً عميقاً ، فيهرب ليجد المنأى من هول تلك الأحداث .

فهل هناك من الأحداث العامة التي حدثت إبان نشأته ، والتي يمكن أن تكون ذات أثر فعال في توجيهه إلى هذه الناحية ؟؟؟ نعم .

نحن نعلم أنه قد ألت بفارس وشيراز نفسها أحداث وخطوب شاهدها من قرب أو سمع عنها . تلك هي الأحداث التي وقعت بين ولي نعمته « سعد ابن زنگي » وبين أعقاب الخوارز مشاهيين ، وهي الحرب التي ظلت تتردد في فارس حتى سنة ٦٢٣ هـ ، وهي السنة التي توفي فيها « سعد بن زنگي » .

ولعل الشاعر نفسه يفصح عن هذه الحال ببعض أبيات له يرمى فيها إلى أن الإنسان لا ينبغي له أن يتعلق خاطره بمن أحب ولا فيما يقيم ، فإن الدنيا واسعة والناس كثيرون ، وذلك في قوله :

« بهیج یار مده خاطر و بهیج دیار که بر و بحر فراخست و آدمی بسیار » (۱)
 كذلك نلاحظ في هذا الوقت أن العالم الإسلامي — في الجانب الشرقي منه —
 قد تعرض إلى هجمات مريعة شنّها عليه المغول ، وأخذت جموعهم تكتسح ما أمامها
 في سيل جارف ، وتضغط بأساليبها المختلفة — إن كانت عسكرية أو سياسية —
 على الدول التي واجهتها ، والشاعر نفسه يشير إلى هذه الأحداث التي تحدّد أول
 هجرته من موطنه في مقدمة « الكلستان » (۲).

« ندانی که من در اقلیم غربت چرا روزگاری بکردم در نگی
 برون رقم از تنک ترکان که دیدم جهان درهم افتاده چون موی زنگی »
 وقد رأينا سابقاً دائرة المعارف البريطانية ترى أن الشاعر بدأ رحلاته
 سنة ۶۲۳ هـ ، وليس لدينا ما يرد هذا الرأي ، فإن الشاعر كان إذ ذاك في سن تمكنه
 من أن يحتمل مشاق هذه الرحلات . كذلك رأينا الظروف التي أحاطت به مما
 لعله يحمله على هذه الهجرات .

فإذا افترضنا — من ناحية أخرى — أنه أمضى ثلاثين عاماً في رحلاته الأولى
 التي غادر فيها شیراز ، وانقطع عنها تلك المدة — على فرض صحة هذا الرأي —
 فإن عودته إلى شیراز تكون في حدود سنة ۶۵۳ هـ .

وهذا فرض محتمل فإنه عاد فعلاً إلى شیراز بين سنتي ۶۵۳ هـ و ۶۵۴ هـ
 وأخذ يرتب قطعه التي نظمها خلال تجواله ليضمها كتابه « البوسستان » الذي
 قدم إلى « أبي بكر » في عام ۶۵۵ هـ .

والشاعر يقول مشيراً إلى عودته التي كانت في عهد الأتابك أبي بكر وذلك
 في الأبيات الآتية :

« چو باز آمدم کشور آسوده ديدم بلنگان رها کرده خوی پلنگی
 چنین سند در أيام سلطان عادل آتابک أبو بكر بن سعد زنگی »

(۱) کلیات فروغی ص ۴۴ . (۲) انظر مقدمة الكلستان — طبعة platts

وهذان البيتان يردان في القطعة التي أشرنا إليها سابقاً . فهو فيها يشير إلى وقت رحيله ، وذلك حين اضطرب العالم الإسلامي ، حتى صار كشعر الزنجي . ثم يحدد وقت عودته حين تحررت النمر من طباعها التي نشأت عليها ، وصارت الحياة سعيدة هائلة في عهد السلطان العادل الأتابك « أبي بكر بن سعد » ولعل ذلك كان في حدود سنة ٦٥٣ هـ كما سبق أن أوضحنا .

ثم في سنة ٦٥٥ هـ يقدم « البوستان » إليه بقوله :

« زششصد فزون بود پنجاه و پنج که پر در شد این نام بر دار گنج »
والظاهر أن الشاعر أمضى في شیراز — حين عاد إليها وهي تحت حكم أبي بكر — مدة ليست بالقصيرة لا تقل عن عشر سنوات ، فإذا بفارس تتقلب فيها الأحداث من جديد ، وتضطرب فيها الأمور في غير استقرار .

وقد شارك الشاعر — في هذا الوقت — في الحياة العامة ، والتقى بكثير من الحكام ومدحهم أو رثاهم . لكن تقلب الأمور ، وعدم استقرارها ، وسفك الدماء بين أبناء البيت الواحد ، وأخيراً انتقال الملك إلى جماعة ليسوا من الأتابكة ، بل ليسوا من المسلمين في شيء ، وإقامة حاكم جديد على فارس لم يكن من دين أبائنا ، وهو الأمير « أنكبانو » . كل هذا لم يرض حساسية الشاعر فهاجر هجرات عديدة إلى الحجاز ، يؤدي شعائر الحج ، ويحقف من هذه الأتقال التي جثمت على صدره في تطور تلك الأحداث المضطربة ، والتي لم تكن مألوفة أو متوقعة . فرحل من شیراز حوالى سنة ٦٦٣ هـ في رحلة أخرى من بين رحلاته ولعله ركب الطريق إلى بغداد فالحجاز ، فتغنى بهذه الغزلية التي يشكو فيها أن قلبه سئم مصاحبة شیراز ، حين كان يسأل عن أمرها ، وذلك في قوله :

« دلم از صحبت شیراز بکلی بگرفت وقت آست که پرسی خبر از بغدادم »

هذه هي السنوات التي يمكن أن نعرف منها بالتقريب متى خرج من شیراز ؟ ومتى عاد إليها ؟ ومتى خرج منها ثانية ؟ .

لكننا مع ذلك لم نعرض لخط سيره في مدى الثلاثين عاماً التي افترضنا أنه خرج فيها واحلاً . إلى أين ذهب أولاً ؟ ولماذا تأخير وجهة دون أخرى ؟ وما البلاد التي يمكن أن تربطها رحلة واحدة ؟ وهل كانت رحلاته على دفعات مختلفة ؟ . كل هذه أسئلة تتردد على ألسنتنا ، ولكن حلها يصعب علينا . وكل ما يمكن أن نذهب إليه إنما هو مجرد فروض لا تسعفنا أقوال الشاعر على تأييدها . هذا بالإضافة إلى أنه — كما أشرنا سابقاً — هناك أغراض يرمى إليها الشاعر وراء كل رحلة وكل قصة ، فهو يحوكم الرحلة أو الحادثة في قصة ، وسرعان ما ينتهي فيها إلى الغرض المقصود من اختيار المكان لها .

ومن المعروف أن كتابيه « البوستان والگلستان » هما المجال الذي عرض فيه هذه الرحلات ، ويلاحظ أن الشاعر قد تحدث — غير مرة — عن بلد رحل إليها ، ولا نستطيع التأكد أكانت هذه الوقائع التي ذكرها في قصصه ، حدثت في رحلة واحدة ، أو أنه أعاد إليها مرات أخرى فتحدث عن هذه الوقائع المختلفة ؟ أما من حيث الجهات التي ذكرت في كتابيه ، فإننا نتكلم عنها في شيء عام . فقد تكلم عن حوادث وقعت له في إيران شمالاً وجنوباً مثل أصفهان والري وكيش ، وبلاد تجاور إيران شرقاً وتقع في التركستان والهند وذلك مثل كشغر وبلخ وسومناث .

وببلاد تجاور إيران غرباً ، وتقع إما في العراق أو في الشام أو في الحجاز أو في اليمن .

ثم هناك بعض القصص التي تدور حول حوادث وقعت له في مصر وبلاد المغرب والحبش .

وهنا يعرض لنا هذا السؤال .

إلى أي الجهات رحل أولاً ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

والاقتراض في هذه المسألة لعله يؤدي إلى نتائج سليمة إذا ما لا حظنا ظروف ذلك العصر .

تبين لنا أنه تحدّث عن بلاد شرق إيران وغربها ، وعن بلاد في الشمال منها والجنوب ، كما رحل إلى بلاد نائية غير هذه وتلك .

فهل يمكن أن يكون الشاعر رحل إلى البلاد الشرقية من موطنه في الوقت الذي افترض رحيله فيه ؟ نحن نعرف من ظروف البلاد التي تقع شرق إيران وقت بدئه الرحيل سنة ٦٢٣ هـ أنه لا يمكن الذهاب إليها والتجول خلالها ، وكيف يمكنه ذلك والناس يفرون من وجه الغزو المغولي في ذلك الوقت إلى البلاد الغربية ؟ ؟ ؟

ولقد تحدّث الشاعر في كتابه « الكلستان » أنه أسرى في الشام ، ورأينا أن تلك الحادثة قد وقعت له فيما بين سنة ٦٢٧ هـ و ٦٢٨ هـ . ولهذا يمكن أن نطمئن إلى القول إنه ذهب في بدء رحلاته إلى البلاد التي تقع غرب إيران ، وأنه قصد الشام فعلاً ، ومكث بها حتى أسروا انتهى أمره إلى حلب ، حتى تعرف عليه أحد أعيانها فخلصه من الأسر وزوجه من ابنته ، فلما أساءت حياته طلقها وهاجر من الشام كما أسلفنا .

ولهذا نسلم بأن البلاد التي رحل إليها أولاً كانت إلى الغرب من إيران . كذلك نسلم بأن كل البلاد التي وردت في كتابه وتقع في إيران نفسها أو في الشام والعراق والجزيرة العربية — شمالاً وجنوباً — من الممكن أن تكون حوادثها فيها من قبيل الواقع وأنها ألهمت الشاعر لعمل قصة مناسبة . أما الأماكن النائية — شرقاً وغرباً — فالظاهر أنه لم يرحل إليها ، وذلك لما نلاحظه من عدم الاتساق في وقائع هذه القصص .

ونحن يمكننا أن نأخذ بعض هذه القصص فنلاحظ عدم اتساقها مع الواقع التاريخي أو العملي .

١ — فمن ناحية الوضع التاريخي يمكننا أن نلاحظ في قصته دخول جامع « كشغر » في السنة التي اصطلح فيها السلطان « محمد خوارزم شاه » مع « الخطا »^(١) أن هذه القصة لم تقع . فهذه الحادثة قد حدثت سنة ٦٠٤ هـ^(٢) ورأينا أن الشاعر قد ولد في حدود سنة ٦٠٠ هـ فكيف يمكن وقوع تلك الرحلة في ذلك التاريخ ؟

٢ — أما من ناحية الواقع العملي في بعض القصص فإننا نأخذ قصة معبد « سومنات »^(٣) بالهند ، وقصته في بلاد المغرب^(٤) ، حيث يحكى في الأولى تعرضه للقتل بعد دخوله أحد المعابد على صورة لا يتيسر التسليم بها ، كما حكى في القصة الثانية استعانة الرجل الصوفي بسجادة ألقاها على الماء فحملته وطاف عليها .

وهنا تعرض لنا مشكلة وهي ، كيف يقص لنا قصة عن رحلة وقعت حوادثها له والرحلة لم تقع ؟ وتفسير ذلك سهل إذا ما لاحظنا أن كل فكرة عن رحلة لجهة من الجهات ، وراءها معنى من المعاني التي ألهمت الشاعر فاختر لها المكان المناسب .

وهنا ينبغي أن نلتفت قليلا إلى ما يمكن أن يشتهر به المكان الذي قصد إليه . فكل مكان تخيره الشاعر تخيره له قصة تلائمه ، كما أن كل شخص — يتخيره الشاعر لقصة من القصص — لابد أن يكون ملائما لنوع القصة التي اختارها له .

وهنا تبدو براعته في حبك القصة .

(١) كليات فروغى — گلسان ص ١٦٦ .

الخطا جماعة من الأتراك نشبت بينهم وبين ملوك خوارزم حروب طاحنة وكانت عاصمتهم « كشغر » .

(٢) انظر حوادث سنة ٦٠٤ هـ في ابن الأثير .

(٣) كليات فروغى — بوستان ص ٣١٣ .

(٤) كليات فروغى — بوستان ص ٢٣٣ .

وماذا يمكن أن يعرض لذهن الشاعر في اختياره مادة القصص التي أشرنا إليها سابقاً؟ ولماذا تخير هذه الأماكن بالذات؟

فأما قصة دخوله جامع « كشعر » ورؤيته الفتى يقرأ « مقدمة الزمخشري » في النحو، ويكرر المثل المشهور « ضرب زيد عمراً ». وذلك في السنة التي اصطلح فيها « السلطان محمد » مع « الخطا ». فقد رأينا بُعد وقوعها من ناحية الواقع التاريخي . ولهذا لا بد لنا أن نرد وقائع هذه القصة إلى أسباب أخرى . يريد الشاعر أن يذكر قصة عن النحو، فلا بد أن يتخير لها مكاناً مناسباً يجرى فيه حوادث القصة . وأى مكان مناسب لذلك؟ لو تخير الشاعر مكاناً عاماً أو عادياً لما كان في ذلك براعة في الاختيار، فلا بد أن ينتقل إلى مكان يلائم وقائع القصة . ولهذا نراه قد تخير لها مكاناً ملائماً لمادة القصة، حيث بلاد ما وراء النهر — موطن الزمخشري صاحب المقدمة — فيرحل إلى مدينة من أشهر مدنها، ويدخل مسجداً من مساجدها، فيرى الفتى الجميل يكرر ذلك المثل المشهور . وهنا موضع الرمز في القصة، وفكرة الانتقال إلى ذلك المكان . ثم يعقب الشاعر في مناقشته للفتى بعبارة التهكمية اللاذعة « يابنى تصالحت خوارزم والخطا وبقيت الخصومة حتى اليوم بين زيد وعمرو » وهذه هي إحدى النكت التي وضعت القصة من أجلها . ثم يعن الشاعر في التهمك والسخرية، فحين يسأله الفتى عن موطنه يجيبه الشاعر « أرض شيراز » . فيسأله الفتى عن أبيات « لسعدى »؛ فيجيبه بأبيات عربية فيها كثير من المصطلحات النحوية في قوله :

بليت بنحوى يصول مغاضباً . على كزید فی مقابلة العمرو
على جرّ ذيل، ليس يرفع رأسه وهل يستقيم الرفع من عامل الجر؟
ولكن الفتى وجم، وغرق في التفكير، عله يجد حلاً لمعرفة هذين البيتين
فلا يفهم، فيسأل الشاعر قائلاً : إن غالب شعر « سعدى » في هذه البلاد

بالفارسية ، فلو قلت بها فأنا لها أكثر فهماً . وهنا موضع نكتة أخرى ، وهو أن الفتي لا يفهم العربية التي يدرسها مثل ما يفهم الفارسية . ويقول للشاعر « كالم الناس على قدر عقولهم » .

أليس هنا أيضاً مقصود آخر يرمز إليه الشاعر من وضع قصته ، في أن النحو ، على هذا الوضع بل العربية ، في غير متناول فهم فتي في مثل ذلك السن ومثل تلك البيئة . ؟؟

والشاعر يجيب الفتي ببيتين من الفارسية هما مفتاح المغزى المراد من القصة .
فالمصصة موضوعة في باب « العشق والشباب » ، والبيتان يشيران إلى هذا .

طبع ترا تاهوس نحسسو كرد صورت صبر أزدل ما محو كرد
أى دل عشاق بدام توصيد ؟ ما بنو مشغول وتوبا عمرو وزيد (١)

ومعناها « منذ شغل طبعك بالنحو ، محوت الصبر من قلبنا . يامن وقع قلب العشاق بشباك ! نحن بك مشغولون ، وأنت مشغول بزيد وعمرو » .

رأينا من هذه القصة أنها ترمى إلى مقاصد أخرى تلائم اختيار المكان ، وأن المكان قد تخيره الشاعر لذاته ، لملاءمته حوادث القصة من جميع جوانبها . ونستطيع بهذا أن نفسر أيضاً اختياره لبقية الأماكن ووضع قصصاً تلائمها . يمكننا أن نفسر أيضاً اختيار الشاعر لمدينة نائية بالهند وهي مدينة « سومنات » . حيث هي مقر عبادة وثنية ، تقوم على عبادة الأصنام ، ويتبعها ملايين الناس بالرغم من وجود ديانات أخرى سماوية .

فإذا يعنى الشاعر من وضع هذه القصة ؟ ولماذا تخير لها هذا المكان ؟ .
وهل يمكن أن يكون — حقيقة — ذهب إلى تلك الجهات النائية ، وتعرض لهذه الأهوال التي يصفها في تلك القصة ؟ .

(١) كليات فروغى — گلستان ص ١٦٦

ونحن إذا استطعنا الإجابة على هذا السؤال وحده أمكننا أن نحل أمر هذه القصة ..

رأينا سابقاً أن الشاعر بدأ رحلاته في سنة ٦٢٣ هـ ، وأنه اتجه نحو البلاد الغربية ، ولم يتمكن أن يرحل إلى البلاد الشرقية ، وعلى الأخص البلاد النائية . كما أن وقائع هذه القصة — من سياقها — يباعد بين حدوثها ، فلا بد أن تكون هناك فكرة خطرت للشاعر فألهمة هذه القصة ، واختيار هذا المكان لها . والواقع أن الشاعر أحس بأن في إحدى نواحي العالم المجاورة لمملكته عالم آخر لا يزال يعبد العبادة المجسمة ، وهذه العبادة يتبعها ملايين الناس ، وإن كانوا في غفلة من أمرها . هنا تملكته دهشة ، كيف — وهم ذوو عقل وروح — يعتقدون فيما لا روح فيه ولا عقل له ؟

أفليس في الامكان — أيضاً — العمل بأي الوسائل على تحطيم هذه الأصنام ، ونشر الإسلام ، كما حطمت أصنام الجاهلية وعلى رأسها منات التي يتمثل بها . ؟ أفلم توح إليه بقايا هذه العبادة أن يقوم أحد ملوك الإسلام بفتح تلك الجهات ، ونشر الدين هناك ، وتحطيم تلك الأصنام كما حطم بعضها « محمود ابن سبكتكين » من قبل ؟ .

كل هذه أمور. تلهم في الشاعر فكرة لوضع قصة .

وهذه القصة ترد في « البوستان » في الباب الثامن ، وهو « الشكر على

العافية » ينتهي بها هذا الباب ومطلعها .

بتي دبدم ازعاج در سو منات مرصع چو در جاهليت منات
فرو ما ندم از كشف آن ما جرا كه حى جمادى پرستد چسرا ؟

ففي البيت الأول قابل بين صنم مصنوع من عاج وبين « منات » ، في أصنام الجاهلية . وفي البيت الثاني أظهر مبلغ حيرته من كشف ذلك الأمر ، كيف يعبد حي جماداً لا حياة فيه ؟؟؟ .

لعل ذلك هو الذى حدا بالشاعر أن يؤلف تلك القصة ، فقد اضطربت فى نفسه الرغبة فى القضاء على هذه الديانة الوثنية ، كما بدت عليه الحيرة فى أن يعبد الأحياء ذوو العقول المفكرة ، هذا الجماد الذى لا روح فيه ولا حياة به ، وفى سياق القصة يذكر الشاعر أنه — بعد أن أخذه الشك فى أمر تلك العبادة — وذلك الصنم الذى كان يحرك يديه ، استجابة لدعوات الجماهير — أراد أن يكشف الأمر فى هذه المسألة . فيقول إنه دخل المعبد تحت ستار من عيون الرقباء ، بعد أن رحل جميع الأنباع عن مكان العبادة ، فغافل الشاعر الناس والحراس ، ودخل المعبد وظل يحوس خلاله يميناً ويساراً ، حتى لاح له أن هناك ستارة من ذهب ، فلمح من خلفها حبلاً يتصل بالصنم ..

هنا أدرك السر فى كل شيء ، وأدرك كيف يؤثّر القائمون بأمر تلك العبادة على اتباعها ؟ فيحركون أيدى الصنم ، وهو لا يملك أن يتحرك إلا فى معجزة . ثم يمضى الشاعر فى القصة ، فيقول إن حارس المعبد قد كشف أمره ، فهم بالقضاء عليه حتى لا يفشى سر تلك العبادة ، ولكن « السعدى » كان أسرع منه فقذفه فى بئر ، داخل المعبد فأودى بحياته ، ثم يهرب من هناك إلى جنوب الهند ، ومنها إلى اليمن والحجاز .

وهناك أمور لا بد من الوقوف عندها ، ولعلها تساعد على مدى اصطناع هذه الحادثة وأنها ليست من قبل الواقع ، إذ كيف يمكن أن يدخل الشاعر ذلك الدير ويترك فيه وحده ؟ ؟ ؟ وأين الحراس الذين يقومون هناك ويلتفون حول هذا المعبد العظيم ليلاً ونهاراً إما للتبرك وإما للحراسة ؟ وكيف غافل الحراس ؟ وهل لم يكن فى الدير غير ذلك الحارس الذى قضى عليه « السعدى » كما يقول ؟ وكيف أسعفته الفرصة فيسرع هو فى القضاء على الرجل فبليقيه فى بئر فيهلكه ؟ . كل هذه أمور تجعل التسليم بوقائع القصة أمراً بعيد الاحتمال . ولكنها

في الوقت نفسه تلتم مع الغرض الذي من أجله وضعها في الباب « وهو الشكر على العافية »^(١).

وأما قصة ذهابه إلى بلاد المغرب ، هو وصاحب له من متصوفة المشرق من مدينة « فارياب » .

بماذا يمكن أن تشير ؟ وما هي الأمور التي تعرف عن بلاد الغرب ؟ وكيف تنسجم مع مجرى القصة التي تخبرها لتقع في تلك البلاد ؟

وإطلاق كلمة مغرب في هذه القصة يشعر بأن المقصود منها إحدى البلاد في شمال أفريقيا ، فهذه البلاد عرفت في البيئة الإسلامية ببلاد المغرب . كما أنه يشتهر عنها أنها الموطن الذي تجرى فيه الأمور الخارقة للعادة ، فهي موطن السحر وموطن الأمور التي لا يستطيع تفسيرها في الظاهر عند الإنسان ، وإن كان هناك محالاً يمكن أن يدرك الإنسان سره ، لأن الإنسان العادي قاصر بطبعه عن إدراك المسائل التي فوق مستواه وبعد إدراكه .

ونسج القصة يشير إلى عدم إمكانها واقعياً . وهي ترد في « البوستان » في الباب الثالث « باب العشق »^(٢) ومطلعها :

قصارا من وپیری از فاریاب رسیدیم در خاک مغرب به آب
وملخص هذه القصة أن الشاعر رافقه رجل من شيوخ « فارياب »
الصوفيين الذين يعرفون « بالأبدال » . ينتقل الشاعر معه إلى بلاد المغرب ،
ويجری القصة هناك .

(١) يرى الأستاذ شبلي نعماني في كتابه « شعراء العجم » رأياً يفصل في هذه القصة أيضاً بالاضافة إلى ما رأيناه . وهو أن الهنود لا يتخذون العاج في صناعه أصنافهم لما برونه فيه من النحاسة . فلو صح هذا ، فهو الفاصل في مدى صحة وقوع هذه الرحلة ، وإن لم يؤثر ذلك في مدى الغرض منها . انظر ص . ٤ في ترجمته حبات سعدى .

(٢) كليات فروغی ص ٣٠٣ .

ويقول إنهم ما رغبا في ركوب البحر فكان لدي « السعدي » بعض المال الذي دفعه كله مقابل الركوب في سفينة ، ولم يكن مع الشيخ ما يدفعه لقاء ركوبه . ولم يرض الملاحون أن يأخذوه معهم . فبكي « السعدي » من أمر صاحبه ، ورق لحاله . ولكن الرجل قهقه ضاحكاً ، وقال له لا تنغم من أجلى .

وهنا تقول القصة إن الشيخ ألقى بسجاداته على سطح الماء ، وطاف عليها حتى ظن « السعدي » من فرط دهشته ، أن ذلك خيال لا حقيقة ، وسرعان ما يصرف الشيخ عن الشاعر هذه الدهشة ، فيقول له إنك لأعرج ، تطلب الوسيلة للانتقال ، ولكني سبحت بقدره الله على الماء .

بگسترد سجاده بر روی آب خیا لست پنداشتم یا بجنواب
تو لنکی بچوب آمدی من پای ترا کشتی آورد وبارا خدای

ثم ينتقل الشاعر إلى أن ذلك الأمر — وإن كان غير ميسور للرجل العادي — فإنه ميسور « للأبدال » الذين هم رجال الله ، يسرون بقدرته ، ويعتقدون في جبروته وقوته ، فهو الذي يمكنه أن يسير بهم على وجه الماء ، ويحفظهم من النار .

چرا أهل معنی بدین نگر وند که ابدال در آب وآتش روند
ونستطيع أن نخرج من كل ما لاحظناه في وقائع هذه القصص ، أنه لا يلزم من كل بلد ذكرها الشاعر في رحلاته ، أنه رحل إليها فعلاً ، وأن القصة التي أقامها حولها قصة من قبيل الواقع . فقد رأينا بعض الصعوبات التاريخية والعملية ، التي تمنع من وقوع هذه الحوادث ، وإنما كان اختيار المكان في القصة أمراً مقصوداً لذاته . ففي كل رحلة ينتهي إلى المغزي المقصود من وضعها ، وهذا المغزي هو الذي يضمنه — عادة — نهاية القصة .

العلماء والأدباء الذين لقيهم الشاعر

أشرنا سابقاً إلى الرأي الذي يعرض لشيخه في بغداد ، وكان أهم هؤلاء

وأظهرهم شخصيتين هما « ابن الجوزي » المتوفى سنة ٦٥٦ هـ الذي اشتغل في النظامية ببغداد وانتقل إلى وظيفة الحسبة ردها من الزمن .

وقد أشار الشاعر إلى « ابن الجوزي » هذا في كتابه « الكلستان » ، وأنه تلقى عليه حال عنفوان شبابه ، ويرد ذلك في الباب الثاني « أخلاق الدراويش » وليس هناك ما يمنع من تاريخ الشاعر ، وانتقاله للتعليم ببغداد من وجود صلة بينه وبين « ابن الجوزي » هذا أيام أن كان يشغل التدريس بالنظامية .

والشخصية الثانية التي يقال إنه تلقى عليها هي « أبو حفص عمر بن محمد الملقب بشهاب الدين السهروردي » ينتهي نسبه إلى « محمد بن أبي بكر الصديق » ويقول عنه ابن خلكان « كان فقيهاً شافعي المذهب ورعاً كثير الاجتهاد . تخرج عليه كثير من الصوفية . صحب عمه أبا النجيب وعنه أخذ التصوف والوعظ وكان شيخ الشيوخ ببغداد وله مجلس وعظ . وله تواريح حسنة أشهرها عوارف المعارف^(١) وقد توفي سنة ٦٣٢ هـ ببغداد .

والشاعر يعرض لقصته في كتابه « البوستان » مشيراً فيها إلى اسمه بقوله :
مقالات مردان بمردی شنو نه سعدی که از سهر وردی شنو
مرا پیر دانای مرشد شهاب دو آند رز فرمود بر روی آب
، أما صلاته بمن التقى بهم في رحلاته من الشعراء الذين عاصروه ، فانا نأخذ ذلك مما أورده الرواة وكتاب التذاكر ، فإن الشاعر لم يعرض في كتاباته لواحد منهم . وبالرغم من أن هناك جماعة من الشعراء الإيرانيين ، أصابوا شهرة واسعة في حياتهم ، وكانوا يعاصرونه فلم يهتم الرواة إلا بثلاثة منهم في روايات مختلفة ، كل منهم يمثل قطراً من الأقطار هم « هام التبریزی » من شمالي إيران ، والأمير « خسرو الدهلوي » من الهند « وجلال الدين الرومي » من قونية في آسيا الصغرى .

(١) وفیات الأعیان ج ١ ص ٣٨٠

وتحيط بكل واحد من هؤلاء قصة في سبب اتصاله بالشاعر ، ويذكر الرواة قصة لقائه « بهام » وهي إحدى الملح الطيبة التي يوردونها لتصوير لقائهما وقد أشرنا إلى القصة سابقاً .

ولكن الرواية تمضي فتجعلهما يتعارفان ، ويرحب « هام » « بالسعدي » ويتبادلان الغزليات الرقيقة التي كان « سعدي » مشهوراً بها إذاك ، وتنال إعجاب « هام التبريزي » .

أما لقائه « للأمير خسرو الدهلوي » فيذكر دولتشاه ، كذلك في ترجمته للأمير رواية عن كتاب « جواهر الأسرار للشيخ آذري » تدل على مدى ما يكنه الشيخ — وهو في أخريات حياته — من التقدير للشاعر الهندي الناشئ « خسرو الدهلوي » حتى يقال إنه — وهو في سنه الكبيرة — رحل من فارس إلى الهند لرؤيته ومشاهدته ، وثبتت من ناحية أخرى أن « خسرو » كان يقدر الشيخ تقديراً كبيراً ، وأنه ود لو استطاع أن يقلده ، وذلك من عبارته .

خسرو سرمست أندرساغرمعنى بريخت
تيره ازخمخانه مستى كه درسيراز بود

وفي قوله : جلد سخم دارد تيرازه^(١) سيراى^(٢)

ويورد « الكركاني » رواية أخرى في إثبات ما كانا عليه الشاعران من صلات ، فإنه في الوقت الذي اختار فيه السلطان « محمد بن غياث الدين بلبن » مدينة « مولتان » عاصمة له رغب إليه « الأمير خسرو » في الإرسال إلى الشيخ « سعدي » وبعث إليه بمال وديوان « الأمير خسرو » ولكن الشيخ وزع المال على الفقراء وبعث للأمير بقطعة شعرية يجيبه على دعوته معتذراً^(٣) .

(١) دولسياه ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٢) الكركاني — مقدمة السكستان ص — ما .

أما تصوير لقائه « بجلال الدين الرومي » فينقل « الكركاني » عن «روضات الجنات» ملخص القصة . ونحن نوردها عنه ؛ ذلك أن الشيخ وصل في أحد أسفاره إلى « قونية » مقر « مولانا » ونزل مكاناً فأقام به ، ثم حدث أن نظم مصراعاً من غزلياته هو :

سر مست اگر در آي عالم بهم بر آبد

ولم يتمه ، وتصور الرواية أنه قدم إلى « مولانا » فوجده في حال من الوجد . فقرأ « مولانا » هذا المصراع وأتمه بالمصراع الثاني ، فلما سمع الشيخ ذلك ، عرف أن مولانا صاحب كشف واطلاع باطنى ، فزاد فيه اعتقاده^(١) .

ويبدو أن في رواية « هام التبريزى » اصطناع للحادثة ليفهم منها أن شهرة « سعدى » في الغزل تسبق شهرته الشخصية عند الشعراء . كما اصطنعت الرواية الثانية لتبين مبلغ طموح « الأمير خسرو » في تقليد الشاعر ، أو أنه كان من الشهرة بحيث يطمع الشاعر في الانتقال إلى الهند ليلتقى به تقديراً له ، واصطنعت قصته مع « جلال الدين » لتصور هذا صاحب كشف غيبى وإلهام .

وعلى كل ، هذه مجرد روايات يصح أن يكون لها نصيب من الواقع أولاً . يكون . ومن حيث تاريخ الشاعر نفسه ، فليس ما يمنع من صلاته بهم ، كما أننا نعرف أنه كان يرحل وفي قدرته أن يذهب إلى تلك الأماكن لو أراد ، وما دمنا لا نجد من إشارات الشاعر نفسه ، ما يؤيد لقاءه بهم فيبقى الاقتناع بهذه الروايات معلقاً .

أما علاقات الشاعر برجال السياسة والحكم فإننا عرضنا لها سابقاً ، وهذه لا تأتى من كتابيه « البوستان والكلستان » ولكنها ثابتة من قصائده التي قالها فيهم ، وقد عرضنا لأهم هذه الشخصيات سابقاً .

(١) نفس المصدر ص - . يب .

الفصل السادس

مبدأ الأخيرة

طالت حياة الشاعر فامتدت ما بين سنتي ٦٠٠ - ٦٩١ هـ كما ذكرنا سابقاً وهي حياة — كما رأينا — طويلة . ومع ذلك فقد وجدنا من الرواة والمؤرخين من يغالى في تقديرها إلى أكثر من ذلك .

وكان مجرى حياة الشاعر من جانب ، وطولها ، زمنياً من جانب آخر ، وعدم السير بها على منهج واحد ، كل ذلك كان .

أن يقسموا حياته إلى فترات ثلاث ، امتدت كل واحدة أو أربعين عاماً على خلاف .

ويجربى تقسيم تلك المدة على هذا الوضع . مدة التحصيل ، ومدة الرحلات ، ومدة التأليف والاعتكاف .

وقد صورنا بقدر الإمكان سيرته في مدة التحصيل والرحلات .

أما المدة الأخيرة فيبدوها الرواة عند عودته من رحلاته الطويلة ، ويجعلونها

في حدود سنة ٦٥٣ هـ .

وليس بلزم في نظرنا تقسيم حياته على الوضع الذي ذهب إليه الرواة سابقاً ،

فإن أوضاع الحياة نفسها لا تخضع لمثل هذه الموازين ، وإنما هي أمور تقريبية .

ونحن وإن كنا لا نجاريهم في التحديد الزمني الذي التزموه ، نجاريهم من

ناحية أخرى في التقسيم نفسه . ومن الممكن أن يكون هذا التقسيم صالحاً لكل

شخصية من قرب أو من بعيد ، لكنه في تلك الشخصية ممكن إلى حد بعيد .

ولعل ذلك هو الذى حدا بالرواة ورجال الطبقات إلى أن يظهروه على هذا النحو الذى مضى .

ونحن إذا سلمنا بهذا الرأى الذى ذهب إليه هؤلاء ، وجعلنا سنة ٦٥٣ هـ هى أول الفترة الأخيرة من حياته . فماذا يمكن أن يكون من عمل الشاعر فى تلك الفترة الطويلة التى امتدت كذلك حتى سنة ٦٩١ هـ قرابة أربعين عاماً ؟ . . .

من الممكن أن نُميز أعماله فى تلك الفترة ، وإن كان الرواة لا يشيرون فيها إلا إلى الاعتكاف ، والعمل على مساعدة المعوزين ، وزيارة رجال الدولة وكبارها له فى معتكفه من وقت لآخر ، كما يسندون له أموراً خارقة للعادة ^(١) .

والواقع أن الشاعر لا يمكن أن يكون قد آوى إلى معتكفه النهائى ليقم فيه دون أن يخرج من شيراز طوال ذلك الوقت ، فلعله خرج منها فى بعض رحلاته إلى الحجاز تلك الرحلات التى لم تنقطع ، والتى يقول عنها الرواة إنه حج فيها أربع عشرة مرة .

ومن المؤكد كذلك أنه صرف وقتاً طويلاً فى نظم بعض أشعاره فى تلك المدة الأخيرة ، ونخص بالذكر منها مدائمه ومراثيه ، فهى كلها قد نظمت بعد عودته من رحلاته كما لاحظنا سابقاً .

كما أنه نظم قطع كتابيه « البوستان » و « الكلستان » فى أعقاب عودته وبوبهما ، قبل أن يقدمهما إلى صاحبيهما . والمعتقد أنه نظم كثيراً من قطع « البوستان » قبل أن يقدم إلى شيراز فى عودته إليها ، ولكن تنظيمها وتبويبها لم يتم إلا حين عودته ، وحين رغب أن يقدم هذا الكتاب إلى الأمير .

وقد لاحظنا كذلك أنه ظل ينظم الشعر حتى سنة ٦٨١ هـ ، كما رأينا سابقاً عند الكلام على مدائمه .

(١) دولتشاه ص ٢٠٢ — ٢٠٣ طبعة لبدن .

وليس ما يمنع عندنا من أن الشاعر ظل ينظم الشعر بعد هذا التاريخ ، فقد امتدت الحياة به عشر سنوات أخرى ، واتسع وقته لإنشاد بعض الشعر ، ولم تسكت طبيعته الشعرية .

أما الألوان التي يمكن أن نقول إنه ظل ينظمها في ذلك العهد ، فهي إما في غزلياته الصوفية وبخاصة المعروفة « بالخواتيم » ، أو في القطع الأخرى من « المتنويات » ، فلم يثبت له نظم في القصائد مدحا أو رثاء بعد ذلك التاريخ .



الفصل السابع

General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
مكتبة الإسكندرية

مقبرة ومرقد

يقول دولتشاه عن مقبرته ، إنها تقع في شيراز بمكان مفرح ، فيه حوض صاف وعمارة لا نظير لها ، وللناس ميل لزيارتها ، وذلك في عبارته :

« وترتبت شيخ سعدى أكنون در شيراز جائى فرح بخشى وحوضى باصفاست .
وعمارت بي نظير آنجا واقع است ومردم را بدان مرقد إرادتست (١) . »

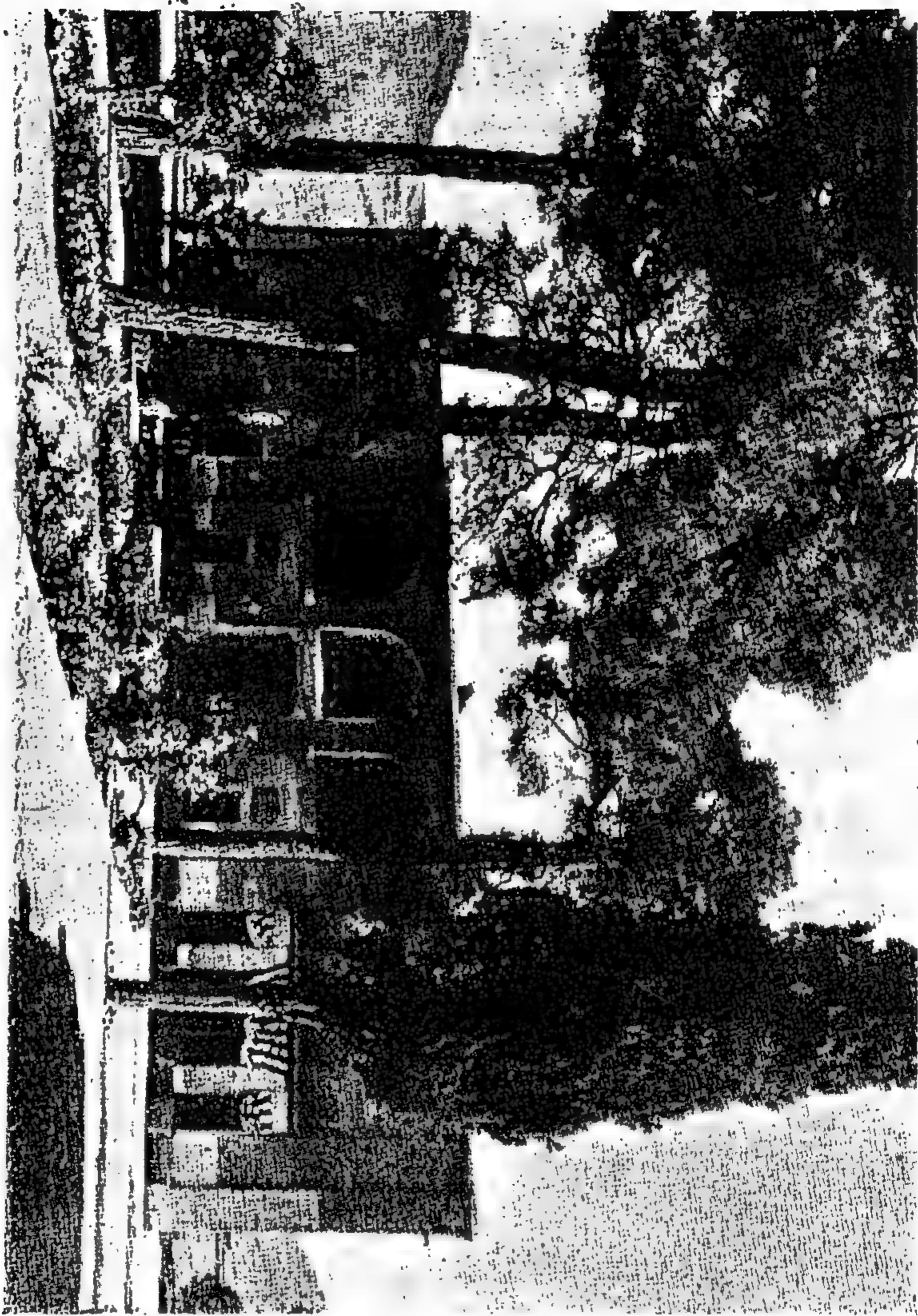
وقد شاهد ابن بطوطة مرقدته في رحلته إلى شيراز سنة ٥٧٢٧ هـ . إذ يقول « ومن المشاهد بخارج شيراز قبر الشيخ الصالح المعروف بالسعدى ، وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي ، وربما ألمع في كلامه بالعربي ، وله زاوية كان قد عمرها بذلك الموضع ، حسنة بداخلها بستان مليح ، وهي بقرب رأس النهر الكبير المعروف « بركن آباد » وقد صنع الشيخ هناك أحواضاً صغاراً من المرمر لغسل الثياب ، فيخرج الناس من المدينة لزيارته ويغسلون ثيابهم بذلك النهر ، وينصرفون ، وكذلك فعلت عنده (٢) . »

وينقل الأستاذ « الكركاني » عن صاحب كتاب « طرائف الحقائق » أن مقبرته مزار من كثير الرواد . يقع شمالي شرقي المدينة على بعد نصف فرسخ ، وتهدم ذلك البناء من توالى الحوادث ، وعمره « كريم خان الزندى » سنة ١١٨٠ هـ (٣) .

(١) تذكرة الشعراء ص - ٢٠٩ . طبعة ليدن .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص - ١٣٦ . المطبعة الأزهرية .

(٣) الكركاني - مقدمة السكستان ص م .



ضريح الشاعر « سعدى الشيرازى » بشيراز عن كتاب « سعدى نامه »

ويذكر الأستاذ « سروش » في ترجمته لكتاب « حيات سعدى » الذى ألفه بالأردوية الأستاذ « حسين الطاف » عن السائح الانجليزى « فرانكلين » أنه ذهب إلى شيراز سنة ١٧٨٦ م . وقد ذكر أن مدفن الشيخ يقع فى الجهة الشرقية ، على بعد ميل فى طرف جبل خارج شيراز .

وعمارته مربعة ، وقبره من الحجر ، فى طول ستة أقدام فى عرض قدمين ونصف ، وعلى جدر المقبرة عبارات بخط النسخ فى تاريخ الشيخ ومصنفاته ، وفى أعلى الضريح طلاء نقش عليه أحد أبيات الشيخ بخط « نسخ التعليق » .

ثم يضى فيقول — « إن المسلمين يزورون مقبرته من أطراف الدنيا وينثرون عليه الورد ، وقد وضعت فى مقبرته إحدى نسخ كلياته . وعلى الجدار أبيات من شعر الشيخ كتبها الزوار ، وقد خربت المقبرة بمرور الزمن » ثم ينتهى فى عبارته إلى القول بأن كثيراً من مقابر العظام يحيط بها فانهم أوصوا بذلك^(١) .

كذلك يذكر المؤلف فى موضع آخر أن « كريم خان الزندى » أقام سوراً على قبور جماعة مجهولين بشيراز ، وعلى الباب رسم « للسعدى وحافظ » فى نصف صورة لهما ، وقد نقل « الكابتن كلارك » فى ترجمته لكتاب « البوستان » هذه الصورة ، ويبدو فيها أن الشيخ يمسك بإحدى يديه كشكولا وبالأخرى « تبرى »^(٢) وهو علامة خاصة بالمسافرين^(٣) .

وفى سنة ١٨١١ م ميلادية حينما عين السير « كورأوسلى » سفيراً لدى بلاط إيران من قبل جورج الثالث فى عهد « فتح على شاه القاجارى » أقام بضعة أشهر بشيراز ، وزار قبر الشيخ ، فلما شاهد المقبرة لم يصدق ما قاله « فرانكلين » . فإنها

(١) سروش — حيات سعدى ص ٢٧

(٢) تبر — مثل فمرآلة معروفة تكسر بها الأشجار ويقطع بها ما يخطب — نوبهار

(٣) سروش — حيات سعدى ص ١٢

كانت قد خربت ولم ير أثراً للحديقة والأشجار التي كانت بها . ويقول :
« إنه فكر في أن يعيد تشييد المقبرة بمبلغ قليل ، لما كان في نفسه من تقدير للشيخ ،
ولكن الإبن الخامس لشاه إيران وهو « حسين علي ميرزا » الذي كان والياً
على فارس ، منعه من القيام بهذه المهمة ووعد أنه يعمرها ، وقال إنه سيقوم
بتعميرها على نسق مقبرة « حافظ » التي قام بتشيدها « كريم خان » . ولكن
لم يفعل^(١) . »

هذا ما أثبتته المؤرخون والرحالة عن مقبرته ومكانها حتى مطلع القرن الماضي .
أما مقبرته الآن فلم نعثر بعد ذلك على نص هام — يضيف جديداً — من
كتبوا عنها من الإيرانيين أو غيرهم .

(١) سروش ، حیات سعدی ص ٥٧

الفصل الثامن

عقيدة سعدى

كان سعدى إنساناً بكل معنى الكلمة ، يشعر بأنه أحد أعضاء المجتمع ، لا فرق بين أن يكون على دين ودين ، أو على عقيدة وعقيدة ، أو على مذهب ومذهب ، ومن هنا كان رجلاً للجميع ، وكان أدبه أدباً للجميع . يحب الناس كلهم ، ويرى أنه وإياهم من طبيعة واحدة ، ولهذا كان سامى الفكرة ، لطيف الحس ، مشرق الضمير .

وفي قطعة من شعره ، يقول إن بنى آدم جميعاً كلهم لبعض ، فهم فى خلقهم من جوهر واحد ، إذا بدا لعضو أن يتألم فإن أعضاءه الأخرى تشاركه المحنة والألم ، والإنسان الذى لا يهتم لمحنة الآخرين مجرد من الأدمية . يقول :

بنى آدم أعضاى يكدي يكرنسد	كه در آفرينش زيك گوهرنسد
چو عضوى بدرد آورد روزگار	دگر عضوها را نماند قســرار
نــوكز محنتى ديكران بينمى	لشايــد كه نامت نهند آدمى (١)

وتبدو للشاعر آراء ، يفاضل فيها بين الصوفية والعلماء ، فالعالم فى نظره أفضل من الصوفى . وفى قطعة له يصور هذه المسألة ، يرى فيها أن صوفياً هجر مكان عبادته ، وقدم إلى المدرسة ، وقد خرج على عهد صحبته ، وترك الطريق .

(١) الكرگانى - مقدمة الكلستان ص - مز . وقد نرجم هذه الأبيات الدلتور عزام بك شعراً :

بنو آدم جــسد واحد	إلى عنصر واحد عــائد
إذا مس عضواً أليم السقام	فسائر أعضائه لاتــام
إذا أنت للناس لم نألســم	فكيف تسمت بالآدمى ؟

فسأله قائلاً : أى فرق بين العالم والعابد ، حتى اخترت طريق ذلك على هذا ؟؟ .

فقال إن هذا ينقذ نفسه من الموج الذى يقع فيه ، بينما يأخذ ذلك بيد الغريق يقول :

صاحب دلى بمدرسه آمد زخاتقاه	بشكست عهد صحبت أهل طريق را
گفتم میان عالم و عابد چه فرق بود	تا اختیار کردی از آن این فریق را
گفت آن کلیم خویش بدر میبرد ز موج	وین سعی میکند که بگیرد غریق را (۱)

على أنه كذلك يرى أن العبادة ليست فى الانقطاع عن أسباب الدنيا ، فهو

— على خلاف كثيرين من أهل الطريق — لم يعرض عنها ، ويختار الاعتزال

والاعتكاف عن الناس ، بل كان يعرف أن العبادة الحققة هى فى خدمة الخلق

ومعاونتهم ، وليست بالتسبيح والجلوس على السجادة ، وارتداء الدلق ، ثم هو يطلب

ذلك إلى كل الناس ، حتى الملوك منهم أن يتخلقوا بأخلاق الدراويش . يقول :

عبادت بجز خدمت خلق نیست	بتسبیح و سجاده و دلق نیست
تو بر تخت سلطانی خویش باش	بأخلاق باکیزه درویش باش (۲)

هذه عقيدته من الوجهة العامة ، وإذا أدركنا منها أن لا مفاضلة عنده بين

الناس فى عقائدهم ، فإننا نعرف منها كذلك مدى تسامحه فى مذهبه الدينى ، وهذا

يفسر لنا — إلى حد بعيد — كيف اعتنق المذهب السني فى إيران ، موطن

المذهب الشيعى من قديم .

وأشعاره تدل على هذا إلى حد بعيد . فقد رأيناه يمدح خليفة المسلمين

المستعصم فى مرثيته اللتين أشرنا إليها سابقاً .

كذلك يمدح الخلفاء الراشدين عامة فى « البوستان » من قطعة يمدح بها

الرسول عليه السلام ، ويتخلص فيها بمدحهم جميعاً . ثم ينتقل إلى مدح بنى

فاطمة وآل الرسول (۳) مما يدل على أنه عام فى عقيدته وفى مذهبه .

(۱) الدكتور رضا زاده فى تاريخ أدبيات إيران ص ۲۷۴ — طهران ۱۳۲۱ هـ . ش

(۲) الكركانى — مقدمه السكلسان ص — مو .

(۳) كليات فروغى — بوستان ص ۳۲۰

الفصل التاسع

مؤلفات الشاعر أو كلياته

من شعراء الفارسية من كتب نثراً وشعراً ، ومجموع ما يكتبه المؤلف من شعر ونثر يطلق عليه في الفارسية كلمة « كليات » . فكليات سعدى هي مجموع إنتاجه شعراً ونثراً .

ومن هذا الإنتاج ما ينشر وحده فيستقل عن الكليات لاستقلال موضوعه وللتمكن من دراسته بسهولة . كما هو الحال في كتابيه « البوستان والگلستان » . وقد رتب إنتاج الشاعر في « كلياته » من حيث لون الأداء . لا من حيث الموضوع أو الزمن ، ونحن نأخذ هذا الترتيب من « كليات فروغی » ، والكليات كما عرفنا تجمع المنشورات وتبدأ بها ، ثم المنظومات .

أولاً - المنشورات

فأما المنشورات فتشمل الرسائل الست التي كتبها الشاعر . ثم كتابه المستقل « الگلستان » . وقد كتب الشاعر الإيراني المعاصر « بهار » في كتابه « سبک شناسی أو تطور النثر الفارسی » فصلاً عن مؤلفات الشاعر المنشورة وحدها . درسها من حيث أسلوبها لا من حيث موضوعها ، وتكلم — بهذه المناسبة — عن منهج « سعدی » في النثر ، وعن أسلوبه في الأداء ، في رسائله وكتابته « الگلستان » دون التعرض لغيرها . فلم يعرض للشعر ، ولا منهج الشاعر فيه ، وبالتالي لم يتعرض لمقارنات بين موضوعي « البوستان والگلستان » . ونقدم ملخصاً لما قاله في موضوع النثر ، ثم تتبع الكلام عن أشعاره . يقول :

هناك ثلاثة ألوان من النثر خلفها « سعدى » فى إنتاجه ، ونحن نشير إليها

١ — اللون الأول — وهو المتداول فى عصره ، والذي كان يكتب به جماعة منهم « الجوينى » صاحب « جهانگشای » .

٢ — اللون الثانى — وهو طراز كتابة « عبد الله الأنصارى » .

٣ — اللون الثالث — وهو نسيج « سعدى » نفسه .

وهذه الألوان الثلاثة تشاهد فى رسائله التى كتبها فى مقدمة « كلياته » وفى كتابه « الكلستان » فأما الرسائل فهى .

١ — الرسالة الأولى : وتسمى « الديباجة »^(١) كتبها الشاعر وهو على ظهر سفينة وكما يبدو من الرسالة ، كانت تلك السفينة ملكاً لأمير من الأمراء ، وهذه الرسالة قريبة فى أسلوبها من أسلوب النثر القديم . خالية — إلى حد ما — من التكلف والصناعة الشاقة ، والأسجاع النادرة . لكن يتردد فيها ألفاظ وجمل عربية مسجوعة كالعبارة . « تلاطم أمواج هموم وتراكم أفواج غموم » كذلك كان يكثر من إيراد الآيات القرآنية ، مثل « إنا سناق عليك قولاً ثقيلاً » ومثل . « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال » .

٢ — الرسالة الثانية : وهذه الرسالة تعرف بالمجالس الخمس . وهى مجالس كان يكتبها الشيخ لنفسه أو يعقدها لتلاميذه .

وفى طليعة المجلس الأول منها نظم ملمع فى مدح الرسول عليه السلام من شعر الشاعر^(٢) . والمجلس الأول والثانى — من حيث أسلوبهما — أسهل من أسلوبه فى القطعة الأولى « الديباجة » وهما متشابهان كذلك من حيث المنهج الذى سلكه فيهما . فالمجلس الأول بدأه ببعض أشعار فى مدح الرسول ، ثم عقب عليها بذكر

١٠ — (١) كليات فروغى ص ١٠ — ١٥ (٢) نفس المصدر ص ١٦ .

حديث للرسول^(١) . وبدأ الثاني بقوله قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله»
ثم عقب عليها بحديث كذلك^(٢) وخلال المجلس الثاني قطعة في بيان الفرق بين
«تقوى المؤمنين وتقوى الصالحين»^(٣)

كذلك يتخلل هذا المجلس غزليات وأبيات من سعدى ، وردت في مجموع
غزلياته أو كتابه «الكليستان» .

ويبدو من هذه القطعة أن سعدى سلك فيها مسلك الزاهد المتصوف الذي
يعظ الناس .

وفي المجلس الثالث^(٤) من هذه المجالس يبدو الشاعر صوفياً بحتاً . يتناول
الكلام في معرفة الله تعالى ، وفي محبته والانصراف إليه ، ويسلك في هذا المجلس
— من حيث أسلوبه — منهج عبد الله الأنصارى .

وفي مجلسه الرابع^(٥) ، يبدو كذلك صوفياً زاهداً . لكنه — من حيث
أسلوبه — أيسر وأبسط من أسلوبه في المجالس السابقة . ويضمن هذا المجلس قصصاً
مختلفة يوردها على لسان رجال عرفوا بالزهد والتصوف مثل إيراد قصة على لسان
«يحيى بن معاذ الرازي» . وقصة عن «إبراهيم بن أدهم» وأخرى عن «عمر بن
عبد العزيز» وحكاية عن «عبد الله بن عمر» . وهذه القصص كلها ذات مقاصد
صوفية في الزهد والتجرد والانقطاع عن الدنيا .

فأما مجلسه الخامس^(٦) فيبدو فيه أسلوب سعدى دون تقايد أو محاكاة ، وهو
فيه شبيه بأسلوبه في «الكليستان» من حيث رقة العبارة ولطف المعاني . ويتناول

(١) كليات فروغى ص ١٦ . (٢) نفس المصدر ص ١٩ .
(٣) في العبارة شيء من التصرف فالنص في كليات فروغى هو «بدانكه: تقوى
بردو نوعست. تقوى صالحان وتقوى عارفان ص ٢٠ (٤) كليات فروغى ص ٢٤-٢٧
(٥) نفس المصدر ص ٢٧-٣١ . (٦) نفس المصدر ص ٣١-٣٩ .

في هذا المجلس قصصاً عن بعض الصوفيين الإسلاميين وغير الإسلاميين . وهذا المجلس خير مجالسه الخمسة .

٣ — الرسالة الثالثة : وهذه الرسالة تتعلق بموضوع خطاب كتبه «شمس الدين صاحب الديوان» إلى الشيخ ورد الشيخ عليه . ويبدو في هذه الرسالة الأسلوب المرح الظريف . كذلك يتضح في أشعارها لطف العبارة وحسن الاختيار . على أنه يظهر أن جامع هذه الرسالة أضاف إليها كثيراً مما لا يحتمل وقوعه كالعبارة :

« بارها غلام ديدة أست كه خواجه شمس الدين خروار زر بشيخ
ميفرستاده است ، أز بهر علفه مرغان ، وشيخ آن زرها قبول نمی فرموده است » .
فلم يبلغ الأمر هذا الحد . فإن شمس الدين كان لا يجد في خزينته هولاكو
وآباقا — في أي وقت — حمل دابة ذهباً ، ليرسلها — كلها أو بعضها — إلى
الشيخ ، فيردها الشيخ بدوره^(١) .

٤ — الرسالة الرابعة : وهذه الرسالة في جواب « سعد الدين »^(٢) على
سؤال له . هل العتق وسيلة المعرفة والوصول أم العشق ؟ ؟ ويرد الشيخ على
سؤال « سعد الدين » هذا جواباً لطيفاً سديداً .

(١) كانت مكانة شمس الدين وأخيه علاء الدين في الدولة مكانة سامية .
ولاحظنا مبلغ صلة الشاعر بهما ومدائحه فيهما . فلعل الرواة والنساخ لاحظوا هذه
الصلة فزيفوا بعض القصص لتمثيل هذه الصلات . وإن كان ذلك لا يمنع من مكانة
الشاعر في نفوسهم وتقديرهم له . وانظر هذه الرسالة في كليات فروغی ص ٤٠ - ٤٢
(٢) يذكر المؤلف في الهامش بعض الخلافات بين النسخ المخطوطة والمطبوعة
بشأن هذه الرسالة . ثم يستطرد بقوله لاعلم لنا بسعد الدين هذا ؟ ج ٣ ص ١١٩ .
وانظر كليات فروغی ص ٤٣ - ٤٤

وتعتبر هذه الرسالة في عداد رسائل الشاعر الصوفية ، وأسلوبها على العموم سهل مجرد من التكلف ، شبيه بأسلوب « الكلستان » . وقد ضمنها الشاعر كثيراً من أشعاره الجيدة .

ويمكن أن تعد هذه الرسالة ، ومجالسه في التصوف ، مع كتاب « جلال الدين الرومي — فيه ما فيه » من أقدم ما كتب في النثر الفني الصوفي .

٥ — الرسالة الخامسة : وتسمى رسالة « نصائح الملوك^(١) » . وهي أسهل رسائله وأبسطها . تفوق أسلوب « الكلستان » في بساطتها . وأغلب هذه الرسالة كلمات قصيرة ذات دلالة صوفية . ويورد من مكان لآخر حكاية — على سبيل التمثيل — يضمنها أصول الحكم ، والدعوة إلى رعاية الرعية ، في عبارات موجزة فصيحة .

٦ — الرسالة السادسة : وهذه الرسالة ثلاثة أقسام^(٢) :

(أ) والقسم الأول منها يدور حول لقاء الشيخ — حين عودته من مكة في طريقه إلى تبريز — « الصاحبين » وهما في حبة « آباخان » . فلما رآه الصاحبان ، ترجلا عن جواديهما ، وقبلا يديه ورجليه . وتمضى القصة فتقول إن آباخان سأل الصاحبين عن يكون الشيخ ؟ ؟ ثم طلب آباخان أن ينصحه .

على أن الكثيرين من النقاد يرون — ويرى المؤلف رأيهم — أن هذه القصة بعيدة الوقوع . فقد ورد فيها شعر بالفارسية لا يستطيع آباخان أن يفهمه . كما أنه يصعب عليه فهم بعض المعاني الواردة في عباراتها عن التكاليف الإسلامية .

(ب) والقسم الثاني في نصيحة الأمير « بانكيانو » وهذه الرسالة لاختلاف في نسبتها إلى سعدى ، وهي من حيث أسلوبها سلسلة شبيهة بأسلوب النثر الذي ورد في القطعة المعروفة بالديباجة ، وبعض مجالسه الخمس ، وإن كان يبدو فيها بعض سجعات

(١) كليات فروغى ص ٤٧ — ٦٤ (٢) نفس المصدر ص ٦٥ — ٧٠

لكنها سجعات مألوفة طبيعية . وهذه الرسالة في مجموعها ترمى إلى سن قواعد في رسوم السياسة ، والحكم ، وحسن معاملة الرعية .

(ج) القسم الثالث : وهذه قصة تدل على مبلغ احترام الشيخ عند حكام فارس وعملها وترتبط بشخصية « شمس الدين تازيكو » مع أخى الشاعر ، حيث كان يعمل في بيع سلعة التمر . وقد أشرنا إلى هذه القصة سابقاً . ولا رأى للمؤلف « صاحب سبك شناسى » في أسلوبها ، فإنه يراها من وضع جامع الكليات .

٧ — الكلستان : يمكن أن نجد فن « سعدى » وشخصيته واضحين في هذا الكتاب . وهو يكشف لنا عن شخصيته في الكتابة . والكتاب — على صغر حجمه — كبير الفائدة ، عظيم القيمة ، فلم يسبقه مثيل له ، ولا يحتمل أن يأتى نظيره كذلك .

وقصد المؤلف من هذا الكتاب أن يضع كتاباً أخلاقياً اجتماعياً . وقد كتب في أسلوب سلس ، لا يسأم القارئ تكرار تلاوته . وهو يفترق في أسلوبه عن الأسلوب المتعارف في عصره ، ففيه جدة وفيه طلاوة ، وليس فيه أثر من الأسلوب المكرر ، كما هو الشأن عند القدماء . وكما نجد عند الشاعر نفسه في أسلوب بعض مجالسه .

والشاعر — في هذا الكتاب — شبيه بالجاحظ في العربية ، مزج في أسلوبه بين الجد والهزل ، ويهدف في كل عباراته إلى إيراد اللطائف التى تبعد السامة عن القارئ .

كذلك ربط في أبوابه بين التحدث عن سيرة الملوك وآدابهم ، بأخلاق الدراويش . وجمع بين فضيلة القناعة — وهى نوع من التسلية الاجتماعية — مع

فوائد الصمت . ثم في باب العشق والشباب لمس جانب الولى . وجعل هذا الباب متصلاً بباب الضعف والشيخوخة . وختم الكتاب بباب التعليم التربية . وضمن هذا الباب قصة « جدال السعدى والمدعى » وهى من أهم ما كتبه سعدى (١) .

ثانياً - المنظومات :

٨ — ديوان البوستان : وتسميتنا له بالديوان صحيحة ، فإنه يضم ألواناً من الشعر فى أغراض مختلفة . كما أطلق الأستاذ « على دشتى » كلمة ديوان على مجموع شعر « الطيبات » . ويرد موضعه فى الكليات بعد الكتاب المنشور « الكلستان » وقد أفردنا له الباب الثالث من هذا الكتاب .

وترد بقية الألوان المنظومة فى الكليات على الترتيب الآتى :

٩ — القصائد العربية : وتبلغ فى كليات فروغى اثنتين وعشرين قصيدة ، وهى فى الغزل ، والمدح ، والرثاء ، والشيب ، والموعظة . والغزليات أغلبها . إذ تبلغ وحدها سبع عشرة قطعة ، وهذا القسم يبدأ بالقصيدة التى يرثى فيها الخليفة المستعصم وذكر واقعة بغداد — والتى مطلعها —
حبست بحفى المدامع لا تجرى .

ويتخلل هذا القسم قطع قصيرة لا تبلغ مبلغ القصائد الطويلة ، ولا تتجاوز بعضها بيتين

١٠ — القصائد الفارسية : وهى تسع وثلاثون قصيدة فى المدح ، والنصائح ووصف الربيع ، والتوحيد ، والحنين إلى شيراز . فأما قصائد المدح فأغلبها فى صاحبي

(١) انتهى هنا تلخيص بعض ما كتبه الأستاذ « بهار » عن مؤلفات الشاعر المنشورة ..

لديوان ، شمس الدين وأخيه علاء الدين ، ثم في بعض ملوك الأتابكة وبعض ولاية فارس من قبل المغول ، وتبلغ قصائد المدح وحدها من تلك المجموعة ، إثنتى عشرة قصيدة ، وقد أشرنا إلى مدائح الشاعر عند التعرض للأشخاص الذين اتصل بهم ، وفي هذا القسم قصيدتان في أوله ، إحداها ، في مدح الذات الإلهية ، والأخرى في مدح الرسول عليه السلام .

١١ — المراثي : وتبلغ سبع قطع . اثنتان في رثاء « أبي بكر بن سعد » ، واثنتان في رثاء ابنه « سعد » وقصيدة في رثاء وزيرها « فخر الدولة أبي بكر » ، وأخرى في رثاء « عز الدين أحمد بن يوسف » ، والأخيرة في زوال الدولة العباسية ، وقد أشرنا إليها عند التعرض لتاريخ هؤلاء الأشخاص .

١٢ — الملمعات : وتبلغ إحدى عشرة قطعة . وهي كلها غزليات صوفية . والملمع كما هو معروف لون من النظم الفارسي ، تمضي القطعة فيه على بحر واحد ، وقافية واحدة ، وتتخللها أبيات عربية ، من نفس البحر والقافية على نظام مختلف . فقد يرد بيت فارسي يعقبه بيت عربي ، وقد يكون التاميع بعد بيتين أو ثلاثة ، وقد تكون شطرتا البيت ملمعتين ، وقد يتخلف التاميع على نظامه .

١٣ — المثلثات : وهي لون من التاميع يمضي على نسق مطرد ، ولكنها ليست على قافية واحدة ، على نهج النوع المعروف بالمشنوي ، وهي قطعة وحيدة ، في النصيحة والارشاد ، تقع في أربعة وخمسين بيتاً ، ومطلعها بيت عربي :

خليلى الهوى أنجى وأضلع ولكن من هداه الله أفلح

١٤ — الترجيعات : وهي قطع متفقة البحر ، مختلفة القافية ، في نهاية كل قطعة منها يلتزم الشاعر إيراد بيت مكرر من نفس البحر ، مختلف القافية ، ويسمى هذا البيت بيت الترجيع ، وتسمى القطع التي يربطها هذا اللون بالترجيعات .

أما أغراضها فهي من المنظومات الصوفية ، التي اشتهر بها الشاعر ، وتبلغ هذه القطع اثنتان وعشرون قطعة ، لا تقل عدد أبيات القطعة عن تسعة أبيات ولا تزيد عن أربعة عشر بيتاً .

١٥ — ديوان الطيبات: ويبدو فيها أنها قسم قائم بذاته، فهي تجمع لونها واحداً من الشعر ، في مجموعة من القطع ، أما لونها الشعرى فهي غزليات صوفية ، يلتزم في كل واحدة منها ، ذكر تخلصه الشعرى ، وقد بلغت هذه القطع في نسخة «فروغى» ثلثمائة وخمسة وتسعين قطعة ، مختلفة القافية والبحر ، وقد رتبت القطع في الكلّيات حسب حرف الروى الأبجدي .

والقطعة الأولى مطلعها البيت :

« أول دفتر بنسام إيزد دانا صانع پرورد گمار حی توانا »
ويلاحظ فيها أن ابتداءها كابتداء أية كتاب يستهله صاحبه باسم الله .
ولعل ذلك هو الذي أوحى بالرواة ، وجامعي أشعار الشاعر أيضاً ، أن يضعوها تحت البسملة ، ولعل ذلك — بالإضافة إلى ضخامتها — هو ما يحدو ببعض النقاد أن يجعلوها قسماً قائماً بذاته كذلك، وأن يطلق بعضهم عليها اسم «ديوان الطيبات» كما ذكر ذلك الأستاذ « علي دشتي » في كتابه « سايه^(١) » .

وقد نتبعت هذا القسم ، مع بقية غزليات الشاعر جميعها ، فلم أظفر بأسماء أشخاص تاريخيين إلا في ثلاث قطع منها ، تخلص في إحداها بمدح « سعد بن أبي بكر » والأخرى بمدح ابنه « محمد » والثالثة بمدح ابنته « نركان خاؤون » . وقد أشرنا إلى هذه القطع عند الحديث على صلة الشاعر بهؤلاء .

١٦ — البدائع : وتبلغ مائة وسبعاً وتسعين قطعة ، وموضوعها الغزل الصوفي كذلك . وقد رتبت في الكلّيات حسب خروف الهجاء ، يلتزم الشاعر في آخر

(١) الأستاذ علي دشتي في كتابه سايه ص ٩٦

كل قطعة ذكر تخلصه الشعرى على نمط الغزليات في الفارسية ، وقد افتتحت هذه المجموعة في كليات فروغى بهذه الغزلية العربية .

الحمد لله رب العالمين على ما در من نعمة ، عز اسمه وعلا
وهذه الغزليات أغلبها في حيز العشرة أبيات ، وقد تنقص حتى تبلغ أربعة
أبيات كالغزلية الدالية التي مطلعها :

زنده شود هر که بینش دوست بمیرد

كما لاحظنا أن إحدى الغزليات جاوزت العشرين كالغزلية الدالية التي مطلعها :
اینان مگر زرحمت محض آفریده اند
فبلغت ثلاثة وعشرين بيتاً .

ولكن هذا التخلف — إن كان نقصاً أو زيادة — نادر . أما الأعم الأغلب
من ذلك النوع فيقع حول عشرة أبيات .

وقد طبع هذا القسم المعروف بالبدايع مستقلاً ، ونشر نشرأ علمياً « بأوروبا »
ببرلين سنة ١٣٠٤ هـ . ش . تحت عنوان « بدائع سعدى الشيرازى » .

١٧ — الخواتيم : وعدد قطعها سبع وستون قطعة ، وموضوعها الغزل الصوفى .
كذلك ، ويبدو من اسمها أنها نظمت آخر ما نظم الشاعر من هذا اللون ،
وقد رتبت في الكليات كذلك حسب حروف الهجاء . وأولها قطعة في مدح
الذات الإلهية ومطلعها :

ثنا وحد بی بایان خدا را .

كذلك يلتزم الشاعر في نهاية كل قطعة منها إيراد تخلصه الشعرى ،
والقطعة الأخيرة من الخواتيم ، هي التي تردد وجودها في بعض نسخ
« النكستان » في المطلع . يحكى فيها الشاعر ما آل إليه العالم من اضطراب وقتن
مما حمله على الهجرة ، والرحيل ، وترك موطنه ، في قوله :

وجودم بتنگ آمد از جور تنگی

١٨ — الغزليات القديمة : وتبلغ ستة وثلاثين غزلية . وهي التي نص على أنها غزليات صراحة ، ووصفها بالقدم يوحى بأنها من أول ما أنشده الشاعر ، والقطعة الأولى منها مطلعها .

دل هر که صید کردی نکشد سر از کندت

١٩ — الصاحبيات : وهي قطع صغيرة ، يأنزم فيها الشاعر القافية في كل القطع ، فهي من نوع القصائد لكنها قصيرة ، تأتي أغلبها في بيتين ، وأول هذه المجموعة ، قطعة في بيتين يمدح فيها الرسول عليه السلام تحت عنوان . « درستایس پیغمبر » ثم تعقبها قطعة أخرى في مدحه كذلك ، في خمسة أبيات . وبعدها قطعة عربية يمدح فيها الصاحب الصدر الكبير ، والمقصود به « شمس الدين الجويني » ومطلع هذه القطعة .

ما هذه الدنيا بدار مغلد

وهذه القطعة ترد مباشرة بعد القطعتين الأوليين ، اللتين في مدح الرسول عليه السلام ، ومن هنا أمكن أن نربط بين تسمية هذه المجموعة « بالصاحبيات » ، وبين التعقيب بمدح الصاحب « شمس الدين الجويني » بعد مدح الرسول عليه السلام .

على أن هذه المجموعة يتكرر فيها مدائح أخرى ، قصيرة في أشخاص مجهولين وإن دلت على أن الممدوح أحياناً ملك أو أمير .

٢٠ — المثنويات : وترد على النظم المعروف بالمثنوى ، وكثير منها يرد في بيتين ومن بين هذه المجموعة ، قطعتان بعنوان « حكايت » الأولى مطلعها .

پیری آنسدر قبيله ما بسود که جهانديده سر ز عنفا بسود

وتمضى القصة فى تسعة عشر بيتاً ، على هذا اللون المعروف بالثنوى .

ومطلع الثانية :

الأكمر بختمند وهو شيارى بقول هوشمند ان گوش دارى
وتمضى القصة فى سبعة وثلاثين بيتاً ، وهذه المثنويات جميعها ذات مطالب
صوفية ، من لون مطالبه فى « البوستان » .

٢١ — القطعات : ويلتزم الشاعر فى هذا القسم القافية ، وإن لم تكن هذه
القطع طويلة كثيرة . فلا يتجاوز أطولها عشر أبيات ، وأغلبها فى بيتين أو ثلاثة .
وهى نصائح ، وحكم ، ومواعظ ، من أمثال ما جاء فى « البوستان » .

٢٢ — الرابعيات . وتبلغ مائة وأربعاً وثمانين رباعية . وهى فى النصيحة
والحكم .

وقد رتبت فى الكليات حسب حروف الهجاء ، ومطلعها الرباعية الآتية :
هر ساءتم اندرون بجوشد خون را واکاهى نيست مسسردم بيرون را
٢٣ — مفردات : وهى أبيات مختلفة الوزن والقافية ، وأغراضها مختلفة
كذلك . لا تربط بينها وحدة فى الوزن أو الموضوع .

* * *

وفى ختام هذا الفصل يعرض لنا هذا السؤال . أى هذه الألوان بدأها الشاعر
نثراً ونظماً ؟؟ وهل يمكن وضعها مرتبة من حيث الزمن ؟؟ .
أما الإجابة على السؤال الأول . فالألوان المنشورة عرف زمن بعضها من موضوعها ،
كالقطع التى تعرض لشخصيات تاريخية ، وبعضها الآخر مجهول الزمن ، لكنها على
أية حال كتبت بعد عودة الشاعر من رحلته الطويلة .
كذلك لا نستطيع أن نحدد بالضبط أى الألوان الشعرية بدأها الشاعر ؟؟

لكن دائرة المعارف الإسلامية، ترى أن قصائده وغزلياته على اختلافها — ما عدا الغزليات القديمة — نظمت كلها في أخريات حياته، كما ترى أن « الصاحبيات » قيلت في صاحب الديوان « شمس الدين الجويني » ولهذا سميت بالصاحبيات كما أن الطيبات عملت « لسلبوقشاه » آخر الأتابكة^(١).

اللغات التي كان يعرفها

أما اللغات التي كان يعرفها الشاعر، فلا تقطع بغير معرفته العربية، التي ثبت أن له فيها قصائد، وغزليات بحالها، تضمنتها كلياته. كذلك تظهر في قدرته على نظم النوع المسمى باللمعات.

ولكن « براون » يرى أنه عرف الأردوية كذلك، ويقول إنه عرفها إبان إقامته بالهند، ويذكر أنه عثر على عينات من الشعر في مخطوط تملكه الجمعية الآسيوية، ولكنه لم يستطع أن يقطع بنسبته إليه^(٢).

والواقع أننا لا نستطيع أن نتأكد من أن له شعراً بغير اللغتين الفارسية والعربية، وهما لغتا العالم الإسلامي الذي أمكن أن يطوف فيه، وأن يقيم طويلاً ببعض نواحيه، إقامة تمكنه من إتقان اللغة العربية، اللغة المشتركة بين المسلمين، فأمكنه التأليف بها.

(١) دائرة المعارف الإسلامية في موضوع سعدى الشيرازي.

(٢) G. Browne : A Literary His. of Persia v. 2, p. 539

الفصل العاشر

منزلة الشاعر ومطامته

ردد الكثيرون من الشعراء القدماء ورجال التاريخ والأدب أحكاماً عامة على الشاعر، لا بأس أن نشير إليها هنا. فمن المعاصرين له، الشاعر «همام التبريزي». وقد كان من مشاهير الغزليين في عصره، وصورنا سابقاً قصة لقائه هذا الشاعر في تبريز. وسواء أصبحت هذه القصة أم لم تصبح؟ فإن الشاعر «هماما» قد أثر له بيت من الشعر يصف فيه نفسه بالأجادة في النظم، لكنه لم يبلغ في إجادته ما بلغه «سعدى الشيرازي».

همام راسخن دلفريب وشيرين هست ولی چه سود که بیچاره نیست شیرازی (١)
ومن معاصريه أيضاً شاعر آخر مجيد يسمى «مجد همگر» يقول عن شعر «سعدى» إنه كالكعبة يؤمه كل الناس، كما يشبه فيض قلبه بزمزم.
أز سعدى مشهور سخن شعر روان جوی کو کعبه فضلست و دلش چشمت زمزم (٢)
وقد ظل الذين جاؤا بعده يفيضون كثيراً من ألوان التقدير له. وحتى «حافظ الشيرازي» — مواطنه والمشهود له — يجعل «سعدى» أستاذاً في جميع فنون الشعر، ليس في نظره — فحسب — بل في نظر جميع الناس وذلك من بيته.
أستاذ سخن سعدیست نزد همه کس اما دارد سخن حافظ طرز سخن خواجو (٣)
ومن جاؤا بعده، وأدرکوا أيامه الأخيرة، الأمير «خسرو الدهلوی». وقد صورنا

(١) الدكتور رضا زاده في تاريخ الأدب الفارسي ص ١٦٦ من النسخة المطولة

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٥

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٦

سابقاً مبلغ طموح هذا الأمير بأن يكون كـ « سعدى الشيرازى » .
ومن فنون الشعر ما يجعله بعضهم أسبق فيها من غيره ، بل أكثرهم لها إجادة ،
ذلك هو فن الغزل .

فيذكر « دولتشاه » أن أنبياء الشعر ثلاثة ، كل واحد أستاذ فى ناحية ، لا يجارىه
فيها غيره . هم « الفردوسى » فى القصص ، « والأنورى » فى القصائد ، « والسعدى »
فى الغزل .

در شعر سه تن پیمبراننسسند هر چند که لایبى بهسعدى
أوصاف وقصیده وغزل را فردوسى وأنورى وسعدى^(١)
يؤيد هذا ما يذكركه صاحب « حبيب السير » فيقول إن أحدا لم يبلغ ما بلغه
« سعدى » فى فن الغزل^(٢)

ويورد الأستاذ « الكركانى » فى مقدمته على « الكلستان » عن صاحب
تذكرة « شمع أنجمى » أن سعدى بلغ مكانه فى الغزل لم يدركها أحد قبله .
فقد ألبسه ثوباً جديداً ، وكأنما كانت غزلياته دواء للوهي ، ولهذا يعدون ديوانه
فى الغزل « ملاحه الشعراء »^(٣) .

وكذلك ينقل « روس » فى مقدمته على « الكلستان » قولاً « لـ إبراهيم
خان » « ينبغى أن يفهم أن سعدى أول من غرس الشجرة الأولى فى بستان
الغزل^(٤) » .

ويذكر « براون » فى مقارنة طويلة بين « حافظ وسعدى » كيف أن « حافظاً »
استمد كثيراً من الأفكار التى تضمنتها أشعار « سعدى » فى الكلستان ، والطيبات ،
والغزليات ، والبدايع . وينتهى من ذلك بأن « حافظاً » يعد مديناً إلى حد كبير
للشاعر « سعدى »^(٥) .

(١) دولتشاه — تذكرة الشعراء ص ١٠ (٢) حبيب السير ص ١٣٠

(٣) الكركانى — مقدمة الكلستان ص — يب .

(٤) Ross: Sadi's Gulistan p. 23

(٥) G. Browne : A Literary History of Pers. v, 2. p. 539

ويرى الأستاذ « آربرى » أن الشاعر الحق ، والكاتب المبدع هو الذى يجمع بين سمو الفكرة وطرافتها ، مع رقة العبارة وسلاستها ، ومن هنا كان السبب فى إعجاب الكثيرين من الفرنسيين « بسعدى » فقد أعجب به « ديدرو » وأطراه « فولتير » وأشادت به « مدام رولان » وقال عنه « رينان » إن « سعدى » فى الواقع واحد منا . كما قال عنه « باربييه دى منار » إننا نجد فيه ما يذكركمنا ببلاغة « هوراس » ورقة « أوفيد » وفصاحة « دى ريبالييه » وإنسانية « لافونتين » . ولهذا السبب أصبح الرجل — ذو الأسلوب البديع — أنموذجاً يحتذىه كل من يتعلم الفارسية^(١) .

ونختتم هذه الآراء بما سجله الأستاذ « على دشتى » سفير إيران حالياً بمصر فى مقال له عن مقارنة بين « سعدى وحافظ » نشره فى كتابه « سايه » وانتهى فيه إلى هذا القول .

« بر خلاف سعدى كه ملك سخن بر او مسلم است . سعدى رب النوع فصاحت وبلاغت است . خداوند زبان پارسی است ، اگر دعوى پیغمبرى میکرد . و معجز خود را کتاب بوستان و دیوان طیبات قرار میداد بى شبهه کس نمیتوانست این دعوى را رد بشکند ، کلیات شیخ بمنزله قرآن زبان پارسی است »^(٢) .

وترجمة هذه العبارة « وهذا على خلاف سعدى فان ملك الكلام قد سلم إليه ، فسعدى رب الفصاحة والبلاغة ، وهو رب الأدب الفارسي إذا ادعينا النبوة ، وإعجازه هو البوستان وديوان الطيبات ، ولا يستطيع إنسان أن ينقض هذه الدعوى ، فكلياته بمنزلة القرآن فى الفارسية ،

(١) Arberry : Kings & Beggars p. 15

(٢) انظر — سايه للأستاذ على دشتى . ص ٩٦

البَابُ الثَّالِثُ

ديوان «البوستان»

القسم الأول

دراسات تاريخية على «البوستان»

الفصل الأول

البوسنة أملة حوادث العصر وظروف الشاعر

لم يكن الدافع لهذا اللون من شعر البوسنة أمراً عرضياً ، رغب إليه الشاعر لمجرد الترويج عن النفس ، ولكنه كان استجابة لمجموعة من العوامل ، أحاطت بالشاعر ، فآثرت فيه ، فاستجاب لها ، فأنتج هذا اللون من الشعر الأخلاقي التعليمي .

وإذا رجعنا إلى الوراء قليلاً ، تبين لنا مما عرضنا له سابقاً أن هناك عوامل عامة أحاطت بالبيئة نفسها ، وظروفاً خاصة عاش فيها الشاعر نفسه ، فآثرت فيه هذه وتلك كما رأينا ، وأدت في النهاية إلى أن يسير في الاتجاه الذي رسمته له .

ويمكن رد هذه العوامل والظروف إلى أربعة أشياء .

١ — الأحداث السياسية العامة التي أحاطت بالبيئة الإسلامية إبان نشوئه ، وأصاب المجتمع الإسلامي بما أصيب به في أحداث المغول وفي أعقابها ، وما آل إليه هذا المجتمع من الانحلال والاضمحلال .

فرأينا أنه نفر من رؤية العالم مضطرباً ، كما يضطرب شعر الزنجي ، وأن الناس أخذ بعضهم برقاب بعض كالوحوش الكاسرة .

وتخلف عن هذه الأحداث التي أصابت البيئة الإسلامية ، مجتمع مريض تناوبته أمراض مختلفة ، فكان الشاعر أمام هذا المجتمع بمثابة الطبيب يعالج هذه الأمراض ، أو بمثابة المصلح الاجتماعي ، يرشد هذا المجتمع الجامع ، الذي أخذ يهيم في الحياة الجديدة ، يلتبس الدعاة ويتقرب المرشدين .

بل كان الشاعر بمثابة رسول أرسلته البيئة الإسلامية لإيقاظها مما أصابها
وأصاب المجتمع عامة .

وما رسالة الرسول؟؟ أليست لإصلاح مجتمع فاسد ، مثل ذلك المجتمع
الذي تناول تصويره أيضاً أديب ومؤرخ معاصر له — ممن شاهدوا كوارثه
وآثامه — ذلك هو « علاء الدين الجويني صاحب جهانگشای » . فقد صور
هذا العصر كذلك تصويراً يدل على مبلغ ما وصل إليه من الانحلال ، في عبارة
نأخذ منها قوله ، مستشهداً .

كم أردنا ذاك الزمان بمدح فشغلنا بدم هذا الزمان
وفي قوله ، مشيراً إلى مدى انقلاب الأوضاع الاجتماعية .

رأيتُ الدهر يرفع كل وَغْدٍ ويخفض كل ذى شِمْ شريفه
كمثل البحر يُفرق كل دُرٍّ ولا تنفك تطفو فيه جيفه
وفي قوله يمثل هذا الانقلاب .

« صار كل واحد من السوق ، في زى أهل الفسوق أميراً ، وكل حقير وزيراً ،
وكل جاهل كاتباً ، وكل شيطان نائب ديوان ، وكل خسيس رئيساً ، وكل
غادر قادراً »^(١) .

٢ — هذا من ناحية تأثير الحوادث العامة في الحياة الاجتماعية في ذلك العصر .
وقد ذكرنا آنفاً أن فارس وحدها اجتازت هذه المحنة في سلام ، وعاشت شبه
ناعمة في حياة دينية ، هيأها « سعد بن زنگي » ورعاها ابنه « أبو بكر » من بعده .
وقد أتينا في تصوير الحياة العلمية في عهد « أبي بكر » أنه كان محباً للعلوم الدينية ،
مشجعاً لها إلى حد بلغ كراهيته للعلوم الأخرى ، وبخاصة العلوم الفلسفية ، وكره
رجالها حتى أرغهم على الخروج من فارس .

(١) جهانگشای ج ١ ص ٥

كما أثبتنا من أقوال الشاعر نفسه ، مدى ما كانت تعيش فيه فارس من طائفة
ودعة ، مما جعله يشبهها في عهده بالحرم الآمن . كذلك رأينا من أقوال الشاعر
أن هذا الأمير ، كان محباً للعدل ، والجلود ، مهتماً برجال الدين ، ورعايتهم .
والحياة الخاصة نفسها التي سلكها الشاعر منذ طفولته على أيدي أبيه
وأسرته ، وفي نشأته على أيدي أساتذته ومرشديه ، ساهمت كذلك في توجيهه
إلى تلك الحياة الروحية الصوفية .

فقد تربي الشاعر تربية دينية كما رأينا ، وانحدر من أسرة لها مكاتبا
في العلوم الدينية ، وكان من شيوخه أحد مشاهير الصوفية الذين كان لهم تأثير كبير
في توجيهه ، وهو الشيخ « شهاب الدين السهروردي » . وكثيراً ما كان الشاعر
يتغنى — فيما بعد — ببعض رجال الصوفية من أبناء شيراز ، الذين كانت لهم مكانة
ممتازة بين رجال الدين والتصوف . ونخص بالذكر منهم الشيخ « روزبهان »
المتوفى سنة ٦٠٦ هـ والذي كان يجله « سعد بن زنگي » وابنه « أبو بكر » .
والشاعر يذكره في إحدى قطعه مقسماً به ، في قوله :

بذكر وفكر وعبادت بروح شيخ كبير بحق روزبهان وبحق پنج ممساز
والمراد بالشيخ الكبير هنا « أبو عبد الله الخفيف » أحد مشاهير الصوفية
المتوفى سنة ٣٣١ هـ .

كان لهذا كله أيضاً آثاره في تلوين حياة الشاعر وتكوينها ، بل في توجيهها
الوجهة التي سارت فيها ، وخصوصاً بعد أن عاد من رحلاته ، فوجد شيراز
تحت رعاية هذا الأمير ، وعاش في كنفه .

فلما استظل الشاعر بظل هذا العهد ، وشاهد تلك الروح الدينية التي كان يدعو
إليها الأمير « أبو بكر » رغب أن يساهم بنصيب في التوجيه إلى تلك الناحية
كذلك .

٤ — وكانت رحلاته الطويلة الشاقة . وانقطاعه عن موطنه مدة طويلة ،
وتعرضه لبيئات ، وشعوب وأخلاق وعادات متباينة ، كل ذلك هياً له دراسة
مستفيضة ، تلقى فيها مختلف الدروس ، في مختلف البيئات ، وعلى مختلف
الشخصيات ، فكسب بذلك خبرة نافعة قلما يظفر بها غيره .

ولم يرغب من ناحيته أن تكون هذه التجارب ، وتلك الخبرة وفقاً عليه
وحده ، بل أراد أن يلقي عصارتها إلى الناس ليستفيدوا منها ، فجعل من نفسه
المرشد ، وجعل من نفسه الأستاذ ، وجعل من نفسه المصلح ، يهيء للناس
سواء السبيل ، ويهديهم طريق الرشاد . فكان له هذا النوع من الشعر الأخلاقي
التعليمي ، الذي ربط بين سمو الفكرة ، وحكمة العبارة .

والشاعر في مقدمة كتابه « البوستان » يشير إلى ذلك تحت عنوان « سبب
نظم الكتاب » ويفتح القطعة بهذه الأبيات :

— لقد تجولت كثيراً في أنحاء العالم
وأمضيت — بين الناس — كثيراً من الأيام
— وتمتعت في كل ناحية من نواحيه
وحصلت من كل بيدر على سنبلة ^(١)
إلى أن يقول :

— لقد قلت لنفسى إنهم يأتون من مصر بالسكر
فماذا أحمل إلى الأحباب في عودتى ^(٢) ؟

(١) در اقصای عالم بگشتم بسی
تمتع زهر کوشه یا قم
بسر بردم ایام باهر کسی
زهر خرمی خوشه یاقم
مقاله ب ۹۹-۱۰۰ نسخه Graff
(٢) بدل گفتم از مصر فند آورند
بردوستان ار مغسانی برند =

— عدت آسفًا ! ! فإني من كل ذلك البوستان
أعود خالي اليد ، لا شيء فيها للأحباب
— لكنني قلت ، ولو أن يدك خلت مما تحمله
فإنك تملك الكلام ، والكلام عندك خير من السكر
— ليس هو ذلك السكر الذي يتناوله عامة الناس
بل هو السكر الذي يدونه أرباب المعاني »

نعم ! ! لم يكن هذا السكر ، سوى تلك النصائح القيمة ، التي كان يطويها
في قصصه ، فيلقها إلى الناس ، يعرض فيها للداء ، ويخفي فيها الدواء ، فهو مرشد
كما هو طبيب .

ولقد كرر الشاعر في كثير من المواطن ، مدى شعوره بالمرارة ، فيما يلقي
إلى الناس من هذه النصائح ، تلك النصائح التي يحدثك عنها بقوله :

« إذا كانت النصيحة بريئة من الغرض
فهى كدواء مر المذاق دافعة للمرض ^(١) »

وكثيراً ما كان السعدي يتخفف عن أتباعه مرارة هذه الأدوية في مثل قوله :
— إن المادحين لك ليسوا من أحبائك
وأصدقاؤك وحدهم هم الذين يطوون لك صادق الحب ^(٢)

== درينج آمدم زان همه بوستان تهی دست رقم سوی دوستان
مراگر تهی بود زان قند دست سخنهای شیرین تراز قند هست
نه قندی که مردم بصورت خورند که ارباب معنی بکاغد برنند
مقدمة ب ١٠٣ - ١٠٦ نسخة Graff

(١) نصيحت که خالی بود از غرض چو داروی تلخست ذفع مرض
. باب العدل ٥٨٨ نسخة Graff
(٢) ستایش سرایان نه یارتوانند نگویش کنان دو سندان توأند =

— ومن الخير أن يستمع الإنسان لسيرته من أعدائه
فعين الحبيب كـليـمة عن كل عيب
— أن إعطاء المريض سـكـرا وبال عليه
وإنما الذي يفيد ، أن تناوله دواء مرا »

هذا هو السكر الذي يشير إليه الشاعر ، وذلك هو الدواء الذي يعرضه لعلاج
تلك الأمراض .

ولعل الحياة الاجتماعية كانت في عهده أحوج ما تكون إلى مثل هذا السكر ،
الذي يشير إليه الشاعر ، ولعل هذا الانحلال الخلقى الذى ساد المجتمع ، ولعل هذا
التعطش إلى حياة صوفية تلجأ إلى الله ، وتقر إليه من أهوال تلك الحياة الدنيا
وأرزائها ، لعل — كل ذلك — جعل هذه الظروف أكثر مناسبة لإخراج هذا
اللون من الشعر التعليمى الأخلاقى .

عرض فيه الشاعر لإهداء النفوس الضالة ، وإرشاد الأرواح الحائرة ، وإقرار
الضماير القلقة . والشاعر نفسه يدرك أن علاج هذه الأمور ، لا بد لها من جرأة
في بعضها .

فأما جرأته فتبدو في كثير من مواقفه مع الأمير الذى كان يحكم فارس في عهده :

— « يا سعدى ! لا تسلك طريق التكلف
فإن كنت صادقاً ، فهلم ، وتعال ! ^(١) »

هر آنچ از تو آید بچشمش نکوست
که داروی تلخش بود سود مند
باب العدل ب ٧٤٩ — ٧٥١ نسخة Graff

= زدشمن شنو سیرت خود که دوست
وبالست دادن برنجور قنسسند

(١) براه تکلف مرو سسعدیا اگر صدق دارى ییار و ییسا =

— إنك لتعرف الطريق والمليك خلفك سالك لها
وإنك لتنشد الحقائق ، والمليك سميع لها »

وكان لابد له أن يتجرد كذلك من الهوى ، ومن الحاجة ، وأن يترفع
في مطالبه ومقاصده ، حتى يكون شجاعاً ، مقداماً ، في نصائحه الملوك والعظماء .
وكيف يتسنى له أن يجعل من نفسه مرشداً ، أو ناصحاً ، ما لم يكن شجاعاً .
يقول عن نفسه :

— « يا سعدى ! لقد تشجعت في القول ،
وما دام السيف بيدك ، فتولّ به الفتح
— وقل كل ما تعرفه ، فمن الخير أن تقول الحق ،
فلسـت مرشـيـاً ولا مرأيـاً .
— إن الطمع قيد ، فاقطع بحكمتك هذا القيد
واقض على الطمع ، وقل كل ما تريد ^(١) » .

وهكذا مضى الشاعر يحمل بيده القلم ، ولسانه النصائح ، وتحلل من كل
أعراض الدنيا ، ووهب نفسه لإصلاح هذا المجتمع ، وجعل طريق هذا الإصلاح
كتابه « البوستان » .

= تو منزل شناسی وشه راه رو تو حقگوی وخسرو حقایق شنو
باب العدل ب ٥ — ٦ نسخة Graff

(١) دلیر آمدی سعیدیا در سخن چو تیغت بد مست فتحی بکن
بگوآنچه دانی که حق گفته به نه رشوت ستانی ونه عشوه ده
طمع بند ودفتر زحمت بشوی طمع بگسل وهرچه خواهی بگوی
باب العدل ب ٣٢٥ — ٣٢٧ نسخة Graff

الفصل الثاني

هل لاه الكتاب - سمي البوستان أولا ؟

أثبت الأستاذ «القزويني» في الفصل الذي كتبه «ممدوحين شيخ سعدى» صفحة مأخوذة على ورقة بالفوستات عن مخطوطة في متحف لندن كتابتها سنة ٧٢٠ هـ كتب تحتها بالخط المطبوع هذه العبارة :

« نسخة ككستان وبستان موزة لندن تاريخ كتابت ٧٢٠ هـ » وهي بعد ورقتين — بالفوستات أيضاً — في مواجهة صفحة ١٢٢ من كتاب «سعدى نامه» . وهذه الصفحة هي آخر الباب العاشر من «البستان» وقد كتب تحت آخر بيت من الباب الأخير « باب المناجاة » ، هذه العبارة « وقد فرغ من الانتساخ هذه^(١) الكتاب » وهي مكتوبة بخط الثلث بقلم عريض . وفي شبه زاوية لثلث كتب تحت هذه العبارة عبارة أخرى بالخط النسخ الرفيع . تبدأ بهذه الكلمات « يعرف بالسعدى نامه في شهر صفر » وذلك في السطر الأول من تلك العبارة . كما يذكر الأستاذ «الكرگانی» في مقدمته على الككستان أن إحدى النسخ الخطية للبستان المؤرخة سنة ٨٤٨ هـ كتب في نهايتها هذه العبارة « فرغ من تحرير هذه الكتاب سعدى نامه^(٢) » .

ولكن الأستاذ «تويسركانی» يذكر أن هناك بيتاً يرد في مقدمة إحدى النسخ القديمة يصرح باسم الكتاب بأنه « بستان » وذلك في قوله :

(١) وردت العبارة هنا بتأنيث كلمة كتاب كالعبارة الآتية في الككستان أيضاً .

(٢) الككرگانی — مقدمة الككستان ص — ق

زهرتماشا گه دوستان كتابى است نام خوشش بوستان (١)
ومعناه : « من أجل نزهة للأحباب ، نظمت هذا الكتاب ، وسميته
البوستان » .

فإذا صح هذا ، فهو يفصل في الموضوع إلى حد كبير .
وفي النسخ المتداولة نفسها كثير من الأبيات ، يرد فيها ذكر لكلمة
« بوستان » ، وإن كان استخدامها ليس في الدلالة على اسم الكتاب ، ولكن
على ما يحويه . ومنها :

دريغ آمدم زانهمه بوستان تهيدست رقتم سوى دوستان
وفي قوله :

گل آورد سعدى سوى بوستان بشوخی وقلقل بهند وستان
ففي البيت الأول يأسف لأنه عاد من كل ذلك البوستان — البلاد التي رحل
إليها — خالي اليد إلى أصدقائه .

وفي البيت الثاني جاء يحمل الورد إلى البوستان . فما جاء به لقيمة له .
وهذا تواضع منه في أن ما نظمه ، ليس موضع فخر ولا إعجاب ، فهو
من قبيل التواضع .

ولكن مدلول البيتين يوحى بأن كتابه هذا شبيه بالبوستان ، فيه كثير من
الورد وكثير من الشذى ، وفيه ما يرضى الأصدقاء .

ومن المعروف أن الشاعر نظم هذا الكتاب قبل أن يؤلف كتابه الآخر
« الكلستان » فلعله أطلق عليه أولا « سعدى نامه » . فلما أنشأ كتابه الثاني
وسماه « الكلستان » ، من المحتمل أن يكون قد أتجه إلى تعديل اسم الكتاب
الأول ، فيما كتبه من النسخ الأخيرة . أو أن النساخ — فيما بعد — قصدوا

(١) سخن سعدى ص ٣٥ .

إلى المجانسة بين الاثنين فكان الأول « بوستان » والثاني « گلستان » ، ثم غلبت تسمية « بوستان » على « سعدي نامه » بمضى الزمن حتى صارت علماً على هذا الكتاب ، وأغفل الناس أمر التسمية الأولى .

أما في أى الأوقات نظم هذا الكتاب ؟ وهل تم نظمه على دفعة واحدة أم على دفعات ؟ فكل هذا لا يستطيع القطع به ، ولكننا نرى الشاعر يقول في يتيه الآتين ، إنه أتم الكتاب سنة ٦٥٥ هـ بين عيدين من الأعياد .

بروز همايون وسال سعید بتاریخ فرخ میمان دو عید
ز ششصد فزون بود پنجاه و پنج که پردرشد این نام بردار گنج

وهذا كل ما يصرح به الشاعر . ورأينا من المحدثين وعلى رأسهم الأستاذ القزويني ، يرى أن الكتاب وردت فيه نصوص تحدث إشكالا من حيث أوقات نظمه . ثم يرى أنه عمل على أكثر من دفعة . قدمت النسخة الأولى إلى « أبي بكر » خلال حياته . ثم أضيفت إليه أجزاء أخرى ، كان من بينها — كما يقول — القطعة التي يمتدح فيها الأمير « محمداً شاه بن سعد بن أبي بكر » . وقد ترددنا في صحة إسناد هذه القطعة إلى هذا الأمير ، ورأينا أنها أصلح لأن تكون في أبيه « سعد بن أبي بكر » . ولكن ذلك لا يمنع من أن تكتب نسخ أخرى بعد حياة أبي بكر ، وتضاف فيها بعض قطع ، أو بعض أبيات ، أو تحذف منها بعض قطع ، أو بعض أبيات ، ما دامت حياة الشاعر نفسه قد امتدت بعد كتابة النسخة الأولى سنة ٦٥٥ هـ حتى سنة ٦٩١ هـ .

كذلك لا يبعد أن يكون الكثير من النسخ التي عملت بعد حياته ، قد لعبت فيها أيدي النساخ أو الرواة ، قصداً أو سهواً ، فكل هذا ممكن وجائز . ومن الصعب إدراكه بسهولة ، إلا ما يتعلق بأشخاص تاريخيين ، كما رأينا ذلك في القطعة التي ناقشناها سابقاً وأثبتنا صحة إسنادها إلى الأمير سعد بن أبي بكر .

لن قدم هذا البوستان ؟

لا يمكن القطع من كلام الشاعر بأنه قدم الكتاب — فعلا — للأمير « أبي بكر » حاكم الإمارة ، فالشاعر نفسه لم ترد عنه عبارة صريحة في هذا . كما أنه قد مدح هذا الأمير وابنه في أول كتابه هذا . وبينما يرد نص في كتابه « الكلستان » يفهم منه تقديمه إلى الأمير « سعد بن أبي بكر » في قوله :
على الخصوص كه ديباجه هما يولش بنام سعد أبو بكر سعد بن زنگيست
لا يوجد في الكتاب الأول « البوستان » إشارة إلى تقديمه إلى « أبي بكر »
لكن الأوضاع التي قدم فيها هذا الكتاب ، ووجود حاكم على الإمارة
تمدحه الشاعر في مقدمته ، وجعل الباب الأول من كتابه هذا ينطوي
في — أغلب قصصه — على نصائح يتجه فيها إلى هذا الأمير في إدارة دفة ملكه
— مما سنعرض له — ، كل هذا بالإضافة إلى ترديد اسم هذا الحاكم
في كثير من القطع من هذا الكتاب ، يؤيد — إلى حد كبير — تقديمه باسم
هذا الحاكم

الفصل الثالث

البوستانه بين المتنويات

شاع في الأدب الفارسي منذ ظهوره ، النوع المعروف « بالمتنوى » تمضى المنظومة فيه على بحر واحد ، مختلف القافية لكنها تتفق في شطرتي البيت الواحد . وقد استخدم الشعراء الفرس ، هذا النوع في آدابهم — في مختلف اتجاهاتها — منذ القدم . ذلك لأنه يسعف الشاعر كثيراً بأن ينظم ما شاء له النظم ، مادام لا يلتزم قافية محدودة ، ولهذا ظهرت فيه مطولات كثيرة في مختلف النواحي . ويمكن أن نقسم المتنويات ، التي ظهرت في الأدب الفارسي ، من حيث تناولها للموضوع ، أو علاجها لموضوع بذاته ، إلى ثلاثة أقسام هي :

- ١ — المتنويات في الموضوعات التاريخية .
- ٢ — المتنويات في الموضوعات الصوفية .
- ٣ — المتنويات في الموضوعات التعليمية .

أولاً — المتنويات التاريخية :

فأما المتنويات في الموضوعات التاريخية، فقصدها نظم بعض حوادث التاريخ ، أو عصوره ، وقد بكر هذا اللون مع ظهور الشعر الفارسي . ففي العصر الساماني ، في القرن الثالث الهجري ، ظهر شاعر يسمى « أبو المؤيد البلخي » . كان من طلائع الذين نظموا القصص التاريخية باسم « الشاهنامه » . فكان ممن سبقوا الفردوسي فيها .

وفي العصر الغزنوي مضى هذا اللون من النظم ، فظهر على يد « الدقيقى » ،
 إذ نظم بعض حوادث التاريخ وهى قصة « گشتاسب » فى ألف بيت .
 فإذا كان « الفردوسى » فقد بلغ بهذا اللون من النظم أعلى درجاته ، فنظم هذه
 الملحمة الكبرى ، التى عرفت باسم « الشاهنامه » وتبلغ حسب بعض الآراء ستين
 ألف بيت . وتعد أقصى ما بلغه الفن القصصى التاريخى فى الأدب الفارسى ، من
 حيث الإجابة ، والإتيقان والشهرة ، وكانت — فيما بعد — مثاراً للتقليد ممن جاءوا
 بعد صاحبها . فقد رأينا كثيراً من الشعراء ينظمون القصص التاريخى عن أفراد .
 حتى كان « حمد الله المستوفى » فنظم حوادث التاريخ فى كتابه « ظفر نامه »
 فى خمسة وسبعين ألف بيت . لكن لم تكن للكتب التى سبقت الفردوسى ،
 أو التى جاءت بعده ، شهرة شاهنامته ، أو مكانتها فى الأدب الفارسى . فظل هو
 أكبر شاعر للملاحم فى ذلك الأدب ، لم ينزع مكانته أحد بعده حتى الآن .

ثانياً — المثنويات الصوفية :

وقد بكرت هذه أيضاً ، منذ ظهر الشعر الفارسى وكان من طلائع شعراء
 المثنويات الصوفية « أبوشكور البلخى » . عاش فى صدر العهد السامانى ،
 وتنسب إليه منظومة صوفية تسمى « آفرين نامه » ألفها سنة ٣٣٦ هـ .
 ثم « أبو المؤيد البلخى » وقلت عنه سابقاً إنه تقدم « الفردوسى » فى نظم
 بعض قصص الشاهنامه . كذلك قد سبقه أيضاً ، فى نظم قصة صوفية دينية أخرى
 هى قصة « يوسف وزليخا » ، وبهذا يشير الفردوسى :

مر ابن قصه را بارسى کرده اند بدودر معانى بگسترده انسند
 يکى بو المؤيد که از بلخ بسود بدانش همه خویشان را مستود

ثم جاء « العنصرى » ، فى العصر الغزنوى ، فنظم قصصاً مثنوية أخرى ،
 بعضها صوفى ، وبعضها غير صوفى ، ومن بينها قصة « وامق والعذراء »
 و « سرخ بت » و « خنك بت » و « عين الحياة » .

وجاء الفردوسي فنظم قصة « يوسف وزليخا » بعد انتهائه من نظم الشاهنامه
تكفيراً له على نظمه قصص التاريخ الإيراني المجوسي .

فلما جاء العصر السلجوقي ، وكانت تتجلى فيه الروح الصوفية ، ظهر من رجال
التصوف «بابا طاهر» و «أبو سعيد بن أبي الخير» . ولكن الشخصية الصوفية ، التي
غذت الروح الصوفية ، بكثير من قصصها في هذا العصر وبالكثير من اتجاهاتها ،
هي شخصية « السنائي » ، وكانت منظوماته كلها صوفية ، ومن بينها « حديقة
الحقائق » و « طريق التحقيق » و « سير العباد إلى الميعاد » . وتروى له مثويات
أخرى هي « عشق نامه » و « عقل نامه » و « غفو نامه » .

وفي أخريات هذا العصر ظهرت شخصية صوفية أخرى ، من أعظم
الشخصيات . ذلك هو « العطار » . نظم عدة منظومات تشرح عقائدهم ،
وتبسط أحوالهم ومقاماتهم ، وأكثر من هذا اللون الصوفي . ومن كتبه الصوفية
« منطق الطير » و « إلهي نامه » و « أسرار نامه » و « مظهر العجائب »
و « لسان الغيب » .

فلما كان عصر المغول ظهر أكبر شاعر صوفي ، في المنظومات المثنوية ، ذلك
هو « جلال الدين الرومي » في « المثنوى المعنوي » .

وقد اعترف جلال الدين بمنزلة أهم الشعراء الصوفيين قبله ، وهما « السنائي »
و « العطار » في قوله .

عطار روح بود و سنائی دو چشم او ما از پی سنائی و عطار آمدم
وفي قوله مشيراً إلى العطار :

هفت شهر عشق را عطار گشت ماهنوز اندر خم يك كوچه ایم
لكن مكانة جلال الدين في الأدب الصوفي ، لاتدانيها مكانة أخرى ،
بين شعراء القرس بفضل « المثنوى المعنوي » .

ثالثاً — المثنويات التعليمية :

وهذا اللون من المثنويات ظهر أيضاً منذ القدم . ظهر عند « الرودكى » الشاعر السامانى ، فى نظمه لقصة « كلية ودمنة » . ثم مضى فى العصر السلجوقى فظهرت شخصية عرضنا لها سابقاً ، جمعت بين اللونين الصوفى العام ، والصوفى التعليمى . ذلك هو « السنائى » فكان — كما أسلفنا — من أصحاب المثنويات الصوفية . وهو يجوار ذلك من رجال المثنويات التعليمية .

وكتابه التعليمى هو الكتاب المشهور بين مؤلفاته والمعروف « بحديقة الحقائق » . وقد قدم هذا الكتاب إلى السلطان « بهرام شاه » السلجوقى . وقسم هذا الكتاب إلى عشرة أبواب .

فلما كان عصر المغول ، العصر الذى نشأ فيه « سعدى » كانت حاجة المجتمع إلى هذا اللون أسد ، وكانت الفكرة أطوع وأنظم ، وكانت حساسية الشاعر بالحاجة إلى هذا اللون شديدة ، فأخذ ينظم كتابه « البوستان » . وكان كتابه خير كتاب تعليمى أخلاقى ظهر فى الأدب الفارسى .

ويبدو أن « السعدى » بدأ يقلد « السنائى » فجعل كتابه على عشرة أبواب كذلك ، ولعله تأثر به فى الفكرة ، والاتجاه ، فقلده فىهما . لكنه عالج الموضوع بطريقة انحصار ، التى كانت فيها روحاً ، وحياة ، مما جعلت كتابه « البوستان » أكثر مورداً من « حديقة السنائى » وجعلت شهرته بين شعراء الفرس الأخلاقيين ، تأخذ المكانة الأولى .

وبهذا وصفته دائرة المعارف البريطانية فقالت : « إنه أكبر شاعر أخلاقى ظهر فى فارس ^(١) » .

(١) انظر ترجمة الشاعر فى دائرة المعارف البريطانية . وقد اعتمدنا فى كتابة هذا الفصل على كتاب تاريخ أدبيات إيران للدكتور رضا زاده شفق . وما كنب فى مجلة مهر للاستاذ تربيت العدد ٨ — ١١ السنة الخامسة بعنوان « مثنوى ومثنوى گويان » .

الفصل الرابع

وصف أهم النسخ الموجودة من البهستانه

رجعتُ في هذا إلى ما سجل بمكتبة الجامعة من المخطوطات ، والمطبوعات .
وهي من هذه الناحية أغنى المكتبات الموجودة بمصر .
وقد تخيرت من المخطوطات أتمها ، وأجودها ، وأبعدها قدماً ، ثم تخيرت
نسخة من طبعات كل من إيران ، والهند ، وتركيا ، وأوروبا ، ونسخة المرحوم
محمد علي فروغى ، التي نشرت حديثاً بإيران .
وآخذ الآن في وصف هذه النسخ .

١ — النسخة المخطوطة : هي أقدم النسخ كما قلت ، وأحسنها عناية ،
وتبويباً ، ووضوحاً ، وأجودها خطأً . فضلاً عن أنها كاملة النص ، سليمة .
وقد كتبت على ورق جيد مصقول والنسخة بمكتبة الجامعة تحت رقم ٤٦٤ فارسى .
وأما كاتبها فهو « محمد بن جعفر الروشنى الشيروى » . انتهى من كتابتها
أواخر شهر رمضان المبارك سنة ٩٧٨ هـ .

وتقع هذه النسخة في مائة وخمسين ورقة ، مكتوبة بالخط الفارسى الواضح ،
وتحدد القطع فيها بفواصل ذات خطين بالمداد الأحمر ، بينهما عنوان القطعة
أو الباب بنفس المداد .

وبهامشها وداخلها شروح بالفارسية ، بخط فارسى رفيع ، وحجم غلاف
الكتاب ١٧ سم طولاً ، في ١١ سم عرضاً ، أما أبعاد الإطار الداخلى ، الموجود فيه
النص ، فيقع في ١١ ١/٢ سم طولاً ، في ٦ سم عرضاً .



صورة للسلطان « ابو الغازي حسين بقرا » من امراء آل نيمور
يجلس ومعه بعض رجال الحاشية ، تصوير بهراد : عن النسخة
الخطية من البوسنان ص ٢ بدار الكتب

٢ — نسخة إيران : ولم نعثر على نسخة مستقلة من «البوستان» طبعت في إيران قديماً أو حديثاً ، وكل ما طبع منه كان ضمن الكليات .

وتخيرت منها — بعد مقابلتها — نسخة بالحجر أخذت في تبريز « دار السلطنة » في عهد السلطان « محمد شاه غازي » وتم طبعها سنة ١٢٥٨ هـ .

وهذه النسخة أقدم النسخ الموجودة طباعة ، فضلاً عن أنها أحسن خطأ . لكن لا توجد بها هوامش أو شروح ، وليس بداخلها فواصل . فهي تضع العنوان وسط الصفحة بالخط الفارسي الكبير بين الأبيات ، وقد يصعب أحياناً تمييز بدء القطعة ، نظراً لأن العنوان يقابل عدة سطور في النسخة .

وكان طبع هذه الكليات بإشراف « محمد تقى الحسني الحسيني » والنسخة بمكتبة الجامعة تحت رقم ٥٨٠ فارسي .

٣ — نسخة الهند : وفي الهند طبع « البوستان » كثيراً — منفصلاً وداخل كليات — وطبعه منفصلاً أجود ، وأوفى . وبعضها به كثير من الشرح ، وفهارس ، ومعاجم للألفاظ .

وطبعات الهند تتفق كلها في عدد القطع ، وعنوانها ، ومطلعها . وقد تخيرت منها أوفاهها ، وهي طبعة ظهرت في ذي القعدة سنة ١٣١٨ هـ — سنة ١٠٩١ م في مدينة « كامبور » وهذه النسخة بها شروح على الهامش بالفارسية ، تدور حول الصفحة في صفين متوازيين ، وفي آخرها معجم مبوب حسب الحروف الأبجدية ، وموضوعة بالمكتبة تحت رقم ١٢٥٩٢ بالقسم العربي .

٤ — نسخة تركيا : طبع الكتاب في تركيا طبعة مشروحة باللغة التركية . شرحت الألفاظ في البيت ثم ينتهي الشرح بالمعنى العام له .

وهذا الشرح هو شرح « سُودِي البوسنوي » المتوفى سنة ١٠٠٠ هـ . ويقع في جزئين في مجلد واحد ، يتضمن الجزء الأول شروح القطع الأولى من مقدمات

الكتاب مضافاً إليها شروح أبواب العدل ، والإحسان ، والعشق . والجزء الثانى فى شرح بقية الأبواب .

وهذا الشرح أحسن الشروح وأوفاهها . فلم يشرح «البوستان» فى لغة أخرى شرحاً وافياً مفصلاً دقيقاً كشرح «سودى» .

ويشير صاحب «كشف الظنون» إلى أن الأتراك اهتموا بشرح «البوستان» ولكن شرح «سودى» أحسن الشروح ، وأبسطها ، وأقربها إلى التحقيق . والنسخة التى اعتمدنا عليها فى مكتبة الجامعة تحت رقم ٣٣٩٢ تركى .

٥ — نسخة أوروبا : فى سنة ١٨٥٨ م نشر «جراف Graff» طبعة للبوستان عن نسخة «سُرورى»^(١) طبعها فى «فينا» وقدمها إلى أمير «ساكس» وكتب لها مقدمة مختصرة بالفرنسية وهى نسخة محققة ، جيدة صحيحة ، ليس بها تحريف أو سقط . كما أنها تشير إلى الخلافات بينها وبين النسخ الأخرى التى قوبلت بها .

ومن محاسنها أنها أثبتت النص فى أعلى الصفحة ، وجعلت الجزء الباقى منها فى بيان معانى المفردات ، دون شرح للبيت نفسه . ومن محاسنها كذلك أنها ترقم الباب كله مبتدئة بالعدد واحد حتى نهاية الباب . فمن السهل معرفة البيت بسهولة . كذلك جعل فى آخرها ثبنا للكلمات الصعبة ، التى أشار إليها خلال الشرح مبيناً صفحاتها التى وردت فيها .

لكنها بجانب ذلك لا تضع عناوين القصص فى مطلعها ، بل جعلتها آخر الكتاب بجانب الفهرس . كما أنها اختصرت عدد القصص ، وأدجت الكثير منها فى بعضها . والنسخة موجودة بمكتبة الجامعة رقم ١٢٥٩٠ بالقسم العربى .

(١) شارح تركى آخر معاصر للشارح سودى .

٦ - نسخة فروغى : هى نسخة للكليات جميعها ، صدرت بطهران
أخيراً سنة ١٣٢١ هـ . ش . تحت إشراف المرحوم « محمد على فروغى » . نشرتها
شركة التضامن العلمية ، وقد أشرنا إلى أن هذه النسخة أخذت عن مخطوطة
« على بن أحمد اليستونى » التى جمعها سنة ٧٢٦ هـ . وأعاد تنظيمها وتبويبها
سنة ٧٣٤ هـ .

لكن هذه النسخة لم تنشر نشرأ علمياً ، كما ينبغي ، فقيها الكثير من الأخطاء
المطبعية ، وليس لهذه الأخطاء مرجع فى الآخر ، كما أنها مجرد نص لا يقوم
على مقارنة ، أو مقابلة بغيرها من النسخ التى سبق طبعها ونشرها ، ولهذا تضعف
الثقة بها كما أشار إلى ذلك الأستاذ « آر برى » ^(١) .

أما طريق النسخة فى البوستان فإنها أجملت القصص التى تعتبر استطراذية
داخل القصة ، وجعلت عنوان القصص كلمة « حكايت » . وخلال بعض القصص
تضع فواصل من نجوم ثلاث ، وهذه ظاهرة لم توجد فى أية نسخة من النسخ التى
ذكرناها سابقاً .

ولسنا ندرى هل هذه الفواصل موجودة فى نسخة الأصل أم أنها من عمل
الناشر . ؟ ؟ وبعض هذه الفواصل تحدد أحيانا بيتاً واحداً إذا ما انتقل الشاعر
إلى معنى جديد فى داخل القصة ، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن ذلك من عمل الناشر .
فلا تنتقل عند الشاعر داخل الحكاية من فكرة إلى فكرة لا يقتضى الفصل ما دامت
فى مجموعها تتصل بموضوع واحد .

وقد اعتمدنا على هذه النسخة عند الإشارة إلى الاستشهادات المختلفة من
القصائد أو المراثى أو غيرها من مؤلفات الشاعر غير « البوستان » .

(١) Arderry : Kings & Beggars p. 23

أما استشهادات « البومستان » فلكي نطمئن على صحة رواية البيت راجعنا
في هذه النسخة ، ونسخة جراف ، ثم حددنا موضعه في النسخة الأخيرة واتخذناها
مرجعاً لصحتها ودقتها .

ومن المعروف أن الكتاب ينقسم إلى مقدمة ، تحتوى بعض القطع في مدح
الذات الإلهية ، والرسول عليه السلام ، ومدح أمير فارس أبي بكر ، وابنه ولي العهد ،
وبينها قطعة في سبب نظم الكتاب . وبعد هذا يتضمن عشرة أبواب على الترتيب
الذى يظهر في الجدول الآتى :

ونحن نضع أمامنا مقابلة بين هذه النسخ من حيث عدد القطع في كل منها .

الأبواب	النسخة الخطية	نسخة إيران	نسخة الهند	نسخة سودى	نسخة Graff	نسخة فروغى
المقدمة	٥	٥	٥	٦	٥	٥
١ — باب العدل	٥٣	٥٢	٥٤	٥٦	٢٤	٢٠
٢ — باب الإحسان	٣٦	٣٦	٣٥	٣٦	١٦	٢٤
٣ — باب العشق	٣١	٣٠	٢٨	٣١	٢٢	٢١
٤ — باب التواضع	٣٠	٣١	٣٠	٣١	٢٧	٢٧
٥ — باب الرضا	١٧	١٥	١٦	١٧	٨	١٣
٦ — باب القناعة	١٥	١٤	١٦	١٦	٦	١٤
٧ — باب التريية	٣٤	٣٣	٣٤	٣٤	١٢	٢١
٨ — باب الشكر	١٦	١٦	١٦	١٧	٨	٩
٩ — باب التوبة	٢٥	٢٣	٢٣	٢٥	١٣	١٩
١٠ — باب المناجاة	٦	٦	٦	٦	—	٤

الفروق بين النسخ :

لا خلاف بين النسخ المختلفة في عدد أبواب الكتاب . فهذا التقسيم راجع إلى عمل الشاعر نفسه . لكن الخلاف يبدو — كما رأينا — في عدد القطع ، مما يشعر أن هذا التفاوت جاء من طريق النساخ والرواة .

والظاهر أن الشاعر نفسه كان لا يعنيه كثيراً وضع الحدود بين القصة والقصة ، فأحياناً تكون الفكرة مبهمه ، أو الحادثة نادرة الوقوع ، فيحتاج الأمر إلى إيراد قصة أخرى للإيضاح ، أو للتدليل على إمكان الوقوع . كما أنه كثيراً ما يعقب على القصة ، أو يطوى فيها مثلاً من الأمثال ، أو حكمة من الحكم ، ليؤكد المعنى في ذهن السامع . ومن هنا اضطرب النساخ والرواة في تحديد بعض القصص ، وأحياناً في عدد الأبيات .

والنسخ التي عرضنا لها يتضح منها مدى الخلاف بينها في العدد من ناحية القطع . وهذا الخلاف ليس ظاهراً كثيراً بين النسخ وبعضها ، إلا فيما بينها وبين نسختي جراف وفروغى .

ومرد هذا الخلاف ، أن القطع التي تعتبر عرضية ، أو من قبيل المثل أو النصيحة ، جعلت متصلة بالقصة الأصلية ، مرتبطة معها في الفكرة . أما الذين توسعوا في عدد القصص ، فقد رأوا في كل انتقال جديد مقومات القصة ، فاعتبروها قائمة بذاتها ، وكان ذلك هو الأعم الأغلب . ومن هنا يمكن لنا أن نطلق كلمة قطعة على جميع قطع الكتاب بدل أن نطلق كلمة قصة ، وذلك لعموم الأولى في الدلالة ، وليمكن إدخال قطع المقدمة ، فهي ليست قصصاً .

ويمكن أن نوضح أسباب الخلاف بين النسخ ببعض أمثلة :

١ — من حيث التشقيق ، في القصة بقصة أخرى ، يمكن أن نتخذ مثلاً على ذلك ، قصة تدور حوادثها حول « عمر بن عبد العزيز » وشفقته على الرعية .

تبلغ في «جراف» خمسة وعشرين بيتاً ، تبدأ من رقم ٣٣٤ إلى رقم ٣٥٨ دون فاصلة :
 لكن نسخة سودى تجعلها قطعتين ، والمطلع واحد في النسختين وهو :
 بکی از بز رگان اهل تمسيز حکایت کند ز ابن عبد العزیز
 تجعلها نسخة سودى في سبعة عشر بيتاً ، تنتهي عند هذا البيت :
 کس از فتنه در پارس دیگر نشان نبیند مگر قامت مهو شمسسان
 ثم تشق من هذه القصة قصة أخرى تحت عنوان « حکایت » يتحدث
 فيها عن ذى وجه قمرى ، ممشوق القوام كأنه السرور . فالبيت السابق
 وهو الأخير في القسم الأول ، كان في الحديث عن الفتنة ، فآخذ هذا وسيلة
 عند « سودى » ومن جرى مجراه في التقسيم ، لفصل القصة عن بعضها
 وإن كانت القطعة الثانية في إظهار المعنى الذى تضمنه البيت الأخير وتوكيده ،
 انتقل إليه الشاعر استطراداً . ومن هنا آخذ النساخ هذا الانتقال وسيلة لفصل
 القصة عن بعضها .

٢ — ومن حيث اتساع القصة ، بأمثال أو نصائح ، نأخذ لهذا قصة في « باب
 العدل » مطلعها :

زدریای عمان بر آسند کسی سفر کرده دریا وهامون بسی
 تنفق نسخة « سودى » مع « جراف » في المطلع ، وتختلفان في العدد ،
 فعدد الأبيات عند « جراف » مائة وأربعة وأربعون بيتاً ، تبدأ بالبيت رقم ١٢٢
 وتنتهى عند ٢٦١

أما نسخة « سودى » فتفصل القصة عند البيت ٢٠٨ ، وتجعله مطلعاً لقطعة
 جديدة تحت كلمة « تمثيل » ، وهو :

ندا نم کجا دیدام در کتساب که ابلیس را دید شخصی بخواب
 وتتفق معها النسخة المخطوطة ، ونسخة الهند ، مع اختلاف في المطلع .

أما نسخة « تبريز » فتجعل القسم الأول من نسخة « سودى » يتضمن ثلاث قطع ، تضع الثانية منها تحت كلمة « مثل » وهى فى ثلاثة أبيات تبدأ بالبيت :
بخرده توان آتش آفر و ختسه پس آنكه درخت كهن مسبوخته
ثم قطعة أخرى بعد الأبيات الثلاثة ، تحت عنوان « پند » أى نصيحة ،
وتختتم هذه القطعة عند البيت الذى أشرنا إليه فى نسخة « سودى » .
ندانم كجا ديدہ ام در كتاب البيت .

فالقطة الواحدة — كما شاهدنا عند « جراف » — احتملت قطعتين عند « سودى » بعنوان « تمثيل » للثانية ، واحتمل النصف الأول عند « سودى » ثلاث قطع فى نسخة « تبريز » كانت الثانية تحت عنوان « مثل » والثالثة بعنوان « پند » .

ومن هنا كان مصدر الكثرة فى عدد القصص عند البعض ، وقلتها عند الآخرين .

فأما من حيث عدد القصص فى الباب ، فإننا سنختار التقسيم الذى ذهبت إليه نسخة « سودى » دون غيرها ، فإنها من هذه الناحية أكثر انتظاماً وأصح من غيرها فى تحديد القصة .

وأما من حيث الدلالة على الأبيات أو أرقامها ، فسنختار لها نسخة « جراف » لأنها من هذه الناحية ، أصح النسخ التى بين أيدينا ، كما أن فيها كثيراً من الإشارات إلى الخلاف ، وهى بجانب ذلك أحسن النسخ طباعة ، وإخراجاً ، وتحقيقاً ، وإتقاناً .

وننتهى من هذا إلى أننا استخدمنا كلا النسختين « سودى » و « جراف » الأولى للدلالة على عدد القطع ، وترتيبها ، والثانية للدلالة على مطلع القطعة ، ورقه فى الباب ، وعدد الأبيات .

الفصل الخامس

أبواب الكتاب وموضوعها

قلنا سابقاً إن تقسيم الكتاب إلى أبواب ، من عمل الشاعر نفسه ، وقد أشار إلى ذلك في قوله من القطعة الثالثة في المقدمة «سبب نظم الكتاب» .

— حين أتممت هذا الصرح العامر ،

جعلت له من أبواب التريسة عشرأ .

— أحدها باب العدل والتدبير والرأى ،

وحفظ الرعية ، والخشية من الله .

— ثم وضعت أساس باب الإحسان ،

حتى يشكر المحسن فضل الله .

— وجعلت الثالث باباً في العشق ، والشكر ، والوجد

وليس في العشق الذي يطلبه الناس بالقوة^(١)

— والرابع باب في التواضع ، والخامس في الرضا ،

والسادس في وصف الرجل القانع .

(١) چو این کاخ دولت پرد اتم

یکی باب عدل است و تدبیر و رای

دوم باب احسان نه سادم اساس

سوم باب عشق است و مستی و شور

چهارم تواضع ، رضا پنجمین

برو در ده از تربیت مساختم

نگهبانی خلق ، و ترس خدای

که منعم کند فضل حق را سپاس

نه عشقی که بندند بر خود بزور

ششم وصف مرد قناعت گزین =

— والسابع باب في عالم التربية ،
والثامن باب في الشكر على العافية .
— والتاسع باب في التوبة وطريق الصواب ،
والعاشر باب في المناجاة واختتام الكتاب .

والشاعر في هذه الأبواب جميعاً ، يحاول أن يرسم صورة الإنسان المثالي ،
فكل باب منها علاج لمشكلة اجتماعية ، وهداية إلى حياة روحية ، وانصراف
عن شهوات مادية ، ودعوة إلى تربية أخلاقية ، كل هذا كان يؤديه الشاعر ،
في ذلك اللون من الشعر الأخلاقي التعليمي .

كان الشاعر يخشى سطوة الملوك والحكام فتعسف بالرعية ، فيضع لها
« باب العدل » وهذا الباب ملائم لوضعه في الكتاب . فالملوك هم الطبقة الأولى
في الأمم ، وهم المشرفون على توجيه شعوبهم ، فيضع بابهم في الأول .
وكان الشاعر يخشى إمساك الأغنياء ، ومسغبة الفقراء ، فيضع الباب الثاني
« باب الإحسان » وهو أيضاً ملائم لوضعه ، بجانب الباب الأول . فهو يعالج
أمراً يتصل بالطبقة الثانية بعد الملوك .

ثم ينزل الشاعر بعد ذلك إلى الشعب فيشرکه بقية الأبواب .
يخشى الانصراف إلى الماديات ، وإلى الدنيا وحبها ، فيضع للناس باباً روحياً
هو « العشق الصوفي » ويخشى التكبر فيضع « باب التواضع » . ويخشى
اضطراب النفوس ، بما قسم لها فيضع « باب الرضا » . ويخشى النهم ،
والجشع ، فيضع « باب القناعة » . ثم يخشى الغرور ، وسيطرة النفس
على الإنسان ، كما يخشى إهمال الولد ، والزوجة ، والخادم ، فيضع « باب التربية »
يعرض فيه ألواناً من العناية بهؤلاء جميعاً .

== بهفتم در از عالم تسریت بهستم در از شکر بر عافیت
نهم باب توبه است ، وراه صواب دهم در مناجات ، وختم کتاب

ثم يضع الأبواب الثلاثة الأخيرة عامة بين الإنسان وربّه ، في « الشكر على العافية » . وفي « التوبة » من المغصية . وفي « المناجاة » يلجأ إليه يناجيه في كل ملة وكارثة .

وهكذا تتمشى الأبواب مع طبيعة وضعها في الكتاب ، وطبيعة أوضاع الحياة تقريباً .

على أن بعض القصص في « البوستان » يمكن أن ينظر إليها من جانبيين . ولهذا يمكن وضعها في باين مختلفين . ففي باب « الإحسان » مثلاً . وهو الثاني تأتي القطعة الأخيرة منه تحت عنوان « مقال في هبة الملوك ونهاية الملك والسياسة » هذه القطعة تصلح — من حيث الموضوع — وكما هو واضح من عنوانها ، أن تكون في باب العدل . كما أن هناك بعض القصص في باب التربية ، تصلح لأن تكون في باب العشق ، كالقصة التي عنوانها « مقال في الاحتراز من محبة المرد » ورقمها ٢٨ في سودى .

وفي باب المناجاة ، يمكن رد القطعة السادسة إلى باب التوبة . فأمثال هذه القطع يمكن النظر إليها من ناحيتين ، كل ناحية تمثل باباً من الأبواب التي أشرنا إليها .

لكن الأبواب في مجموعها مستقلة ، وطريق العلاج مستقل ، وحتى القصص المشتركة التي نوهنا عنها ، يعالجها الشاعر على أنها من الباب ذاته ، ناظراً إليها من حيث المغزى .

والكتاب كله في مجموع أبوابه ، هداية للنفس الإنسانية ، حتى تتجرد عن مباهج هذه الدنيا ، فتسمو إلى أعلى المراتب الروحية .

وقد رسم الشاعر في كل باب من تلك الأبواب ، الخطة التي يرتضيها ، ليلغ الطالب فيها مناله ، وأرشده إلى ما تطويه هذه الأبواب من ألوان الرياضة الروحية محاولاً في كل ذلك أن يرسم فيها صورة للإنسان كما ينبغي .

هل من فروق بين كتابي الشاعر البوستان والكلستان ؟

وضع الشاعر بعد عام من تقديمه البوستان سنة ٦٥٥ هـ كتابه الثاني المنشور يعالج أيضاً موضوعات تتفق مع موضوعات البوستان في بعضها وتفتقر عنها في بعضها الآخر .

ونحن يمكننا أن نشير إلى مواضع الفروق بين هذين الكتابين فيما يأتي ، من نواحيهما المختلفة .

أولاً — فأبواب « البوستان » عشرة وأبواب « الكلستان » ثمانية ، ويتفق الكتابان في أربعة من هذه الأبواب على اختلاف في أوضاعها ، يتفقان في باب الملوك ، ومكانه الأول في الكتابين . كما يتفقان في باب التربية ، ومكانه السابع في الكلستان ، وباب العشق يرد الخامس ، كما يرد باب القناعة الثالث في الترتيب .

وقد اختلف الكلستان عن البوستان فيما عدا ذلك من الأبواب مع الزيادة التي نلاحظها في البوستان . فأقام باباً للدراويز ، وباباً في فوائد الصمت ، وباباً في الضعف والشيخوخة ، وباباً في آداب الصحبة .

فمحاولة الشاعر رسم صورته تختلف في مناهجها في كلا الكتابين .

ثانياً — يفتقر الكتابان كذلك من حيث الشكل فالبوستان شعر كله ، والكلستان نثر فيه بعض الشعر ، وقلما نجد قصة تخلو من شعر ، كما أن من النادر أن نجد قصة بذاتها من النظم .

ثالثاً — ويفترقان كذلك ، من ناحية الأداء ، فالبوستان يخف فيه اقتباس العبارات العربية . بينما كان من اليسر والسهولة أن يكثر الاقتباس في الكلستان . وهذا يعطى لونا آخر من ألوان الأداء في ذلك الكتاب .

رابعاً — تبدو في البوستان الروح التعليمية الأخلاقية أكثر من الكلستان فهو في كل الأبواب يحاول أن يرسم الصورة كما ينبغي أن تكون ، يحاول أن يرسم إنساناً مثالياً على أحسن صورة وأتمها .

على أنه يبدو في الكلستان طبيعة الترويح عن المجتمع . فحشد له في هذا الكتاب كثيراً من القصص التي لا يلزم فيها شيء ولا ينادى فيها بأمر . فهي مجرد قصص للترفيه والتخفيف ، ومن هنا تبدو كثرة أوامره في البوستان ، وجرأته وعدم تهيبه ، ودعوته للمخاطب في مستهل كل باب . وبقوله إن نصائح — وإن كانت مرة — فهي مفيدة ولا يتأتى العلاج المفيد إلا من الدواء المر .

وكان من مظاهر الترويح عن المجتمع في الكلستان ، والتبسط معه ، هذا التلوين الذي أظهر فيه الكتاب من نثر وشعر ، ومن اقتباسات مختلفة ، من الأشعار ، والآيات ، والأمثال ، والحكم .

كذلك كان من النادر أن يعتمد فيه إلى الألفاظ الغريبة ، فهو في الكلستان كاتب شعبي بمعنى الكلمة ، كما لقبه الأستاذ آر برى^(١)

خامساً — ومن هنا كانت تبدو في دعوته في البوستان الروح الجديدة ، الروح الجافة الإيجابية — إن صح هذا التعبير — ، وكان منهجه فيه أن يرسم الخطة ويطلب بالترامها . كما كان عنيفاً في مطالبه ، حريصاً على الدعوة بالترامها ، بينما تخف هذه الروح في الكلستان ، فيبدوا أكثر بساطة وأخف إيجابية .

وقد جاء كثير من الشعراء بعده ، وحاولوا تقليده ، وخاصة في كتابه الكلستان ، لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى مستواه .

(١) Arberry : Kings A. Beggars. p. 22.

كان من أهم هؤلاء الشاعر « عبد الرحمن الجامي » المتوفى في القرن التاسع الهجري ، أخذ يقلده في كتابه « بهارستان » . كذلك جاء بعده الشاعر « قاضي » وأخذ يقلده في كتابه « پریشان » خواطر . لكن الشاعرين لم يدركا مكانة سعدى ، لا في تناولها للموضوع ، ولا في أسلوبها . وكانت كتابتهما ترمى غالباً إلى فكاهات لا تعالج أموراً أخلاقية ، أو تعليمية بالمعنى الذى وصل إليه سعدى . وبهذا لم يتيسر لهما مزاحمته .

ويعد جامى أول محاول لتقليد سعدى في الكليستان . لكن نثره مسجوع متكلف . كما يقول الأستاذ « على أصغر حكمت »^(١) على أننا ننهي من كل ذلك ، بما قاله الأستاذ « آبري » من الإشادة بمكانة سعدى في قوله :

« والقصة التي يعرفها كل كاتب شرقي ، قد تطورت على يد سعدى ، فأضحت فناً جميلاً يشبه فن التصوير . فسعدى — كفنان — كان يشتغل في اتجاهين . اتجاه الأفكار ، واتجاه الكلمات ، وكان يرسم صورته بمنتهى الدقة والمهارة ، فيضع هيكلها أولاً ، ثم يشتغل في التفاصيل بمهارة فائقة ، وعبقورية لم يعهد لها الأدب الفارسي . فهو لا يتجاهل أصول الفن ، من تشبيهات ، واستعارات ، وحقيقة ومجاز أو سجع ، ولكنه في الوقت نفسه متيقظ جداً يجنب نفسه العثرات التي يقع فيها غيره من الكتاب الفرس ، أو العرب الذين يحملون المادة فوق ما تطيق^(٢) » .

ومن هنا يمكن أن نقول إن سعدى قد تسنم الذروة بين شعراء الفرس الأخلاقيين . فلم يستطع من جاء بعده أن ينزله من مكانته التي بلغها ، سواء من ناحية نظمه في « البوستان » ، أو نثره في « الكليستان » .

(١) النظر جامى للأستاذ على أصغر حكمت ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٢) Arberry : Kings and Beggars : p. 22

الفصل السادس

طريق الشاعر في قصص البوستانه

تنقسم القصة حسب طبيعتها إلى قسمين :

١ — موضوع . ٢ — وشكل .

وحسب وضعها في الكتاب أيضاً ، يمكن أن تنقسم إلى هذين القسمين .

١ — القصة من حيث الموضوع : وكان الوضع يقتضى أن نتكلم عنها

— أولاً — من حيث الشكل ، لكن الموضوع في القصة لا يتخلف . كما أنه جزء أساسى فأم بذاته . تستخدم له الوسائل الأخرى للوصول إليه ، ولن يتعدد الموضوع في القصة ، ولهذا تخيرنا الكلام عليه أولاً .

والموضوع هو الغرض من القصة ، والمغزى الذى تجرى القصة من أجله . فكل قصة وراءها غرض من الأغراض ، وكل أغراض القصص التى تناولها الكتاب ، تتفق مع الباب الذى اختيرت له .

٢ — القصة من حيث الشكل ، ونعني بالشكل ما يأتى :

أولاً — الزمن الذى اقتضته القصة .

ثانياً — المكان الذى دارت فيه .

ثالثاً — الأشخاص الذين يدورون فيها . أو تدار على ألسنتهم .

القصة من حيث الزمن : ونعنى به ما تقتضيه القصة من حيث الإطالة والقصر ،

وهذا منهج مألوف في طبيعة القصة نفسها ، والتزمه الشاعر عند إدارته للقصة . كان يطيل حين تدعو الحاجة إلى الإطالة ، وحين لا تدعو يُقل . يطيل أحياناً

حتى ليبلغ في القصة مائة بيت أو يجاوزها ، كما في القصة الثامنة من باب «العدل» ومطلعها :

زدر ياي عمان بر آمدكسى الخ .

فهي تبلغ في تقسيم « سودى » مائة وعشرة أبيات . إذ تدور حول سياسة الملك ، ووشاية الوزراء ، ومصير الواشى . فلا بد لها من إطالة ، ولا بد لها أن تعالج هذه المشكلة علاجاً يوضح السبيل فيها . وأحياناً تتضائل القصة حتى لا تعدو بيتين ، كما في القصة العاشرة من الباب التاسع « باب التوبة » ومطلعها :

زدم تيشه يكروز برتل خالك . الخ

فهي تعالج أمراً لا يدعو إلى إطالة ، هو قصر فترة الحياة الدنيا .

القصة من حيث المكان : عرضنا سابقاً لهذا عند الكلام على رحلات الشاعر ، وانتهينا من ذلك إلى أنه لا يلزم من ذكر البلد ، أو المكان ، أو الجهة أنه رحل إليها فعلاً ، أو شاهد الحادثة فيها بنفسه ، وإنما كانت البلاد لغرض آخر قصد إليه الشاعر . فنقل القارىء معه حيث يكون الموطن مقصوداً لذاته ، وحيث يجرى حوادث القصة ، ويظهر الغرض منها في بيئة ملائمة لحوادثها .

ورأينا من ذلك رحلته إلى « كشغر » في السنة التي اصطلح فيها « السلطان محمد » مع « الخطا » وعدم إمكانها تاريخياً . كذلك رأينا قصة ذهابه إلى بلاد المغرب ، مصطحباً أحد الأبدال ، حيث يريد أن يكشف للناس قدرة الله ، ومعونته لرجاله الطاهرين ، فيجرى على ألسنتهم من الأمور الخارقة للعادة ، في الموطن الذي يشتهر بين الناس أنه موطن خوارق العادات والسحر ، ومثل ذلك ما لاحظناه من رغبته في الحديث عن عبادة الأصنام فينتقل إلى الهند . ورأينا عدم إمكان كل ذلك من حيث الواقع العملى .

القصة من حيث الأشخاص : أما اختيار الشاعر للشخصية ، فهو ميدان واسع يشهد له بالبراعة في حسن الاختيار ، وإسناد الأدوار ، كما يدل على الإلمام بتاريخ الشخصية ، وما عرف عنها ، أو اشتهرت به .

واختيار الشاعر للشخصية ، كاختياره للكان سواء بسواء . فكما يعرف صلاحية المكان لإدارة قصة فيه . كذلك يعرف كيف يوزع الأدوار المناسبة على الشخصيات . فهو يفهم الشخصية تمام الفهم ، وما يمكن أن يحيط بها ، ويعلم كل دقائقها التاريخية والشخصية ، فينقلها إليك ، أو ينقلك لها ، ليجرى على لسانها حديثاً أو قصة مناسبة لها تمام المناسبة . ومنهج الشاعر في هذه الناحية ، يحوطه الكثير من الأحكام ، ولا يتخلف فيه عما رسمه لنفسه . فلا يتخير الشخصية اعتباطاً ليجرى على لسانها مجرد قصة ، بل يتخيرها لأمر ملحوظ في شخصها ، وأحياناً في تاريخها ، أو مكانها . وسنوضح ذلك عند الحديث عن الشخصيات التي تناولها .

وبجانب الشخصية الإنسانية التي أعدها الشاعر لقصصه . هناك قصص أخرى على لسان حيوان معروف أو جماد ، يدير قصة على لسانه ليستخلص منها حكمة أو موعظة .

أما القصص التي لم تتضح فيها الشخصية بالاسم ، فإننا نعتبرها من القصص العامة التي أوردها في الباب لعلاج موضوعه العام .

ويمكننا أن نخرج من هذا ، إلى أن القصة من حيث الشخصية ، في الكتاب تنقسم إلى أربعة أقسام .

- ١ — قصة تدور حوادثها حول الشاعر نفسه .
- ٢ — قصة تدور حول شخصية تاريخية معروفة .
- ٣ — قصة تدور على لسان حيوان أو جماد معروف .
- ٤ — قصة عامة لم تتضح فيها الشخصية .

ومن المعروف أن كل باب من الأبواب ، خلاصة من الأفكار ، في مجموعة من القطع . ولهذا سنسير في معالجتنا لأفكار الكتاب على هذا النحو .

١ — تحليل القصص التي تدور حول أشخاص معروفين ، أو على لسان حيوان ، أو جماد . وذلك لندل على بيان الفكرة في اختيارها ، وكيف استخدمها الشاعر ، وكيف كان صحيح الفكرة في اختيارها .

٢ — عرض الأفكار العامة التي تناولها الباب كله في مجموع قصصه ، لنذكر من ذلك — بجانب ما أدركناه من الجزئيات في القصص الشخصية — ما هي الأفكار العامة التي عرض لها الشاعر في مجموع قصص الباب كله ؟ وبهذا يمكن أن نلم بالأفكار الأخرى التي لم نعرض لها في القصص الشخصية .

وهذا يقتضينا أن نعين حدود قصص الباب ، كما يقتضينا الاستشهاد على الفكرة أن نعين مكان البيت أو القصة . وهنا موضع الإشارة إلى ضرورة استخدام نسختي « سودى » و « جراف » الأولى في تعيين موضع القصة من الباب ، والثانية في تحديد موضع الاستشهاد من القصة ، وسنرقم القصص بحسب تحديدها في نسخة « سودى » .

أما نسخة « جراف » فقد سبق أن أشرنا إلى أنها مرقمة الأبيات ، وسندل — بجانب هذا — على بيت مطلع القصة ، وعدد أبياتها . كما سيظهر من الجداول التي سنستخدمها .

أما ترجمة الاستشهادات فقد كانت هناك طريقتان .

١ — إما أن أبين الفكرة ، دون ترجمة ، وأدل على الاستشهاد بالإشارة إلى القطعة أو البيت الذي تنطوى فيه الدلالة على الفكرة المشار إليها ، وقد تنسجم العبارة في مجموعها من تلك الطريقة .

٢ — وأما أن أترجم العبارة عند الدلالة على معنى من المعانى ، وأثبت البيت أو الأبيات ، التى تشير إليها فى الهامش أو أشير إلى القطعة .

وقد التزمت الطريقة الثانية — مع ما فيها من الجهد — لأنها تضع أمام القارئ الترجمة والنص مباشرة ، فيشارك فى الرجوع إليها عند الحاجة .

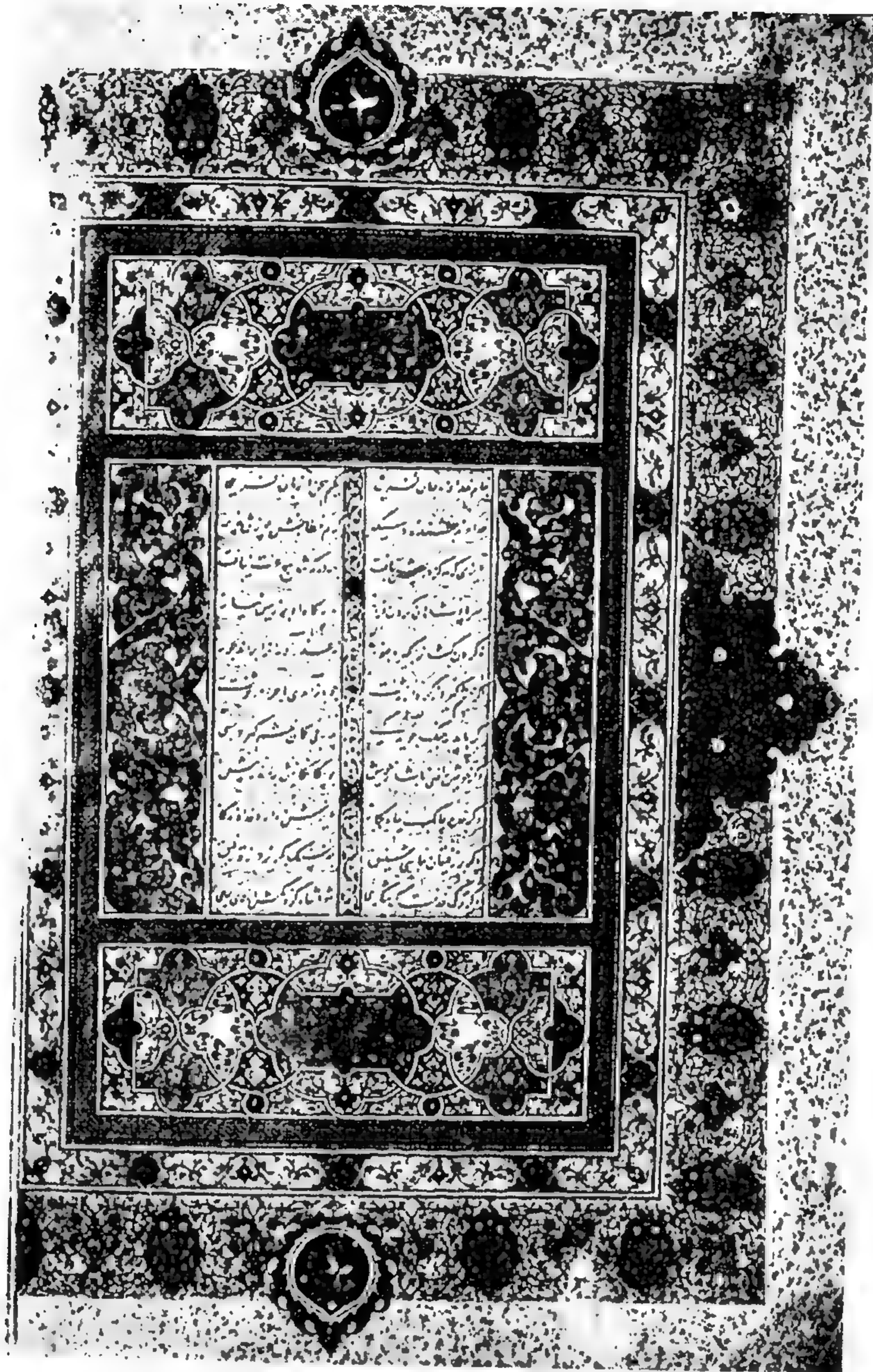
ولكنى أود أن أشير إلى أن ضيق المعنى فى البيت أو الأبيات ، والحاجة إلى وضع ترجمة شبه حرفية — حتى لا تبعد الدلالة كثيراً — ربما أبعدا الانسجام عن العبارة فى ترجمة بعض الأبيات .

وقد دلت على القطعة بحرف « ق » وعلى البيت أو الأبيات بحرف « ب » .

القسم الثاني

تحليل أبواب « البوستان »

أولا — تحليل قطع المقدمة



الصفحة الأولى من « البوستان » عن النسخة الخطية المحفوظة
 بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢ ف والتي أخذت عنها بعض
 الصور الأخرى وهى بريشة المصور الخالد بهزاد

تنتظم المقدمة — كما رأينا — ست قطع في نسخة « سودى » وخمسة في بقية النسخ . وهذه القطع على الترتيب الآتى :

١ — قطعة في مدح الذات الإلهية لا عنوان لها .

٢ — قطعة في مدح الرسول عليه السلام بعنوان « درنعت محمد مصطفى عليه السلام » .

٣ — قطعة في مدح الخلفاء الراشدين ، تجعلها نسخة « سودى » منفصلة عن القطعة السابقة ، وتجعلها بقية النسخ تابعة لها .

والقطعة في ذاتها قريبة أن تكون تابعة ، من أن تكون مستقلة . فمدحه للخلفاء في تلك القطعة ، جاء على طريقة الاستطراد ، ولا يعدو ذكرهم أكثر من ثلاثة أبيات ، يعود بعدها إلى الكلام في مدح الرسول عليه السلام .

٤ — قطعة في سبب نظم الكتاب .

٥ — قطعة في مدح الأتابك « أبى بكر بن سعد » حاكم فارس .

٦ — قطعة في مدح الأتابك « محمد شاه » على الخلاف فيها كما رأينا سابقاً .

وقد تكلمنا سابقاً عن القطع الثلاثة الأخيرة . وبقى أن نحلل القطعة الأولى والثانية .

القطعة الأولى : مدح الذات الإلهية .

وتجعل جميع النسخ هذه القطعة دون عنوان ، فهي افتتاحية ، يفتتحها باسم الله ، ثم يعرض ألواناً من وصف الذات الإلهية . وعدد الأبيات كما في نسخة « جراف » ثمانية وستون بيتاً ، وتتفق النسخ جميعاً ما عدا نسخة الهند في المطلع :

بنام خداوند جان آفرين حکیم سخن در زبان آفرین

وتضع نسخة الهند كلمة « جهاندار » بدل كلمة « خداوند » .

كما تشير نسخة « جراف » في الشرح ، إلى أن بعض النسخ يرد فيها البيت كله مخالفا لهذا .

بنام خدای که جان آفرین سخن گفتن اندر زبان آفرین
وأغلب أبيات هذه القطعة وصف في الذات الإلهية ، كما لاحظنا أنه يتردد فيها إشارات إلى المعاني التي عرض لها في أبواب الكتاب على اختلاف موضوعاتها .
ولهذا يمكن أن نقسم الكلام على هذه القطعة إلى ناحيتين :
أولا — أبيات وردت في وصفه تعالى ، وعجز الإنسان عن إدراك كنهه .
ثانيا — أوصاف تلتقي مع معاني الأبواب التي ضمنها الشاعر هذا الكتاب .

فأما الأبيات التي تتعرض لوصفه تعالى ، فيجتمع فيها وصفه بالقدره ،
والقدم ، والخلق ، ثم في بيان عجز الإنسان عن إدراك كنهه تعالى .
ويفيض الشاعر في الاستطراد هنا في أكثر من خمسة عشر بيتا . نورد ترجمة جزء منها فيما يأتي :

- إن العالم متفق على إلهيته
لكنه عاجز عن كنه ماهيته .
- لم يعرف البشر شيئا وراء جلاله
ولم يدرك البصر منتهى جماله .
- ولن يبلغ طائر الوهم أوج ذاته
ولن تدرك يد الفهم أطراف صفاته .^(١)

(١) جهان متفق بر إلهيته فرومانسده درکنه مساهيتش
بشر ما وراى جلالش نبافت بصر منتهای جمالش نیسافت
نسه برأوج ذاتش پرد مرغ وهم نه درذیل وصفش رسد دست فهم =

- کم من السفن ! غرقت في تلك اللجة
 ولم يطفُ لوح واحد منها على الشاطئ .
 - وكم من ليال ! ضللت في هذا الطريق
 إلى أن أمسكت الدهشة بكي ، أن قم ! .
 - إن علم الله محيط على البسيطة
 وقياسك ، لن يحيط بعلمه .
 - فلا الإدراك ، واصل كنه ذاته
 ولا الفكر ، بالغ غور صفاته ^(۱) .
 - لقد انطلق المقربون بجيادهم في هذا السبيل
 لكنهم تخلفوا - عجزاً - « بلا أحصى » .
 - فليس في كل مكان ، يمكن أن تركض الجياد
 فلعل العجز يدركها في أماكن كثيرة .
 - إنك إن تطلب طي هذه المسافة
 فاعقل - أولاً - جوادك .
 - وتأمل في مرآة قلبك
 تحصل - تدريجياً - على صفاء نفسك ^(۲) .

= درین ورطه کشتی فروشد هزار
 که پیدالشد تخته ای بسرکنار
 چه تنبها نشستم بسرین سیرگم
 که دهشت گرفت آستینم که قم
 محیطست علم ملک بسر بسط
 قیاس تو بروی نگردد محیط
 نه إدراک درکنه ذاتش رسد
 نه درکنه بیچون سبحان رسد
 ب ۳۹-۴۵

(۱) که خاصان درین ره فرس رانده اند
 نه هرجای مرکب توان ناخن
 که خاصان درین ره فرس رانده اند
 که جاها سپر باید انداختن
 ب ۵۲-۵۳

إشارة إلى الحديث « لا أحصى ثناء عليك وأنت كما أنيت على نفسك »

(۲) اگر طالبی کین زمین طی کنی
 تأمل در آینه دل کنی
 نخست آسب بازآمدن پی کنی
 صفائی بندرج حاصل کنی
 ب ۵۹-۶۰

هذه هي الأوصاف التي تناولها الشاعر في الذات ، والعجز
عن إدراكها .

وأما الأوصاف الأخرى التي ترددت غير متتابعة في هذه القطعة ، وتشير إلى
بواب الكتاب ، فإننا سنأخذ في عرضها حسب الأبواب .

ويبدو منها أن الشاعر كانت تتجاوب في نفسه ، هذه الأفكار التي ضمنها
الكتاب . فلما وضع مقدمته — سواء أ كانت قبل نظم الأبواب أم بعدها —
فانه قد غلب عليه ازدحام هذه الأفكار ، فنثر في هذه المقدمة ما يشير إلى
تلك الأبواب.

وسنتناول إشارات إلى تلك المعاني بالترتيب الذي ورد في الكتاب .

فما يشير إلى باب العدل عند الملوك :

- حافظ بقدرته ، عالم السماء والأرض ^(١)
- وهو صاحب الديوان ، يوم العرض .
- على أعتابه ، تنحني للدعاء ^(٢)
- رؤوس الملوك العظماء .
- وعلى أبواب لطفه ، وكبريائه
- يتجرد العظماء من عظمتهم ^(٣) .
- إنه عزيز ، كل من أعرض عن بابه
- لم يلق عزاً ، بأية باب يلجأ إليه ^(٤) .

-
- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) بقدرت نكهدار بالا وشيب | خداوند ديوان روز حسيب ب ٣١ |
| (٢) سر پادشاهان گرد نفسراز | بدرگاه او برزمين نياز ب ٤ |
| (٣) بدرگاه لطف وبزرگيش بسر | بزرگان نهاده بزرگي بسر ب ٢٨ |
| (٤) عزيزي كه هرگز درش سر بتافت | بهر درگاه شد هيچ عزت نيافت ب ٣ |

وما يشير إلى باب الإحسان

- بسط الأرض ، مائدة خلقة
يستوى عليها ، عدوه ، وصديقه^(١) .
- وإذا وزع مائده الكريم
يناديه الشيطان ! هبني نصيبي !^(٢) .
- ومائدة كرمه مبسوطة
حتى تبلغ العنقاء نصيبها ، ولو كانت على « قاف »^(٣) .
- ومنشور إحسانه ، ليس له حد
وليس لنفاذ أمره رد^(٤) .
- وواهب العطاء ، معين الضعفاء
الكريم ، العفو ، الففور^(٥) .

وما يناسب باب العشق الصوفي :

- تأمل في مرآة قلبك ،
تحصل — تدريجياً — على صفاء نفسك^(٦) .
- لعل رائحة من العشق تسرك
فتصير طالباً « لهدألت »^(٧) .

-
- | | |
|-----------------------------|------------------------------------|
| (١) أديم زمین سفره عام اوست | برین خوان بغا چه دشمن چه دوست ب ١٤ |
| (٢) وگرزله بخشید زخوان کرم | عزازبل گوید نصیبی بسرم ب ٢٧ |
| (٣) چنان پن خوان کرم گسترده | که سیمرخ درقاف قسمت خورد ب ١٨ |
| (٤) گرانست منشور إحسان اوست | ورانیست توقیع فرمان نیست ب ٢٤ |
| (٥) خداوند بخشنده دسستگیر | کریم خطا بخش پوزش بذیر ب ٢ |
| (٦) تأمل در آئینسه دل کنی | صفائی بتدریج حاصل کنی ب ٥ |
| (٧) مگربوی عشق مست کنسد | طلبکار عهد ألتست کنسد ب ٦١ |
- إشارة إلى قوله تعالى في سورة الاعراف : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ؟ قالوا بلى ا »

— فتقطع الطريق بِقَدَمِ الطلب
ومن ثم ، تطير بِمِجْنَحِ الحِبة^(١) .
— وهناك ، يمزق اليقين حجب الخيال
وعندئذ ، لا يبقى إلا ستار ذی الجلال^(٢) .

وما يناسب باب التواضع :

— إنه — وحده — من يليق له الكبرياء ، والإنية
فلكه قديم ، وذاته غنية^(٣) .

وما يناسب باب الرضا :

— يقلد واحداً ، تاج السعادة على رأسه
ويهبوي بالآخر ، من العرش ، إلى أرضه^(٤) .
— ويجعل النار فردوساً على الخليل
ويحمل جماعة ، إلى النار ، من النيل^(٥) .

وما يشير إلى القناعة — تهيئته الأقوات للمخلوقات مهما كانت :

— يهيء الرزق للشعبان ، والنمل
ولو أنها بغير يد ، ورجل ، وقوة^(٦) .

- | | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| (١) بپای طلب ره بدانجا بسری | وزانجا بپال محبت بسسری ب ٦٢ |
| (٢) بد رد یقین سردهای خیمسال | نمساند سرا پرده إلا جلال ب ٦٣ |
| (٣) مرورا رسد کبریا و سستی | که ملکش قد یمس وذاتش غنی ب ٢٠ |
| (٤) یکی را بسر بر نهد تاج بخت | یکی را بخساک آندر آرد ز تخت ب ٢١ |
| (٥) گلسستان کند آتشی بر خلیل | گروهی بر آتش برد زاب نیل ب ٢٣ |
| إشارة إلى قوم فرعون | |
| (٦) مهیا کند روزی مار و مسور | اگر چند پیلست و پا بند وزور ب ٤١ |

وما يلائم باب التربية — ما ينظم العلاقة بين الأب والابن والأقرباء ،
أو الخادم وسيده ، أو الرفيق ورفيقه :

- لو أن شخصاً ، أعلن العصيان على أبيه
فلأريب ، أن ذلك يغضب الأب كثيراً^(١) .
- والقريب ، إذا لم يرض عن قريبه
فإنه يطرده ، كالغريباء عن بابه .
- والخادم ، إذا لم يسرع إلى عمله
فلن يجد العز من سيده .
- والرفاق ، إذا لم تكن مشفقاً عليهم
هربوا منك ، وخلفوك وحيداً^(٢) .

ومما يلائم باب الشكر — ما يشير إلى أن الجفاء والقيطة لا تليق به ،
كما أن الخلوقات كلها تشكره مطبعة له :

- إذا أسرعت على منهج الجفاء له
فمن ذا الذي لقي الأمان من يد قهره^(٣) ؟
- وذاته تعالى ، مبرأة من تهمة الضد ، والجنس
وملكه غنى ، عن طاعة الجن والأنس .
- لأمره ، أطاع كل شيء ، وكل إنسان
أطاعه الناس ، والطير ، والبعوض^(٤) .

-
- | | |
|---|--|
| (١) اگر با پدر جنگ جوید کسی | بدری گمان خشم گیرد بسی ب ۷ |
| (٢) وگر خویش را ضی نباشد ز خویش
وگر بنده چایک نباشد بکار
وگر بر رفیقان نباشی شفیع | چو بیگانگانش بر اند زیش ب ۸-۱۱
عزیزش ندارد خداوند کار
بفرسنگ بگریزد از تو رفیق |
| (٣) اگر بر جفا پیشه بشتافتی | که از دست قهرش امان یافتی؟ ب ۱۵ |
| (٤) بری ذاتش از تهمت ضد و جنس
پر ستار امرش همه چیز و کس | غنی ملکش از طاعت جن و انس ب ۱۶-۱۷
بنی آدم و مرغ و مور و سگس |

وما يشير إلى باب التوبة

- إنه واهب العطاء ، معين الضعفاء
الكریم ، العفو ، الفسور (۱) .
- لا يأخذ العصاة ، بذنبهم فوراً
ولا يطرد المعتذرين ، منهم جوراً .
- فإذا غضب على عاص ، طوى له ماضی
إذا تاب ، وارتد عن الهوي (۲) .
- ورب السماء والأرض
لا یوصد ، عن عاص ، باب الرزق (۳) .

وما يشير إلى المناجاة :

- إنه قريب من الضعفاء ، برحمته
يجیب دعوة المتضرعين ، بعطفه (۴) .

القطعة الثانية — مدح الرسول عليه السلام :

وعدد أبيات هذه القطعة ثلاثون بيتاً . تبدأ من البيت رقم ۶۹ وتنتهى
بالبیت رقم ۷۹ ، وذلك فى نسخة « جراف » . أما « سودى » فتجعلها قطعتين
تفصل عنها مدح الخلفاء ، لكن القطعة كلها ، ذات وحدة لا تحتل هذا
الانقسام . فإنه بعد أن يعرض لذكر الخلفاء الأربعة — فيما لا يتجاوز ثلاثة
أبيات — يعود فيمدح الرسول عليه السلام ، حتى يختم القطعة كلها .

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (۱) خداوند بخشنده دست گسیر | کریم خطا بخش بوزش پذیر ب ۲ |
| (۲) نه گردنکشان را بگیرد بفسور | نسه عسذر آوران را بفسور |
| وگر خشم گیرد زگر دار زشت | چو باز آمدی ما جرا درنوشت ب ۵-۶ |
| (۳) ولیکن خداوند بالادوست | بعصیان در رزق برکس نبست ب ۱۳ |
| (۴) فرو مندگانرا برحت فسریر | لضرع کنان را بدعوت مجیب ب ۲۹ |

ولهذا سنعرض لها في التحليل كأنها وحدة مستقلة . والمعاني التي عرض لها في تلك القطعة ترتبط مع بعضها تقريباً ، فإذا ما تكلم عن معنى من المعاني ، يظل فيه حتى ينتهي منه ، ولا يعود إليه .

والبيت الذي تخيره لمطلعها يدل على أن الشاعر راعى فيه براعة الاستهلال ، فاختر بيتاً عربياً .

ويبدو أن الشاعر قد لاحظ أنه بدأ الحديث عن نبي عربي ، فليتمس في مطلع الكلام عنه استهلالاً عربياً :

« كريم السجايا ، جميل الشيم نبي البرايا ، شفيع الأمم »
كذلك يمكن أن يقال إنه راعى في هذا الاستهلال ، أن يجمع كل ما يمكن أن يكون من صفات النبوة ، أو وظيفتها ، في الدنيا ، والآخرة .

— وهو إمام الرسل ، هادي السبيل ،
وأمين الله ، مهبط جبريل ^(١) .

ويمكن أن نلتمس المعاني التي تتردد في هذه القطعة فيما يأتي :

١ — الإعجاز به :

— إنه اليتيم ، الذي لم يعرف القراءة
لكنه نسخ كتباً كثيرة .

— وحين سل عزمه سيف الرهبة
اشق القمر — نصفين — إعجازاً له .

— وحين تردد اسمه في أفواه الدنيا
تصدع ديوان كسرى ^(٢) .

أمين خددا مهبط جبريل ب. ٧٠
كتبخانه چنسد ملت بشست
بمعجز میان قمرزد دو نیم
تزلزل در ایوان کسری فتاد ب. ٧٣-٧٥

(١) إمام رسل یشوای سبیل

(٢) یتیمی که نا کرده قرآن درس
چو عزمش بر آهیخت شمشیر بيم
چو صیتش در أفواه دنیا فتاد

۲ — عرض لألوان الديانات الموجودة :

- إنه حطم قامة اللات ، بكلمة « لا »
- ومحا الدين العزيز مكانة العزي .
- لم يحطم اللات ، والعزي ، فحسب
- بل نسخ التوراة ، والإنجيل كذلك^(۱) .

۳ — الإسرائ به :

- ركب ليلة ، فجاوز الفلك
- ومضى بالتمكن ، وإجاء ، من الملك .
- وَجَدَ في تيه القربى ، من الله
- حتى تخلف عنه جبريل ، في سدره المنتهي^(۲) .

۴ — ثم منزلته عند الله ، والانتقال إلى فكرة الوجود وأصلها :

- أثنى عليك الله ، ومنحك التبجيل
- وقبل الأرض — تقديرًا لك — جبريل .
- خجلت أمام قدرتك ، السماء العلى
- أنت مخلوق ، وآدم لا يزال طينًا ، وماء .
- أنت أصل الوجود ، جئت من الأزل
- فتأمل ! كل موجود ، صار من فرعك^(۳) .

-
- | | |
|---|---|
| (۱) بلا قامت لات بشكست خسر
وكله «لا» إشارة إلى عبادة الوجدانية في قوله (لا إله إلا الله) . | باعزاز دين آب عزی ببرد
که توریت وانجیل منسوخ کرد ب۷۶-۷۷ |
| (۲) نه ازلات وعزی بر آورد کرد
شبی برنشست از فلك برگذشت | بتمکین وجاه از ملک در گذشت
که پرسدره جبریل ازو باز ماند ب۷۸-۷۹ |
| (۳) چنان گرم درتیه قربت برانسد
خدایت ثنا گفت وتبجیل کرد | زمین بوس قدر تو جبریل کرد
تو مخلوق و آدم هنوز آب و گل |
| بلند آسمان پیش قدرت خجل
تو اصل وجود آدمی از نخست | نکر هرچه موجود شد فرع تست ب۹۳-۹۵ |

۵ — ومنزلته يوم القيامة في الشفاعة :

— أنت شفيع الوري ، سيد البعث ، والتشر
إمام الهدى ، وصدر ديوان الحشر ^(۱) .
— لم يبق إنسان رهينة لمعصيه
من اتخذ الرسول شفيعاً له ^(۲) .

۶ — مدح الخلفاء الراشدين . وهو ليس مدحاً بالمعنى المعروف ، لكنه عرض

موجز لهم ثم قسم بأبناء فاطمة ، وختام :

— ليكن ، سلام الله ، على روحك
وعلى أصحابك ، وتابعيك .
— على أبي بكر ، الشيخ المرید
وعلى عمر ، قاهر الشيطان المرید .
— وعلى العاقل ، عثمان ، محي الليل
والرابع عليّ ، راكب الدليل ^(۳) .
— أسألك إلهي ، بحق بني فاطمة
أن تؤمن ، على قولي بالقبول .
— فإنك ، إن رددت دعوتي ، أوقبلتها
فإني متعلق بأهداب آل الرسول ^(۴) .

-
- (۱) شفيع الوري خواجهٔ بعث ونشر امام الهدى صدر ديوان حشر ب ۷۱
(۲) نمائند بعضيان كس در گرو كه دارد چنین سیدی بيشرو ب ۸۴
(۳) درود ملك پروان تسو باد بر أصحاب و بر پيروان توباد
نخستين ابو بكر پير مرسيد عمر بنجه بر پيج ديو مرید
خردمند عثمان شب زنده دار چهارم علي شاه دلل سوار ب ۸۶-۸۸
الدلل اسم بغلة كان يركبها سيدنا علي .
(۴) خدايسا بحسب بني فاطمة كه برقول إيمان كند خاتمه
اگر دعوتم رد كني ورقببول من ود امان آل رسول ب ۸۹-۹۰

ثانياً — تحليل أبواب الكتاب

١ — باب العدل

٢ — باب الإحسان

٣ — باب العشق

٤ — باب التواضع

٥ — باب الرضا

٦ — باب القناعة

٧ — باب التريّة

٨ — باب الشكر

٩ — باب التوبة

١٠ — باب المناجاة

۱ - باب العدد

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدی	عن شخصیه تاریخیة	قصة عامة	المطلع
۱	۱	۶			عامة	نهنگد کرمهای حق در قیاس
۲	۷	۱۴		قزل أرسلان		چه حاجت که نه کرسی آسمان
۳	۲۱	۱۰				حکایت کنند از بزرگان دین
۴	۳۱	۲۱		کسری و هرمز		شنیدم که در وقت نزع روان
۵	۵۲	۱۷		خسرو و شیرویه		شنیدم که خسرو و شیرویه گفت
۶	۶۹	۱۳			»	چه خوش گفت بازگانی اُسیر
۷	۸۲	۴۱		شاپور و خسرو		شنیدم که شاپوردم در کشید
۸	۱۲۳	۱۰۹			»	ز دریای عمان بر آمد کسی
۹	۲۱۲	۵۳			»	ندانم کجا دیده ام در کتاب
۱۰	۲۶۵	۱۵			»	نه بی حکم شرع آب خوردن خطاست
۱۱	۲۸۰	۱۷			»	شنیدم که فرماندهی دادگر
۱۲	۲۹۷	۶		جمشید		شنیدم که جمشید فرخ سرشت
۱۳	۳۰۳	۱۸		دارا		شنیدم که دارای فرخ تبار
۱۴	۳۲۱	۷			»	توکی بشنوی ناله داد خواه
۱۵	۳۲۸	۶			»	خبر یافت کردن کسی در عراق
۱۶	۳۳۴	۱۸		عمر بن عبد العزیز		یکی از بزرگان اهل تمیز
۱۷	۳۵۲	۷	سعدی			همین پنج بیت خوش آمد بگوش
۱۸	۳۵۹	۱۱		تکله بن زنگی		در اخبار شاهان پیشنه هست
۱۹	۳۷۰	۲۱			»	شنیدم که بگریست سلطان روم
۲۰	۳۹۱	۲۴			»	خرد مند مردی در اقصای شام
۲۱	۴۱۵	۱۵			»	مها زور مندی مکن بر کههان
۲۲	۴۳۰	۲۲	سعدی			چنان محط شد سالی اندر دمشق
۲۳	۴۵۲	۱۱	سعدی			شب دود خلق آتشی بر فروخت
۲۴	۴۶۳	۱۶			»	خبر داری از خسروان عجم
۲۵	۴۷۹	۳۴			»	شنیدم که درمرزی از باختر
۲۶	۵۱۳	۱۰			»	یکی بر سرشاخ وین می برید
۲۷	۵۲۳	۹			»	مکوجاهی از سلطنت پیش نیست
۲۸	۵۳۲	۵			»	شنیدم که یکبار در حنه
۲۹	۵۳۷	۱۱			»	نکوکار مردم نباشد بدش

رقم ق	رقم المطلع	عدد الآيات	قصبة عن سعدی	عن شخصية تاريخية	عامه	المطلع
۳۰	۵۴۸	۱۳		الحجاج	»	گزیری بجاهی در افتاده بود
۳۱	۵۶۱	۲۰			»	حکایت کنند از یکی نیکمرد
۳۲	۵۸۱	۳			»	یکی پسند میداد فرزند را
۳۳	۵۸۴	۲			»	بخردی درم زور سر بنجه بود
۳۴	۵۸۶	۳			»	الا تانحسبی بغفلت که نوم
۳۵	۵۸۹	۲۹			»	یکی را حکایت کنند از ملوک
۳۶	۶۱۸	۵			»	جهان ای پسر ملک جاوید نیست
۳۷	۶۲۳	۱۴		قزل أرسلان	»	شنیدم که در ملک مصر میری أجل
۳۸	۶۳۷	۱۴			»	قزل أرسلان قلعه سخت داشت
۳۹	۶۵۱	۳			»	چنین گفت شوریده در عجم
۴۰	۶۵۴	۹			»	چوالب أرسلان جان بجان بخش داد
۴۱	۶۶۳	۱۵			»	حکیمی دعا کرد بر کعباد
۴۲	۶۷۸	۷۶			»	شنیدم که از باد شاهان غور
۴۳	۷۵۴	۲۲		المأمون	»	چودور خلافت بمأمون رسید
۴۴	۷۷۱	۲۲			»	شنیدم که از نیکمردی فقیر
۴۵	۷۹۸	۲۴			»	یکی مست زن بخت و روزی نداشت
۴۶	۸۲۲	۱۹			»	حکایت کنند از جفا گستری
۴۷	۸۴۱	۴۰			»	همی تا بر آید بتدبیر کار
۴۸	۸۸۱	۱۰			»	دلاور که باری تهور نمود
۴۹	۸۹۱	۱۸			»	پیسکار دشمن دلیران فرست
۵۰	۹۰۹	۷		گرگین	»	چه خوش گفت گرگین بفرزند خویش
۵۱	۹۱۶	۶			»	دوتن پرورای شاه کشور کشای
۵۲	۹۲۲	۶			»	نگویم زجنگ بد اندیش ترس
۵۳	۹۲۸	۸			»	میان دو بد خواه کوتاه دست
۵۴	۹۳۶	۱۰			»	چو شمشیر پیکار بر داشتی
۵۵	۹۴۶	۱۵			»	گرت خوبش دشمن شود دوستار
۵۶	۹۶۱	۱۰			»	بدبهر جنگ بد اندیش کوش
—	۹۷۱	—				
			۳ +	۱۳ +	۴۰ =	۵۶ =

قصص باب العدل التي تدور حول شخصيات تاريخية

ينتظم هذا الباب - كما رأينا - ستاً وخمسين قطعة، في تسعمائة وواحد وسبعين بيتاً. وهو من حيث عدد القطع، والأبيات، أطول أبواب الكتاب على الإطلاق. إذ يبلغ وحده خمس الكتاب تقريباً، وتتوزع قطعه كالاتي:

١ - ثلاث قصص عن سعدى.

٢ - ثلاث عشرة قصة عن شخصيات تاريخية.

٣ - أربعون قصة من القصص العامة.

أما من ناحية تناول الشاعر لأشخاص هذا الباب، فهو متناسب معه تمام المناسبة. فهذا باب الملوك، يعدُّ له كثيراً من الملوك والحكام، من مختلف العصور والبيئات، وهو يعطي الشخصية الدور الذي يناسبها، أو يعدها لقصة تناسبها.

وقد تناول في هذا الباب - كما رأينا من الجدول السابق - شخصية إيرانية من التاريخ الإيراني الأسطوري هي « جمشيد ». وشخصية من الدولة الفارسية التاريخية، القديمة هي « دارا ». ثم تناول شخصيات مختلفة من أسرة الأكاسرة. « كسرى وهرمز » و « خسرو وشيروه » و « شاپور وخسرو ».

ثم انتقل إلى العصر الإسلامي، فتناول من ملوك الإسلام « عمر بن عبدالعزيز » ومن الحكام « الحجاج ». وتناول « المأمون » في الدولة العباسية.

ومن الدول الإسلامية الأخرى « قزل أرسلان » و « تسكك بن زنگي ». ومن الأبطال في التاريخ الإيراني الأسطوري « كوركين ».

وللشاعر غرض من كل ذلك، يريد أن يعطي للأمير الحاكم، قدراً من النصائح والمعلومات في أمور الدنيا، وتدير شئون الملك، ورسوم السياسة العادلة

وأي طريق أحب إليه ، أو أسهل عليه من أن يلقي هذه النصائح ، أو تلك المعلومات — سواء أكانت مخترعة من جانبه أو مروية — عن قوم مضوا وخلفوا الدنيا بعدهم ، ويدفع إليه ما يريد من المعلومات على لسانهم ، لا على لسانه هو .

أليس هذا من وسائل إحكام القصة ، بجانب ما فيها من التأدب ، بما يناسب مكانة الأمير مع الشاعر؟ أليس من وسائل التلطف مع الأمير، أن يسوق إليه النصيحة ، ملقاة على لسان ملك ينصح ابنه أو عامله ؟ فيرسم له الخطة في معاملة الرعية أو العمال ، أو في سياسة الجيش ، أو في معاملة الأجانب ، أو غير ذلك مما سيبدو .

والشاعر من ناحية أخرى ، يحكم القصة من طريق آخر ، فكل القصص التي تناولت شخصيات إيرانية قديمة قبل الإسلام ، نقل عنها الكلام على طريق الرواية سماعاً ، فيقول في كل منها مفتتحاً لها بكلمة « شنيدم » أي « سمعت » ، فيزداد تلطفاً مع الأمير ، وينقل إليه الأمر سماعاً .

وسنتناول هؤلاء بحسب الترتيب الذي سقناه سابقاً ، من حيث الزمن الذي عاش فيه كل شخص ، مراعين التناسب في الموضوع .

وسنري أن الشاعر لم إلاماً كبيراً ، بما يحيط بالشخصية أو بتاريخها ، ثم كيف أحكم القصة حولها ، من حيث الارتباط بزمانها ، وما اشتهرت به . ومن حيث المعلومات التي أبدأها على لسانه .

قصة جمشيد

وماذا يعرف عن جمشيد تاريخياً ؟ وما هي الأدوار التي يمكن أن تسند إليه ؟

وجمشيد من الأسرة الأولى الأسطورية في التاريخ الإيراني المتوغلة في القدم ، والتي تسمى بالدولة « الپشدادية » تذكر عنه الشاهنامة أنه أول من أذعن لطاعته جميع الثقلين ، وعمر العالم وشر العدل والإحسان ، وأعد آلات الحرب ، وشيد المدن ،

وصنع السفن ، وتنقل بها خلال البر والبحر ، ورصع تاجه بالجواهر ، وجعل له حملة من الجن ، ثم أصابه الغرور ففرق عن الدين وأطلق يده في الظلم ، وأمر بصنع تماثيل من صورته لعبادته ، فلما شاع ظلمه وغروره ، استجار الناس « بالضحاك » والتفوا حوله حتى قبضوا عليه ، وانتهى أمره بعد حكم دام سبعمائة سنة^(١) .

هذا ملخص حياة جمشيد ، أطاعه العالم كله ، وظل حكمه سبعمائة عام ، فماذا يصلح له من الأدوار ؟

تأتى قصته فى الباب « الثانية عشرة » فى ستة أبيات . وعنوانها فى سودي « در أحوال دنيا » ورقم مطلعها ٢٩٧ وهو :

— سمعت ، أن جمشيد النبيل الأصل
كتب على لوحة ، عند فوهة عين^(٢) .

فماذا تخير الشاعر « جمشيد » لقصة تدور حول أحوال الدنيا ؟ . ولماذا تخير الشاعر لقصته أيضاً عين ماء ، نقش عبارته بجوارها ؟ أليس جمشيد من ملوك أول دولة متوغلة فى القدم فى التاريخ الإيرانى ؟ أليس ملكه أوسع ملك فى العالم ، فأطاعه الجن والأنس ؟ أليس عمره أطول عمر فى الحياة ؟ أليس هو أصلح شخصية يحملها الشاعر — عبر القرون — ليلقى على لسانها حكمة أو موعظة فى أحوال الدنيا . ولماذا تخير الشاعر عين الماء ؟ أليس يتردد عليها كثير ممن ينهلون منها ، ثم يذهبون ؟ أليس فى معناها شها بالدنيا ، والواردون عليها كمن يرد على هذه الحياة من الناس ؟

والقطعة على قصرها فيها جانبان .

١ — جانب للموعظة ، ودعوة للنظر ، فى أمر هذه الدنيا

(١) النظر الشاهنامه العربية للدكتور عزام بك فى قصة جمشيد ص ٢١ — ٣٠
(٢) شنيدم كه جمشيد فرخ سرشت بسر چشمه بسنگى نوشت

— لقد ورد كثير مثلنا على تلك العين
لكنهم فاتوا ، ومضوا ، كطرفه عين^(١) .
ولن يبق من الدنيا سوى العمل الصالح . في قوله
— مضوا ، وجنى كل منهم ، ثمار ما زرع .
مضوا ، ولم يخلفوا إلا السمعة الطيبة أو السيئة^(٢)
٢ — جانب تعليمي في الإرشاد والنصح ، في قوله :
— إذا هزمت عدواً ، فلا تضاعف أذاه
فكم من الآلام ، تحتويها نفسه .
— ومن الخير أن تبقيه ، حياً بجانبك
من أن تحمل دمه في عنقك^(٣) .

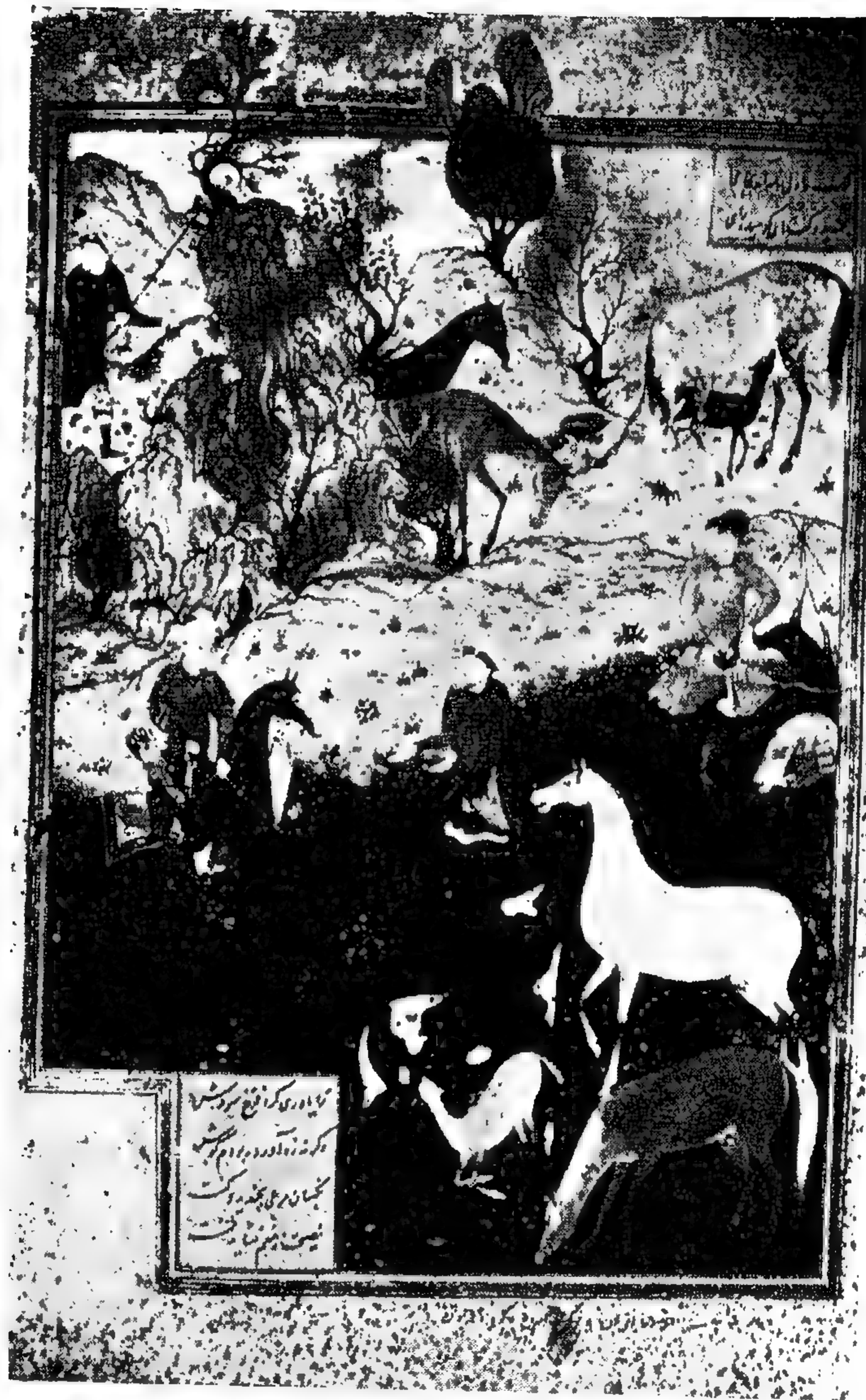
وبمثل هذه البراعة يطوى الشاعر — في لفائف القصة — هذه المعاني التي
قصد إليها ، وبمثل هذا التأدب في مقام الأمير ، يرفع إليه هذه النصائح ، على لسان
ملك مضي .

قصة دارا :

وتقع الثالثة عشرة ، وأبياتها ثمانية عشر بيتاً، وعنوانها « نصيحت جوبان
بهردارا » إي « نصيحة الراعي لدارا » . ورقم المطلع ٣٠٣ وهو .
— سمعت أن دارا ، كريم المحتد
ضل عن حراسه ، في يوم صيد^(٤)

وماذا عن « دارا » ؟ وما أهم ما يناسب شخصيته من الأدوار ؟ أليس « دارا »

(١) برين چشمه چون مابسی دم زدند برفتند چون چشم برهم زدند
(٢) برفتند وهر يك درود آنچه كشت نماند بجز نام نيكو وزشت
(٣) چو بر دشمنی باشد دسترس مرنجانش كوراهمین غصه بس
عدو زنده سرگشته پیرامنت به از خون او گشته در گردنت
(٤) شنیدم كه دارای فرخ تبار ز لسكر جدا ماند روز شكار



صورة للملك « دارا والراعي » وبأعلى الصورة وأسفلها بعض
أبيات من القصة عن النسخة الخطية ص ١٠ بدار الكتب

حاکماً علی بلاد ایران التي توحدت؟ أليس في هذا الاتساع ما يستدعي طول
السهر علی صالح الرعية؟

فیتخیر الشاعر له موضوعاً يناسبه ، لیخرج منه إلى المغزی الذي یقصدہ من
القصة . یجعل «داراً» وقد خرج يوماً للصيد، فنأى عن حرسه بعيداً ، فجاءه راع ،
وتقدم منه مسرعاً . فخشيہ — قائلًا في نفسه — لعل هذا عدو جاء ليقضى
علی ، فلا أسرع لأقتلنه . فما كاد یهم بذلك ، حتی ناداه الرجل :

— یا ملیک ایران وتوران
لتبعد — عن عهدك — عین الردي .
— أنا ، من یقوم بحراسة خیل المللیك
وارعاها ، فی هذا المرعى ^(١) .

فرد المللیك سهامه ، وضحك قائلاً له ، یا سفیه الرأی ! لقد حالفك الحظ
السعيد ، وإلا فقد كدت أقضى علیك . ثم ینقل الشاعر إلى مغزی القصة ،
فیجرى علی لسان ذلك الراعی ، رداً علی المللیك ، فی وجوب معرفته لرعيته .

— لیس من التدبیر الحمود ، ولا من الرأی السدید
ألا یعرف المللیك ، عدوه من صديقه .
— فشرط الرئاسة فی الحیاة
إن تعرف کل فرد ، من یكون ^(٢) ؟ .

(١) بگفت ای خداوند ایران و تصور من آنم که اسبان شه پرورم
(٢) نه تدبیر محمود و رای نکوست چنانست در مهتری شرط زیست
که چشم بد از روزگار تو دور بخدمت بدین مرغزار اندرم
که دشمن نداند شهنش ز دوست که هر کهتیرا بدانی که کیست؟

قصص ملوك الأكاسرة :

وقد اشتهر هؤلاء في تدبير الملك ، وحسن السياسة ، وابتكار أساليب الحكم في الرعية ، وإقرار النظام ، ووضع الدستور ، في اختيار الموظفين ، ومعاملة الرعية بالحسنى ، والسهر على راحتها . وعلى العموم حسن درايتهم بالنظم الداخلية والخارجية .

وهكذا تناولهم الشاعر من تلك النواحي ، يعرض على ألسنتهم — باختلاف شخصيتهم — ألواناً من هذه المعاني .

قصة كسرى وهرمز :

وتقع هذه القصة الرابعة ، في واحد وعشرين بيتاً ، وبيت مطلعها الواحد والثلاثون ، وعنوانها « پند دادان كسرى هرمزرا » أى نصيحة كسرى لهرمز ، وهو أيضاً يرويها — كعادته فيما أشرنا — بالسماع :

— هـكذا ، سمعت ان أنوشروان
قال لهرمز ، وقت نزع الروح (١) .

والقصة — في مجموعها — تعالج أمور الرفق بالرعية ، والسهر عليها ، وبذل ما يمكن لراحتها :

— إنه لا يستريح أحد في ديارك
مادمت تطلب راحة نفسك .
— وليس — كريماً — في نظر الحكيم
أن ينام الراعي ، والذئب في الغنم (٢) .

-
- (١) شنیدم که در وقت نزع روان
پروا سایش خویش جوئی و بس
شبان خفته و گریک در کوسفند
- (٢) نیا ساید آندر دیار نوکس
نیاید بنزدیک دانا پسند

— إن الرعية كالجذر ، والسلطنة كالشجر
والشجرة يا بني ! قوية بقوة الجذر .
— ولا تجرح — ما استطعت — قلوب شعبك
فإنك إن جرحتها ، اقتلعت جذرك (١) .
— ولا ينبغي قتل الرعية
فإنها ملاذ السلطنة ، وظهيرها .
— وارع الفلاح من أجل نفسك
فإن العامل السعيد يأتي بعمل وافرك (٢) .

قصه خسرو وشيروه :

وهي من نفس معنى القصة السابقة ، نصائح يلقها الشاعر على لسان «خسرو» إلى «شيروه» ، وترتيب القطعة الخامسة بين قطع الباب ، وأبياتها سبعة عشر ، وعنوانها « پند دادن برويز بشيروه » ومطلعها الثاني والخمسون ، على طريق الرواية سماعاً أيضاً :

— سمعت أن خسرو قال لشيروه
في اللحظة التي أطبقت فيها عن العالم عينه (٣) .

ويمضي الشاعر في إظهار معاني العطف على الرعية ، والدعوة إليه ، في كثير من الأبيات :

— افعل — دائماً — كل ما تريد
لكن انظر في صلاح أمور الرعية (٤) .

-
- | | |
|------------------------------|-----------------------------|
| (١) رعيت جوييخند وسلطان درخت | درخت ای بسر باشد از بیخ سخت |
| مکن تاتواني دل خلق ریش | وگرمی کنی می کنی بیخ خویش |
| (٢) رعیت تشاید بپیدا دگشت | که مرسلطنت را پناهند و پشت |
| مراعات دهقان کن از بهر خویش | که مزد ور خوشدل کند کار پیش |
| (٣) شنیدم که خسرو بشیروه گفت | در آندم که چشمش ز دیدن بخت |
| (٤) بسر آن باش هرچه نیت کنی | نظر در عدد صلاح رعیت کنی = |

— ولا تلو رأسك عن العدل والرأى
 حتى لا يعصى الناس أمرك .
 — من ذا الذى عاش منعماً فى الآفاق ؟
 أكثر ممن عاش منصفاً فى ملكه للخلق .
 — فحين يغترّب عن هذا العالم
 يمطرون — على تربته — غيث الرحمة ^(١) .

ثم يتناول الشاعر — فى هذه القطعة — معنى من المعانى الأخرى فى سياسة
 اختيار العمال :

— ول على الرعية من يخشى الله
 فإن التقى ، الطاهر ، عمارُ الملك ^(٢) .

ثم يبين مدى الفساد بين العمال ، والسكوت على مظالمهم فى قوله :

— إن الذى يمتص دماء الخلق من أجلك
 إنما يفكر السبوء بك ^(٣) .

ثم يعرض لأمر محاسبة العمال فى قوله :

— لا تعاقب المؤذى بأخذ أمواله
 بل يجب اقتلاع جذره من أساسه ^(٤) .

-
- = ألا تانبیچی سر از عدل و رای
 (١) از آن بهره و رتر در آفاق کیست ؟
 چو نوبت رسد زین جهان غربتش
 (٢) خدا ترس بر رعیت گمسار
 (٣) بدانندیش تست آن و خوفخوار خلق
 (٤) مکافات مؤذى بمسالش مکن
- که مردم ز دستت نیبچند پای
 که در ملک رانی بانصاف زیست
 ترحم فرستند بر تربتش
 که معمار ملکیت پرهیز کار
 که نفع توجوید در آزار خلق
 که بیخش برآورد یاید زین

— ولا ينبغي السكوت على عامل ظلم
بل ينبغي سلخ جلده عند السمن
— واقطع — سرباً — رأس الذئب
ولا تنظره حتى يمزق خراف القوم.

قصة شابوز وخسرو :

وتقع السابعة في الترتيب ، وأبيساتها واحد وأربعون ، وبيت المطلع رقم ٨٢
والقطعة على لسان وزير أمضى مدة في خدمة المليك ، حتى استخلف غيره .
فأخذ ينصح المليك بعدة نصائح ، هي عصارة تجاربه وخبرته . ومطلعها :

— سمعت أن شاپور أصابته حسره
حين استخلف خسرو على أعماله^(١)

وتمضي القصة في عرض طائفة من النصائح في مختلف المعاني .

١ — العناية بالموظفين بعد ترك خدمتهم .

— بما أني بذلت شـبابي ، من أجلك ،
فلا تحرمني وقت الهـرم من رعايتك^(٢) .

٢ — وفي عقاب الموظفين .

— إذا لم يكف المشرف على الأمانة يده

فينبغي أن يعين رقيب ، عليه

— فان اتحد الرقيب ، والمشرف

فأرفعهما من العمل معاً^(٣)

که از فریبی بایدش کند بوست
نه چون گوسفند ان مردم درید
چو خسرو برسمش قلم در کشید
بهنگام پیری مرانم ز پیش
باید پرو ناظری برگماشت
ز مشرف عمل برکن و ناظرش

= مکن صبر بر عامل ظلم دوست

سرگسرگ باید هم اول برسد

(١) شنیدم که شاپور دم در کشید

(٢) چو بذل تو کردم جوانی خویش

(٣) چو مشرف دودست از امانت ندانست

ورونیز در ساخت با خاطرش

وإذا عُزلت أحداً من منصبه
فأعف عنه ، إذا مضت عليه مده (١)
فإن أسديته النصيح ، ولم يستمع
فألقه في السجن والقييد (٢)

٣ — ثم دعوة إلى العمل ابتغاء حسن السمعة في قوله

— لم يأت أحد إلى الدنيا ، نال فيها الخلود
إلا من بقي بعده الذكر الحميد (٣) .
— فإن ذهب ، ولم يبق أثر بعده
فلا يليق أن تقرأ الفاتحة بعد مماته (٤) .

قصة كركين :

وهذا الاسم يرد في الشاهنامه « كركين » وهو بطل من الأبطال القدماء
الایرانیین ، يقال إن « بهرام گور » كان من نسله (٥) .

وقصته تقع الخمسين في الترتيب ، وأيامها سبعة ، وهي من قبيل القصص
الاستطراذية التعقيبية ، انتقل إليها الشاعر لتقوية المعنى الذي انتهى إليه في القصة
السابقة له .

وكان الحديث فيه عن شجاعة رجل من رجال الحرب بقوله .

-
- (١) بکی راکه معزول کردی زجاه چو چندی برآید ببخشش کنه
(٢) چو باری بگفتند و نشید بنسند بده گوشمالش بزند ان ویند
(٣) نیامد کس اندر جهان کو بماند مگر آن کزو نام نیکو بماند
(٤) وگر رفت وآثار خبرش نماند نشاید پس از مرگش الحمد خواند
(٥) الشاهنامه العربية للدكتور عزام بك ج ٢ ص ١٧٩ — حاشية .

إن الخنث خير ممن يتقلد السيف
ويفر يوم الهيجاء ، كأنه امرأة (١).

هذا هو آخر بيت في القطعة التي سبقتها ، فرغب الشاعر أن يورد قصة على
لسان بطل مارس الحرب وعركها ، فتخير لها هذا البطل القديم .

واستهلال القطعة هنا مخالف للقطع السابقة ، وبيت الاستهلال يقع التاسع
بعد التسعمائة ، يورده الشاعر بكلمة استحسان ، ترد على لسان البطل .

ما أحسن قول گرگین إلى ابنه !
حين لبس الدرع وتقلد السلاح (٢).
ثم يمضي في تقوية المعنى في قوله .

— إذا كنت تفر في الهيجاء ، كما تفر النساء
فلا تذهب ولا ترق ماء وجه الأبطال .
— فالقارس الذي يولى بظهره يوم القتال
لم يقتل نفسه فحسب ، بل يقتل سمعة الأبطال (٣).

قصة عمر بن عبد العزيز

وقصته السادسة عشرة ، تبدأ بالبيت ٣٣٤ . في تسعة عشر بيتاً .
تدور القصة حول معنى اشتهر به ابن «عبد العزيز» وهو مبلغ الإشفاق على
الرعية ، والتجرد من مظاهر الترف والزينة . ويتخير الشاعر للقصة موضوعاً يدور
حول خاتم ثمين ، يملكه عمر بن عبد العزيز ، ويدير القصة على لسان أحد العطاء
في قوله .

-
- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) مخنث به از مرد شمشیر زن | که روز غوغا سر بتابد چو زن |
| (٢) چه خوش گفت گرگین بفرزند خویش | چو قربان پیکار بربوب و کیش |
| (٣) اگر چون زنان جست خواهی کربز | مرو آب مردان جنگی مریسز |
| سواری که درجنگ بنمود بشت | نه خود را که نام آورانرا بکشت |

— یحکی أحد العطاء الأجلاء
 عن عمر بن عبد العزيز .
 — أنه كان لديه فص لخاتم
 عجز الجوهري عن تقدير ثمنه^(۱) .

ویمضی فی إبراز قيمة هذا الخاتم الثمين ، وأنه كان ينير الدنيا ، حتى تبدو كأنها
 النهار ، فنزلت بالقوم سنة قاسية ، فعرض الخاتم في السوق فباعه . وتمضى
 القصة فتقول :

— أنفق ثمنه في أسبوع واحد
 منحه للفقير ، والمسكين ، والمحتاج .
 — فأشبعه الناس ملامه ، وطعناً
 قائلين له ، لن تحصل على مثله مرة أخرى^(۲) .

وهنا ينتقل الشاعر إلى مغزى القصة ، فيجری على لسان «عمر» هذا الرد :

— قبيح للملك أن يطلب الزينة
 وقلوب الرعية جرحى ، بما هم فيه من الحاجة .
 — لا ضرر أن يكون بلا فص — خاتمی
 لكن لا يليق أن تكون قلوب الخلق في غم^(۳) .

والشاعر يختم القصة بدعوة عامة إلى الإصلاح ، وإلقاء بعض أبيات للنصح
 والإرشاد ، مشيراً فيها إلى حاكم شیراز ، المقصود بهذا التوجيه :

- | | |
|--------------------------------|---------------------------|
| (۱) یکی از بزرگان اهل تمسیر | حکایت کند زاین عبد العزیز |
| که بودش نگینی در انگشتری | فرمانده در قیمتش جسوهری |
| (۲) بیک هفتسه نقدش بتاراج داد | بدر ویش ومسکین ومحتاج داد |
| فتادند دروئی ملامت کنسان | که دیگر بستت نیاید چنان |
| (۳) که زشتست بیرابه بر شهر یار | دل شهری ازنا تسوانی فگار |
| مراشاید انگشتری بی نگین | نسیاید دل خلق انسد وهگین |

— إذا نام المليك منعاً على فراشه
 فلست أظن الفقير يستريح في نومه
 — لكن إن سهر على صالح أمته
 نام الناس في ترف وراحه
 — والحمد لله تعالى ، فهذه السيرة الحميدة
 هي سيرة الأتابك أبي بكر بن سعد (١)

أليس في هذا رسم خطة يريدّها الشاعر في كل الحكام ؟ أليس يرغب أن
 يكون أمير شيراز على تلك الخطة ؟ أليس يدفع إليه هذه الأبيات الأخيرة ، وكأنما
 يتأكد مقدماً أن الأمير على مثل هذه الخطة ؟ .

قصة الحجاج

والقطعة رقمها الواحد والثلاثون ، وبيت المطلع ٥٦١ وعدد أبياتها عشرون .
 وماذا يشتهر عن الحجاج إلا الظلم ، والعسف ، وأخذ الناس بالقوة ؟
 فيأتيه الشاعر برجل طيب ليعرض مبلغ قسوة الحاكم وظلمه ، لمجرد الشبهة ،
 ولو كانت ممن لا شبهة فيهم ، وعنوانها « يوسف حجاج ومرد حق كوي » الحجاج
 والرجل الصادق ، ومطلعها :

يحكى أن رجلاً من الأخيار
 لم يبال بتعظيم الحجاج بن يوسف (٢)

ثم ينتقل الشاعر فيبرز معنى سرعة الغضب عند الحجاج ، ومبلغ القسوة
 بمجرد الشبهة . فيردف المطلع بهذا البيت :

(١) اگر خوش بخسبد ملك بر سریر
 وگر زنده دارد شب دیر باز
 بجمد الله این سیرت وراه راست
 حکایت کنند از یکی نیکمسررد

نپندا رم آسوده خسبد فقیر
 بخسبد مسردم آرام و نسااز
 آتابک أبو بکر بن سعد راست
 که اکرام حجاج یوسف نکرد

— فآلّی نظــــرة حادة إلى رئیس دیوانه
قائلاً ! ألق النطع واســــفك دمه (۱) .

ولكى یبث الشاعر روحاً فی القصة ، یجعل الرجل یغلب علیه الضحك
والبكاء ، فیعجب الحجاج لذلك ، فیسأله . ماذا أضحكك ؟ وما یبكيك ؟ فیجیبه
الرجل بمعنی آخر ، أدعی إلى العطف علیه :

— إن بكائی من الدهر
فلی أربعة من أطفال مساكین .
— وإن ضحكى من اطف الله الرحیم
أنى أنا المظلوم ! یسفك دمی ، ویبقى الظالم (۲) .

أنظر فی الأول ، معنی استدرار الرحمة ، وفی الثانی مبلغ حرص الشاعر على
استقامة القصة . فیجعل قضاء الله لطفاً منه ، مما یناسب أن یصدر من الصالحین .
ثم یمضی الشاعر فی تصویر معنی الظلم ، ومبلغ قسوة الحجاج ، حتى ینتهی
به الأمر إلى القضاء على الرجل ظمناً ، وهنا یدون نوع من براعة الشاعر ، فیجعل
النهاية فی القصة من قبیل الروایة سماعاً .

— سمعت أنه لم یذعن للنصح ، وسفك دمه
ومن ذا الذى یستطیع أن یفر من حکم الله ؟؟ (۳) .

ثم ینخرج من هذه القصة بهذه المعانی العامة فی معاملة الرعية :

— إن المظلوم لا ینام ، فاخش آهاته
واخش أنفاس قلبه حتى ینكشف الصبح (۴) .

-
- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| (۱) بسر هنگ دیوان نگه کرد تیز | که لطعی بینداز و خولش بسریز |
| (۲) بگفتاهمى کریم از روزگار | که طفلان بیچاره دارم چهار |
| همی خندم از لطف بزبان پاک | که مظلوم رفتم نه ظالم بخاک |
| (۳) شنیدم که شنید و خولش بریخت | زفرمان داور که داند گریخت ؟ |
| (۴) نخواستست مظلوم از آهش بترس | زدود دل صبحگاهش بترس |

قصة المأمون

يُعدُّ لها جارية من جوارى القصور التي كانت تزخر بها قصور آل عباس ،
ويجري على لسانها بعض أدوار القصة ، ولكنه لا يحيد فيها عن الطريقة التي
التمها ، من إبراز المعاني ، وراء المجسمات والحوادث .

يُؤتي للمأمون بالجارية الجميلة ، فتتفر منه ، وهو الخليفة الذي ليس في الملك
مثله بسطة ، وسعة ، ورفاهية .

والقصة تقع في الترتيب ٤٣ في ٢٣ بيتاً ورقم المطاع ٧٥٤ وعنوانها « مأمون
خليفة باكنيزك » الخليفة والجارية ، ومطلعها :

— حين وصل دور الخلافة إلى المأمون
ابتاع جارية فائنة ، كأنها البدر (١) .

ثم يمضي في وصف جمالها، لكنها تنفر من المأمون، فيغضب، ثم يتالك نفسه،
فيسألها ما يغضبها ؟ فتوضح له ما تلقاه من عناء في راحة فمه ، ثم يبرز الشاعر مدى
حكمة المأمون ، وترويه ، واستجابته لرغبات جاريته .

— تكلم مع من يعرفون الطباع من كل إقليم
وسأل كثيراً ، من كل جهة (٢) .

ثم ينتقل الشاعر إلى المعنى المقصود من القصة ، وهو تقبل النقد ، وسعة
الصدر ، والحلم عند الغضب .

— إن الذي يريد لك الخير ، هو — في رأيي
من يقول لك يافلان! إن الشوك في طريقك (٣) .

(١) چودور خلافت بمأمون رسيد بكي مساه بيكر كنيزك خريد
(٢) طبيعت شناسان هر كشوري سخن گفت باهر بك از هردي
(٣) بنزد من آنكس نكو خواه تست كه گويد فلان خاردر راه تست =

— أما أن تقول للضال إنك تسير سير المستقيم
فإن ذلك جفاء تام ، وجور عظيم .

قزل أرسلان ، وفيه قصتان :

قصته الأولى تعالج غرور الملوك ، وقد كان قزل أرسلان من أتابكة آزر بيجان
المشهورين ، حكم من سنة ٥٨١ — ٥٨٧ هـ . ومدحه كثير من مشاهير الشعراء
الإيرانيين المعاصرين له . مدحه النظامي الكنجوي ، ومجير الدين البيلقاني ،
وظهیر الدين الفاريابی (١) .

والقطعة الأولى من هاتين القطعتين ، الثانية في الباب وأبياتها ١٤ ورقم مطلعها ٧
وعنوانها « نصيحة الملوك على وجه التعريض بظهير » . وظهير هو الفاريابی السابق
الإشارة إليه . والتعريض به هنا لأنه مدح الأمير بقوله :

— وَضَعَ الْفَكْرُ تَحْتَ أَقْدَامِهِ تِسْعَةَ كُرَاسِي مِنَ الْفَلَكَ
حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَقْبِلَ رَكَابَ قَزَلِ أَرْسَلَانَ (٢) .

فأراد الشاعر أن يستحضر شخصية خدعت بالغرور والكبرياء ، واستجاب
الشعراء لها بهذا الغرور ، فتخير « قزل أرسلان » وتلقف بيت « الظهير »
وعرّض به في مطلع قطعته :

— أَيْ حَاجَةً لَكَ حَتَّى تَضَعَ كُرَاسِيَ الْفَلَكَ التَّسْعَ
تَحْتَ أَقْدَامِ قَزَلِ أَرْسَلَانَ!؟ (٣) .

= بگمراه گفتن نگو مسیروی جفائی تما مست وجوری قسوی

(١) النظر تراجم هؤلاء الشعراء وصلتهم بهذا الأمير في ترجمة تاريخ الأدب الفارسي

(٢) نه كرسی فلك نه د اندیشه زیر پای تابوسه برکاب قزل أرسلان دهد

انظر شرح جراف ص ٢٨ وسودی ص ٨

(٣) چه حاجت که نه کرسی آسمان نهی زیر پای قزل أرسلان

وهذه القطعة تقوية للمعنى الذى ساقه الشاعر فى القطعة التى سبقتها . يعرض لموقفه من مدح الملوك ، ويرى أن يتجرد الإنسان من الطلب والحاجة ، حتى لا يتصنع فى مدحه ، وهذا يبين لنا مدى محافظته على الروح الأخلاقية ، التى كان يتطلبها .

— لا تسلك ياسعدى طريق التكلف
فان كنت صدوقا . فاحضر ! وتهيا للقول .
— إنك خير بالطريق ، والمليك سالك لها
وأنت تنشد الحقائق ، والمليك مستمع لها (١) .

هذا هو موقف سعدى من أمير إمارته ، وهذه هى المعانى التى انتهى إليها فى هذه القطعة ، فلما استقر هذا المعنى فى ذهنه ، عرض بقول « ظهير » فى مدح « قزل أرسلان » على الصورة التى وردت فى المطلع . والشاعر سرعان ما ينتقل إلى الغرض المقصود من استحضار « قزل أرسلان » فيعالج تواضع الملوك فى قصته .

— لا تقل ضع قدم العزة على الأفلاك
بل قل ضع وجهك مخلصاً على التراب (٢) .
— وإن كنت مطيعاً ، فاركع على أعتاب ربك
والق تاج الملكة عن رأسك ! (٣) .
— وحين تطيع ، فلا تتحل بزينة الملوك
بل تضرع ، كالدرويش المخلص (٤) .

-
- | | |
|-------------------------------|---------------------------|
| (١) بسراه تكسلف مرو سسعديا | اگر صدق دارى بیار و ییسا |
| تومنزل شناسی وشسه راه رو | تو حق گوی وخسرو حقایق شنو |
| (٢) مگوبای عزت بسسر أفلاك نه | بگو روى إخلاص برخاك نسه |
| (٣) اگر بنده سر برین دربنه | کلاه خد اونسدى از سر بنه |
| (٤) چو طاعت کنی لبس شاهى میوش | چو درویش مخلص برآور خروش |

وهكذا يمضي الشاعر في بيان الطريق إلى التواضع ، حتى ينتهي من
القطعة بقوله :

— إذا كان العطاء مهيئون على بابك للخدمة
فلتحن أنت رأسك ، على أعتاب الله ، طاعة له (١).

* * *

أما القطعة الثانية فتد رقم ٣٨ ومطلعها ٦٣٧ وأبياتها ١٤ ، وتعالج القطعة
مسألة أخرى ، هي أحوال الدنيا ، وأنها سريعة الزوال والانتقال . يتخير لهذا
المعنى قصة تدور حول قلعة للأمير ، تستعصى على الزمن قوة وثباتا .

ويجعل الحديث بينه وبين سائح حكيم ، يقول في المطلع :

— كان لقل أرسلان ، قلعة منيعة
وكانت تفوق في علوها ، جبل ألوند (٢).

ويعمى في وصف القلعة ومناعتها ، ووعورة الوصول إليها ، وأمن الأمير بها
ثم يدخل الشخصية الأخرى في القصة ، ويدير الحديث بينهما :

— قال قزل أرسلان ، هل رأيت
في سياحاتك العديدة ، مكاناً محكماً ، كهذا (٣).

فيجيبه الحكيم ضاحكاً ، ساخراً ، نعم ! إن قلعتك هذه عظيمة ، ولكني
لست أظنها منيعة . وينقل من ذلك إلى الغرض من القصة :

— ألم يكن قبلك من ملكها من العطاء ؟؟
عاشوا طويلاً ، لكنهم مضوا (٤) !! .

(١) كمر بسته گرد نكشان بر درت	تویر آستان عبادت سرت
(٢) قزل أرسلان قلعه سخت داشت	که گردن بالوند برمفراشت
(٣) قزل أرسلان چند بن که گردیده ای	چنین جای محکم ذکر دیده ای ؟
(٤) نه بیش از تو گرد نكشان داشتند	دی چند بودند ویکذا شستند

ثم يختتمها بهذا المعنى العام، في تأييد المعنى السابق .

— الدنيا — لدى العاقل — لا تساوى شرّ و نقيير
فسرعان ما يخلفها قوم، مكان آخرين^(١) .

قصة تكلة بن زنگي

وقصته ١٨ وأبياتها ١١ ومطلعها ٣٥٩ .

وماذا كانت شهرة تكلة بن زنگي ؟ إنه اشتهر بالعدل ، وسعة السلطان ،
حتى فاق أنوشروان، وسليمان . مدحه بعض الشعراء بقوله .
فأين أنوشروان منه وعدله وأين سليمان النبي وخاتمه^(٢)
ومع ذلك ، كانت تغلب عليه الروح الصوفية ، حتى أنه نفر من السلطان .
ومطلع القطعه :

— جاء في أخبار الملوك السالفين
أن تكلة ، حين جلس على عرش آل زنگي^(٣) .

ثم يدخل الشاعر أحد المتصوفة في القصة ، ليخلص إلى المعنى الذي يريد :

— قال ذات مرة ، لأحد الزاهدين
لقد انتهى عمرى دون أن أجنى ثمرا^(٤) .

ثم يرغب في الابتعاد عن الدنيا ، والانقطاع إلى العبادة . لكن الشاعر
يرشد إلى طريق أقوم من هذا . وما الطريق الذي هو أقوم من الانقطاع إلى
العبادة، عند ملك يريد أن يهجر الملك في سبيلها ؟ هنا يأتي الشاعر بالمعنى المناسب
لملك يشرف على رعيته .

-
- (١) بسر مرد هشار دنبا خست كه هر مدق جاى ديگر كسست
(٢) شيراز نامه ص ٥١
(٣) در أخبار شاها ن بيشينه هست كه چون تكلة برتخت زنگي نشست
(٤) چنين گفت يكره بصاحب دلى كه عمرم بسر رفت ببحاصلى

— ليس الطريق سوى ، إلا في خدمة الخلق
لا بالتسبيح ، والسجادة ، والدلق .
— فامض على عرش سلطانك ،
وكن درویشاً في أخلاق الطاهرين ^(١) .

* * *

هذا هو منهج الشاعر في اختيار الشخصية ، ومبالغ درايته بتاريخها وظروفها .
يستحضرها ، ويعد لها الدور المناسب ، ويمجى على لسانها ، أو يستخلص
من قصتها معنى من المعاني .

وهذه هي القصص التي تناولت شخصيات تاريخية معروفة ، أدركنا منها
كيف أحكم الشاعر إدارة قصصه ؟ وكيف بلغ النتيجة التي يريد ، والمعنى
الذي يقصده . ؟؟

وهناك — كما قلنا سابقاً — قصص أخرى من التي سميناها قصصاً عن «سعدى» ،
أو قصصاً عامة ، تكون مع القصص الشخصية جميع قصص الباب . وبعض
القصص العامة ، تدخل فيها شخصيات عرضية ، للتشبيه أو لتوكيد المعنى ،
وإدراك الصورة التي يطلبها الشاعر ، بالإضافة إلى المعاني التي تنطوي عليها هذه
القصص ؟ وهذا ما يدعونا إلى الكلام على مجموع الأفكار العامة التي تناولها
الشاعر في جميع الباب .

* * *

الرؤى العامة في باب العدل

تناول هذا الباب في مختلف القصص — بالإضافة إلى ما لاحظناه في القصص
الشخصية — مجموعة من الأفكار العامة تتمشى مع الغرض منه .

(١) طريقت بجز خدمت خلق نيست بتسبيح وسجاده و دلو نيست
توبر تخت سلطانى خویش باش بأخلاق پاکیزه در ویش باش

فهذا باب وضع للملوك وسياسة الملك ، فلا بد أن يعالج فيه الشاعر أموراً تتصل بهم، كذلك كان من قصد الشاعر أن يرسم فيه دستور الملك يعالج به شئون الرعية. ويمكن تصويرنا لهذا كله في ناحيتين :

أولاً — تعرض الناحية الأولى لسياسة الملك الداخلية . وتناول فيها الشاعر أحوال ثلاث هيئات هي :

(١) شئون الرعية . (٢) شئون الموظفين . (٣) شئون الجيش .

ثانياً — والناحية الثانية تعرض للسياسة الخارجية . تناول فيها أحوالاً ثلاثاً :

(١) خصوم الدولة . (٢) حالات الحرب والسلم . (٣) أمور الأجانب .

السياسة الداخلية :

١ - شئون الرعية :

ويبدو أن شئون الرعية وسياستها استنفذت كثيراً من أفكار هذا الباب ، يظهر ذلك فيما نلاحظه من كثرة النصائح التي كان يرددها — رواية وسماعا — على ألسنة الملوك السابقين في نصائحهم لأبنائهم ، أو لعالمهم في إدارة دفة الحكم . فهو يشبهها تشبيهات كثيرة :

— الرعية كالشجرة ، إذا نالت رعايتك

جنيت ثمارها ، بقدر رغبتك .

— فلا تقتلع جذورها ، وثمارها بغير رحمه

فإن الجاهل يوقع الحيف بنفسه ^(١) .

— والرعية كالجذر ، والسلطان كالشجر

والشجرة يا بني ! تستمد قوتها من الجذر ^(٢) .

(١) رعيت در خنست اگر پروری
بیر همت از بیخ و بارش مکن
بکام دل خویش بسر خری
که نادان کند حیف بر خویش ق ۱۱

(٢) رعیت چو بیخند و سلطان درخت
درخت ای سر باشد از بیخ سخت =

— فلا تجرح — ما استطعت — قلوب رعيتك
 فإذا جرحتها ، اقتلعت جذرك^(۱) .
 — ولا ينبغي قتل الرعية ، ظلماً
 فإنها ملاذ السلطنة ، وظهيرها .
 — وارع الأجير ، من أجل نفسك ،
 فإن العامل السعيد ، هو الذي يأتي بعمل وافر .
 — وليس من المروءة أن تفعل الضرر
 مع من رأيت منه خيراً كثيراً^(۲) .
 — وحرام على المليك ، أن ينام سعيدياً ،
 إذا ترك القوى على الضعيف .
 — فلا تؤذ الرعية مقدار خردله ،
 فإن السلطان راع ، والرعية قطيعه^(۳) .
 — وإذا نام المليك مستريحاً على السرير
 فلست أظن يوماً هادئاً للفقير .
 — فإن مهر طويلاً على راحة الرعية
 نام الناس مستريحين ، وسعدوا به^(۴) .

مکن ناتوانی دل خویش ریش	وگر میکنی میکنی بیخ خویش ق ۴
(۱) رعیت نشاید بیسداد گشت	که بر سلطنت را پناهند و پشت
مراعات دهقان کن از بهر خویش	که مزدور خوش دل کند کاربیش
مروت نباشد بدی بسا کسی	کز و نیکویی دیده باشی بسی ق ۴
(۲) حرامست بر پادشاه خواب خوش	چو باشد ضعیف از قوی بارکش
مبازار عامی بیک خسردله	که سلطان شبانست و عامی کله ق ۴
(۳) اگر خوش بخسبد ملک بر سریر	نپندارم آسوده خسبد فقیر
وگر زنده دارد شب دیر بساز	بخسبد مردم آرام و نساز ق ۱۶

- وقبیح للملك أن يطلب الزينة
 وقلوب أهل المدينة جريحة مجزاً .
 - طوبى لمن يؤثر راحة الناس رجالاً ونساء
 على راحة نفسه ، وشهواتها ^(۱) .
 ثم يعرض لشيء من العقوبات التي توقع حين الجرم :
 - التمس للمذنب عذر النسيان
 ولا تحرمه ان طلب الأمان .
 - وان لجأ إليك مذنب
 لا ينبغي أن تقتله أولاً بذنبه .
 - فإذا نصحته مرة ، ولم يستمع لنصحتك
 فأسلمه إلى سجنك ، وقيدك .
 - فإن لم تثمر فيه النصيحة ، والسجن
 فاقتله من جذره ، فإنه شجرة خبيثة ^(۲) .
 - ولا تؤذ الغريب الذي امتلأ رأسه بالفتنة
 بل اطرده بعيداً ، من الدولة .
 - فإن كان فارسياً ، ومن مواليدها
 فلا تنفه إلى صنعاء ، أو صقلاب ، أو الروم .
 لكن لا تأمنه ، ولو لوقت قليل
 ولا ينبغي أن توكل البلاء بالآخرين ^(۳) .

- | | |
|---|---|
| <p> (۱) دل شهری ازنا توانی قسار
 گز بنسد بر آرایش خویشتن ق ۱۶
 چو زنهار خواهد زنهاده
 نه شرطست کشتن باول گناه
 بسده گوشمالش بسزدان ویند
 در ختی خبیثست بیختن برآر ق ۷
 میازار و پرون کن از کشورش
 بصنعاش مفرست و صقلاب و روم
 نشاید بلا بر دگر کس گماشت ق ۱۷ </p> | <p> (۱) که زشتست بیرایه بر شهریار
 خنک آنکه آسایش مرد وزن
 (۲) گنهکار را عذر نسیان بنسد
 گر آید گنهکاری آنسدر بنساهد
 چو باری بگفتند و نشنید بنسسد
 و گر بندد و بندش نیاسسد بکار
 (۳) غریبی که پرقتنه باشد سرین
 و گر سارسی باشدش زاد و بسوم
 هم آنجا آمانش مده تا بجاشت </p> |
|---|---|

— وانظر في أحوال السجناء ،
قليل من بينهم من هو برى^(١).

٢ - شئون الموظفين :

والشاعر لا يتناول المسائل العامة وحدها ، فيدلى فيها برأيه ، ويطلب فيها بتوجيهاته . لكنه يتناول المسائل الخاصة ، المسائل العملية في سياسة الدولة .

يعرض لأمر الموظفين ويتناولهم من الوزراء إلى العمال . عرض لأمر اختيار الوزراء ، وتناول هذا المنصب ، وتناول ما يحدث بشأنه من الوشائيات في قطعة خاصة هي أطول قطع الباب ، بل لعلها كذلك أطول قطع الكتاب . ففي القطعة الثامنة وتبلغ مائة وعشرة أبيات ، يصور رغبة الملك في اختيار الوزير ، وما يحدث بين الوزراء من الحسد ، والغيرة . وهو يرسم للملك الخطط لعلاج هذه المشاكل . ويجانب هذه القطعة ، تتردد بعض المعاني المتصلة بهذا الموضوع ، في قطع أخرى أهمها القطعة التاسعة .

وقد تناول الشاعر في موضوع الوزراء ، أهم شيء فيه ، وهو التنافس على كراسي الحكم ، وفي سبيل هذا التنافس تكثر الوشائيات ، وتحيط بالأشخاص ، فتفعل هذه فعلها في نفسية الملك ، فيغضب ، فيعالج عنده أمر الغضب ، ثم تتكشف الحقيقة لديه فيرتد إلى الصواب .

ونحن نتناول هذه الناحية من جانبها :

(١) السياسة مع الوزراء . (ب) السياسة مع بقية موظفي الدولة.

(١) نظرکن در احوال زندانیان که ممکن بود بیگنه در میان ق . ١

۱ - السیاسة مع الوزراء :

یصور الوشایة فیما بینهم بقوله علی لسان أحد الوزراء یخاطب الملّیک :

— أنّی للحسود الذی یرانی فی مکانه

أن یدکرني بغير لسان السوء ؟؟ .

— لقد اعتبرت نفسی عدواً له

منذ جعله الملّیک تحت امری .

— ألا یعلم الملّیک أنه حین یفضلنی علیه

سیکون عدواً لی ، یقتنی أثری ؟^(۱) .

— إن لی أيضاً اسماً طیباً ، لكن خصمی

لا یدکره حسناً ، لعلّ فی نفسه .

— فالوزیر الذی فقد مکانته بسبب جاهی

ینبغی أن احتسب منه کثیراً^(۲) .

ثم یصور الشاعر کیف استضاء الملّیک ، عندما لمس براءة الوزير :

— لست أخشى غضب الملّیک

فإن البریء شجاع فی الکلام .

— والذی یخشی المحتسب

من کانت أثقال میزانه ناقصة .

— فإذا کتبت — صحیحاً — بقلمی

فکیف اغتم من یعرضون علی ؟؟^(۳) .

- | | |
|--|---|
| <p>کجا برزبان آورد جز بدم
که بنشانده زبردست منش
ندانند که دشمن بود در بیم ؟ ق ۸
زعلت نگوید بد اندیش لیک
بفرسنگ باید زمکرش گسریخت ق ۹
دلاور بسود در سخن بیگناه
که منگ ترازوی بارش گمست
مرا از همه حرف گیران چه غم ؟ ق ۹</p> | <p>(۱) حسودی که بیند بجای خودم
من آنگاه اندکاشتم دشمنش
چو سلطان فضیلت نهد برویم
(۲) مرا همچنین نام نیکست لیک
وزیری که جاه من آتش بریخت
(۳) ولیکن نینسد یشم از خشم شاه
اگر محتسب گردد آنرا غمست
چو حرفم بسر آید ز دست از قلم</p> |
|--|---|

— استضاء المليك برأى الوزير
حتى اغتم الوزير القديم بغم جديد .
— لم ير ثغرة في ذلك العاقل
حتى يمكن أن يطعنه بها .
فالأمين ، ومفكر السوء ، كالطشت والنمل
لا يستطيع النمل أن يحدث ثغرة فيه ^(١) .

ويعرض الشاعر مدى حلم المليك ، وعدم تأثير الغضب في نفسه ، عند الوشاية
في قوله :

— لو لم أكن قد اتبعت الأناة ، بتعقل
لكنت عاقبتة بقول خصمه
— فالذي يمد يده سريعاً ، وهو في ثورة الغضب
يعض بنان الندم أسفاً .
— فلا تنصت إلى كلام الوشاة
فإذا عملت به ، فلا ريب أنك نادم ^(٢)
— ولا تؤذ من عاش في رعايتك
ولا تقتله بالسيف ، إذا أغضبك
— وما دمت لم تتيقن من إثمه
فلا تأخذنه بقول خصمه ^(٣)

-
- | | |
|---|---|
| <p>(١) وزیر کهن را غم نو گرفت
که دروی تواند زدن طعنه ای
نشاید درو رخنه کردن بسزور ق ۸
بگفتار خصمش بیسازردمی
بدندان بسرد شت دست دریغ
که گرکار بندی بشیان شوی ق ۹
چو تیر تو دارد بتیغش مسزن
بگفتار دشمن گزندش مخواه ق ۸</p> | <p>(۱) زروشن دلش ملك پسر تو گرفت
ندیدد آن خرد مند را رخنه ای
آمین وید اندیش طستند و مسور
(۲) بعقل ارنه آهستگی کردمی
بتندی سبك دست بسردن دریغ
ز صاحب غرض تا سخن نشنوی
(۳) میازار پسرورده خوشستن
کنون تا یقینت نگردد گناه</p> |
|---|---|

ب - السياسة مع الموظفين :

- حكمٌ في الرعية من يخشى ربك
فإن العفيف عماد ملكك .
- والذي تمتص دماء الخلق من أجلك
هو من يفكر السوء بك (١) .
- وينبغي أن يكون أميناً يرعى الله
فلا تأمن لأمين يخافك وحدك .
- وينبغي أن يمكر الأمين في خشية ربه
لا في رفع رانبه ، أو خوف زجره ، وهلاكه .
- واعط ، وحاسب من تعطى ، تعش آمناً
فلن تجد واحداً من مائة أميناً (٢) .

كما يعرض الشاعر لسياسة عقوبة الموظفين ، وتأديبهم في قوله :

- إن الملوك العادل ، في رعيته
يفضض عليهم ، غضب الأب على ابنه .
- يضربه حيناً ، حتى يؤله
و حيناً ، يمسح دموعه من عيون البريئة (٣) .
- وإذا زلَّ الكاتب ، في عمله
فلا تقطن جبال أمله (٤) .

-
- | | | |
|-----------------------|--|---|
| <p>ق ه</p> <p>ق ٧</p> | <p>که معمار ملکست پر هیز کار
که نفع توجوید در آزار خلق
امین کز تو ترسد آئینش مدار
نه از رفع دبان و زجر و هلاک
که از صد یکی را ننی امین
بدر وار خشم آورد بر سر
گاهی میکند آیش از دیده یاک
بیفتد نبرد طناب امل =</p> | <p>(١) خدا ترس را بر رعیت گمار
بداندیش تست آن و خونخوار خلق
(٢) خدا ترس بایسد اما نتگزار
امین بابد از داو رد اندیشناک
بیفشان ویشمار و فارغ نشین
(٣) بفرمان بران بر شسته دادگر
گهش میزند تاشسود دردناک
(٤) نویسنده را گر مستون عمل</p> |
|-----------------------|--|---|

— و إذا لم يكفَّ المشرفُ يده ، عن الأمانة
 فينبغي أن يعين رقيبٌ عليه .
 — و إذا عزلت أحداً ، من مكانه
 فاعف عنه ، حين تمضي عليه مده .
 — ولا تعاقب المؤذي بأخذ أمواله
 بل يجب اقتلاع جذره من أساسه .
 — ولا تصبر على عامل تمادي في بطشه
 بل ينبغي - متى سمن - أن تسلخ جلده (١) .

كذلك يتحدث الشاعر عن الذين تقادم عهدهم في الخدمة ، أو تركوها :

— زود قدر القـدماء في خدمتك !
 حتى لا يغدر بهم ، من يتول بعدك .
 — وحين يتقادم العهد بخادمك
 لا تنس السنين التي أمضاها في خدمتك .
 — فإذا كان الهرم قد حال بين العمل ، وبينه
 فإن يدك الكريمة ، لاتزال موجوده (٢) .

٣ - شئون الجيش :

ولم تقف مقدرة الشاعر في رسم دستوره ، عند العناية بالرعية ، أو بالموظفين
 المدنيين . بل تناول أيضاً أمور الجيش ، ورسم للملك سياسة يسلكها حال السلم ،

چو مشرف دودست از امانت نداشت	پایید برو ناظری بر گماشت
یکی را که معزول کردی زجاه	چو چندی بسر آید ببخشش گناه
(١) مکافات مؤذی بمالش مکن	که ببخش بر آورد باید زبن
مکن صبر بر عامل ظلم دوست	که از فریبی بابدش کند پوست
(٢) قدیمان خو درای بیفزای قسـدر	که هرگز نیاید ز پرورده غدر
جو خدمت گذا ریت گردد کهن	حق سالیانش فرامش مکن
گر اورا هرم دست خدمت بپست	ترا بسر کرم همچنان دست هست

و حال الحرب ، ورعاية شئون الجيش ، في كلا الحالين ، ومسلكه مع العدو ، ومع الأسرى ، ومع البلاد التي يفتحها . مما يدل على مدى تجربته ، وخبرته في ألوان الحياة كلها . تلك الخبرة التي جمعها طوال عهده ، وخلال رحلاته .

وأول ما يطالعنا من أمور الجيش حديثه عن الأموال ، والخراج ، والخزانة . وعلاقة كل ذلك بتقوية الجيش لصيانة الدولة :

— لست أحصل على الخراج

من أجل زينتي ، وعرشي ، وتاجي .

— كم لي من ألوان الترف ، والهوى !

لكن الخزانة ليست ملكي وحدي .

— فإنما تمتلئ الخزائن لينفق منها على الجيش

لا على الزينة ، والزخرف ، والرياش (١) .

— وأكرم الجيش وقت الصفاء

فإنه يفتديك وقت الهيجاء (٢) .

— وارع اثنين ! أيها الملك الحبيب

أحدهما المحارب ، والآخر المجرب .

— ففكرة الدولة يكسبها العظماء

الذين يرفعون المحاربين ، والعلماء .

— ومن لم يمارس القلم ، والسيف

فإن مات ، لا تحزن عليه ، ولا تأسف (٣) .

-
- (١) نه از بهر آن میستانم خسراج
مرا هم ز صد گونه از وهواست
خزائن پر از بهر لشمکر بسود
که زینت کنم برخود وخت و تاج
وليکن خزینه نه تنها مراست
نه از بهر آیین و زیور بسود ق ۱۱
- (٢) سپاهی در آسودگی خوش بدار
دو تن پرو را ی شاه کشور گشای
ز نام آوران گویی دولت برنسد
که در حالت سختی آیسد بکار ق ۴۸
یکی اهل رزم و دیگر اهل رای
که دانا و سمشیر زن پرو رند
پرو گر بمیرد مگو ایسد رنغ ق ۵۱
- (٣) هر آنکو قلم را نورزید و تیغ

ثانياً — السياسة الخارجية :

رأينا أن الشاعر تناول فيها أحوالاً ثلاثاً ، هي :

(١) خصوم الدولة (٢) حالات السلم والحرب (٣) أمور الأجانب

١ — خصوم الدولة :

حاول الشاعر أن يرسم سياسة الملك ، ليحذر أعداءه خارج دولته ، وينادي في هذه السياسة بما يأتي :

— ليس من الحكمة ، أن تعيش في أمن

حتى ولو كنت ، بين عدوين ضعيفين (١) .

— ويجب أن تخفى للحرب استعدادك

فإن العدو يخفى إغارته عليك .

— والحدّر سياسة ذي الرأي السديد

وتخيّر طليعة الجيش ، فإنها سددت من حديد (٢) .

— وإذا تمكنت باللين كسب الديار

فلا تسفك دماء أحد بالدمار .

— فإني بحق الرجولة أرى ملك الأرض كلها

لا يساوي مسيل الدماء عليها (٣) .

— وانثر للعدو الذهب ، مكان الحسك

فإن الإحسان يثلم الأسنان الحادة (٤) .

-
- | | | |
|--------------------------------|----------------------------|------|
| (١) میان دو بد خسواه کوتاه دست | نه فرزانگی باشد ایمن نشست | ق ٥٢ |
| (٢) بپاید نهان جنگ را سساختن | که دشمن نهان آورد سساختن | |
| حذر کار مسردان کار آگهست | یزک سمد روئین لشکر گهست | ق ٥٢ |
| (٣) چو شاند گرفتن بنرمی دیسار | پیکار خون از سسای میار | |
| بمردی که ملک سرا سر زمین | نیر زد که خونی چکد بر زمین | ق ١١ |
| (٤) عدو را بجای حسک زبر یسز | که احسان کند کند دندان تیز | = |

— وإذا لم تستطع أن تقطع يداً ، فقبلها !
 فإن الحيلة — مع الغالبين — هي الخديعة .
 — وإذا لم تستطع أن تهزم العدو بالقوه
 فينبغي — بالرضا — قفل باب الفتنة .
 — وإذا كنت تخشى الضرر من خصمك
 فاعقد لسانه ، بتعويذة إحسانك ^(١) .
 — وإذا كنت — عند الحرب — أقوى منه
 فليس من الرجولة أن تستغل مجزه .
 — فلو كانت لك قوة الفيل ، ومخلب الأسد
 فعندى أن تؤثر الصالح على الحرب .
 — واحذر هجوم الرجل المستضعف
 فكم رأيت سيولاً كثيرة من قطرات ^(٢) ! .
 — وإذا كَلَّتْ — عن كل حيلة — يدك
 فمن الخير أن تضعها على سيفك ^(٣) .
 — ولا تول قائداً على الجند
 إلا من ذاق — كثيراً — مرارة الحرب .
 — ولا تكلف الصغار جسام الأمور
 فإن السنديان لا يكسر باليد ^(٤) .

-
- | | | |
|------|--|---|
| ٤٧ ق | که باغالبان چاره زوقست ولوس
بنعمت پیاپیست در فتنه بست
بتعویذ احسان زبانش بیند | = چو دستی نلساید گزیدن ببوس
(١) چو نتوان عدو را بقوت شکست
گر اندیشه باشد زخصمت گزند |
| ٤٧ ق | نه مردیست برناتوان زور کرد
بنزدیک من صلح بهتر که جنگ
که از قطره سیلاب دبدم بسی | (٢) وگرزو تسوانا تری درنبرد
اگرپیل زوری وگر شیر جنگ
حذر کن زپیکار کمتر کسی |
| ٤٧ ق | حلا لست بردن بشمشیر دست | (٣) چو دست از همه حیلتي در گسست |
| ٤٩ ق | که در جنگها بوده بانند بسی
که سندان نسابد شکستن بمشت | (٤) سپا هرا مکن پیشرو جز کسی
بخسردان مفرمای کسمار درشت |

۲ - حالات السلم والحرب :

كذلك يرسم الشاعر خطته فيها ، في قوله من تضليل العدو :

— إن « الأسكندر » حينما تطلع إلى الشرق

قالوا إنه فتح باب خيمته نحو الغرب

— وحين رغب « بهمن » الذهاب إلى « زابلستان »

أشاع أنه ذاهب شمالاً ، بينما أتجه يمينا .

— فإنه إن أطلع غيرك على عزمك

حق لك أن تبكى على الرأي والحكمة (۱) .

— وإذا بقي بين الجيشين مسير يوم

فأقم هناك ! واضرب الخيام .

— ألت تعلم ، أن العدو إذا تقدم هذه المسافة

لم يبق له ساعد من القوة (۲) .

— وإن كنت في ألف ، وعدوك في مائتين

وجنّ عليك الليل ، فلا تمكث في أرض العدو .

— ففي الليل المظلم ، إذا كمن لك خمسون فارساً

فإنهم يحطمون الأرض مهابة ، وكأنهم خمسمائة .

— فإذا عنّ لك أن تقطع الطريق ليلاً

فاحذر مواضع المفاجأة أولاً (۳) .

- | | |
|---|--|
| <p>در خیمه گویند در غرب داشت
چپ آوازه افکند و از راست شد
بر ان رای ودانتس بپاید گریست
بماند بزن خیمه بر جای گاه
سر بنجه زور مندش نمساند
چو شب شد در اقلیم دشمن مأیست
چو بانصد بهیبت بد رد زمین
حذر کن نخست از کین گاهها =</p> | <p>(۱) سکندر که با شرقیان حرب داشت
چو بهمن بزا بلستان خواست شد
اگر جز تو دا ند که عزم توچیست
(۲) میان دولسکر چو یکروز راه
ندانی که دشمن چو یکروز راند
(۳) وگر خود هزاری و دشمن دویست
شب تیره بنجه سوار از کین
چو خسواهی بریدن بشب را هها</p> |
|---|--|

— ولا تتعقب من حلت به هزيمتك ،
فإنه لا ينبغي أن تبعد كثيراً عن أنصارك .
— ولا تكشف شرك لكل إنسان
فكثيراً ما رأيتُ الجاسوس نديماً في الشراب (١) .

فإذا ما انتهت الحرب وكانت الهزيمة للعدو ، فإنه يرسم له الخطة ، فيما يأتي بقوله :

— إذا انتزعت بلاداً من عدوك
فارغ أهلها أكثر منه .

— فإنك لو طرقت باب الحرب مرة أخرى
فإنهم جميعاً يقضون عليه (٢) .

— وإذا انتصرت على عدوك ، فلا تؤذه
وكفاه إيذاء ما تجرعه من الغصه (٣) .

— وإذا وقع قائد من رجال العدو في الأسر
فينبغي أن تتأني في قتله .

— فلو قتلت ذلك الأسير التعس
فلن تطرف عيناك أسيرك (٤) .

وماذا لو وقعت الهزيمة بجيشك ؟؟

— فإذا رأيت أعوانك المخلصين لا يصادقونك
فاغتنم الهزيمة ، وآثرها على الحرب (٥) .

- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| نبايد كه دور اقي از ياوران ق ٤٧ | = پس در قفاي هزيمت ميران |
| كه جاسوس همكاسه ديدم بسي ق ٥٦ | (١) منه در ميان راز باهر کسی |
| رعيت بسامانتر از وي بسدار | (٢) چو برکندي از دست دشمن ديار |
| بسرآرند عام از دماغش دمار ق ٥٥ | كه گرباز گويد در کارزار |
| مرنجانش کورا همين غصه بس ق ١٢ | (٣) چو بر دشمنی باشد دسترس |
| بکشتن درش کرد بايد درنگ | (٤) چو سالاری از دشمن أفند بچنگ |
| نبيني دگر بندي خویش را ق ٥٤ | اگر کشتی اين بندي ريش را |
| هزيمت زميدان غنيمت شمار ق ٥٥ | (٥) چو بينی كه ياران نباشند يسار |

— وإذا رأيت الجيش قد تفككت أوصاله
 فلا تسلم — إلى الموت — روحك الطيبة .
 — فإن كنت في جانب ، فاجتهد في العودة ،
 وإذا كنت في الميدان ، فالبس لباس العدو^(١) .

٣ — أمور الأجانب

لا يفوت الشاعر — وهو يرسم تلك السياسة العامة في الداخل والخارج —
 أن يعرض لجانب آخر خارجي ، هو علاقة الدولة في الشؤون المدنية بالأجانب .
 فالدولة يقصدها الكثيرون ، إما للتجارة ، وإما للسياحة ، وإما لأمر سياسية ،
 والشاعر في كل ذلك يرسم خططاً معينة :

— إذا بات تاجر في ديارك
 فمن الخسة أن تمد — إلى ماله — يدك^(٢) .
 — وإذا رغبت أن تكون طيب السمعة
 فارع التجار والرسل رعاية طيبة^(٣) .
 — فكرام القوم ، يرفعون السائحين بأرواحهم
 لأنهم يحملون لهم السمعة الطيبة في العالم .
 — كن للغريب صديقاً ، وللوفد نعم الحب
 فإنهم يجلبون لك الاسم الطيب^(٤) .
 — والغريب الذي امتلأ رأسه بافتنة
 لا تلحق أذاك به ، لكن ابعده عن المملكة^(٥) .

- | | |
|--|--|
| (١) جو بينی که لشکر زهم دست داد
وگر بر کناری برفتن بکوش | بتنها سده جان شیرین بباد
وگر در میسان لبس دشمن پوش ق ٤٧ |
| (٢) جو بازارگان در دیارت بمسرد | بمالس خست بسود دستبرد ق ١٠ |
| (٣) نکو بایدت نام ونیکی قبسول | نکو دار بازا گان ورسول ق ٦ |
| (٤) بزرگان مسافر بجان پرو رنسد
غریب آشنا باش ، وسیاح دوست | که نام نکوئی بعالم برنسد
که سیاح جلاب نام نکوست ق ٦ |
| (٥) غریبی که پر فتنه باشد سرش | میازار و بیرون کن از کشورش ق ٦ |

۲ - باب الإحسان

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأیات	قصة عن سعدی	عن شخصية تاريخية	عامه	المطلع
۱	۱	۱۷		سیدنا ابراهیم	عامه	اگر هو شمندی بمعنی گرای
۲	۱۸	۱۱			»	بدر مرده را سه یه برسر فکن
۳	۲۹	۸			»	یکی خار پای یتیمی بکنند
۴	۳۷	۱۸			»	شنیدم که یک هفته این السبیل
۵	۵۵	۴			»	کره بر سر بند احسان مزن
۶	۵۹	۲۰			»	زبان دانی آمد بصاحب دلی
۷	۷۹	۶			»	یکی رفت ودینار از او صد هزار
۸	۸۵	۵			»	درین روزها زاهدی باپسر
۹	۹۰	۳۲			»	بد ختر چه خوش گفت بانوی ده
۱۰	۱۲۲	۸			»	بزا رید وقتی زنی بیش شوی
۱۱	۱۳۰	۸			»	شنیدم که بیری براه حجاز
۱۲	۱۳۸	۱۰			»	بسر هنگ سلطان چنین گفت زن
۱۳	۱۴۸	۳۴			»	یکی را کرم بود وقوت نبود
۱۴	۱۷۲	۹			»	یکی دریابان مکی تشنه یافت
۱۵	۱۸۱	۱۰		تسبلی	»	تو با خلق نیکی کن ای نیکبخت
۱۶	۱۹۱	۲۶			»	بنالید درویش از ضعف حال
۱۷	۲۱۷	۱۲			»	یکی سیرت نیکمردان شنو
۱۸	۲۲۹	۶			»	ببخش ای پسر کادی زاده صید
۱۹	۲۳۵	۹			»	بره بر یکی بیشم آمد جسون
۲۰	۲۴۴	۲۲			»	یکی روبه دید بیدست و پای
۲۱	۲۶۶	۱۵	سعدی		»	شنیدم که مرد بست پاکیزه بوم
۲۲	۲۸۱	۲۵		حاتم الطائی	»	شنیدم در ایام حاتم که بود
۲۳	۳۰۶	۳۷		حاتم الطائی	»	ندا نم که گفت این حکایت بمن
۲۴	۳۴۳	۱۱		ابنه حاتم	»	شنیدم که طی در زمان رسول
۲۵	۳۵۴	۱۴		حاتم الطائی	»	زنگاه حاتم یکی سیر مرد
۲۶	۳۶۸	۱۴			»	یکی را خری در گل افتاده بود
۲۷	۳۸۲	۱۹			»	شنیدم که مغروری از کبر مست
۲۸	۴۰۱	۴		»	آلا اگر طلب کار اهل دلی	
۲۹	۴۰۵	۶		»	یکی را سرگم نسد از را حله	

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدى	عن شخصية تاريخية	عامية	المطلع
٣٠	٤١١	١٦			عامية	زجاج ملكزاده در منساخ
٣١	٤٢٧	٢٠			»	يكي زهره خرج کردن نداشت
٣٢	٤٤٧	٢٦			»	جواني بدانگي کرم کرده بسود
٣٣	٤٧٣	١٢			»	کسي ديد صحرای محشر بخواب
٣٤	٤٨٥	٩			»	بگفتيم در باب احسان بسي
٣٥	٤٩٤	١٤			»	شنيدم که مردی غم خانه خورد
٣٦	٥٠٨	١٠		بهرام گور	»	چه خوش گفت بهرام همرا نشين
	٥١٨		١ +	٧ +	٢٨ =	٣٦ =

قصص باب الاحسان

تبلغ قصص هذا الباب — كما رأينا — ستاً وثلاثين قصة ، في خمسمائة وثمانية عشر بيتاً ، وتتوزع القصص كالآتي :

١ — قصة عن سعدى .

٢ — سبع قصص عن شخصيات تاريخية .

٣ — ثمانية وعشرون قصة عامة .

أما قصص هذا الباب فهي أيضاً تتمشي مع الغرض من إقامته ، فالباب في الجود والكرم ، ومساعدة المعوزين ، ولا بد له حين يعرض لشخصيات تاريخية من أن يتناول المشهورين بالكرم ، أو يعد الشخص ليلقي على لسانه قصة مناسبة له . فقد اتخذ «سيدنا إبراهيم» ، ليدبر على لسانه قصة حول الكرم للعام والخاص ، — ولو مخالفاً في الدين — مما يناسب أن تكون الشخصية فيها نبياً ، وقصص «حاتم» وابنته ليبين فيها أن الكرم طبع في النفوس ، وقصة «شبل» ليظهر من معاني الإحسان ، عدم التعرض لإيذاء الخلق ، ولو كانت حشرة ، وقصة «بهرام» يديرها لبيان من لا يليق لهم الإحسان ، كما سيتضح ذلك عند تحليلنا لهذه القصص .

قصه سيدنا ابراهيم

وهي الرابعة في الترتيب ، وعدد آياتها ثمانية عشر بيتاً ، وتضع لها نسخة « سودى » عنوان « إبراهيم عليه السلام وكرمه مع الخالص والعام » .
ورقم مطلعها السابع والثلاثون ، وتدور القصة حول المعنى الذى اختير لعنوانها .
وهو أن الكرم لوجه الله وحده ، لا تقوم فيه تفرقة ، ولو كانت تفرقة في الدين .
واختار لها الشاعر نبياً من الأنبياء ليخلص من القصة بأن الخلاف في الدين لا يقتضى خلافاً في المعاملة .

ومن إحكام القصة عند الشاعر ، أن يجعل من عادة « سيدنا إبراهيم » عدم تناوله طعام إفطاره إلا أن يشاركه فيه أحد أبناء السبيل . فإذا لم يجد ، فيخرج هو يستطلع الطريق بنفسه . يقول في أبيات من المطلع :

— سمعت أن ابن السبيل

انقطع أسبوعاً عن قصر ضيافة إبراهيم الخليل .

— فلم يتناول إفطاره ، جرياً على طيب عادته

لعل غريباً معوزاً يفد من الطريق .

— فخرج ، ونظر في كل ناحية

والتقى في أطراف الوادى ، ببصره ^(١) .

ويمضى الشاعر فيقول إنه رأى قادماً في الطريق ، وكان رجلاً مسنناً ، فرحب به ، وخفف عنه وعشاء السفر ، وحمله إلى مائدة الطعام ، وأجلسه معه بين خواصه فلما همّ بتناوله ، لم يبدأ — مثلهم — بذكر اسم الله واهب الرزق ، فيغضب الخليل من أمره ، ويصور الشاعر ذلك في قواه :

— أليس شرطاً عليك ، حين تتناول الطعام

أن تذكر اسم من منحك الرزق ؟ ^(٢) .

نباسد بهما لسرای خليل
سگر بینوای در آیسد ز راه
بر اطراف وادی نگاه کرد و دید
که نام خداوند روزی بری ؟ =

(١) شنیدم که یکفته ابن السبیل
ز فرخنده خوی نحو ردی بگاه
برون رفت و هر جانبی بنگرید
(٢) نه شرطست و تنیکه روزی خوری

فيحييه الشيخ :

— لست أدري هذه الطريقة ؟؟

ولم أتلم ذلك من شيخى الوثنى ! .

عندئذ يهيم الخليل بجرمانه من الأكل . وهنا ينتقل الشاعر إلى المعنى المقصود من القصة .

وعندى أن هذه القصة تدعو إلى الإنسانية العامة ، لا يقتصر مغزاها على الكرم وحده ، وإن يكون للخاص والعام ، بل الأمر في المحتاج للطعام ، كالأمر في غيره من وسائل الحاجة ، أى في المعونة العامة .

وقد أشرك الشاعر شخصية جديدة ، مناسبة للقصة ليزيدها قوة وإحكاماً .
ينزل الله جبريل — فى هيئته — يلوم الخليل قائلاً له :

— لقد منحته — مائة عام — الرزق ، وطول العمر
ألمرة ، واحدة ، يجرى منك بالنفسور ؟؟؟
— إنه ، ولو كان يهوى للنار السجود
فماذا ترد عنه يد الجود ؟ (١) .

قصة شبلى

أتى الشاعر فيها بشخصية صوفية ، ليبرز معنى العطف على مخلوقات الله ، فرجال الله يحرصون على عدم إيذاء المخلوقات مهما كانت تافهة ، فالعطف واجب على كل من أصيب بأذى ، سواء أكان ممن يحس الأذى ، ويقدر الخلاص منه أو لم يحسه ولم يقدره ؟ .

که نشیستم از پیر آذر پرست
بهیبت ملامت کنان کای خلیل
ترا نفرت آمد آزو یکزمان
تو واس چرا میبری دست جود

= بگفت نگیرم طرقي بسسدمست
(١) سروش آمد از کرد گمار جلیل
منش داده صد سال روزی وجان
گر اومیبرد پیش آتش سسجود

والقطعة تقع في الباب ، السابعة عشرة ، وأبياتها اثنا عشر بيتاً ، ورقم المطلع

٢١٧ وهو :

— استمع لسيرة رجل من الأطهار ، الطيبين
إن كنت سعيداً ، سالكا سبل الرشاد^(١).

ويمضي الشاعر في عرض القصة فيقول عن «شبلی» إنه اشترى من حانوت
بائع القمح جوالاً ، وحمله على ظهره ، ومضى به إلى القرية . فلما بلغها ، رأى
نملة تجوب القمح ، وتسرع حيرى ذات اليمين وذات الشمال . فلم ينم ليله ،
وفكر فيها — رحمة بها — ثم ردها إلى مكانها ، وهو يقول :

— ليس من شـرط المروءة
أن أبعد هذه النملة الحزينه^(٢).

ثم ينتقل الشاعر إلى تقوية هذا المعنى بالاستشهاد ، بأقوال شاعر آخر أقدم
منه ، هو الفردوسي ، في قوله :

— أنعم ! بقول الفردوسي كريم الأصل .
وليمطر الله على تربته الطاهرة شآبيب رحمته .
— لا تؤذ نملة ! من أجل حبة تحملها
فإنها ذات روح ، والروح عزيزة عليها .
— فمن يبغ الأذى لنملة ضـميفه
اسود قلبه ، ورُمي بالقسوه^(٣).

ثم يختم القصة بالدعوة إلى الرحمة على كل ضعيف مها كان :

— لا تضرب على رأس العاجز بيدك القوية
فلعل — يوماً — تقع تحت أقدامه كالنملة^(٤).

- | | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| (١) یکنی سیرت نیمردان شـسـسـنو | اگر نیکبختی و مردانسه رو |
| (٢) مروت نباشد که ابن موررش | پراکنده گرد انم از جای خسویش |
| (٣) چه خوش گفت فردوسی پاکزاد | که رحمت بران تربت پاکسزاد |
| میازار موری که دانه کتش است | که جان دارد و جان شیرین خوشست |
| سسیاه آند رون باشد و سنگدل | که خواهد که موری شود ننگدل |
| (٤) مزن برسر ناتوان دست زور | که روزی پایش درافنی چو مور |

قصص حاتم

ونحن نكتفي بالإشارة إلى دلالة أحداها ، فهي كلها تدور حول معنى واحد .
وتقع الأولى من قصصه ، الثانية والعشرين ، في خمسة وعشرين بيتاً ، تبدأ من
البيت ٢٨١ . وتدور حول كرم حاتم وجوده ، بأعز ما يملك . ومطلعها :

— سمعت أنه كان عند حاتم
جواد ، كأنه دخان في سرعته ^(١) .

وتمضي القصة في وصف سرعة الجواد وقوته ، فهو سريع كريج الصبا ،
أو خاطف كالبرق ، يسهل في صوت كأنه الرعد .

ويطيل الشاعر في وصف عظمة الجواد ، وقوته ، وسرعته ، حتى يجعل معنى
التضحية به عظيمة . إلى أن يقول إن الناس تناقلت أخبار كرم حاتم ، وعطر ذكره
كل إقليم وقطر ، فنقلوا طرفاً منها إلى ملك الروم ، وقالوا له :

— إنه ليس له ضريب في الكرم
كذلك لا مثيل لجواده في القدو ^(٢) .

وهنا تنتقل القصة إلى نوع من القضايا ، فهذه دعوى يريد الدليل عليها ،
فليطلب ملك الروم هذا الجواد من حاتم ، ولينظر ماذا هو فاعل ؟ ؟

— هكذا قال الملك ، إلى الوزير الجليل
إنه مخجل ، .. أن تقوم دعوى بلا دليل .

— فسأطلب من حاتم ذلك الجواد العربي
فإن كان كريماً ، سخياً ، مجيب الطلب .

— علمت أن فيه رفعة العطاء
فإن ردّ فهو طبل ملؤه الهواء ^(٣) .

بخيل اندرش باد یائی جسودود
چواسبتش بچسولان وناورد نیست
که دعوی خجالت بود بیگواه
بخواهم گر اومکرمست کسرد و داد
وگر رد کند بانگ طبل تهیست

(١) شنیدم در آیام حاتم که بسود
(٢) که همتای او در کرم مرد نیست
(٣) بدستور دانا چنین گفت شمساه
من از حاتم آن اسب تازی نسزاد
بدانم که دروی سگوه مهیست

ویمضی الشاعر فی القصه فیقول إن الملک قرر إیفاد رسول علی رأس بعث من عشرة رفاق . ثم یأخذ فی تقویه الصورة ، فیجعل حاتمًا یقع فی حیره .
الدنیا تمطر کالسیل المنهر ، والرسول قد لجأ إلیه مع رفاقه ، ونزلوا علیه ،
دون أن یرف من أمرهم خبراً ، وفی الوقت نفسه ، لا یملک سوى هذا الجواد ،
وهو فی أشد الحاجة إلیه .

فماذا یصنع ؟ تنتصر النخوة علیه ، وطبع الکرم ، فیعمد إلی جواده الوحید
فینحره لضيوفه ، لیعد منه طعاماً لهم .
ثم یمیت الضیوف فیرون ألواناً کثیرة من کرم حاتم ، وحرصه علی راحتهم
حتى یأتی الصباح ، فیکشفه الرسول بالأمر ، ویسأله الجواد لملک الروم ،
فیخبره حاتم ، والأسف یملاً نفسه :

— أیهـ الرسول العاقل !
لماذا لم تبلغنی رسالتک قبل الآن ؟؟ .
— لقد صنعت شواء من أجلكم
واتخذت من الجواد الخاطف طعاماً لكم .
— فلست أعلم فی هول المطر والسيل
أن تبقی فی المراعى الخیل .
— ولم أجـد أمـامی غیره
ولیس فی منزلی ما أقدمه .
— ولیس من المروءة فی مذهبی
أن ینام الضیف علی الطوی (۱) .

چرا بیش از اینم نسکفتی پیام
ز بهر شما دوش کردم کباب
ن شاید شدن در چرگاه خیل
جز اوبر در بارگاهم نبسود
که بهمان بخسبند دل از فاقه ریش

(۱) که ای بهره‌ور موبد نیک نام
من آن باد رفتار دلدل شستاب
که دانستم از هول باران و سسیل
بنوعی دگر روی و راهم نبسود
مروت ندیدم در آیین خسویش

وأخيراً ينتقل الشاعر إلى المعنى الذى يطويه فى القصة ، وهو النظر فى الإحسان إلى المعنى لا إلى الصور ، كما أن الأخلاق الطيبة طبع لا كسب ، فى قوله على لسان حاتم :

— ينبغى أن تظل ذكرى باقية فى الأقليم
ولو فقدت بعد ذلك جوادى الأصيل^(١) .

ثم فى قول الشاعر :

— أجزل للناس العطاء ونحر لهم جواده
وهكذا الأخلاق الطيبة طبع لا كسب^(٢) .

قصة ابنة حاتم

وتقع الرابعة والعشرين ، فى أحد عشر بيتاً ، ورقم المطلع ٣٤٣ .
وتعالج القصة كذلك موضوع الكرم ، وأنه طبع لا تقليد ، ووراثه لا تصنع ،
والجود بالنفس عند الحاجة .

ومدار القصة أنه فى عهد الرسول عليه السلام ، رفضت طى الإسلام ،
قامضى إليها النبی عليه السلام جيشاً قبضوا على جماعة منهم أسرى ، وأخذوا
بالسيف ، كان من بينهم سيدة ، أجابت أنها ابنة حاتم ، فكف القوم عنها .
ولكنها رفضت أن تبقى دون قومها ، وطلبت أن تلحق بهم ، فسمع الرسول
بأمرها ، فكف عنها ، وعن بقية قومها :

— وهبها أولئك القوم ، ومنحها عطاء
فالجوهر الأصيل ، لن يظهر منه خطأ^(٢) .

ذكر مركب نسامور گومباش
طبیعت اخلاق نیکونه کسب
که هرگز نکرد اصل گوهر خطا

(١) مرانام پایسد در اقلیم فاش
کسانرا درم داد وتشریف واسب
(٢) ببخشوش آن قوم ودیگر عطا

قصه بهرام

هي الأخيرة ، وتقع السادسة والثلاثين ، في عشرة أبيات ، ورقم المطلع ٥٠٨ وتعالج أمراً يتصل بباب العدل ، فهذه القصة والسابقتان لها تصلح أن تكون في ذلك الباب .

فهي تعالج كلها ألواناً من الذين لا ينبغي الإحسان إليهم من الرعايا ، أو الموظفين ، ممن تتعلق بهم سياسة الملك .

واختيار « بهرام » للقصة ، ليلقى على لسانه تجربة من تجاربه في السياسة ، فهو ملك ساماني نشأ تنشئة ملكية بين ملوك الحيرة ، وكان يشتهر بصيد حمر الوحش في الصحراء ، ومن هنا كانت له تجارب ، وكان موضع اختياره ملائماً . كما أن اختيار لوازم القصة التي أعدها الشاعر كان موافقاً ، فقد استخدمها للوصول إلى الغرض المقصود ، وهو التخلص من الذين يسيئون للدولة .

ويفتتح الشاعر القصة بعبارة استحسان ، وهي مناسبة لمثل هذه النصيحة :

— ما أحسن قول بهرام ، ريب الفلاه ! !
حين جمع به جواده ، وعلى الأرض ، ألقاه .
— ينبغي أن يؤخذ من القطيع جواد آخر
فلعل هذا ، يجمع بي مرة أخرى (١) .

وينتقل الشاعر من هذا ، إلى الغرض المقصود من القصة :

— تخلص من الذئب ، إذا وقع في الشرك !!
وإلا فاقطع الأمل ، من أغنامك (٢) . !!
— والذي يسن لك النظام القاسد
يحملك ، حتى يوردك شر الموارد (٣) .

-
- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| (١) چه خوش گفتم بهرام صحرا نشین | چو بکران تو من زدش بسر زمین |
| دگر اسب از کله باید گرفت | که گر سر کشد باز شاید گرفت |
| (٢) چو گریخت خبیث آمدن در کند | بکش ورنه دل برکن از گوسفند |
| (٣) مد بر که قانون بد می نهسد | ترا می برد تا بانش دهد |

الفطر العامة في باب الإحسان

يمكن أن ترد هذه الأفكار إلى الأمور الآتية :

- ١ — دعوة إلى الإحسان . ٢ — من يستحقون الإحسان .
- ٣ — من لا يستحقون الإحسان . ٤ — دعوة إلى السعي والاقتصاد .

١ — الدعوة إلى الإحسان

تبدو هذه الدعوة في مقابلة الإحسان ، بغيره من وجوه العبادة . فالمحسن خير من العابد البخيل ، في قوله :

— والسابقون من الناس ، سبقوا بالإيثار
وليس في إحياء الليل ، وقلوبهم كالأحجار^(١) .
والمحسن خير من المصلّي .

— لا تظنّ — مها أخذت نفسك — بالطاعة
أن تأتي نزيلاً ، على تلك الحضرة .
— فلو استطعت أن تجعل قلباً سعيداً بإحسان
فذلك خيرٌ من ألف ركعة ، في كل مكان^(٢) .
والمحسن خير من الصائم .

— والذي يفطر في الصيام ، ويعم الناس فضله
خير من صائم الدهر ، والدنيا معبوده^(٣) .

-
- | | |
|--------------------------------|------------------------------------|
| (١) بإيثار مردان سبق برده اند | نه شب زنده داران دل مرده اند ق . ٢ |
| (٢) میند دار اگر طاعتی کرده ای | که نزلی بدین حضرت آورده ای |
| بإحسان آسوده کردن دلی | بسه از ألف رکعت بهر منزلی ق ١١ |
| (٣) خورنده که خبرش برآید زدست | به الصائم الدهر دنیا پرست ق ١٢ |

۲ - من يستحقون الاحسان

الإحسان إلى كل مخلوق .

— إِنْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا ، فَهَلْ بِفِكَرِكَ !!
 واجعل الوفاء مقصداً ، والكرم حرفتك .
 — فلم يفقد الإنسان ما يسديه إلى كلبٍ من الخير
 فكيف لا يلتقي الجزاء ، من الأخيار ؟ (۱) .
 وعلى الأيتام في قوله :

— أبسط — على اليتيم — ظلال عطفك
 وانثر عنه الغبار ، وانزع منه الشوك .
 — أَلَسْتَ تَعْلَمُ حَالَ هَؤُلَاءِ الْعَجْزَةِ ؟
 إنهم كالشجرة ، لا تكونُ بغير جذرٍ غضة (۲) .
 والإحسان إلى الغرباء في قوله :

— لا تطرد الغريب عن بابك ، بغير نصيب !!!
 فلعلك تقف — يوماً — غريباً على الأبواب (۳) .
 والإحسان إلى من أساء في قوله :

— وابذل ما معك من مال ، للطيب ، والردىء
 فإنه كسب للوفاء ، ودفع للبلاء (۴) .
 — وأحسن — أيها الكريم — إلى من أساءك
 فالكلب يربعك ، حين تناوله من خبزك (۵) .

- | | |
|---|--|
| (۱) ألا گر جفا کاری اندیشه کن
کسی باسگی نیکوی گم نسکرد | وفا پیش گیر و گرم پیشه کن
کجا گم شسود خیر بانیکمرد ف ۱۴ |
| (۲) پدر مرده را سایه بر سر فسکن
ندانی چه بودش فرومانده سخت | غبارش بیفشان و خارش بسکن
بود تازه بی بیخ هرگز درخت؟ ق ۲ |
| (۳) مگردان غریب از درت بی نصیب | مبادا که کردی بدرها غسریب ق ۲ |
| (۴) بد و نیک را بذل کن سیم و زر | که این کسب خیرست و آن دفع شر ق ۶ |
| (۵) بدا نرا نوازش کن ای نیکمرد | که سگ باس دارچونان تو خورد ق ۱۹ |

والإحسان إلى العدو في قوله :

— واملِكْ رِقَابَ العدوِّ ، بالإحسان ، واللفظ

فلن تستطيع أن تقطع صنيعهما بالسيف .

— فحين يرى العدو كرمك ، ولطفك ، وإحسانك

لن يصيبك شره — مرة أخرى — في حياتك^(١)

٣ — الذين لا يستحقون الاحسان

والشاعر لا ينسى أن يعقد قطعاً بحالها عن الذين لا يستحقون العطف والإحسان وهذه القطع تأتي آخر الباب من ٣٤ — ٣٦ وهي تدخل في تدير الملك ، وأخذ الذين يسيئون بالشدة والقسوة ، وفي طليعة الرابعة والثلاثين يرد هذا البيت :

— كم بسطنا القول ، في باب الإحسان !!

ولكنه ليس شرطاً ، مع كل إنسان^(٢) .

وفي هذه القصص ترد الشخصيات التي يتناولها الشاعر بعدم العطف عليها ،

وهو يدعو إلى شيء من سياسة الحزم في معاملة الأشرار عامة :

— لا تسلك مع الأشرار ، سبيل الخير!

فاحتمال الشر ، يزيد نطاق الشر .

— واقتلع جذراً ، تجني الشوك من ثمره

وارع شجراً ، تنال الخير من ثمره^(٣) .

ومن الذين لا يستحقون العطف ، الرئيس الظالم :

— إذا شاهدت رئيساً ، يعامل الناس بالعنف

فاضرب عنقه — قتلاً — بالسيف^(٤) .

-
- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| (١) عدو را بالطاف کردن ببندد | که نتوان بریدن بتیغ این کند |
| چو دشمن کرم ببندد ولطف وجود | نیاید دگر خبث آزو در وجود |
| (٢) بگفتیم در باب احسان بسی | ولیکن نه شرطست با هر کسی |
| (٣) کسی بابدان نیکوی چون کند | بدان را تحمل بد آفزون کند |
| بر انداز بیخی که خار آورد | درختی پرور که بار آورد |
| (٤) چو اندر سری بینی آزار خلق | بشمشیر تیزش ببنداز خلق |

— واسفك دم الظالم ، وصصادر أمواله
وانزع ريش الطائر الغادر ، وجناحه (١) .

والعامل الذى يسىء معاملة الناس :

— تخلص من الظالمين ، واجتز منهم الرؤوس !
فإن الظلم على الظالم ، عدلٌ ، وقسطاس .

— والكاتب ، الذى يسىء لى رعيةــــــــــــــــك
من الخير ، أن تقطع يده بسيفك (٢) .

٤ — الدعوة الى السعى وراء الرزق والاقتصاد

وحتى لا تكون الدعوة إلى الإحسان ، تؤدى إلى التواكل وعدم السعى .
أورد الشاعر أفكاراً فى الباب ، تدعو إلى الكسب والاقتصاد . فالدعوة إلى السعى
والكسب تبدو فيما يلى :

— هلم بقوتك ! واسمع كالأخرين !
ولا تنسقط فضلات الآكلين .

— وعش — ما استطعت — بساعدك
واجعل سعيك ، بقدر جهــــــــــــــــدك .

— وتحمل المتاعب ، واعمل لراحة الآخرين
فالحنث هو الذى يأكل من يد المكذوبين (٣) .

-
- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| (١) بنور مردم آزار را خون و مال | که از مرغ بد کند پروبال ق ٣٤ |
| (٢) جفا پیشکاترا بسده سر بباد | ستم برستم پیشه عدلست و داد |
| قلمزن که بد کرد بر زیر دست | قلم بهتر اورا بشمشیر دست ق ٣٦ |
| (٣) بچنگ آر و یاد دیگران نوش کن | نه بر فضله دیگران گوش کن |
| بنور تاتوانی ببازوی خویش | که سعیت بود در ترازوی خویش |
| چو مردان ببر رنج و راحت رسان | مخنث خسورد دست رنج کسان ق ٢٠ |

وَأَمَّا الدَّعْوَى إِلَى الْاِقْتِصَادِ ، فَتَبْدُو فِيهَا يَأْتِي ، مِنْ حَدِيثِ بَيْنِ سَيِّدَةٍ وَابْنَتِهَا :

— قَالَتْ سَيِّدَةٌ ، لَا بُدَّ لَهَا فِي الْقَرْيَةِ

مَا أَحْسَنَ الْاِدْخَارِ فِي السَّعَةِ ، لَوْ قَتَّ الشَّدَّةُ !! .

— اَدَّخَرَى الْمَاءَ ، فِي الْقِرَابِ ، وَفِي الْجَرَارِ

فَلَنْ يَجْرِيَ الْمَاءُ ، دَائِمًا فِي النَّهْرِ ^(۱) .

وَكَذَلِكَ تَبْدُو الدَّعْوَةُ فِي الْاِقْتِصَادِ ، حَتَّى فِي ظُرُوفِ الْكُرْمِ :

— لَا تَكُنْ كَرِيمًا ، بِكُلِّ مَا لَدَيْكَ

فَإِنْ ذَلِكَ يُوْدِي ، إِلَى ضِيَاعِ ثَرْوَتِكَ ^(۲) .

— وَلَوْ أَنْفَقْتَ كُلَّ مَا مَلَكَتْ بِدَاكَ

ضِقَّتْ بِالْأَمْرِ ، إِذَا عَنَّتْ حَاجَةُ لَكَ .

— وَعَيْنُ الشَّيْطَانِ ، يَقْتُلُهَا صَاحِبُ الْيُسْرِ

وَيُوقِعُ الْجَنِّ فِي الْفَخِّ ، بِالْحِيلَةِ ، وَالْمَكْرِ ^(۳)

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| (۱) بدختر چه خوش گفت بانوی ده | که روز نوا برگ سختی بنمسه |
| همه وقت پرداز مشک و سبوی | که پیوسته درده روان نیست جوی |
| (۲) نه در خورد سرمایه کردی کرم | تنگ مانده بودی آزن لا جسم |
| (۳) وگر هرچه داری بکف برنهی | گفت وقت حاجت نماند تهی |
| خداوند زر برکنند چشم دیو | بدام آورد صخر جنی بسریو |

۳ - باب العشق

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدی	عن شخصية تاريخية	عامه	المطلع
۱	۱	۱۳			عامه	خوشا وقت شوریدگان غمش
۲	۱۴	۸			»	ترا عشق همچون خودی ز آب و گل
۳	۲۲	۱۵			»	چو عشقی که بنیاد او بر هواست
۴	۳۷	۳۰			»	شنیدم که وقتی گسدا زاده
۵	۶۷	۵			»	شنیدم که بر لحن خنیا گری
۶	۷۲	۲۴			»	چنین دارم ازیر دانه بساد
۷	۹۶	۱۸			»	یکی شاهی در سمرقند داشت
۸	۱۱۴	۸۰			»	یکی تشنه می گفت و جان می سپرد
۹	۱۲۲	۲۰			»	چنین قفل دارم زمردان راه
۱۰	۱۴۲	۱۲			»	شنیدم که بیری شبی زنده داشت
۱۱	۱۵۴	۴			»	یکی در نشاءور دانی چه گفت (۱)
۱۲	۱۵۴	۱۱			»	شکایت کند نو عروسی جوان
۱۳	۱۶۴	۲			»	یکم روز برهنه دل بسوخت
۱۴	۱۶۶	۶			»	طیپی پری چهره در مرو بود
۱۵	۱۷۲	۷			»	یکی بنجه آهنی راست کسرد
۱۶	۱۷۹	۹			»	میان دوعم زاده وصلت فتاد
۱۷	۱۸۸	۲			»	یکی پیشش شوریده حالی نبشت
۱۸	۱۹۰	۷		المجنون ولیلی		بمجنون کسی گفت کای نیک پی
۱۹	۱۹۷	۱۶		محمود وایاز		یکی خرده برشاه غزنین گوشت
۲۰	۲۱۳	۱۲	سعدی			قضا را من و پیری ازنا ریاب
۲۱	۲۲۷	۱۰				ره عقسل جز پیس نیست
۲۲	۲۳۷	۱۲				رئیس دهی باسر در رهسی
۲۳	۲۴۹	۴		البراع		مگر دیده باشی که در باغ و راغ
۲۴	۲۵۳	۷				بشهری در آزشام غوغا فتاد
۲۵	۱۶۰	۸				ثنا گفت بر سعد زندگی کسی
۲۶	۲۶۸	۱۶				یکی را چو من دل بدست کسی
۲۷	۲۸۴	۱۳				اگر مرد عشقی کم خویش گیر
۲۸	۲۹۷	۸				نگویم سماع ای برادر که چیست
۲۹	۳۰۵	۱۰				شکر لب جوانی فی آس سوختی
۳۰	۳۱۵	۲۷		الفراشة		کسی گفت پروانه را کای حقیر
۳۱	۳۴۸	۱۶		الفراشة		شب یاد دارم که چشم نخت
	۳۶۴		۱ +	۵ +	۲۵ =	۳۱ =

(۱) هذه القصة زائدة في نسخة سودی

قصص باب العش

مجموع قصص هذا الباب إحدى وثلاثون قصة ، في ثلثمائة وأربعة وستين بيتاً . تتوزع كالآتي :

- (١) قصة واحدة عن سعدى . (٢) قصتان عن شخصيات تاريخية .
(٣) ثلاث قصص عن حيوانات . (٤) خمس وعشرون قصة عامة .
ويلاحظ أن القصة الحادية عشرة توجد في «سودي» ، ولا توجد في نسخة «جراف» . وإن كانت قد أشارت إليها في الهامش ص ٢٠٧ . وأبياتها أربعة . أثبتناها في القائمة دون أن يؤثر اثباتها في القصص العامة .

قصة المجنون ولبلى

تضعها نسخة سودى تحت عنوان « المجنون وصدق محبته مع لبلى » وترتيبها الثامنة عشرة ، في سبعة أبيات ، ورقم المطلع ١٩٠ وهو :

— قال شخص للمجنون ، أيها المحب الوفى !!
ماذا دهالك ؟ فلم تعد تأتى إلى الحى !!^(١)

وينكر الرجل على المحب ، هذا الانقطاع عن حبيبته ، لكن المجنون حين يستمع إلى ذكر حبيبته ، يلهيه الحديث عنها ، فينهمر باكياً ، ويسأل الرجل ألا يذكرها ، فإن قلبه جريح ، وذكراها تزيد آلامه ، كما يزيد الملح آلام الجراح ، حين يوضع عليها . ثم يأخذ الشاعر في تعليل هذا البعد على لسان المجنون ، بهذا المعنى الصوفى :

— إن بُعدى ، ليس دليلاً على اضطبارى
لكن... كم يكون الابتعاد ضرورياً^(٢) !!!

- (١) بمجنون كسى لفت كای نيك پی چه بودت كه ديگر نيائى بچى ؟
(٢) نه دورى دليل صبورى بسود كه بسيار دورى ضرورى بود

وأخيراً ينتقل الشاعر إلى المعنى الملتف في تلك القصة ، وهو الصفاء في المحبة بين الحبيب والمحبوب حتى الفناء . يقول على لسان الرجل في سؤاله للمجنون ، وَرَدَّ المجنون عليه :

— أيها الوفي ، الكريم الطبع !!
أليس لديك ، رسالة أبلغها ليلى ؟؟ .
— أجب ! لا تحمل اسمي إلى من أهمُّ
فَدَا جفَاءً ، واسمى لديها ، حيث تقيم ^(١) .

قصة محمود وإياز

يبدو أن الشاعر تخير هذه القصة لتناسبها مع باب العشق . فهي نوع آخر من المحبة ، ولكنه يعالج فيها أمراً مناسباً للباب ، ويديرها كما أدار قصة المجنون في أسلوب عفٍّ ، وانتهى منها إلى معنى صوفي يناسب الباب نفسه . وينطوي في القصة قصة أخرى ، جاء بها تأكيداً للمعنى الذي انتهى إليه في القصة السابقة . والقطعة كلها تبلغ ستة عشر بيتاً . وترتيبها التاسعة عشرة ، ومطلعها رقم ١٩٧ يقول :

— طعن رجل في حاكم غزنه ، إذ تملكته الدهشة
فإن معشوقه إياز ، لم يكن ذا فتنة ^(٢) .

ثم أيد الطاعن رأيه في البيت الثاني :

— إن الوردة التي لالون لها ، ولا عطر فيها
عجباً ! أن يقع البلبـل في حبها ^(٣) !!

ثم انتقل الشاعر إلى «محمود» ، وجاء بشخص آخر في القصة لينقلها إلى مسامع السلطان ، وأخيراً ينتهي إلى تأكيد المعنى المقصود منها ، وهو أن الحب ليس على الصورة ، ولكنه على حسن الطبع . يقول على لسان «محمود» :

-
- | | |
|----------------------------------|----------------------------|
| (١) بگفت ای وفا دار فرخنده خسوی | بیامی که داری بلبل بسگوی |
| بگفت مبرنام من بیتش دوست | که حیفت نام آنجا که اوست |
| (٢) یکی خرده بر شاه غزنین گرفت | که حسنی ندارد إياز ای شکفت |
| (٣) گلی را که نه رنگ باشد نه بوی | غریبست سودای بلبل برآوی |

— إن عشتى له ، يا سيدى ، على حسن طباعه!!
وليس ، على فراعة قدّه ، وقوامه^(١) !!.

وهنا يُؤلّد الشاعر قصة أخرى ، للتدليل على ما انتهى إليه من المعانى ، وملخصها أن الشاعر يروى على لسان رجل ، أن جملاً وقع فى مكان ضيق ، فأنكسر صندوق من الدر ، وانقرط مافيه ، فرأى «محمود» أن يأمر أتباعه كل يأخذ بنصيبه من هذا الدر ، ثم مضى فى طريقه عجلاً ، وانفض الأتباع من خلفه يجمعون الدر ، وانصرفوا عنه ، ولم يبق من أتباعه — فى خدمته — سوى «إياز» .

وهنا ينتهى الشاعر إلى توكيد المعنى المقصود منها، وهو أن حسن طباع «إياز» لم يحمله على أن ينصرف عن خدمة السلطان ، إلى الاهتمام بأعراض زائلة .
وهكذا يكون الانسان فى مطالب العشق السامية ، ينبغى أن يكون مخلصاً ، لاتلبيه الصور — مهما كانت — عما وراءها، بل لابد أن يكون الإخلاص فى المحبة إخلاصاً يلهى الانسان عن كل ما حوله .

ثم يختم القطعة بالمعنى الصوفى « الاخلاص فى المحبة حتى الفناء فى المحبوب »
ويأتى فى نهاية القصة بما يؤكد هذا المعنى :

— إذا كانت عينك ، تنظر حسن الحبيب
فأنت فى هوى نفسك ، لا فى هوى الحبيب .
— وما دام فك ، مليئاً بحرص المطالب
فلن يهبط أذن القلب ، سرّاً من الغيب .
— إن الحقائق قصر ، كلاله الزينة
والهوى ، والشهوة ، غبار يثار من حوله^(٢) .

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| (١) كه عشق من ای خواجه برخوی اوست | نسه برقد وبالاى نیکوی اوست |
| (٢) گمرازدوست چشمت بر احسان اوست | تو در بند خویشی نه در بند دوست |
| ترا تادهن باشد از حرص بساز | نیساید بگوش دل از غیب راز |
| حقائق سرائیست آراسسته | هوا وهوس گردد بر خاسسته |

قصه اليراع

وهذه قصة على لسان الحيوان ، من القصص التي نظمها الشاعر لبيان المعنى الصوفي « وحدة الوجود » ونقع القصة الثالثة والعشرين ، في أربعة أبيات ، وعنوانها « قصة على سبيل التمثيل على لسان اليراع » ومطلعها ٢٤٩ وهي :

— لعلك رأيت في الحديقة ، وفي الصحراء !!

حشرة تضيء كالصباح ، تنشر الضياء .

— فسألها إنسان ، أيتها الحشرة المضيئة ليلا !!

لماذا لا تظهرين نهـاراً ؟؟ .

— تجيب ، إنني في الخلاء ، ليل نهار !!

لكنني أمام الشمس ، ليس لي مجال للظهور^(١) !!

قصتنا الفراشه

وهما متتاليتان تقعان في الترتيب الثلاثين ، والأربعين . والملاحظ أن الشاعر أدخل هنا نوعاً جديداً من مقومات القصة ، هو الجمد ليخلص منها إلى المعنى الصوفي « المحبة حتى الفناء في المحبوب » .

وعدد أبيات الأولى سبعة وعشرون بيتاً ومطلعها ٣١٥ يقول فيها :

— سأل رجل الفراشة ، أيتها الحقيرة !!

اذهي ، واطلبي ، بقدر استطاعتك الصداقة !

— اسلكي سبيلا ، ترين فيه طريق الرجاء !!

فبينك وبين محبة الشمع ، بون وعناء^(٢) . !

ويمضي الشاعر في عرض هذا المعنى ، مدلاً على صدقها عن طريقها ، ببعض

أمثلة أخرى ، ويتخذ لها أمثلة من الحيوانات :

بتابد بشب كرمكي چون چسراغ
چبودت كه يرون نيائي بروز؟
ولي بيش خورشيد بيدا نيم
برو دوستي درخور خود بگير
نسو ومهر شمع از كجا تا كجا؟

(١) مگر دیده باشی که در باغ و راغ
یکی گفتش ای کرمک شب فروز
که من روز و شب جز بصحرانیم
(٢) کسی گفت پروانه را کای حقیر
رهی رو که بینی طسریو رجا

— لست سمندراً ، فلا تحومين حول النار !!
اطلبي البطولة — أولاً — ثم عُدَّة القهر ^(١) . !!
ولكن الفراشة تجيب على صدق محبتها للشعلة المضيئة بقولها :
— إن ناراً — كنار الخليل — في قلبي
حتى لتظنين ، أن هذه الشعلة ، وَرَدَّ عليَّ ^(٢) .
ثم يفسر كنه المحبة بين الحبيب والمحبوب ، أو بين العاشق والمعشوق ، والصلة
التي بينهما ، فهي سر الجاذبية :
— لا يجذب القلبُ الحبيبَ من أطرافه
بل الحبُّ !! إنه جاذبُ الروح من جيبه
— ولست ألقى نفسي — في النار — بنفسي
بل سلاسل الشوق إليها ، تجذبني من عنقي ^(٣) !!
وأخيراً ينتقل الشاعر إلى المعنى المقصود من القصة ، وهو معنى « الفناء
في المحبوب » على القرب والبعد :
— ليس يحرقني عندما — في النار — ألقى !!
لكنه يحرقني — مهما كنت منه — في تجوِّي ^(٤) !!
أما القصة الثانية فتبلغ ستة عشر بيتاً — وموضوعها نفس الموضوع — يدور
الحديث فيها بين الفراشة والشعلة . ترميها الشعلة بعدم الثبات على المحبة مثلها ،
وينتهي فيها الشاعر بقوله على لسان الشعلة ، في مخاطبة الفراشة ، حول معنى العشق :
— إن كان جناحك ، قد أحرقتَه نار العشق
فانظري !! قد أحاط بي الإحراق ^(٥) !! .

-
- | | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| (١) سمندر نه گرد آتش مسگرد | که مرد انگی بایسد آنکه نبرد |
| (٢) مرا چون خلیل آتشی در دلمست | که بشداری این شعله بر من گلاست |
| (٣) نه دل دا من دلستان میکششد | که مهرش گریبان جان میکششد |
| نسه خود را بر آتش بخود میزنم | که زنجیر شوقست در گسردنم |
| (٤) مرا همچنان دور بودم که سوخت | نه این دم که آتشی بمن بر فروخت |
| (٥) ترا آتش عشق اگر بر سوخت | مرا بین که ازبای قاسر بسوخت |

الوظائف العامة في باب العشق

دراسة هذا الباب ترد كثيراً من الاتهام الذي وجه إلى «سعدى» كيف يتناول مسائل تتصل بالعشق؟ وكيف يحدثك بنفسه عن حوادث شخصية وقعت له تشير إلى هذا المعنى؟ . وشبيه بها القصة التي أشرنا إليها سابقاً في الرحلات ، وهى قصة جامع «كشغر» مع الفتى الذى يقرأ مقدمة الزمخشري .

أمثال هذه القصص ، وغيرها يرى بعض الأدباء أنها مدخولة على الشاعر ، تجنباً منهم أن يسندوا إلى شاعر أخلاقى كبير ، كالشيخ «سعدى» أمثال هذه الحوادث ^(١) .

ولكن تفسيرنا لهذه القصص — على النحو الذى نسير عليه — يرفع كل هذا الحرج ، فالقصة من ورائها مغزى ، هو المقصود منها ، سواء أسندت حوادثها إلى الشاعر أو إلى غيره .

الأمر عند الشاعر أبعد من تلك الصور التى يوردها ، والتى يجعلها موضوع القصة ، إذ هو يتصل بالغرض منها ، يختار لها الشخصية المناسبة . والعشق عنده عشق إلهى صوفى برىء ، وقد رأينا فى تناوله للشخصيات التاريخية كيف انتهى منها إلى المعنى المقصود من اختيارها ؟ .

والباب بجانب هذا ، يتضمن كثيراً من أفكار الشاعر الصوفية ، التى كانت تسود فى ذلك العصر ، وهو يحاول أن يثبت وجود عالم آخر وراء هذه الماديات ، إذا ما قطعت الفواصل بين العالمين — بالسعى والاجتهاد والجد فى الطلب فى طهر وإخلاص — أمكن الوصول إلى العالم الآخر الذى لا يتكشف للإنسان العادى .

ويمكن أن نرتب أفكار الباب العامة على النحو الآتى :

(١) النظر مقدمة الكلستان للأسناد الكركاني — ص — مط .

- (۱) أهل الصورة وأهل المعنى . (۲) صفات أهل المعنى .
 ا — صفات قبل الوصول . ب — صفات بعد الوصول .
 (۳) عقيدة الفناء في الله . (۴) عقيدة وحدة الوجود .

أولاً — أهل الصورة وأهل المعنى :

وأهل الصورة لا يدركون أهل المعنى في قوله :

— يبدو لك البحر ، عظيماً بموجه !!
 وتبدو لك الشمس البراقة ، عالية بأوجها .
 — لكن أنى الطريق لأهل الصورة ، فيسلكونه
 ليفهموا أن أهل المعنى ، في ملك غيره ؟^(۱) .
 ولا بد من التجرد عن الماديات لإدراك ما وراءها :
 — إن الهوى حجاب ، ليس له حاصل
 فحين تقطع القيود ، فإنك واصل^(۲) .
 والعالم مليء بأهل المعنى وطرقهم معروفة ، ولكن للبصر :
 — إن العالم مليء بالسمع ، والسكر ، والتوله !!
 ولكن ماذا يبصر الأعمى ، في المرآة ؟؟^(۳) .
 وما دام الإنسان يطلب الصورة فلن يبلغ شيئاً :
 — إذا كانت عينك تنظر حسن الحبيب
 فأنت في هوى نفسك ، لا في هوى الحبيب .
 — وما دام فلك مفتوحاً ، يرى هوى المطالب
 فلن يدخل أذن القلب ، سر من الغيب^(۴) .

- | | | |
|------|--|---|
| ق ۳۱ | بلندست خورشید تابان باوج
که آریاب معنی بملکی در نسد | (۱) عظیمست پیش تو دریا بموج
ولی أهل صورت کجا پی برنسد |
| ق ۲۹ | چو بوندها بگسلی واصلی | (۲) تعلق حجا بست وبی حاصلی |
| ق ۲۸ | ولیکن چه بیند در آینه کور؟ | (۳) جهان پر سماعت وستی و شور |
| ق ۱۹ | تو در بند خویشی نه در بند دوست
نیاید بگوش دل از غیب راز | (۴) گر از دست چشمت بر احسان اوست
ترا تادهن باشد از حرص باز |

ثانیاً — صفات اهل المعنی :

۱ - صفات قبل الوصول

ضعف العقل أمام العشق :

— کم من عقل ، قوی ، ظافر
تخیله ثورة العشق ، إلى ضعف ، وأسر (۱) !! .

والتجرد عن سلطان النفس :

— إن الذي يوجهك ، إلى معرفة ربك
هو الذي ينقذك ، من سلطان نفسك (۲) .

وعدم الاستماع للناصحين :

— ما أحسن هذه النکته ، في کتاب السندباد !
إن العشق نار ، يا بني ! والنصيحة ريح .
— والريح تزيد النار اشتعالا
وكذا الضرب يزيد النمر قتالا (۳) .

والجد في الطريق مهما كلفته :

— إن كنت عاشقا ، فأمسك بأطراف حبيبك
فإن سألک روحك ، فقل له هي ، تلك !! .
— فإنک الفائر بالفردوس ، المقيم
في الوقت الذي تمر فيه ، على جحيم العدم (۴) .

-
- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| (۱) بسا عقل زور آور چیر دست | که سودای عشقش کند زیر دست ق ۱۴ |
| (۲) ترا با حق آن آشنائی دهسسد | که از دست خویشت رهائی دهد ق ۲۷ |
| (۳) چه نغز آمد این نکته در سندباد | که عشق آتشست ای سرپندباد |
| بیاد آتشی نیز برتر شمسود | بلنک از زدت کینه و رتر شمسود ق ۳۰ |
| (۴) اگر عاشقی دامن او بسسگیر | وگر گویدت جان بده گو بگیر |
| بهشت تن آسانی آنکه خوری | که بر دوزخ نیستی بگذری ق ۸ |

والصبر حتى الوصول إلى الغاية ، وإدراك النهاية :

— لا عتب على ! أنا الغريق !

فإن الصبر ، لا حد له في العشق .

— فلئن ابيضت عيناى ، كما ابيضت عينا يعقوب

فلن أقطع الأمل ، من رؤية يوسف ^(١) .

— وينبغي أن يكون الطالب ، صبوراً ، في احتمال

فلم أسمع أن الكياوى ، ملّ من العمل .

— فكم من الذهب يلقيه أسودّ التراب !

لعل — يوماً — يتحول النحاس إلى ذهب .

— والذهب نفيس ، تقضى به حاجاتك

لكن — أى شىء — أغلى من دلال حبيبك ^(٢) .

فإذا اكتملت للعاشق هذه الصفات : السيطرة على عقله ، وعدم الاستماع

لناصحيه ، والجد في الطريق ، والصبر على ما يلقاه فيها ، واحتمال الأذى في سبيلها .

انتهى إلى السعادة الكاملة :

— طوبى !! للمولّين في حب الحبيب !!

سواء أكانوا يرون منه ، جرحاً ، أم مرهما .

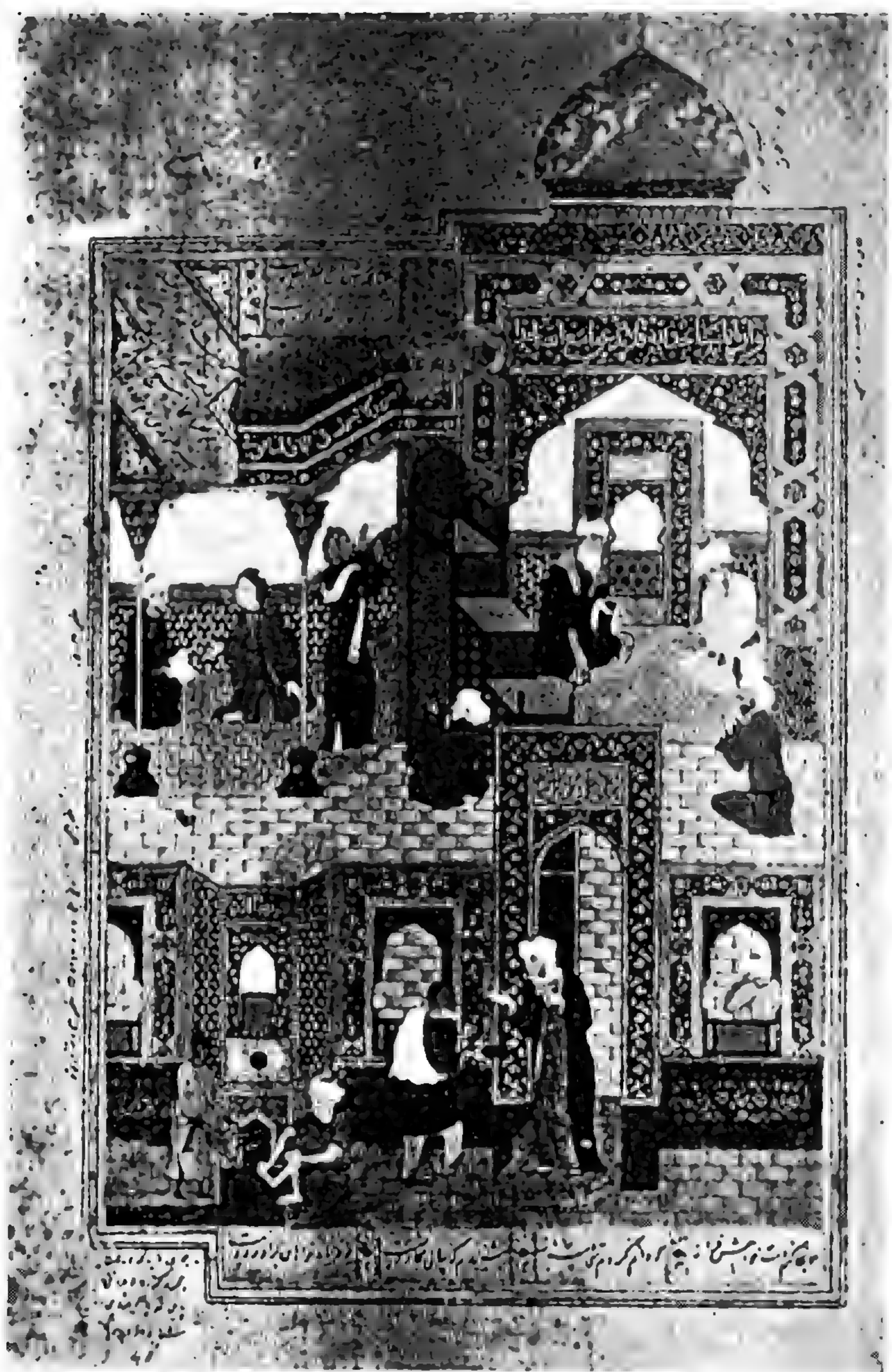
— أنهم سائلون ! ينفرون من السلطنة

لكنهم صابرون على السؤال أملاً في محبته .

— يتجرعون شراب الألم ، في كل لحظة

فإن وجدوه مرأً ، لم ينبسوا بينت شفّه ^(٣) .

- | | | |
|-----|--|--|
| ق ٤ | که در عنق صورت نبندد شکیب
نبرم ز دبدار یوسف امیسد | (١) مکن با من ناشکیبا عتیب
چو یعقوبم اردیده گردد سپید |
| ق ٩ | که نشنیده ام کیمیا گر ملول
که باشد که روزی مسی زر کند | (٢) طلبکار باید صبور و جمل
چه زرها بخاک سید در کند |
| ق ١ | چه خواهی خربدن به ازناز دوست
اگر زخم بینند وگر مسرهمش | (٣) ز از بهر چیزی خربدن نکوست
خوشا وقت شورید گان غمش |
| | بامیدش اندر گدائی صبور
وگر بلخ بینند دم در کشمند | گدایانی از پادشاهی نفور
دمادم شراب ألم در کنسند |



صورة من الداخل لمسجد وجماعة يتعبدون وآخرون يتهيأون للصلاة .
 وفي أعلى الصورة أبيات من القصة رقم ٩ من باب العشق .
 عن النسخة الخطية بدار الكتب

ب - صفات بعد الوصول

يطلبون المزيد مما هم فيه :

— ينشدون الحبيب ، وهو في الصدور
وشفاهم ذابلة — عطشاً — وهم على شاطئ النهر .
— لا أقول إنهم غير قادرين على الماء
لكنهم — كن على النيل — أصيب بالاستسقاء (١) .
وهم أقوياء بضعفهم :

— هم أصحاب عمل ، لكنهم في عزلة
وأرجلهم من تراب ، لكن أنفاسهم نارية .
— إنهم بصيحة واحدة ، يقتلعون جبلا
وبأنة واحدة يهدمون بلاداً .
— هم كالرياح ، سراع ، مختفون
وكالاحجار ، صامتون ، صائحون (٢) .
ولا يحسون ما يعترضهم من صعاب :

— قوم خلت أيديهم ، لكنهم ملأى الحواصل
يقطعون الصحارى ، لكن بغير قوافل (٣) .
وهم في رعاية الله دائماً ، يستمدون قوتهم من قوته :
— إن المستغرقين في الوجد ، والمحجبه
نحرسهم — ليلاً ونهاراً — عين الله (٤) .

-
- | | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) دلارام در بر دلا رام جسوی | لب از تشنگی خشك بر طرف جوی |
| نگویم که بر آب قادر نینسد | که بر شاطیء نمل مستسقیند ق ۱ |
| (٢) گروهی عمل دار عزلت نشین | قدمهای خساکي دم آتشین |
| بیك نعره کوهی زجا بر کنند | بیك ناله شهری بهم بسر کنند |
| چو بادند بنهای وچالاک بسوی | چو سنگند خاموش وتسبیح گوی ق ۳ |
| (٣) تہی دست مردان پر حوصصلہ | بیا بان نسورد قد بی قافسلہ ق ۶ |
| (٤) بس آنانکہ دروجسد مستغرقند | شب وروز در عین حفظ حقند = |

— إنه — من حرارة النار — حفظ الخليل
 كما أنقذ — تابوت موسى — من لجة النيل .
 — ولماذا لا يعتقد المدَّعون؟؟
 أن الأبدال ، على الماء ، وفي النار ، يمشون .

ثالثاً — عقيدة الفناء في الله :

والشاعر يعرض لفكرة « الفناء في الله » في قطعتين مستقلتين . القطعة
 الخامسة من نسخة « سودى » وعنوانها « في معنى أهل المحبة » والقطعة
 الحادية والعشرون وعنوانها « في فناء الموجودات مع وجود الله تعالى » .

وبجانب هاتين القطعتين تتردد تلك العقيدة في الباب عموماً فيما يأتي :

— لا تنتظر أن يكون لي صبر بدونه !!
 ولا يمكن أن يكون لي قُرْبى بغيره . !!
 — ليس عندي محل للصفاء ، ولا قدرة على الصبر
 ولا مكان للبقاء ، ولا قدم للقرار .
 — لا تقل لي ! ولَّ وجهك عن هذا الباب !
 ولو وضعوا رأسي — كالوتد — في الأطناب^(١) .
 — ومنذ ذلك الوقت ، الذي طلبني فيه حبيبي
 لم تبق لي معرفة ، مع أحد غيره .
 — ولأقسم بحقه ! حين ظهر لي ما فيه من جمال
 فكل ما سواه ، بدا لي ! كأنه خيال^(٢) .

= ننگه دارد از تاب آتش خلیل
 چرا اهل دعوی بدین نگر و نسد
 (١) زمن صبر بی او توقع مسددار
 نه نیروی صبرم نه جای ستیز
 مگو زین در بر گد سر بتاب
 (٢) از آنکه که یارم کسی خویش خواند
 بمقش که تاحق جام نمسود

چو تابوت موسی ز غرقاب نیل
 که ابدال در آب و آتش روند ق . ٢
 که با او هم امکان نسدارد قرار
 نه امکان بودن نه پای گریز
 و گر سر چو میخم نهسد در طناب ق ٤
 دگر با کسم آشنائی نمانسد
 دگر هر چه دیدم خیالم نمسود ق ٦

— واذ كنت حبيباً ، فلا تتحدث عن نفسك
فإنه شرك ، أن تجمع بين الحبيب ، وبين نفسك^(۱) .
— وإذا كانت لك قُربى بأعتابه
فلا تشغل بما في يدك ، عن محبته .
— إن الأولياء يخالفون طريقهم
إذا تمنوا من ربهم ، غير ربهم^(۲) .

رابعاً — عقيدة وحدة الوجود :

و بجوار عقيدة « الفناء في الله » تبدو أيضاً عقيدة صوفیه أخرى هی « عقيدة
وحدة الوجود » فی قطع مختلفه فی الباب :

— ليس طريق العقل ، إلا التواء ، وتعقيداً
وعند العارفين ، ليس سوى الله موجوداً .
— ومن الممكن أن يدرك هذا ، كل خبير
ولكن — أهل القياس — قوم إنكار^(۳) .
ولن يذوق كأس الوحدة إلا من نسي الدنيا والعقبى :

— إن من شرب خمر الوحدة ، ذات الصفاء
هو من نسي الدنيا ، ودار البقاء^(۴) .
والعاشق يرى العالم في وجوده تعالى :

— إنك تضع رأسك — في صدق — تحت أقدامه
حتى ترى العالم — كأنه عدم — في وجوده^(۵) .

- | | | |
|-------------------------------|-----------------------------|------|
| (۱) اگر یاری از خویشان دم مزن | که شرکست بایار و با خویشان | ق ۵ |
| (۲) گرت قربتی هست دربار گاه | بخلعت مشو غافل از پادشاه | |
| خسلاف طریقت بود کاولیا | تمنا کنند از خدا جسسز خدا | ق ۱۹ |
| (۳) ره عقل جسز هیچ نیست | بر عارفان جز خدا هیچ نیست | |
| توان گفتن این با حقائش شناس | ولی خسرده گیرند أهل قیاس | ق ۲۱ |
| (۴) می صرف وحدت کسی نوش کرد | که دنیا وعقبی فراموش کرد | ق ۳ |
| (۵) بصدقش چنان سر نهی در قدم | که بینی جهان با وجودش عدم = | |

— فإذا لم يُقدَّر الحبيب ، ما لديك من ذهب
فسواء ما عندك ، من تراب ، وذهب .
— وعندئذ لا يحس بأحد غيره
إذ لا يبقى مكان للغير ، مع وجوده .
وعند الصفاء تبدو وحدة الوجود في المخلوقات كلها :

— ثم !! ما هي السماء والأرض؟؟؟
ومن هم أولاد آدم ، والطير ، والوحوش ؟ .
— أيها العاقل ! لقد سألت سؤالاً مفيداً
وإني أجيبك ، جواباً سديداً .
— إن الصحارى ، والبحار ، والجبال ، والأفلاك
والجن ، والإنس ، والشياطين ، والملائك .
— كلهم — جميعاً — مهما كان وجودهم
أقل من أن يحملوا — اسم الوجود — مع وجوده .
— ولكن أنى الطريق لأهل الصنوره ؟
فإن أهل المعنى في عالم غير عالمهم^(۱) .

= چو در چشم شاهد بیاید زرت
دگر باکست برنیاید نفس
(۱) که پس آسمان وزمین چیستند
سندیده پرسیدی ای هوشمند
که هامون ودریا وکوه وفلک
همه هرچه هستند از آن کمترند
ولی اهل صورت کجا پی برنند
زر و خاک بکسان نماید برت
که با او نماند دگر جای کس ق ۲
بنی آدم ودام ودد کیستند ؟
بگویم گر آید جوابت پسند
پری وادمیزاده و دبسو و ملک
که باهستیش نام هستی برنند
که ارباب معنی بملسکی درنند ق ۲۱

٤ - باب التواضع

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدی	عن شخصية تاريخية	عامه	المطلع
١	١	٤			عامه	زخاک آفریدت خداوند پاک
-	٥	٥			»	یکی قطره باران زابری چکید
٣	١٠	١٢			»	جوانی خردمند پاکیره بسوسوم
٤	٢٢	٨		بایزید البسطامی	»	شنیدم که وقتی سحرگاه عید
	٣٠	١٢			»	ز مغرور دنیا ره دین مجسوسی
٦	٤٢	٥١		سیدنا عیسی		محدث چنمین آورد در کلام
	٩٣	٣٨	سعدی			فقیهی کهن جامه تنگدست
٨	١٣١	١٤	سعدی			چه خوش گفت خر مهره در گلی
٩	١٤٥	٥٧			»	یکی پادشه زاده در گنجه بسود
١٠	٢٠٢	١٤			»	شکر خنده انگین می فروخت
١١	٢١٦	٧			»	شنیدم که فرزانه حق پرست
١٢	٢٢٣	٧			»	سگی پای صحرا نشینی گزید
١٣	٢٣٠	١٧			»	بزرگی هنرمند آفاق بسود
١٤	٢٤٧	٣٥		معروف الکرخی		کسی راه معروف کرخی بجست
١٥	٢٨٢	٣٥			»	طمع برد شوخی بصاحب دلی
١٦	٣١٧	٢٨			»	ملك صالح از پادشاهان شام
١٧	٣٤٥	٧		کوشیار الحکیم		یکی در نجوم اندکی دست داشت
١٨	٣٥٢	١٢			»	بخشم از ملك بنده سر بتسافت
١٩	٣٦٤	١٢			»	زویرانه عارفی ژنده پوش
٢٠	٣٧٦	١٧		حاتم الأصم		گروهی بر آئند زاهل مسخن
٢١	٣٩٣	٢٤			»	عزیزی در اقصای تبریز بسود
٢٢	٤١٧	٨			»	یکی را چوسعدی دل ساده بود
٢٣	٤٢٥	٣		بهلول		چه خوش گفت بهلول فرخنده خوی
٢٤	٤٢٨	١٢		لقمان الحکیم		شنیدم که لقمان مسیه قام بود
٢٥	٤٤٠	١١		الجنید		شنیدم که در دشت صنعا جنید
٢٦	٤٥١	٥			»	یکی بر بطی دریغل داشت مست
٢٧	٤٥٦	٢٠			»	شنیدم که در زخاک و خش ازسهان
٢٨	٤٧٦	١٧		سیدنا علی		کسی مشکلی بسرد پیش علی
٢٩	٤٩٣	٩		سیدنا عمر		گدائی شنیدم که در تنگنائی
٣٠	٥٠٢	٤			»	یکی خوب کردار و خوش خوی بود
٣١	٥٠٦	٢١		ذوالنون المصری		چنین یاد دارم که سقاء نیل
	٥٢٧		٢ +	١١ +	١٨	٣١ =

قصص باب التواضع

تبلغ قصص هذا الباب احدى وثلاثين قصة ، في خمسمائة وسبعة وعشرين بيتاً تتوزع كالآتي :

- ١ — قصتان عن سعدى .
- ٢ — إحدى عشرة قصة عن شخصيات تاريخية .
- ٣ — ثمانى عشرة قصة من القصص العامة .

قصة عيسى عليه السلام

وتقع السادسة في الترتيب ، في واحد وخمسين بيتاً ورقم المطلع ٤٢ تضع لها نسخة سودى عنواناً « عيسى عليه السلام والعابد المتكبر والفاسق النادم » . واختيار سيدنا عيسى لهذه القصة مناسب للغرض منها . فهي تدور حول مذهب متواضع ، نادم ، وعابد متكبر . يستحضر فيها الشاعر شخصية أخرى تلائم النبوة ، وهو جبريل يوحى به إلى عيسى .

ويفتتح الشاعر الحديث عن المذنب الذى غرق في ذنبه ، لكنه عاد فندم . قُبِلَتْ توبته ، ورضى عنه ربه ، ثم ينتهى إلى بيان ، أن رحمة الله واسعة ، والأمل في عفوه كبير :

— هكذا قال محدثى في الكلام !!

إنه في عهد عيسى عليه السلام !! .

— أنفق أحد الناس ، عمره في خسارة

وانتهى الأمر به ، إلى الجهل ، والضلالة^(١) .

(١) محدث جنسین آورد در کلام یکی زندگمانی تلف کرده بسود که در عهد عيسى عليه السلام بجهل وضلالت سرآورده بود

والشاعر يمضي في تقوية صور الآثام عند ذلك الرجل ، فكان مغامراً
قاسى القلب ، يخجل إبليس من دنسه ، محباً للشهوة ، مخموراً ، غافلاً . ثم ينتهى
في عرض حال الرجل إلى الاستغفار ، والتوبة في قوله :

— كان خجولاً — يردد كلمات الاستغفار — بحرقة
فكم من ليال ! أمضاها في غفلة .
— تمطر عيونه — دمعاً — كالسيل المنهمر
قائلاً واحسرتا ! لقد أمضيت — في غفلة — عمرى ^(١) .

ويردد الشاعر استغفاراً كثيراً على لسان ذلك المذنب ، ومناجاته ربه
أن يغفر له . وأخيراً ينتقل إلى تصوير حال المتعبد المتكبر ، وقد جمعها في مكان
واحد ، يستمع هذا لتوبة ذاك ، في قوله :

— ومن الجانب الآخر ، كان العابد المغرور
مقطّب الحاجب ، على الفاسق الشرير .
— يقول ، ما لهذا التعس ، يسلك سبيلنا !! ؟
إنه شرير !! ليس مكانه بيننا .
— لقد انغمس — حتى عنقه — في النار
وأسلم — أدراج الرياح — عزيز العمر .
— وما الخير الذي بدا من نفسه الملوثة
حتى يطلب صحبة المسيح ، وصحبتى ؟ ^(٢) .

ثم يظهر الشاعر مدي ضيق المتعبد المغرور بهذا الرجل المذنب التائب ،
ويدعو الله ألا يحشره معه . وهنا موضع مغزى القصة ، فرحة الله واسعة .
يقول على لسان المغرور :

- | | |
|--|---|
| <p>(١) خجل زیر لب عذرخواهان بسوز
سرشك غم از دیسده باران چو میخ
(٢) وز آن نیمه عابد سری پر غرور
که این مدبر اندر پی ما چراست
بگردن در آتش در افتاده ای .
چه خیر آمد از نفس تر دامنش</p> | <p>ز شبهای در غفلت آورده روز
که عمرم بغفلت گذشت ای دریغ
ترش کرده بر فاسق ابرو زدور
نگون بخت جاهل چه در خورد ماست
بیاد همسوا عمر بر داده ای
که صحبت بسود با مسیح و منش</p> |
|--|---|

— إني أنألم من طلعتنه ، وأخشي المصير
 فلعل ناره تلحقني ، وليس من مجير .
 — رب ! ! يوم يساق للحشر العباد
 لا تجمعني — وإياه — في واد^(١) !!! .

وهنا يهییء الشاعر الفرصة لينزل الوحي على عیسی علیه السلام ، فیأتیہ هاتف
 من الله عزت قدرنه ! إنه قبل دعاء الاثنين معاً ، فأمضى بالأول إلى الجنة ، استجابة
 لاستغفاره ، ولم يحشر الآخر معه استجابة لدعائه ، فكانت النار نصيبه . يقول :

— بينما كان المغرور يفكر ، وإذا وحي الجليل
 يهبط على عیسی علیه السلام .
 — قائلاً !! إن كان هذا عالماً ، وذاك جهولاً
 فإني تقبلت دعاء الاثنين معاً .
 — فصاحب الأيام ، التي ملأها بالضلال
 تضرع إليّ بحرقية ، وإذلال .
 — وكل من أتاني ، مستغفراً ، ذليلاً
 لا أبغى له عن أعتاب كرمي بديلاً .
 — إني أعفو عنه ، وأغفر أعماله السيئة
 وأنعم عليه — تفضلاً مني — بالجنة .
 — وإن كان يقع في ظن ذلك العابد
 أن من العار ، أن يجالسه في الخلد^(٢) .

-
- | | |
|--|--|
| <p>(١) همی رنجم از طلعت ناخو شش
 بمحشر که حاضر شوند انجمن
 (٢) درین بود ووحی از جلیل الصفات
 که گر عالسناین وگروی جهول
 تبه کرده آیام برگشته . . . روز
 بیچارگی هر که آمد بدم
 ازو در گذارم عمل های زشت
 وگر عار دارد عبادت سرست</p> | <p>مبادا که در من فسد آتشت
 خدایا تو با او مسکن حشر من
 درآمد بعیسی علیه الصلوات
 مرا دعوت همدو آن قبسول
 بنالید بسر من بزاری وسوز
 بیندازمت زآسمان کرم
 بانعام خویش آرمش در بهشت
 که در خلد باوی بسود هم نشست =</p> |
|--|--|

— قل له !! لن يصيبك منه — يوم القيامة — كبير عار
فإنه سيذهب إلى الجنة ، وأنت إلى النار .
ويردّد الشاعر في ختام القصّة معنًى ، إن القبول عند الله إنما هو على أساس
التواضع ، مهما كانت الذنوب كثيرة ، ومهما كان لون العبادة ، فإن الله لم يقفل
باب غفرانه أمام تائب .

قصّة سيدنا عمر

وهي التاسعة والعشرون في الباب، في تسعة أبيات، ورقم المطلع ٤٩٣ ، وتصور
مبلغ عدل عمر ، وتواضعه ، وترفعه بالرعية ، مع ما كان له من السلطان ، ثم دعوة
إلى التمثّل بأساليبهم :

— سمعت أن سائلاً ، كان يمر في مكان ضيق
فمضى به « عمر » ، فداس على قدمه ^(١) .

ويعصور الشاعر جهل الفقير المسكين ، لم يكن يدري من الذي مضى به ؟ ؟
فتار ، ورمى « سيدنا عمر » بالعمى ، وعدم البصيرة ، فأجابه « عمر » مترقفاً :
— لست بالضرير ! ولكني أخطأت المسير
ولم أعلم بك ، فأغفر من ذنبي ^(٢) .

ويخرج الشاعر من هذه القصّة بالدعوة إلى المعنى العام ، وهو التواضع .
وعدم ظلم الراعى للرعية .

— إن كنت تخشى ربك ، يوم يطلبك للحساب

فأغفر خطيئة ، الذي يرهب منك العقاب .

— ولا تظلم — أيها الباغي — أتباعك

فإن هناك — كذلك — قوة فوق قوّتك ^(٣) .

که آنرا بچنت برنسد این بنار	= بگوئیک از و در قیامت مگذار
نهادش عمر پای بسر بشت پای	(١) گدائی شنیدم که در تنگجائی
نداستم از من گنه در گذار	(٢) نه کورم ولیکن خطا رفت کار
از آن کز تو ترسد خطا در گذار	(٣) اگر می ترسی ز روز شمसार
که دستیست بالای دست توهم	مکن خیره بر زیر دستان مسم

قصة سيدنا علي

وتقع الثمانية والعشرين ، في سبعة عشر بيتاً ورقم المطلع ٤٧
وتدل على سعة حلمه ، مع تواضعه . ولكنها في ثوب آخر ، وتضع نسخة «سودي»
عنواناً لها « حكاية أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه وسيرته الطيبة في التواضع » .
وتعرض القصة رجلاً ، رفع إلى « عليّ رضي الله عنه » مشكلة من المشاكل
يطلب حلها ، فأجابته ، ولكن أحد القوم اعترض . ويصور الشاعر مدى حلم
« عليّ » ، وتواضعه ، مع ما كان عليه من العلم ، فيقول :

— سمعت أن رجلاً بين المسـتمعين

قال له ليس الأمر كذلك ، يا أبا الحسن !! .

— فلم يتألم « الحيدر » ، ذائع الصيت

بل قال له ، قل ما تعلم ! فإن كان خيراً ، سمعت ^(١) .

وهنا ينتقل الشاعر إلى تصوير مبلغ حلم « علي » وتواضعه في قوله :

— أعجب ، سـيد الرجال الجواب

قائلاً لقد كنتُ الخطيـء وأجاب هو الصواب ^(٢)

ثم تمضي القصة في توكيد معنى التواضع والدعوة إليه .

قصة حاتم الأصم ^(٣)

تخير الشاعر لهذه القصة رجلاً يدعى الصم . ونقع قصته العشرين في الترتيب ،
في سبعة عشر بيتاً ، ورقم المطلع ٣٧٦ .

وتدور القصة حول اصطناع الصم عند « حاتم » هذا ، حتى يمكنه أن يستمع
— من حيث لا يشعر الناس — لما في طبعه من كمال ونقص ، فيرتد عن النقائص .
واصطناع الصم ملائم لهذا الباب ، مادام الإنسان سليم الحساسية .

(١) سنيدم كه شخصي در آن انجمن
نر نجيد أز و حيدر نامجسـوي
بگفتا چنين نيست يا ابا الحسن
بگفت از تو داني ازين به بگوي
(٢) پسنديد أز و شاه مردان جسواب
كه من بر خطا بودم او بر صواب
(٣) كان رجلاً ولياً يعرف بحاتم الأصم . من قدماء مشايخ بلخ . مات بمدينة « وانشجرد »
سنة ٥٢٣٧ هـ . وكان مشهوراً بهذا اللقب ؛ ومع ذلك لم يكن أصماً ... ص ٢٦٩ بستان جراف .

فهذا باب في التواضع ، وليس خيراً — في هذا المعنى — من أن يستمع الإنسان لما أخذه ، ليعمل بالخير منها ، ويترك القبيح . فهي تعالج مسألة اجتماعية قلما يعتنقها الناس ، وهي إفساح الصدور للنقد البريء .

يعرض الشاعر تصويراً على لسان متحدث ، أدرك أن « حاتماً » سمع صوت ذبابة وقعت في شباك عنكبوت ، يقول له :

— كيف فهمت طنين الذبابة ؟؟

وقد طرق أسماعنا بصعوبة !! .

— إنك تـدري ، طنين الذباب

فلا ينبغي أن ندعوك أصمًا ، لهذا السبب .

— تبسم — ضاحكا — وقال أيها العاقل

إن الأصم خير ممن يسمع الباطل .

— فالذين يقيمون معي في صفاء

يسترون على العيب ، ويسطون الثناء .

— وحين يعلم القوم ، أني أصم

أشعوني كل ما في من كمال ولَمْ^(١) .

قصة لقمان الحكيم

يحضره الشاعر ، ليجري على لسانه بعض الحكم في معنى الاحتمال والتواضع ، بعد أن عانى مشقة كبيرة — مدى عام — وهو يعمل مسخراً .

والقطعة تقع الرابعة والعشرين ، في اثني عشر بيتاً . وبيت المطلع ٤٢٨ ،

وعنوانها « لقمان الحكيم وتحمله » . وتصفه بأنه كان أسود اللون ،

(١) مگسرا تو چو نفهم کردی خروش
توکا گاه کردی بیانگ مگس
تبسم کنان گفتن ای تبر هوش
کسانی که باما بخلوت درنسد
چسودالیوه دانندم اهل ننست
که ما را بد سوارى آمد بگوشت
نساید اصم خواندنت زبن سپس
اصم به که گفتار باطل نیوش
مرا عیب بوش و ثنا گسترند
بگویند نیک و بدم هرچه هست

ليس في بداته ، ولا لطيف الهندام ، فظنه رجل أنه كان عبده ، فحمله وعاش عنده
ذليلاً ، مسخراً في البناء . والشاعر يجعل « لقمان » صامتاً ، محتملاً ، مدى هذه
المشقة ، تربية لنفسه ، وتواضعاً منه . إذ يقول :

— ذاق منه أذي ، وأذله جوراً وقهراً
حتى بنى له — بعد عام — قصراً^(١) .

وتمضي القصة فتقول ، إنه لما استكمل البناء ، كان الخادم القديم قد عاد
فأحس الرجل أنه أساء للقمان فاعتذر إليه ، ولكن لقمان أجابه ، مافائدة الاعتذار
بعد أن احتملت جهد عام ؟؟؟ ثم يخرج الشاعر إلى مغزى القصة ، فيجري على
لسانه بعض الحكم في معني الاحتمال ، حتى يشعر الإنسان بمدى حاجة الضعفاء
إلى معونة الأقوياء .

— من لم يَحْتَمِلْ ظلم الكبار ، الأقوياء
لا يحترق قلبه ، على الصغار ، الضعفاء^(٢) .

قصة كوشيار الحكيم^(٣)

وقصته السابعة عشرة ، في سبعة أبيات ، ويبتدئ المطلع ٣٤٥ وعنوانها
« محروم متكبر » . وتدور القصة حول رجل كان على علم واسع في النجوم ،
ولكنه كان متكبراً مغروراً . يمضي الشاعر فينقل هذا الرجل إلى « كوشيار »
ليتلقى عليه بعض المعارف . ولكن « كوشيار » أعرض عنه — حين رآه مغترأ —
ولم يعلمه حرفاً واحداً ، فلما هم بالرحيل عائدًا إلى موطنه ، ألقى عليه « كوشيار »
درساً في التواضع ، على نسق الحكمة .

(١) جفا دبد ويا جور وقهرش بساخت بسالی سرائ ز بهرش بساخت
(٢) هر آنکس که جور بز رگان نبرد نسوزد دلش بر ضعیفان وخرد
(٣) هو حکیم آخر من کیلان . کان تلمیساً لابن سینا — هامش نسخة جرافه

— زعمت أن عقلك ، يفيض امتلاء
 فكيف — لأكثر من سعة — يحتمل الإناء .
 — إنك ممتلئ ادعاء ، ولهذا عذ خالياً
 وأتينا خالياً !! حتى يمكن أن تمتلئ بالمعاني^(١) .

قصة بهلول (٣)

وهي من القطع الصغيرة في الباب وعنوانها « بهلول العاقل » ، وعدد أبياتها
 ثلاثة أبيات ، وترتيبها الثالثة والعشرون ، ويمكن أن تكون في باب العشق كما سيبدو :

— ما أحسن قول — سعيد الخلق — بهلول !!
 حين مر على عارف يثير الجدل .
 — لو كان هذا الدعي يدرى الحبيب
 لما أعلن الخصومة لأوهى سبب .
 — ولو كان خبيراً بوجود الحق
 كعد — في طي العدم — جميع الخلق^(٣) .

قصة أبو يزيد البسطامي (٤)

تخير الشاعر بعض الشخصيات الصوفية ، واختياره لها مناسب للباب تمام
 المناسبة ، وهو يقلد كل شخصية قصة من القصص تدور حول معنى من المعاني ،

-
- (١) تو خو درا گمان برد پر خسرد انائی که پرشدد دگر چون برد ؟
 زد عوی بری زان تہی میروی تہی آی تا پر معانی سوسوی
- (٢) بهلول ، هو أحد اخوة هارون الرشيد . انصرف إلى العبادة والانقطاع لها ، حتى عد
 من رجال الله . النظر ص ١١٠ من شرح سودي و ٢٧٤ من شرح جراف .
- (٣) چه خوش گفت فرخنده خوی چو بگذشت بر عارفی جنگجوی
 گر این مدعی دوست بشناختی بپیکار دشمن نسپرد اختی
 گر از هستی حق خبر داشتی همه خلق را نیست پند اشتی
- (٤) هو أبو يزيد طيفور ابن عيسى البسطامي ، كان جده مجوسياً فأسلم ، وكانوا ثلاثة
 أخوة آدم ، وطيفور ، وعلي . وكلهم كانوا زهاداً عباداً . وأبو يزيد كان أجملهم
 حالاً، قيل مات سنة ٢٦١ هـ — الرسالة القشرية ص ١٤ .

وتعالج موضوعاً من الموضوعات ، وقد تخيرها الشاعر من مواطن مختلفة كما سيبدو .
وقصة « أبو يزيد » تقع الرابعة في الباب ، في ثمانية أبيات ، وتدور حول
معنى التواضع ، وعلاج التكبر . خرج « أبو يزيد » يوم العيد من حمامه ، فألقى
عليه رماد من شرفة — وهو في الطريق — فتلوث شعره ، وعمامته ، فمسح وجهه
بكفه ، وهو يقول : « شكراً يا إلهي » . ثم يتخلص الشاعر إلى المغزى المقصود
من القصة ، وهو التواضع .

— إن التواضع يعلى من شأنك
ويهوى بك الكبرياء في حضيض التراب .
— وما الذلّة ، إلا مآل كل جبار عنيد
فلا تترفع ، إن كنت للرفعة ، تبغى المزيد^(١) .

قصة معروف الكرخي^(٢)

وهي الرابعة عشر ، وتقع في خمسة وثلاثين بيتاً ، وتضع لها نسخة سودى
عنوان « معروف الكرخي ، والمسافر المريض » .
وتعالج القصة موضوعاً يدور حول معنى الكرم ، بجانب التواضع ، فهي
من بعض جوانبها تصلح لأن تكون في باب الإحسان ، ولعل الذي جعلها هنا
أنها تدور حول شخصية صوفية .

وافتحية القصة ينطوي على امتحان « معروف » ومبلغ كرمه . إذ نزل عليه
رجل مريض ، كثير الشكاية ، كثير الأنين ، حتى ضج الناس منه . ويبالغ

(١) تواضع سر رفعت أفسرازدت تكبر بخاك انسدر اندازدت
بگردن فتد بر كش تند خوى بلنديت بايد بلندی مجسوى
(٢) هو أبو محفوظ معروف الكرخي . كان من كبار المشايخ . يقول البغداديون فبر
معروف تريفاني مجرب . وهو من موالى على بن موسى الرضا . مات سنة ٢٠٠ هـ
— الرسالة القشربة ص ١٠

الشاعر في تشويه أمر هذا المريض ، يجعله بذىء اللسان كذلك . يقول في المطلع ، من معنى الكرم .

— لم يسلك إنسان طريق معروف الكرخی
إلا ألقى عن رأسه تاج المعرفة .
فقد سمعت أن رجلاً طلب ضيافته
وليس بينه — وبين الموت — إلا مدة قصيرة^(١) .

ويردد الشاعر كثيراً من معاني الكرم بعد هذا المطلع ، ولكنه يشير أيضاً إلى معنى التواضع في أبيات منها .

— إن الذين ارتفعوا إلى العلياء
هم الذين ألقوا عن رؤوسهم ، تاج الكبرياء^(٢) .

قصة الجنيد^(٣)

وتقع الخامسة والعشرين ، في ثلاثة عشر بيتاً ، وتدور القصة حول معنى التواضع والحلم ، يجعل الشاعر « الجنيد » يلتقي بكلبٍ هَرَمٍ ، أهلكته الأيام ، واستولى عليه الضعف ، فرثى لحاله وأشفق عليه ، وأعطاه نصف زاده .

ثم يطوى في القصة بعض معاني التواضع ، في مقارنة بين حاله ، وحال الكلب
لو لم تزيّنني كسوة المعرفة
فأني أقلُّ — كثيراً — من هذا الكلب^(٤) .

-
- (١) کسی راه معروف کرخی بچست که بنهاد معروفی از سر نخست
شنیدم که مهمالش آمد یکی ز بهاریش تا بمرگ آنسدکی
- (٢) بدولت کسانی سر افراختنسد که تاج تکبر بینداختنسد
- (٣) أبو القاسم الجنيد . أصله من نهاوند ومولده بالعراق ، وكان أبوه يبيع الزجاج فيقال له القواريري . كان فقيهاً على مذهب أبي ثور . مسات سنة ٢٩٧ هـ — الرسالة القشيرية ص ٢٠ .
- (٤) وگر کسوت معرفت در بزم نماند بيسار از بن گمسترم

قصه ذى النون المصرى (۱)

هى الأخيرة فى الباب ، ورقمها الواحد والثلاثون ، فى واحد وعشرين بيتاً ، وتدور حول التواضع أيضاً . وترمى القصة إلى أن رجال الله — مهما علت منزلتهم — هم الذين يدركون أنهم أقل عباد الله ، وأكثرهم شراً . وتصور القصة حادثة وقعت له إذ جفَّ النيل ، وانقطع المطر ، ونزلت بالقوم شدة قاسية . فلبجأوا إلى الله يدعونه ومضى أحدهم إلى « ذى النون » يرجوه أن يدعو إلى هؤلاء المساكين . فان كلام المقرَّب لا يرد عند الله .

ولكى يحبك الشاعر القصة يمضى «بذى النون» إلى خارج القطر لمدة من الزمن.

— سمعت أن ذا النون توجه تلقاء « مدين »

ولم تنقض مدة طويلة ، حتى سخت السماء .

— أمضى « بمدين » عشرين يوماً ، جاء الخبر

إن السحاب تساقط ، وانهم ————— المطر (۲)

فلما ارتدت الحياة — رخية هائلة — عاد ذو النون إلى مصر ، وهنا يظهر

معنى التواضع . يجرى الشاعر على لسان شخص آخر سؤالاً « لذى النون » عن

سبب سفره إلى « مدين » ، فيجيب « ذو النون » :

— سمعت أن الرزق يضيق على النمل ، والدواب ، والطير

بما يقع من آثام ، فعل الأشرار .

ففكرت — كثيراً — فلم أرفى هذا الوطن

من — هو أسوأ عملاً — منى (۳) .

(۱) هو أبو الفيض ذو النون المصرى . كان أوحده وقتة علماً وورعاً وحالاً وأدباً ، سعى به إلى التوكل ، فلما حمل اليه ودخل عليه ، وعظه ، فسكى المتوكل ، ورده إلى مصر . الرسالة القشيرية ص ۹ .

(۲) شنیدم که ذو النون بمدين گریخت بسی برنیامسد که باران گریخت

خبر شد بمدين بس از روز بیست که ابر سیه دل بر ایشان گریست

(۳) شنیدم که بر مرغ و مور و ددان شود تنگ روزی بفعل بدان

درین کشور اندیشه کردم بسی پریشان تر از خود ندیدم کسی =

— فذهبت بعيداً أحمل ما أنا فيه من شر
حتى لا يغلق الله على عباده باب الخير .

ثم يختم القطعة بتأييد هذا المعنى :

— إن كنت تريد الرفعة فتواضع
فإن الأخيار، لم يروا في الدنيا من هو أسوأ منهم^(١) .

الرؤفطار العامة في باب التواضع

لا تعدو الأفكار العامة — في الباب كله — ما دار في القصص الشخصية ،
ويمكن أن نجعلها في ناحيتين :

أولاً — دعوة عامة إلى التواضع فإن فيه الرفعة وعلو المنزلة . وليس — كما يفهمه
الناس — حقارة وذلة .

ثانياً — صفات المتواضع .

١ — الدعوة إلى التواضع :

والشاعر نفسه في مستهل الباب لا ينسى أن يجعل المطلع مناسباً للمعنى :

— خلق الله الإنسان من تراب
فتواضع — أيها العبد — وكن كالتراب^(٢) .

ثم يتردد في الباب الدعوة إلى هذا المعنى في مواضع مختلفة :

— إن التواضع يعلى رأس رفعتك
ويلقيك الكبرياء في حضيض التراب^(٣) .

= برقم مبادا که از شمس من		ببندد در خیر در انجمن
(١)	بہی بایدت لطف کن کان بہان	ندیدندی از خود بتر در جهان
(٢)	زخاک آفریدت خداوند پاک	پس ای بندہ افتادگی کن چو خاک
(٣)	تواضع سر رفعت آسرازدت	تکبر بجاک آندر انسدادت ق

— وحين تواضعت قطرة الماء أمام البحر
 تَرَبَّى الصدف — عزيزاً — في أحضانها^(۱) .
 — وحين تواضع التراب ، خَلَقَ منه الإنسان
 وحين تعاظمت النار ، خلق منها الشيطان^(۲) .

۲ — صفات المتواضع :

ألا يغتر بعلمه :

— زَعَمْتَ أَنْ عَقْلَكَ مِلْئًا بِالْمَعْرِفَةِ
 فكيف يتسع الإيذاء لغير ما يحتمله^(۳) ؟؟

ولا بماله :

— ليس الغنيُّ — بماله — أَفْضَلَ النَّاسِ
 فالجار حمار ، ولو لبس رداء من أطلس^(۴) .

ولا بمرکزه :

— إِنْ كُنْتَ شَاغِلًا مِنْصَبًا جَلِيلًا
 فلا تسخر من العاجز إِنْ كُنْتَ عَاقِلًا^(۵) .

-
- | | | |
|---|---|------|
| (۱) چو خسود را بچشمی حفات پدید | صدف در کنارش بجان پرورید | ق ۲ |
| (۲) چو آن سر فرازی نمود این گمی | از آن دیو کرد نسد از این آدمی | ق ۱ |
| (۳) تو خود را گمان برده ^۱ پر خرد | انائی که پرشید دگر چون برد ^۲ ؟ | ق ۱۷ |
| (۴) نه منعم بمال از کس بهترست | خر أرجل أطلس پوشید ، خراست | ق ۸ |
| (۵) چو استاده ^۳ بر مقامی بنسند | بر افتاده ^۴ اگر هوشمندی مخند | ق ۵ |

۵ - باب الرضا

رق ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدى	عن شخصية أو حيوان	عامه	المطلع
۱	۱	۸			عامه	شبی زيت فکرت همی سسوختم
۲	۹	۷			»	سعادت بیخشایش داورست
۳	۱۶	۵۱	سعدی			برا در سپاهان یکی یار بود
۴	۶۷	۷			»	یکی آهینین ینجه در اردیسل
۵	۸۴	۵			»	شبی گردی از درد پهلونخفت
۶	۸۹	۵			»	یکی رومستانی سقط شد خرش
۷	۹۴	۴			»	شنیدم که دیناری از مقلسی
۸	۹۸	۳			»	فرو کوفت پیری سر را بچوب
۹	۱۰۱	۱۱			»	بلند اختری نام او بختیسار
۱۰	۱۱۲	۹			»	یکی مرد درویش در خالک کیش
۱۱	۱۲۱	۱۲		النسر والحدأة		چنین گفت پیس زغن کرگسی
۱۲	۱۳۳	۷			»	چه خوش گفت شاگرد منسوج باف
۱۳	۱۴۰	۶		البعیر والناقة		شتر بچه بامادر خویش گفت
۱۴	۱۴۶	۹			»	عبسادت باخلاص نیت نکوست
۱۵	۱۵۵	۵			»	ندانی که بابایی کوهی چه گفت
۱۶	۱۶۰	۱۰			»	شنیدم که نابالغی روزه داشت
۱۷	۱۷۰	۳۲			»	سیه کاری از نرد بانی فساد
	۲۰۲					
			۱ +	۲ +	۱۴ =	۱۷ =

قصص باب الرضا

وتبلغ قصص هذا الباب سبع عشرة قصة ، في مائتين واثنين من الأبيات
وتتوزع كالآتي :

۱ - قصة عن سعدى . ۲ - قصتان على لسان الحيوانات .

۳ - أربع عشرة قصة من القصص العامة

قصه كركس وزغن :

أى النسر والحدأة . ينظمها الشاعر ليجرى على لسان هذين الحيوانين حكمة مشهورة « إن الحذر لا ينجى من القدر » .

وتقع القطعة فى ترتيبها الحادية عشرة ، فى إثنى عشر بيتاً ، وبيت المطلع ١٢١ وتدور القطعة بشكل محاوره بين الطائرين . يقول النسر للحدأة لا يوجد من هو أبعد منى بصراً ، فترفض الحدأة التسليم بهذه الدعوى إلا على دليل يقدم . وهنا تدخل القصة فى إطارها المحكم . يرتفع النسر والحدأة فى الجو ، والأرض من تحتها خلاه صحراء ، فينظر النسر إلى أسفل — على مسافة بعد يوم — فلما بلغا هذا العلو ، ألقى بنظره على الأرض ، فرأى بعينه حبة ملقاة عليها .

وهنا نكتة من نكت القصة ، يوردها الشاعر ليعطى لها شيئاً من القوة . فتعجب الحدأة من ذلك ، ولم يبق لهما صبر ، فيهبطا من علوها فى الحال ، ويهوى النسر على الحبة ، ولكنه يقع فجأة فى الفخ المنصوب ، ويجد نفسه محاطاً بالشبكة . وهنا ينتهى الشاعر من القصة إلى المعنى المقصود من إيرادها :

— ليست كل صدفة ، حبل بالدر

ولا يصيب الهدف دائماً ، كل شاطر^(١) .

ثم يمضى الشاعر فى إبراز المعنى الذى قدمناه فى مطلع القصة . تسخر الحدأة من النسر بعد سقوطه فى الشرك . قائلة له . ما الفائدة فى رؤيتك للحبة ، ما لم يكن لك أبصار بشرك الخضم ؟؟؟ .

— سمعت أنه كان يجيب ، والتقىد فى رفايه

إن الحذر ، لا ينجى من القدر^(٢) .

(١) نه آستن در بود هر صدف نه هر بار شاطر زند بر هدف

(٢) شنیدم که میگفت کردن بیند نباشد حذر با قدر سود مند

ويختم الشاعر القصة بتأييد هذا المعنى :
 — لما كان الأجل قد مد يده لسفك دمه
 ضلل القضاء عينه التي ترى دقائق الأشياء .
 — إن الماء الذي لا يظهر فيه الساحل
 لا يصلح فيه كبرياء السابح ^(١) .

قصة البعير والناقة :

وتقع في الترتيب الرابعة عشرة ، في ستة أبيات ، بعنوان « شتر پچه »
 وتجرى القصة في حديث يدور بين البعير وأمه . يستخلص منه الشاعر معنى « الجبر
 والاختيار » فما دام الإنسان ليس بخيراً فليرض بما قسمه الله . يدور الحديث بينهما
 في قول البعير لأمه : استريحى أماء ! بعد جهادك الطويل . فتجيبه الأم :

— يا بنى !! لو كان الزمام بأمرى
 فلن يرانى أحد أحمل الأثقال فى القفار ^(٢) .

تحليل الأفكار العامة في باب الرضا

والشاعر يردد في هذا الباب دعوة صادقة إلى العبادة الخالصة ، فإنها طريق الرضا
 بما قسم للإنسان ، والنفوس الصافية هي التي تصل إلى مطلوبها ، وترضى بمقسومها .
 كذلك يعرض الشاعر في هذا الباب بعض الأفكار الفلسفية . فالأحداث
 قد تكون فوق طاقة الإنسان ، فلا بد أن يسلم با « القضاء والقدر » . كما أن كثيراً
 من الأحداث تحدث ولا اختيار للإنسان فيها ، وهنا فكرة « الجبر والاختيار » .

(١) أجل جون بخونتش بر آورد دست
 در آبی که پیدا نگردد کنسار
 (٢) بگفت ار بدستی منستی مهار
 ندبسی کسم بارکش در قطار
 قضا چتم باریک بینش بیست
 غرور شسناور نیساید بکار

۱ - القضاء والقدر :

القضاء والقدر لا رد لهما :

— ما دام لم يكن في الوسع رد سهم القضاء

فليس للعبد درع ، إلا الرضا ^(۱) .

وإذا أعرض الطالع نفذ القضاء :

— لما كان الطالع معرضاً عنّا

تخطمت أمام سهم القضاء دروعنا ^(۲) .

والقوة ليست طريق السعادة :

— ومن ذا الذي ينال السعادة بالعمل

ومن ذا الذي يُشفي عين الأعمى بالكحل ^(۳) .

والإنسان مهما بلغ علمه لن يغير من الواقع شيئاً :

— إن جميع فلاسفة اليونان والروم

لن يستطيعوا أن يصنعوا عسلاً من الزقوم ^(۴) .

والطبيب مهما كان حاذقاً لن يغير من الواقع شيئاً :

— وكيف يدرى الطبيبُ طبَّ مريضه؟؟

بل كيف يدفع المسكينُ الموت عن نفسه ^(۵)؟؟

— فإن القضاءَ يجرى حتماً عليه

ولو أنه يدفع المرض عن غيره ^(۶) .

-
- | | | | |
|-----|-------------------------------|--------------------------------|-------|
| (۱) | چو رد می نگردد خدنگ قضا | سپر نیست مر بنده را جز رضا | ف. ۱۰ |
| (۲) | چو طالع زما روی برپیش بود | سپر بنش تر قضا هبج بسود | ف. ۳ |
| (۳) | که حاصل کند نیکبختی بزور | بسرمد که بینا کند چشم کور؟ | ف. ۱۰ |
| (۴) | همه فیلسوفان یونان و روم | نشدانند کرد اندگین از زقوم | ف. ۱۰ |
| (۵) | چه داند طبیب از کسی رنج برد | که بیچاره خواهد خود از رنج مرد | ف. ۶ |
| (۶) | قضا را طبیب اندر آن ساعت ببرد | چهل سال از بن رفت و زندست گرد | ق. ۵ |

والبطل لا تغنيه قوته عن رد القضاء :

— وماذا تبدي قبضة البطل المجاهد

ما لم يسعف من التوفيق ساعد^(۱) ؟ ؟ .

والله هو الموجّه حيث يريد ، لا حيث يرغب الإنسان :

— يسوق القضاء السفينة حيث يشاء

ولو تقطّع ثياب الربان ، جهداً وعناء^(۲) .

۲ — الجبر والاختيار :

ویدو فی الآیات الآتية :

— إذا كانت صورة حالك سيئة أو طيبة

فهي مصورة ، من يدي تقديره^(۳) .

— لم يضع الله أسباب الاختيار بيدي

حتى أكون سعيداً مجدوداً^(۴) .

— والأقلام تجري بسعادتنا وشقائنا

ونحن لا نزال في بطون أمهاتنا^(۵) .

— إذا قلت إن زيدا أذاني ، وعمراً جرحني

ففي هذا اللون ، شركاً خافياً^(۶) .

— وحين لا تستطيع أن تمد إلى الأفلاك يدك

فإن الموافقة على دورانها أمر يلزمك^(۷) .

-
- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (۱) چه زور آورد ینجه' جهد مرد | چه بازوی توفیق یاری نسکرد؟ ق ۳ |
| (۲) فضا کشتی آنجا که خواهد برد | وگر ناخدا جامه برتن درد ق ۱۳ |
| (۳) گرت صورت حال بد یانکوست | نگا رنده' دست تقدیر اوست ق ۱۲ |
| (۴) نکردند دردست من اخنیسار | که مر خویش را کنم بختیار ق ۹ |
| (۵) بیسد بختی و نیکیختی قسسلم | دیگردید وما همچمنسسان در شکم ق ۷ |
| (۶) درین نوعی از شرک پوشیده هست | که زیدم بیازرد وعمروم بخت ق ۱۲ |
| (۷) جو نتوان بر افلاک دسب آختن | ضرور یست باگردتش ساختن ق ۲ |

٦ - باب القناعة

رقم ق	رقم المطلع	عدد الآيات	عن سعدى	عن ذات	عامه	المطلع
١	١	٢٩			عامه	خدارا ندانست و طاعت نسکرد
٢	٣٠	٩			»	شکم صوفی را زبون کرد و فبرج
٣	٣٩	٩	سعدی		»	مرا حا جی شانه عاچ داد
٤	٤٨	١١			»	یکی با طمع بیش خوا رزمشاه
٥	٥٩	١٣			»	یکی را کب آمد ز صاحب دلان
٦	٧٢	٩	سعدی		»	چه آوردم از بصره دانی عجب
٧	٨١	٥			»	یکی نیشکر داشت در طبقری
٨	٨٦	٤			»	یکی را ز مردان روشن ضمیر
٩	٩٠	٨			»	یکی نان خورش جز بازی نداشت
١٠	٩٨	٦		المسره	»	یکی گربه در خانه زال بسود
١١	١٠٤	٨			»	یکی طفل دندان بر آورده بود
١٢	١١٢	١٢		الابدال	»	شنیدم که در روزگار قدیم
١٣	١٢٤	٥			»	شنیدم که صاحب دلی نیکمرد
١٤	١٢٩	١١			»	یکی سلطنت ران صاحب شکوه
١٥	١٤٠	١٣			»	کمالست در نفس مرد سلیم
١٦	١٥٣	١٢			»	شنیدم ز پیران شیرین سخن
	١٧٤					
			٢ +	٢ +	١٢ =	١٦ =

قصص باب القناعة

تبلغ قصص هذا الباب ست عشرة قصة ، في مائة وأربعة وسبعين بيتاً ،
تتوزع كالآتي :

- ١ - قصتان عن سعدى .
- ٢ - قصة عن الأبدال .
- ٣ - قصة عن الهرة .
- ٤ - اثنتا عشرة قصة عامة .

قصه الابدال :

وتقع الثانية عشرة ، في اثني عشر بيتاً ، وعنوانها « تحول الحجر في يد أبدال الله ذهباً وفضة » .

وتدور القصة حول رجال الله الطاهرين المعروفين « بالأبدال » الذين يمدحهم الله بقوته ، فهي ممثلة لقصة رجل « فارياب » في بلاد المغرب ، حيث انتقل معه الشاعر هناك ، وألقى الرجل سجادته على الماء فطاف عليه .

والشاعر هنا يقول قصته على طريق السماع لا المشاهدة ، ذلك أنه يبدو أن هذا المطلع :
— سمعت أنه في الزمن الأول
تحول الحجر فضة ، في يد الأبدال^(١)

وتدور القصة حول الدعوة إلى القناعة ، في مقارنة بين سلطان وفقير .
والقصة تصلح لأن تكون في باب الرضا كذلك ، ففيها دعوة إلى ما قسم الانسان . والشاعر يمضي بعد المطلع في بيان كيف تحول الحجر إلى فضة ؟
والأمر في نظره أمر المعاني ، فالرضا أساس كل شيء .

— لا تظن أن هذا الكلام تعوزه الحجة
فإذا رضيت ، فسواء لديك الحجر والفضة^(٢)

ويخرج الشاعر إلى عرض معاني القناعة ، في المقارنة بين السلطان والدرويش :
— أخبر الفقير الذي يعبد السلطان
إن السلطان يعيش بائساً مسكيناً
— فذرهم من الفضة بسد رمق المعدم
ولكن « فريدون » نصف شعبان ، بملك العجم^(٣)

-
- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| (١) شنيدم كه در روز گمار فديم | شدى ستك در دست ابدال سيم |
| (٢) نپندارى اين قول معقول نيست | چو راضى شدى سيم وسنگت يكيست |
| (٣) خبرده بدرويش سلطان پرست | كه سلطان زدرويش مسكينترست |
| گدارا كند يكدرم سيم سير | فريدون بملك عجم نيم سير |

ویردد الشاعر معنى القناعة في هذه المقارنة .
 — إن حراسة الملك يحوطها بلاء التدبير
 والفقيهير سلطان ، ولكن سمى الفقير
 — والفقيهير الذى لا شيء يشغل خاطره
 خير من السلطان الذى لا ينتهى شبعه
 — والفلاح وزوجه ، ينامان فى هناء
 يحسدهما السلطان ، الذى يعيش فى عناء (١)

قصه الهرة :

وهى فى الترتيب العاشرة ، فى ستة أبيات ، ورقم المطلع ٩٨ تدور حوادث
 القصة على الهرة . ومغزاها حول القناعة بما قسم للمخلوق من الرزق . يجعل الشاعر
 الهرة فى بيت أرملة عجوز ، لا كسب لها ، ولا مال عندها . فلما أصابها العوز ،
 وسوء الحال ، انطلقت الهرة إلى نزل الأمير ، فضر بها عبيده بالسهم .

— كانت هرة ، فى بيت امرأة ذات كبر
 ولّت أيامها ، والحال أدبر
 — فسارعت إلى الأمير تبغى نزله
 فضر بها بالسهم عبيده (٢)

أنظر إلى اختيار كلمة نزل الأمير هنا ، والمعنى من وجوده . أليس قد وجد
 لينزل فيه الناس ، يتناولون فيه ما لذ وطاب ؟ أليس وقد اتسع لهؤلاء ، يتسع لهرة

(١) نگهبانی ملک و دولت بسلاست
 گدائی که بر خاطرش بند نیست
 به از بادشاهی که خرسند نیست
 بدوق که سلطان در ابوان نرفت
 (٢) یکی گریه در خانه زال بسود
 روانشد بمهما نرای آسیر
 گدا ، ادشاهست و نامش گداست
 که برگشته ایام وید حال بسود
 غلامان سلطان زدندش بسیر

ضعيفة ؟ وتفلت الهرة من تحت أيديهم ، والدم يتقاطر من جسمها ، فيقول على لسانها، وهي مسرعة - تبغى النجاة - من هول ما أصابها.

— إني إن نجوت من ضربة هذا الزاجر
فاني قانة في خرابة المعجوز بالقار^(١)

وينتهي الشاعر إلى مغزى القصة « لا يتطلع الإنسان إلى رزق شئى
محاط بالشراهة » .

— لا يساوى العسل - يا عزيزى - جراح الإبر
فمنذ القناعة ، خير منه عصير التمر

— والله لن يرضى عن عبده
الذى لا يرضى بما قسمه له^(٢)

الوقوف العامة في باب القناعة

هذا الباب جاء في وضعه الطبيعى في الترتيب بعد باب الرضا . فالرضا والقناعة قريبان من بعضهما . وأظهر المسائل التى يدور حولها هذا الباب لا تخرج عن أمرين .

١ — علاج للطمع فى صورته المختلفة .

٢ — دعوة إلى القناعة .

والمعنيان متداخلان فى بعضهما فى كل القصص ، فكل بيان لمساوىء الطمع بيان لفضائل القناعة.

١ — فأما علاج الطمع ، فيبدو فى قوله .

— لا تطلب - من طريق المال - رفعة

فان الماء الراكد ، فاسد الرائحة^(٣) .

(١) كه گر جستم از دست ابن نیر زن من ویش و ویرانه بسیر زن
(٢) نیر زد عسل جان من زخم نیش قناعت نکوتر بدو شساب خویش
خدا وند از آن بنده خرسند نیست كه راضی بقسم خداوند نیست
(٣) ز نعمت نهادن بلندی مجسوی كه ناخوش کند آب استاده بوی ق ١٥

— ولم يعلم قارون عابد النعمة
 أن كنز السلامة، في زاوية السلامة (١).
 — ولما إذا تذهب إلى السلطان لتسأله
 إنك سلطان، إذا تحاشيت الطم و تركته (٢).
 — ولا تطع النفس التي تعبد الشهوة
 فإن لها قبلة، تقصدها كل ساعه (٣).
 — والنفس الأماره تُخيل المرء ذليلاً
 فلا تطعها، إن كنت عاقلاً! (٤).
 — وإن كنت محباً لنفسك، فاجعل بطنك طيلة
 واتخذ باب هذا، وذاك، قبلة (٥).
 — وابغ جـوفاً طاهراً أينما تذهب
 فإن البطن لن يملأه إلا التراب (٦).
 — ولا تتبع كل ما تميل إليه نفسك
 فإن هوى البدن ينقص نور قلبك (٧).
 — والحرث هو الذي يتخذ الأرض فراشا
 كيف يرضى تقييلها، لأن ينال بساطاً؟ (٨).

-
- | | | |
|--------------------------------|---------------------------|------|
| (١) ندانست قارون نعمت پرست | که گنج سلامت بکنج اندرست | ق ١٤ |
| (٢) چرا پیش خسرو بخواهش روی | چو بکسو نه سادی طمع خسروی | ق ٣ |
| (٣) مبر طاعت نفس شهوت پرست | که هر ساعتش قبله دیگرست | ق ٤ |
| (٤) کند برد را نفس اماره خسوار | اگر هو شمندی عزیزش مدار | |
| (٥) وگر خود پرستی شکم طبله کن | در خانه این و آن قبله کن | ق ٣ |
| (٦) برو اندرونی بدست آر و پاک | شکم پر نخواستند الا بجاك | |
| (٧) برو در پی هرچه دل خواهدت | که تمکین تن نور جان کاهدت | ق ٥ |
| (٨) گر آزاده بر زمین خسب و بس | مکن بهر فالی زمین بسوس کس | ق ٨ |

— ولا تَبْنِ بيتك يا غلام !! في طريق السيل
فان هذه الدنيا لا تَمُ لَأَحَد (١).

٢ — وأما الدعوة إلى القناعة فتبدو فيما يأتي :

— اقْنِ أَيْتَهَا النفس بالقليل !!
حتى ترى السلطان ، والفقير ، متساويين (٢).

— والطمع يطردك من كل مجلس
فابعده حتى لا يطردك أحد من بابهِ (٣).

— والله لن يرضى عن عبده
الذي لا يرضى بما قسمه له (٤).

— ولا ترهب أيها الحبيب الشدة
فلعله يرجي أن يكون فيها ماء الحياة.

— ولا تحرق قلبك يائساً بالفكر
فان الليلة حلي بالنهار (٥).

— والله الذي خلق الناس من التراب
عجباً !! لو ضيع آدميتهم (٦).

— والذي صور الطفل في الأرحام
هو من كتب العمر ، وكفل الطعام (٧).

-
- | | | |
|----------------------------------|-----------------------------|------|
| (١) مكن خانه بر راه سبل ای غلام | که کسرا نگشت این عماره تمام | ق ١٣ |
| (٢) قناعت کن ای نفس بر آند کی | که سلطان و درویش بینی یکی | ق ٣ |
| (٣) توقع بر آنسند زهر مجلسست | بران از خودش تا نراند کست | ق ٤ |
| (٤) خداوند از آن بنده خرسند نیست | که راضی بقسم خسداوند نیست | ق ١٠ |
| (٥) ز ظلمت مترس ای بسندیده دوست | که ممکن بود کاب حیات دروست | |
| دل از بی مرادی بفکرت مسوز | شب آستنسست ای سرادر بروز | ق ١٦ |
| (٦) خدائی که از خاک مسردم کند | عجب دا رم اوسردمی گم کند | ق ١٥ |
| (٧) نگا رنده کودک آندر سسکم | نویسنده عمر و روز بست هم | ق ١١ |

۷ - باب التریسة

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدی	عن شخصية	عامه	المطلع
۱	۱	۱۲			عامه	سخن در صلاحست و تدبیر و خوی
۲	۱۵	۱۵		نکش	»	اگر پای در دامن آری چو کوه
۳	۳۰	۱۷			»	تکشی باغلامان یکی راز گفت
۴	۲۷	۱۷			»	یکی خوب خلق و خلق بوش بود
۵	۶۴	۱۰			»	یکی ناسزا گفت در وقت جنگ
۶	۷۴	۱۱		عضد الدولة		عضد را بر سر سخت رنجور بسود
۷	۸۵	۴			»	شنیدم که در بزم ترکان مست
۸	۸۹	۵			»	دوکس گرد دبدند و آشوب و جنگ
۹	۹۴	۱۳			»	چنین گفت پبری یسند یده هوش
۱۰	۱۱۷	۱۷		داود الطائی		یکی پیش داود طائی نشست
۱۱	۱۳۴	۵			»	بد اندر حق مردم نیک و بد
۱۲	۱۳۹	۳			»	زبان کرد شخصی بغیبت دراز
۱۳	۱۴۲	۵	سعدی			کسی گفت بنسداشتم طیبت
۱۴	۱۴۷	۶	سعدی			مرا در نظامیه ادرار بسود
۱۵	۱۵۳	۷		الحجاج		کسی گفت حجاج خون خواره ایست
۱۶	۱۰۱	۴			»	شنیدم که از پارسایان یسکی
۱۷	۱۶۵	۱۷	سعدی			بطفلی درم رغبت روزه خاست
۱۸	۱۸۲	۶			»	طریقت شناسان ثابت قسدم
۱۹	۱۸۸	۸			»	چه خوش گفت دیوانه مرغزی
۲۰	۱۹۶	۶			»	سه کس را شنیدم که غیبت رواست
۲۱	۲۰۲	۳			»	تسلیمم که دزدی در آمد زدشت
۲۲	۲۰۵	۱۰			»	کسی گفت باصووی در صفا
۲۳	۲۱۵	۲۵		فریدون و وزیر		فریدون و وزیر یسندیده داشت
۲۴	۲۴۰	۲۹		الزوجة		زن خوب فرمان بر نارسا
۲۵	۲۶۹	۵		الزوجة		چه نغز آمد این بك سخن زان دوتن
۲۶	۲۷۴	۶		الزوجة		جسوانی ز ناساز گاری جفت
۲۷	۲۸۰	۳۰		الأولاد		پسر چون زده برگذشتش سنین
۲۸	۳۱۰	۱۰		الأولاد		خرابت کند شاهی خانه کن

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدى	عن شخصية	عامة	المطلع
٢٩	٣٢٠	١٦		العبيد		درين شهر بارى بسمعم رسيد
٣٠	٣٣٦	٤			»	گروهي نشينند باخوش پسر
٣١	٣٤٠	١٩		بفراط		يکي صورتی ديد صاحب جمال
٣٢	٣٥٩	٤٦			»	اگر در جهان از جهان رسته ايست
٣٣	٤٠٥	٣	سعدى			غلامی بمصر اند رم بنده بود (١)
٣٤	٤٠٨	٣٠			»	جواني هرمند وفرزانه بود
	٤٣٨		٤ +	١٢ +	١٨ =	٣٤

قصص باب التربية

تبلغ قصص الباب أربعاً وثلاثين قصة في أربعائة وثمانية وثلاثين بيتاً
تتوزع كالآتي :

- ١- أربع قصص عن سعدى . ٢ - ست قصص عن أشخاص تاريخية .
- ٣ - ست قصص عن أنواع - الزوجات والأولاد والعبيد .
- ٤ - ثمانى عشرة قصة عامة .

قصة تكش

وترتيبها الثالثة ، في سبعة عشر بيتاً . وتدور القصة حول معنيين من معاني التربية

١ - كتمان السر وكيف يحفظه الانسان ٢ - علاج للوشاية

يتخير لها الشاعر سلطاناً من سلاطين التاريخ ، والشرح لا يعرفون عنه إلا
أنه من سلاطين الأتراك ، وربما كان المقصود منه تكش أرسلان أحد سلاطين

١ - أشارت نسخة جراف إلى أنها زائدة في بعض النسخ . وتجعلها نسخة سودى
قطعة مستقلة بذاتها . انظر نسخة جراف ص ٣٦٦ . ونسخة سودى ص ٣٠٥ .

الخوارزماهیین الذی تولى الحكم سنة ٥٦٨ هـ والذی کان یمدحه رشید
الدین الوطواط .

واختیار « تکش » لموضوع القصة اختیار عام . فیصلح موضوعها لشخص
غیره إلا أن تكون من الأفاضیل التي تنقلت عنه ، فظامها الشاعر ، لیخرج
منها إلى الغرض الذی یقصدہ . ویجری الشاعر حدیثاً علی لسانه فی قوله .

— قال تکش إلى غلمانه سرّاً من أسرارہ
وأوصاهم ألا یقولونه لأحد غیره^(١) .

ولکن ما یکاد السر ینفلت من ممکنه فی صدر تکش ، حتی یذاع بین الناس
فیحتدم الغضب فی نفسه ، فیطلب إلى جلادہ أن یحزروؤوس غلمانه ، فصاح أحدهم
طالباً الأمان ، قائلاً له !! لا تقبل غلمانک فان مبعث هذا الاتم منك .

ثم ینتقل الشاعر إلى عرض کثیر من المعانی فی حفظ السر ، والتشبیہ به .

— إنک لم تقفله حین کان ینبوعاً فی صدرك !!

وأیه فائدة من سده حین یكون سیلاً یجاوزک؟^(٢)

— إن الکلام شیطان مصفد فی طوايا الجنان
فلا تترکنه ، یجاوز الحلق ، واللسان^(٣) .

أما علاجه للوشایة فی هذه القصة فیبدو فی قوله:

— لا تنقل کلاماً یوقعُ سماعه فی الضر
فانک تمصد الشعر ، من زراعة البر^(٤) .

— ولا تقل کلاماً إذا شاع بین الملاء
وقعوا منه فی محنة وبلاء^(٥) .

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| (١) تکش باغلامان یکی راز گفت | که ابن را نباید بکس باز گفت |
| (٢) تو اول نبستی که سر چشمه بسود | چو سیلاب شد پیش بستن چسود |
| (٣) سخن دبو بند ست درجاء دل | ببالای کام وز بانن مهسل |
| (٤) مگو آنچه طاقت نداري شنود | که جو کشته گندم نخواهی درود |
| (٥) مگو آنکه گر بر ملا اوفتسد | وجودی آزان در بلا اوفتسد |

قصة عضد الدولة وابنه

وهي السادسة ، في أحد عشر بيتاً . وتعالج القصة معنى معروفاً من المعاني التي تدور أيضاً حول تربية النفس في موضوع الباب . هو « نجاة الإنسان في حفظ اللسان » . ويتخير لها الشاعر شخصية ملك هو « عضد الدولة البويهى » ولعله كان يهوى تربية الطيور ، حتى يدخلها الشاعر في القصة .

ويدلف الشاعر للقصة فيجعل ابن « عضد الدولة » أصيب بمرض ، حتى عيل صبر أبيه عليه . ثم يأتى بأحد رجال الطريق ، من الزهاد الورعين ، فيشير على « عضد الدولة » بعلاج ابنه ، ويطلب إليه أن يطلق سراح الطيور ، التي وضعها في أحباسها . فأطلقها كلها إلا بلبلًا كان يغرد تغريداً جميلاً ، احتفظ به حبيسا على باب البستان . وهنا مدخل المغزى للقصة .

— أسرع الابنُ صباحاً نحو البستان
فلم يجد سوى ذلك الطائر على طاق الإيوان^(١)

وهنا ينتقل الشاعر إلى المغزى الذي تكلمنا عنه سابقا ، يخاطب الابن الطائر وقد رآه حبيسا في قفصه ، بعد أن انطلق زملاؤه .

— ضحك فائلا أيها البلبل الطيب اللاحن !!
إنك بقيت حبيسا في القفص بسبب أحنائك^(٢)
— ما دمت لا تغرد ، فان المرء لا يعبأ بك
فان نطقت ، كان الكلام دليلا عليك^(٣)

قصة داود الطائي

تقع العاشرة ، في سبعة عشر بيتاً ، وعنوانها « فضيلة التستر ، وسلامة الصمت » وتعالج القصة موضوعاً اجتماعياً هاماً ، يدور حول معنى الباب في تربية النفس ،

(١) پسر صبحدم سوى بستان شتافت جز آنم رغ بر طاق ایوان نبافت
(٢) بخندید کای بلبل خوش نفس تو ازگفت خود مانده در قفس
(٣) ندارد کس باتو گفته کار ولیکن چو گفתי دلش ببار

وهو عدم التشهير بالناس ، ووجوب التستر عليهم . ويتخير الشاعر رجلاً من رجال الصوفية ، يعالج هذه الأمراض ، ورجلاً آخر يشارك في حوادثها ، وتتلخص القصة في أن شخصاً ذهب إلى « داود الطائي » فتحدث عن صوفي رآه سكراناً ، ولوث القى عمامته وقيصه .

— جلس إنسان أمام داود الطائي
فقال إني رأيت فلاناً سقط من السكر .
ولوَّث القى عمامته وقيصه
وضربت الكلاب نطقاً حوله^(١) .

ثم تمضي القصة ، ويمنعها الشاعر شيئاً من وسائل إحكامه ، فيعهد « داود الطائي » إلى ذلك الرجل بإحضاره ، وهنا تظهر الحيلة ، وبراعة الشاعر ، في جعل شخصية « داود » تقتص من ذلك الرجل الذي شنع ، ونقل الخبر . يقول « داود » للرجل . اليوم ينفع الصديق الشفوق .

— انطلق إليه ، وأت به ، من ذلك المكان الشنيع
فانه عار على أهل الطريق ، وخروج على الشرع^(٢) .

وهنا تدير الحيلة في الاقتصاص من الرجل ، فيتردد بين المعارضة في الأمر وبين التنفيذ ، على الصورة التي سيتم عليها حمل السكران ، ثم انتهى الأمر أخيراً إلى الاستجابة .

— تهيأ ، وحمله ، مضطراً ، على ظهره
ومضى به ، والناس يشنعون عليهما^(٣) .

وهنا موضع طرفة في القصة — إن الجزاء من جنس العمل — جزاء من

(١) يسكي پیش داود طائی نشست
قی آلوده دستار ویرا هنش
(٢) برو زآئمقام شنیعنس یسار
(٣) میان بست وبی اختبارش بدوش
که دیدم فلان صوفی افتاده مست
گروهی سگان حلقه پیرامنش
که در شرع نهیست ودر خرقة عار
در آورد و شهری برو عام جوش

شهر^١ بالناس سرّاً أن يشهر به علناً ، يقول على لسان أحد النظاره ممن رأوها على تلك الحال.

— انظر إلى حال هؤلاء الصوفية
الذين يشربون الخمر، ورهنوا فيها خرقهم الممزقة
— مشيراً بيده إلى هذا ، وذاك
إن ذاك ثمل ، وذا نصف سكران^(١).
ثم يختتم الشاعر القصة بالغرض منها ، وهو علاج التشهير .
— لأن يضع العدو الحسام على الرقاب ، في ظلم
خير من تشنيع أهل المدينة ، وضجيج العوام
— لا تهرق في الحى، أيها الرفيق كرامتك !!
حتى لا يهرق الدهر في المدينة شرفك^(٢).

قصة الحجاج

وترتيبها الخامسة عشرة وأبياتها سبعة ، وتعالج القصة معنى من معاني التربية النفسية في الباب ، وهي الغيبة . فانها ليست مباحة ، حتى ولو في ظالم ، واختيار الشخصية في القصة لهذا المعنى، يعطى لونا من براعة الشاعر في المناسبة بين الشخصية والمعنى الذى يعالجه حولها .

فهما يبلغ الانسان من القسوة في المعاملة ، لن يباح للغير أن يصفه — حتى بمافيه — فان ذلك من الغيبة ، وهذه تربية خلقية في أعلى نواحيها .

وتتلخص القصة في أن شخصاً قال عن الحجاج إنه كان سفاكاً ، وكأنما قد قلبه من، صخر وتمادى الرجل فدعا الله القصاص منه .

(١) تو این صوفیان بن که می خورده اند
اشارت کنان این و آنرا بدست
(٢) بگردن به از جور دشمن حسام
مریز آبروی بسرادر بگوی
مرقع بسینکی گرو کرده اند
که آن سرگراست و آن نیم مست
به از شنعت نهر وجوش عوام
که دهرت نریزد بنهر آبروی

— إنه لا يخشى آلام الناس وعويلهم !!
فخذ يا إلهي !! بحق الناس منه. ^(١)

ثم ينتقل الشاعر إلى مغزى القصة ، ولكي يضيف إليها شيئاً من الجدة ،
والقسوة، يدخل فيها بعض الشيوخ المعمرين، يقلده دوراً . فينصح الرجل بقوله:

— إن الله يقتص المظلوم منه

وكذا يقتص له ممن يغتابه .

— ليس ظلمه أيضاً مقبولا عندي

ولكن غيتك له لا ترضيني .

— إن الآثم يحمل إلى جهنم آثامه معه

فإن عمله قد فاض بالآثام ، وسود كتابه .

ومن يدري ؟ لعل الذي يطعن فيه اغتياباً

يذهب إلى الجحيم وحده ^(٢) .

قصة فريدون ووزيره

وتقع الثالثة والعشرين، في خمسة وعشرين بيتاً، تعالج الوشاية، بما يتصل أيضاً
بمعاني التربية النفسية ، فتخير لها الشاعر رجلاً ذا منصب خطير . . تخير لها وزيراً
حكماً مجرباً ، وملكاً حليماً، يزن الأمور ، ويضعها في نصابها، فلا يتسرع في حكمه
ويأخذ الناس بالشدة .

ولكي يجعل الشاعر الوشاية في أمر يخشاه الملك، ينسب إلى الوزير علاقة
مع الجيش ، ويضيف للقصة شيئاً من القوة، فيجعل هذه العلاقة في شبه رشوة تقوم

-
- | | |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١) تترسد هي زاه وفرباد خسلو | خدايا تو بسنان أزوداد خلق |
| (٢) كزو داد مظلوم مسكين أو | بخواهند وازديگران كين أو |
| نه بيداد أز او بهره مند آمدم | نه نیز از تو غيبت پسند آمدم |
| بد وزخ برد مدبری را گناه | كه بپا نه بر كرد وديوان سسياه |
| دگر كس بغيب پيش ميدود | سادا كه تنهسا بد وزخ رود |

على بذل المال لهم ، ثم يؤكد القوة فيها ، فيجعل المال يرد للوزير بعد انتهاء أجل الملك .

وهنا عقدة القصة. يجعل الواشى هذا التصرف من قبيل مؤامرة الوزير خيانة المليك، ثم في تبديد مال الدولة دون مبرر ، وعلى صورة لا ترضيه.

وهنا تبرز حكمة الوزير الموشى في حقه ، وحسن تصرفه ، مع حسن تخلصه فيجربى الشاعر على لسان الوزير رداً سديداً ، وينتهي الأمر بأن العقوبة ، تدور على الواشى ، فيبدو حسن التعليل في هذا التصرف .

— قَبْلَ الْوَزِيرِ الْأَرْضَ أَمَامَ الْمَلِكِ

وَقَالَ حَيْثُ سَأَلْتَنِي ، فَالْحَقُّ لَا أَكْتَمُكَ .

— إِنِّي أُرِيدُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، الرَّفِيعَ شَأْنَهُ

أَنْ يَرِيدَ الْخَلْقُ لَكَ خَيْرًا مِثْلَ الَّذِي أُرِيدُهُ .

— فَحَيْثُ أَنْ طَوَّلَ الْأَجَلَ مِيعَادَ الْعَطَاءِ

فَانْهَمَ — خَوْفًا مِنِّي — يَسْأَلُونَ لَكَ طَوْلَ الْبَقَاءِ^(١) .

وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى إبراز المعنى المقصود من القصة في علاج الوشاية

وخاتمة الواشى .

— لَسْتُ أَرَى أَكْثَرَ مِنَ الْوَاشِي ! !

سَيِّءُ الطَّلَعِ ، مَنَكْسُ الرَّأْسِ .

— وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ تَشْعَلَ نَارَ آيِنِ شَخْصَيْنِ

ثُمَّ إِحْرَاقِ نَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ^(٢) .

نشابد چو بر میدی آکنون نهفت
که باشند خلقت همه نیکخواه
بقا بیش خواهندت ازیم من
نگون طالع و بخت برگشته تر
نه عقلت و خود در بیان سوختن

(١) زمین بیش تفتس پیوسید وگفت
چنین خواهم ای نا مور ، ادشاه
چو مرگت بسود وعده سیم من
(٢) ندیدم زغماز سرگشته نسسر
مین دوکس آتش افسروختن

قصه بقراط الحكيم

وتقع الحادية والثلاثين ، في تسعة عشر بيتاً ، وتصلح القصة أن تكون في باب العشق . فهي تعالج أمراً سبق أن عولج في ذلك الباب . هو أن المحبة ينبغي أن تكون للمعنى وليست للصورة ، ومن الخير أن يعمل الإنسان لما بعد الصور . فالصور زائلة ، والمعاني باقية .

وقد تخير الشاعر للقصة زاهداً من الزهاد ليعطى لها شيئاً من القوة .

— رأى إنسان ، صورة ذات جمال

فصرعته فتنة العشق في التوّ والحال^(١) .

ثم يأتي دور بقراط فيظهر في القصة . يجعله الشاعر ماراً على ذلك الرجل ، وهو راكب ، ويسأل ماذا جرى لهذا الرجل ؟؟ ثم يظهر في القصة شخص آخر يجيب بقراط بأن هذا عابد زاهد ، لم يَأْثُم قط في حياته .

ويعضى الشاعر في عرض كثير من الصور لبيان مدى زهد الرجل ، وأخيراً ينتهي إلى المعنى المقصود من القصة ، بما يدور حول معاني العشق .

— ليست هذه الصورة هي التي تسلب القلب

بل الذي صورها ، هو الذي سلب^(٢) .

على أن الذي يلتبس للشاعر في وضعها في باب التربية ، أنه قصد من ورائها معنى خلقياً في تربية النفس . « إن الإنسان في عمله لا ينظر إلى الصورة ولكن إلى المعنى »

— إن المعاني مستترة ، وراء الحروف السوداء

كما يسترا المعشوق في خدره ، والقمر في السماء^(٣) .

(١) يكي صسورتی دید صاحب جمال بگردیدش از شورش عشق حال
(٢) نه این نقش دل می رباید زدست دل آن میرباید که این نقش بست
(٣) معانیست در زیر حرف سیاه چو در برده معشوق و در مبع ماه

قصص الأنواع :

وهذه القصص ترد متتابعة في الباب ، على الترتيب الذي رأيناه في القائمة ، من القصة الرابعة والعشرين ، إلى التاسعة والعشرين .
وللزوجات منها ثلاث قطع ، وللأولاد قطعتان ، وللعبيد أو الأنباع قطعة واحدة ، ولا نعرض لهذه القصص على النمط الذي نذهب عليه ، فالقصص هنا مقصود منها التربية بالمعنى المعروف ، وليس من وراء القصة غرض يرمى إليه بذاته فيجمل الزوجة أو الولد سبيلا إليه ، ولكنها دعوة إلى نوع التربية، التي تلزم لكل من هذه الأنواع .

قصص النساء :

يتردد فيها وصف للمرأة الطيبة ، ووصف للمرأة السيئة، ثم علاج لشئون الزوجة .
ففي القصة الرابعة والعشرين وصف للمرأة الطيبة .
— إذا اجتمع في المرأة جمال ، وطاعة ، وعفاف
فإنها تجعل الفقير سلطانا .
— وإذا كانت طاهرة ، لطيف كلامها
فلا ينبغي أن ينظر ، في حسنها ، وقبحها .
— والمرأة الطيبة ، هي التي تبغى زوجها الخير
أما السيئة الخلق ، فإلى الله منها المفر^(١) .
أما أوصافه للمرأة السيئة وتصوير حياتها في قوله :
— إن تيسر حافي القدمين ، خير من ضيق الحذاء
ونزاع البيت ، خير منه رحيل في غناء^(٢) .

(١) زن خوب فرمان بر بارسا
اگر پارسا باشد وخوش سخن
دلا رام باشد زن نیکخواه
(٢) تہی پای رفتن بہ از کفش تنگ
کند مرد درویش را پادشاه
نگہ در نکوئی وزشتی مکن
ولیکن زن بد خسدا یا نہا
بلای سفر بہ کہ در خانہ جنت

— والذي تعيش في منزله امرأة قبيحة^(١).
 عيد عنسده ، هجرات منزله
 — واقفل باب السعادة ، والصفاء
 في كل بيت يعلو فيه صوت النساء^(٢).
 — والمرأة الجاهلة ، التي لا استقامة لها
 تجلب البلاء على نفسها ، وحياتها^(٣).
 ويظهر أن معدي كان برماً بالنساء إلى حد بعيد ، فيجري على لسان رجلين
 في القصة الخامسة والعشرين ما يفيد هذا المعنى .
 — ما أحسن كلاماً تباده رجلاً !!
 داخت رأسها من النساء .
 — قال أحدهما ، لا كان للمرء زوجة رديئة !!
 وقال الآخر ، قطعت المرأة نفسها ، من الحياة^(٤).
 ثم هو يدعو إلى تغير النساء كلما دعت الفرصة في قوله :
 — اتخذ يا صاحبي زوجة جديدة كل ربيع
 فان تقويم العام الماضي ، لن يصلح بعد^(٥).
 ولكنه في القطعة السادسة والعشرين ، يدعو إلى تحمل الزوجة اللطيفة ، وقضاء مطالبها .
 — حين تجد السعادة من شجرة الورد
 فعليك أن تحتمل آلام شوكتها^(٦).

-
- | | |
|--------------------------------|----------------------------|
| (١) سفر عيد باشد برآن كد خدای | که با نوى زشتش بود در سرای |
| (٢) درخرمى بر سرانى بسه بند | که بانگ زن ازوى برآيد بلند |
| (٣) زنى را که جهلست ونا راستى | بلا برسر خود نه زن راستى |
| (٤) چه نگر آمد ابن سخن زآندوتن | که بودن سر گشته از دست زن |
| يسكى گفت کرا زن بد مباد | دگر گفت زن درجهان خود مباد |
| (٥) زن نوکن ايدوست هرنو بهسار | که تقويم پارين نيابد بکار |
| (٦) چو از گلبنى ديده باشى خوشى | روا باشد ار بار خارش کشى |

قصص الأولاد :

في القطعة السابعة والعشرين ، والثامنة والعشرين .
يردد فيهما ألواناً مختلفة ، من العناية بالأولاد ، وحسن الاشراف عليهم ،
ونوع التربية التي تقصد منهم .

— إذا بلغ الابن عشر سنوات من عمره !!
فامنعه من الاختلاط بمحارمه !!^(١) .

— إذا لم تنشأ الابن على علم ورأى
فانك تمضي ، ولن تحلف بعدك إنساناً^(٢) .

— وازجره ، وعلمه ، في الصغر !!
وعده ، وتوعده ، بالخير ، والشر^(٣) .

— وعلمه في اليد حرفة
حتى ولو كان مثل قارون في ثروة
— فكيس المال ذهباً ، وفضة
ينفذ ولا ينفذ كيس الحرفة .

فان كانت له صناعة في يده
أنى له أن يمد يده محتاجاً إلى غيره^(٤) ؟؟ .

وفي القطعة الثامنة والعشرين ، يعرض لعلاج أمر يتصل بهم ، ويبدو ذلك
من عنوانها «مقال في التعفف عن حسنى الوجوه» .

ففيها دعوة إلى صيانة الأبناء من خلطاء السوء ، خوفاً من التأثير على أخلاقهم

-
- | | |
|-------------------------------|----------------------------|
| (١) بسر چون ز ده برگذشتن سنين | ز نامحرمان کو فراتر لشین |
| (٢) چو فرهنگ وراثت نباشد بسی | بمیری و از تو مسماند کسی |
| (٣) بخردی درس زجر و تعلیم کن | بنیک و بدش وعده و بیم کن |
| (٤) بیا موزد پرورده را دسترنج | و گردست داری چو قارون بگنج |
| پایان رسد کیسهٔ سیم و زر | نگردد تهی کیسهٔ پیشه و در |
| چو بر پیشه باشد ش دسترس | کجا دست حاجت برد پیش کس |

والتربية في هذا ، لا تنصب على الابن وحده ، ولكنه يرد الناس — عامة — عن الوقوع في هذا الشر في قوله :

— يَهْدِمَكَ الْفَاتِنُ ، الَّذِي تَقَعُ فِي حَبْلِهِ
فَاذْهَبْ ، وَاجْعَلْ يَتَكَ عَامِراً بِزَوْجَتِكَ !!
— وَلَا تَنْظُرْ بَعَيْنَ السُّوءِ إِلَى أَبْنَاءِ غَيْرِكَ
فَلَعَلَّ نَفْسَ الشَّرِّ ، يَحِيطُ بِأَبْنَائِكَ^(١).

قصص الاتباع :

وهي في القصة التاسعة والعشرين :

— إِذَا كُنْتَ تَتَّبِعُنِي تَابِعْ أَمْرَكَ
جَنَيْتَ ثَمَارَهُ ، إِذْ نَشَأَتْهُ عَلَى هَيْئَتِكَ .
وَلْتَقِفْ بَابَ الشَّهْوَةِ عَلَى نَفْسِكَ
فَإِنْ كُنْتَ عَاشِقًا ، فَاحْتَمِلِ الْأَذَى ، وَاعْصِرْ رَأْسَكَ^(٢)

الوظائف العامة في باب التربية

: قصد الشاعر من إقامة هذا الباب ، هو تقويم الأخلاق ، وفيه دعوة عامة إلى علاج كثير من الأمراض الاجتماعية ، التي تنفشي في كل بيئة ، وقد ألمنا سابقاً ببعض هذه الأمراض وعلاجها ، في تحليلنا القصص الشخصية .
ولم يهمل الشاعر أمر أنواع بذاتها ، قصد إلى علاج أمورها قصداً ، وهذه الأنواع

-
- (١) خرابت کند شاهد خانه کن برو خانه آباد گردان بسزن
مکن بد. بفرزند مردم نگاه که فرزند خوشت بر آید تباه
- (٢) چو تر بنسده را همی پروری بهیت بر آرض کزو بر خوری
در شهوت نفس کافسر ببند وگر عاشقی لت خوروسر ببند

تنحصر - كما رأينا - في الابن ، والزوجة ، والتابع ، وقد نادى الشاعر بآرائه في تربيتهم وتقويتهم .

والشاعر قد استهل هذا الباب عامة ، بقصده من أنواع التربية التي يقصدها ، وذلك في مطلع القطعة الأولى .

— الكلام هنا ، في الصلاح ، والتدبير ، وحسن الطباع وليس في الفروسية ، والميدان ، واللعب بالصولجان^(١) .

ولا يفهم من تلك الدعوة ، أن غير هذه الأشياء ، ليس مرغوبا في تعليمها ، ولكن متى اجتمع للمرء تربية قويمه ، فنشئ على حب الخير ، وصلاح نفسه وحسن التدبير لأمواره ، ورقة الطباع في معاملة الغير ، فانه بمجموع كل هذه الصفات الحميدة ، يكون قد أعد نفسه لمواجهة كل شيء في الحياة - مهما كان - والشاعر كما يبدو في هذا البيت ، وفي مجموع القصص التي عرضها في الباب ، يدعو إلى نوعين من التربية هما .

١ - التربية العقلية . ٢ - التربية الخلقية .

التربية العقلية :

وتبدو في كثير من أقواله ، نأخذ منها قوله :

— إن وجودك ، مدينة ملؤها الخير والشر وأنت سلطانها ، ووزيرها هو العقل المدبر^(٢) .

— إنك تقيم مع عدوك ، هي نفسك فكيف تفكر ، في قتال الأجنبي عنك ؟

— إن الذين ردوا عنان النفس عن الحرام قد سبقوا في البطولة «رستم وسام»^(٣) .

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| (١) سخن در صلاحست و تدبیر و خوی | نه در آسپ و میدان و جوگان و گوی و |
| (٢) وجود تو شهرست یزید و بسد | تو سلطان و دستور دانا خرد و |
| (٣) تو با دشمن نفس همخانست | چه در بند یگار یگانه |
| عنان باز بیان نفس از حرام | بمردی ز رستم گذاشتند و سام و |

— والعامل في الحياة هو في نظري
من انصرف إلى تقويم نفسه وشغل بها عن العالم^(١).

التربية الخلقية :

وقد عرض الشاعر في هذا الباب إلى علاج كثير من الأمراض الاجتماعية ،
تجتمع كلها حول هذا المعنى « تقويم الانسان في تقويم اللسان » .
إذ يعرض الشاعر إلى علاج أمور كلها تتصل بتقويم اللسان ، كحفظ السر ،
وتجنب الوشاية ، ومحاربة الغيبة .

— إن الكلام شيطان مصفد في طوايا الحنان
فلا تتركه يجاوز الحلق واللسان^(٢) .

— ولا ينبغي للمرء أن يتسرع فيكشف عن طواياه
فمن الممكن أن يكشفها متى عن له

— فحين يظهر المرء أسرار
يكن إخفاؤها مرة أخرى^(٣) .

وأما نداؤه إلى تجنب الوشاية ومحاربتها في قوله

— لماذا ينقل الانسان كلاماً في الخفاء
لو أفشاه ، لا صفر وجهه خجلاً وحياء^(٤) .

— والخصوم بين اثنين كالنار
والواشي التعس بينهما ، مثل ملقى المشيم^(٥) .

-
- | | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| (١) کسی بیش من در جهان عاقلست | که مشغول خود و ز جهان غافلست ق ١٩ |
| (٢) سخن دیو بندست در جاه دل | بیالای کام و زبانش مهل ق ٣ |
| (٣) ضمیر دل خویش منای زود | که هر که که خواهی توانی نمود |
| ولیکن چو پیدا شود راز مهر | بکوشش نشاید نهان باز کرد ق ٤ |
| (٤) چرا گوید آنچه ز در خفیه سرد | که گرفتار گرددشوی روی زرد ق ٢ |
| (٥) میان دوتن جنگ چون آتشت | سخن چین بد بخت هیزم کشب ق ٢٢ |

— والذين ينقلون أسرار العدو
إنما هم أكثر عداوة من العدو^(١).

وأما محاربتة للغيبة ففي قوله:

— ليس أسوأ ممن يغتاب الناس
فهو سيء الطالع، مدبر الحظ، منكس الرأس^(٢).

— ولن ينقل كلام العدو، إلى صديق له
إلا من يكون مشاركاً له في العداوة^(٣).

— وماذا يريد ذلك الأحق من وراء الغيبة؟؟
إنه لم يصب شيئاً، وقد سود كتابه^(٤).

— وإذا كان الحسد لا يعجبك من صديق
فمن أين علمت أن الغيبة تُرضى؟؟.

— إن كان الحسد قد مضى خسيساً إلى النار
فأنت أيها المغتاب!! لاحق له من طريق آخر^(٥).

- | | | |
|-------------------------------------|-------------------------------|------|
| (١) کسانی که پیغام دشمن برسند | زدشمن همانا که دشمن ترسند | ق ۲۲ |
| (٢) ندیدم ز غماز سرگشته تـسـر | نگون طالع و بخت بر گـشـه تر | ق ۲۳ |
| (٣) کسی فول دشمن نیارد بدوست | جز آنکس که در دشمنی یار اوست | ق ۳۳ |
| (٤) چه می خواهد از غیبت آن ساده مرد | که دیوان سیه کرد و چیزی نخورد | ق ۱۳ |
| (٥) حسودی بسندت نیا مد زدوست | چه معلوم کردت که غیبت نکوست | |
| گراو راه دوزخ گرفت از خسی | ازین راه دیگر نو دروی رسی | ق ۱۴ |

۸ - باب الشکر

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	عن سعدی	عن شخصية	عامة	المطلع
۱	۱	۲۶	سعدی	طغرل	عامة	نفس می نیارم زد از شکر دوست
۲	۲۷	۱۱				جوانی سر از رای مادر بتافت
۳	۳۸	۱۷				به بین تايك آنکشت از چند پند
۴	۵۰	۱۱				ملك زاده زاسپ ادم هم قتصاد
۵	۶۶	۵				يکي گوش کودك بماليد سخت
۶	۷۱	۱۷				سب از بهر آسایش تست و روز
۷	۸۸	۱۱				ندانم کسی قدر روز خوشی
۸	۹۹	۱۹				شنيدم که طغرل شبی در خزان
۹	۱۱۸	۵				يکي راعسس دست پرسته بود
۱۰	۱۲۳	۴				برهنه تنی يك درم وام کرد
۱۱	۱۲۷	۴				يکي کرد بر یارسائی گذر
۱۲	۱۳۱	۳				ز ره باز پس مانده می گریست
۱۳	۱۳۴	۱۸				فقیهی بر افتاده مستی گذشت
۱۴	۱۴۲	۴				نگرتا قضا از کجا سیر کرد
۱۵	۱۴۶	۱۴				يکي گرز بولاد بر مغز خورد
۱۶	۱۶۰	۱۲				نخست او ارادت بدل بر نهاد
۱۷	۱۷۴	۹۹	سعدی			بتی دیدم از عاج در سومنات
	۲۷۳		۲ +	۱ +	۱۴ =	۱۷ =

* * *

قصص باب الشکر

تبلغ قصص هذا الباب سبع عشرة قصة ، في مائتين وثلاثة وسبعين بيتاً ،
تتوزع كالآتي :

- ۱ - قصتان عن سعدی .
- ۲ - قصة عن طغرل .
- ۳ - أربع عشرة قصة من القصص العامة .

قصه طغرل :

وتقع الثامنة في الباب ، في تسعة عشر بيتاً . وتعالج القصة عدم العناية بالرعية وعنوانها « سلطان طغرل باهندوى باسپان » ومعناه « السلطان طغرل والحارس الهندى » والقصة من هذه الناحية تصلح أن تكون في باب العدل ، والشاعر يروى هذه القصة سماعا ، وملخصها أنه سمع أن « طغرل » مرّ ذات ليلة في الخريف على حارس هندي ، وكان المسكين يرتجف كما يرتجف نجم سهيل ، فان الثاج ، والمطر ، والسيول ، كانت تتساقط عليه .

ويشير الشاعر إلى أن السلطان قد مر به عرضاً ، فوجده على تلك الحال ، ورغب أن يعطيه بعض ما عليه من فراء ، ليتقى به هذا الزمهرير ، لكنه أمهله لحظة ، حتى ينتهي إلى قصره ، فيرسلها له مع خادمه إذا ما بلغ ، ولكن المليك انصرف إلى شئونه ، وشغل عن حارسه . والشاعر يختم القصة ، بالدعوة العامة إلى العناية بالمنكوبين ، والبؤساء ، الذين يحتاجون إلى المساعدة .

— سيدى ! أمسك الزورق على الماء !
فان المساكين قد جاوز الماء رؤوسهم .
— مهلاً ! أيها الشباب الخفاف
ففي القافلة ، شيوخ ضعاف (١) .
وهو ينادى في آخر القصة بما يلائم وضعها في باب الشكر .
— إنك — نائم مستريحاً — في هودج القافلة
لكن مقود الجمل في يد الجمل
— إن النائم في بيوتهم مع من يحبون
ما يديرهم بحال الجائعين ؟؟ (٢) .

(١) بدار ای خداوند زورق بر آب
توقف کنيد ای جوانان جست
(٢) توخو شېخته در هودج کاروان
به آرام دل خفتگان در بنه

نه بیچارگان را گذشت از سراب
نه در کاروانند پیران سست
مهارشتر در کف ساروان
چه دانند حال شکم گرسنه

ار فطار العامة في باب الشكر

كثير من أفكار هذا الباب، ليست خاصة بالشكر وحده ، بل بعض قصصه - كذلك - يمكن أن تشارك في علاج أمور من أبواب أخرى ، كما رأينا في قصة السلطان طغرل .

ومن القصص التي تناسب باب الإحسان القصة السابعة ، وعنوانها « مقال في النظر في حال البؤساء وشكر نعم الله تعالى » .
ومن معانيها التي تناسب هذا الباب قوله :

— وماذا يعرف قوم « جيجون » من فضل الماء ؟ ؟
اسأل عنه قوماً في حرقة الشمس ومتاهة الصحراء (١) .

— وكيف تحس الليل ، المظلم ، الطويل
وأنت تتقلب من جانب إلى آخر في نعمة ودلال (٢) .

— والسيد يستيقظ على أنغام الطبول
فكيف يدرى ليلة الحارس على أية حال (٣) ؟ !

ولكن لعل الشاعر لاحظ في وضعه لها في هذا الباب ، انه رأى أن النعمة التي يتقلب فيها العظيم ، موجبة للشكر على ما أولاه الله من نعم ، فهي من تلك الناحية صالحة للباب .

ومما يصلح لباب الرضا القطعة الرابعة عشرة ، وهي في بيان ان الانسان ينبغي أن يقنع بما كتب له . وتدور القصة حول الإيمان بالقضاء والقدر ، وعنوان القطعة نفسه يشير إلى هذا المعنى « حكاية في نظر أصحاب القلوب في الله تعالى لا في الأسباب » والقطعة تبلغ أربعة أبيات .

-
- | | |
|---------------------------------|----------------------------|
| (١) چه داند جيجونبان فدر آب ؟ | روا ماند گان برس در آفتاب |
| (٢) ترا تیره نب که نمساید دراز | که خلطی ز پهلوی پهلوی ناز |
| (٣) بیا ننگ دهل حواجه بیدار گشت | چه اندر شب پاسبان چون گذشت |

— تأمل !! ترى القضاء من أين يسير؟؟

فإنه عمى أن تعتمد على الغير (١).

والقطعة السادسة عشرة، تصلح لأن تكون في نفس هذا الباب فهي في معنى « الجبر والاختيار » وعنوانها يشير إلى ذلك « مقال في سابق حكم الأزل والتوفيق إلى الخير » ويتكرر في القصة كلها هذا المعنى :

— إذا لم يكن الحق تعالى هو الموفق للخير
فأني يأتي الخير من العبد إلى الغير (٢) ؟؟

والقطعة الثامنة عشرة، تصلح لأن تكون في باب التربية ، ومغزاها « ألا يسخر الانسان بما كتبه الله على الغير » ونفس المطلع يشير إلى هذا المعنى :

— سرّ قتيبه على ثمل ملقى على الثرى
فاغتر حين رأى نفسه مستورا (٣) .

ولكن - مع هذا - يمكن أن نستخرج الأفكار العامة في الباب من قصصه كلها ، وهذه الأفكار تدور حول الشكر لله ، وموجبات هذا الشكر .

فالشكر لله على أنه الخلاق ، وتفضيله الانسان على جميع مخلوقاته ، وشكره على معونته ، ومساعدته ، وعلى نعمه المختلفة .

— إنه المبدع ، الذي خلق من الطين الإنسان

ووهب له الروح ، والعقل ، والفكر ، والجنان

— تأمل !! كم من النعم أعطاك !!

منذ صورك في صلب أبيك ، حتى مشبك (٤) .

-
- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) نگر تا قضا از کجا سیر درد | که کوری بود تکیه بر غیر کرد |
| (٢) گر از حق ند بوفیق خیری رسد | که از بنده خبری بغیری رسد ؟ |
| (٣) فقهی بر افتاده مستی گدشت | بمستوری خویش مغرور گشت |
| (٤) بدیعی که شخص آفریند ز گیل | روان و خرد بختد و هوش و دل |
| ز بشت یدر تا پسابان شیب | نگر تا چه تشریف دادت ز غیب ق |

— إن البهائم تمضي ، على وجوهها ذلة
وأنت تلو قدميك ، كالألف في استقامة
— فلا يليق بك وقد منحتك السيادة
أن تحني رأسك ، إلا في شكره ، وطاعته (١) .
— إن الله منحك عيناً ، وفماً ، وأذناً
فلا تعصه ! إن كنت عاقلاً ! (٢) .
— فلست تمضي — وحدك — قدماً واحدة
بل تدركك المعونة من الغيب كل لحظة (٣) .
— ولا تلو عنقك عن شكر النعم عليك
فإنك ستنتهي إلى اليوم الآخر ولا شيء بعينك (٤) .
— إن عقلاء الطباع الذين يعترفون بالنعمة
هم الذين يحسبون النعمة بأجر الشكر (٥) .
— إلهي ! إن قلبي قد تحطم ، وعيني قد قرحت
فأني أرى نعمك أكثر مما يقال ، مهما وصفت
— لست أقول إن البهائم ، والسباع ، والنمل ، والسمك
بل أقول إن فوج الملائكة ، على أوج الفلك
— لا يزالون كاهم يذكرون القليل ثناء عليك
لا ! بل قالوا واحداً من آلاف جديرة بك (٦) .

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| (١) بهائم برو اندر افتاده خسوار | تو همچون ألف بر قدمها سوار |
| نزید ترا باچنسنین سروری | که سر جز بطاعت فرو داوری |
| (٢) ترا آنکه چنم ودهان داد وگوش | اگر عاقلی در خلافس مسکوش |
| (٣) تو قائم بخسود نیستی یک قدم | زغیبت مدد میرسد دم بدم |
| (٤) مکن گردن از شکر منعم میبج | که روز یسین سر بر آری بهیج |
| (٥) خردمند طبعان ملت شهناس | بدوزند نعمت بمبخ سسپاس |
| (٦) خدایا دلم خون شمس و دیده ریش | که می بینم انعامت ازگفت بیش |
| نگویم دد ودام و سور وسمک | که فوج ملایک بر اوج فلك |
| هنوزت سپاس اند کی گفته انس | زچندین هزاران یکی گفته اند |

۹ - باب التوبة

رقم ق	رقم المطلع	عدد الآيات	قصة عن سعدی	عن شخصية تاريخية	عامه	المطلع
۱	۱	۱۰			عامه	بیا ای که عمرت بهفتاد رفت
۲	۱۱	۲۶	سعدی			شبی در جوانی و طیب نغم
۳	۳۷	۱۷			»	کهن سالی آمد بنزد طبیب
۴	۵۴	۱۱			»	جوانا ره طاعت امروز گیر
۵	۶۵	۲۶	سعدی			شی خواهم اندر بیابان فید
۶	۹۱	۱۵			»	قضا زنده را رک جان برید
۷	۱۰۶	۷		جمشید		فرو رفت جم را یکی نازنین
۸	۱۱۳	۲۱			»	یکی پارسا سیرت حق پرست
۹	۱۳۴	۲۲				میان دوتن دشمنی بود و جنگ
۱۰	۱۵۶	۲	سعدی		»	زدم تیشه یک روز بر دل خاک
۱۱	۱۵۸	۷	سعدی			شبی گفته بودم بعزم سفر
۱۲	۱۶۵	۱۴			»	خبر داری ای استخوانی قفس
۱۳	۱۷۹	۱۷	سعدی			زعهده در یاد دارم همی
۱۴	۱۹۶	۱۳			»	یکی بچه گرگ می پرورید
۱۵	۲۰۹	۱۶			»	یکی برد بر پادشاه ستیز
۱۶	۲۱۵	۱۴			»	یکی مال مردم بتلیس خورد
۱۷	۲۲۹	۱۳			»	گل آلوده راه مسجد گرفت
۱۸	۲۴۲	۱۶	سعدی			همی بادم آمد زعهده صفر
۱۹	۲۵۸	۱۱			»	یکی غله مردادمه تسوده کرد
۲۰	۲۶۹	۶			»	یکی متفق بسود بر منکری
۲۱	۲۷۵	۱۲		یوسف وزلیخا		زلیخا چو گشت از می عشق مست
۲۲	۲۸۷	۹			»	بلیدی کند گربه بر جای باک
۲۳	۲۹۶	۱۲	سعدی			غریب آمدم در سواد حبش
۲۴	۳۰۸	۱۰			»	یکی را بچوگان منه دا مغان
۲۵	۳۱۸	۱۲	سعدی			بصنعا درم طفلی اندر گذشت
	۳۴۱		+	۸		
			+	۲		
					۱۵	۲۵ =

قصص باب التوبة

تبلغ قصص هذا الباب خمس وعشرون قصة ، في ثلاثمائة وثلاثين بيتاً
تتوزع كالآتي : —

١ — ثمانى قصص عن سعدى .

٢ — قصتان عن شخصيات تاريخية .

٣ — خمس عشرة قصة عامة .

قصة جمشيد :

وتقع السابعة ، في سبعة أبيات ، وقد أسند الشاعر حوادثها إلى « جمشيد »
ليلقى على لسانه عبرة خلال القرون الماضية على أن الحياة لا دوام لها ، ولا بد أن
يحل دور الرحيل على من يقع عليه ، مهما كان عزيزاً ، يقول في المطلع :

— مات لجمشيد ولد جميل
فكفنه في الحرير ، كما تلتف دودة القز^(١) .

ويمضى الشاعر إلى مرمى القصة ، فيجعل « جمشيد » يدخل القبر بعد مدة
ليكشف عن ابنه ، فيبكيه بحرقة ، وضراعة ، فلما رأى الكفن قد أصابه البلى ، فكر
في نفسه فائلاً :

— إني كنت قد نزعته — من الدود — هذا الحرير
فنزعه منه — نانية — دود القبر^(٢) .

وهنا مغزى القصة ، واستخلاص العبرة منها ، في تصوير نقلب الحياة الدنيا
وزوالها . ثم يختم القصة بما يؤيد هذا المعنى :

(١) فسروفت جم را يسكى نازنين كفن كرد چون كرمش أبريشمن
(٢) من از كرم برکنده بودم بزور بکنندند ازوباز کرمان گور

— وأسفًا!! إن الزمان — كثيراً — ما يُنبِتُ الوردَ لنا
ومتى حل الربيع ، تفتح ، لكن في غير وجودنا ^(١) .

قصة يوسف وزليخا :

وهي الحادية والعشرون في الباب، في إثني عشر بيتاً، وتدور حول قصة «يوسف وزليخا» في الكتب الدينية، ولكن الشاعر يرمي بها إلى غرض آخر هو دعوة إلى ترك اللذائذ العاجلة، والاستغفار بما وقع الانسان فيه من آثام، قبل فوات الأوان. فاختيار الشخصية مناسب للقصة ، من حيث التوبة، وطلب الاستغفار، وقد تصلح لأن تكون في باب العشق الروحي، وخشية الله، إذا نُظر إليها من وجهة موقف «يوسف» ومطلع القصة :

— حين ثملت زليخا من خمرة العشق
هَمَّت بيوسف، وأمسكت بيدها أطرافه ^(٢) .

مم يفرق الشاعر بين عبادة يوسف وعبادة زليخا، فهي تعبد صنما، وهو عبد الله، ويتخذ الشاعر من وضع الصنم في القصة ، مدخلا إلى الغرض ، فيجعل زليخا تستره حين همت بيوسف :

— أخفّت في تلك اللحظة ، وجهه ، ورأسه
حتى لا يرى أعمالها القبيحة ^(٣) .

وماذا كان موقف يوسف ؟؟

— إنك تحجلين من وجه حجر، أنت له من العابدين!!
ألستُ أخجل أنا، من رب الطاهرين ؟؟ ^(٤) .

- | | |
|---------------------------------|---------------------------|
| (١) دريغا كه بی ما بسی روزگار | بروید گل و بشکفت نوبهار |
| (٢) زلیخا چو گشت از می عشق مست | بدامان یوسف در آویخت دست |
| (٣) در آن لحظه رویش پیوشید و سر | مبادا که زشت آیدش در نظر |
| (٤) تو در روی سنگی ندی شرمناک | مرا شرم باد از خداوند پاک |

ثم يختم الشاعر القصة بالتوبة والاستغفار ، بما يلائم أغراض الباب ،
ومرى القصة :

— اطلب اليوم الاستغفار ، وجدَّ في طلبه !!
ففي الغد لن يبق لك مجال للكلام (١).

الرُّفْطار العامة في باب التوبة

يتردد في هذا الباب ، كثير من الأفكار التي تدور حول الحياة الدنيا وقصرها
ولا بد للعاقل أن ينتهز فرصتها للعمل الصالح . فمن أساء فليتب ، ويستغفر ،
فإن باب التوبة مفتوح ، ولن يرد الله لاجئاً إليه .

ويمكن تلخيص الأفكار العامة فيما يأتي : —

١ — تصوير للحياة الدنيا . ٢ — دعوة إلى العمل الصالح .

٣ — التوبة والاعتذار عن العمل السيء .

١ — تصوير الحياة الدنيا :

الحياة دورة يحل فيها قوم محل آخرين .

— كثيراً ما أقت مكان غيرك !!

وسياتي غيرك ، ليحل مكانك (٢).

— ولقد مررنا متمتعين — بالهوى — والأمان

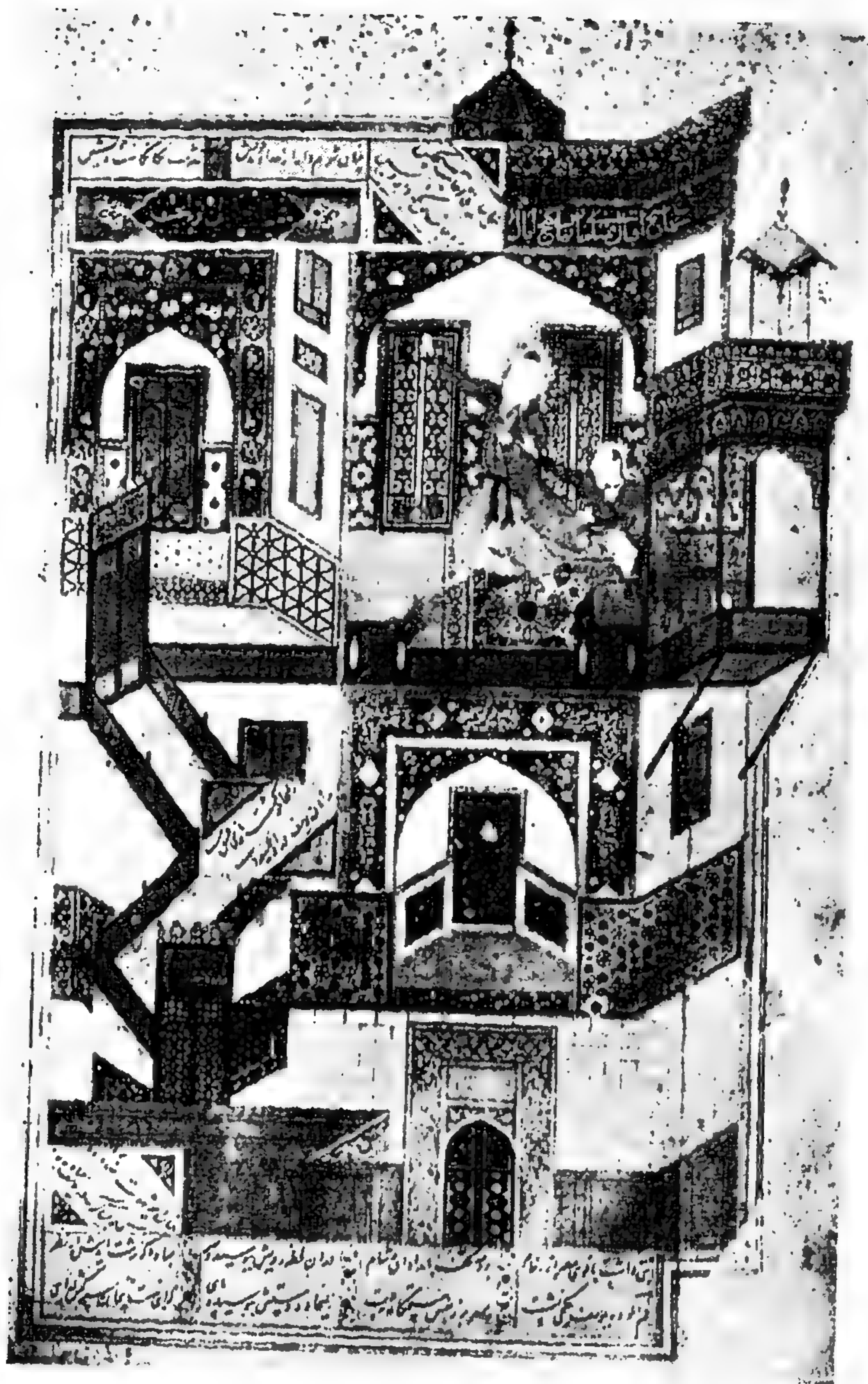
على قبور كثير من الأنعام

— وسياتي — من عالم الغيب — غيرنا

ويعمرون ، بعد الموت ، على قبورنا (٣) .

(١) بعذر آوری خواهش امروز کن
(٢) نشستی بجای دگر کس بسی
(٣) تفرج کنان در هسوا وهوس
کسانی که دیگر بغیب اندرند

که فسردا نمائد مجال سخن
نشیند بجای دو دیگر کسی فی
گذ سنیم بسر خاک بسیار کس
یا یندوبس سر خاک ما یگذرند فی



صورة « يوسف وزليخا » في أعلى الصورة وأسفلها أبيات
من القصة . عن النسخة الخطية ص ٥٢ بدار الكتب

وتراب القبور تمد منه كِبَنَاتِ قبور الآخرين ؛
 — لماذا تربط — بهذه اللبنة الذهبية — قلبك
 فمسي أن يصنعوا كِبِنًا — يومًا ما — من ترابك (١)
 والتراب كثيراً ما طوى أجساماً وحواس :
 — فحُفِّفِ الضرب إن كنت شفوفاً !!
 فانَّ هنا عينا، وأذنا، ووجهًا، ورأسًا (٢).
 والحياة لحظة :

— إنتهز فرصتك في الحياة ، فإنها لحظة
 واللحظة — لدى العاقل — خير من الحياة (٣).
 والفرصة عزيزة ، والوقت سيف :

— لا ينبغي ضياع العمر سدى
 فإنَّ الفرصة عزيزة، والوقت سيف (٤).

٢ — الدعوة الى العمل الصالح :

— ينبغي — الآن — أن تحسب للعمل كل حساب
 وليس في الوقت الذي ينشرف فيه الكتاب (٥).
 — واجتهد الآن، فان الماء جاوز وسطك
 ولا تركنه ، حتى يصير سيلا فيجتاز رأسك (٦).

- | | | | |
|-----|------------------------------|-------------------------------|------|
| (١) | چه بندی درین خشت زرین دلت | که بکر و ز خشتی کنند از گلت | ف ٨ |
| (٢) | که زهار اگر مردی آهسته تر | که چنم و بنا گوش و رویست و سر | ف ١٠ |
| (٣) | نگاه دار فرصت که عالم دمیست | دمی یلش دانا به از عالمیست | ف ١٢ |
| (٤) | مکن عمر ضایع بافسوس و حیف | که فرصت عزیزست و الوقت سیف | ف ٥ |
| (٥) | کنون کرد باید عمل را حساب | نه وقتی که منشور گردد کتاب | ف ٢٢ |
| (٦) | کنون کوتش کاب از کرد در گذشت | نه وقتی که سلاب از سر گذشت | ف ٥ |

— وإذا أفلتت من يدك خمسون عاما
فاغتسم ، الأيام الخمسة ، الباقية (١)

— ومن : بذر الشعير ، وقت الريع
كيف يجنى القمح وقت الحصاد (٢) ؟

— والآن — إذا اجتهدت — وقت البذر
وكنت ترجو الأمل طيب الثمر (٣) .

— وإذا مضى العمر — هباء — في الشر
فأنت كمن أشعل النار في البيدر (٤) .

— ولا تذهب — يوم القيامة — ضيق ذات اليد
فلا وجه لأن تقعد متحسرا (٥) .

— وبوم القيامة حين تعقد سوق الجنة
توزع الدرجات وفق طيب الأعمال

— وتكسب البضاعة بقدر العمل
فإن كنت مفلسا ، فتحمل الخجل (٦)

— والذي يكسب الجنة ، هو من قدم الطاعة
ومن قدّم المال ، تناول البضاعة (٧) .

-
- | | | |
|---------------------------------|---------------------------|------|
| (١) چو انجاه سالت برون شد زدنت | غنیمت شمر پنجروزه که هست | ق ۱ |
| (٢) بسکی در بهاران ییفسان جسو | که گندم ستاند بوقت درو | ق ۵ |
| (٣) کنون وقت تخمب اگر پروری | گرایید داری که خرمن بری | ق ۵ |
| (٤) گر از دست بند عمرت اندر بدی | تو آئی که در خرمن آتش زدی | ق ۱۵ |
| (٥) بشهر قیامت مرو ننگ دس | که وجهی ندارد بحسرت لشت | ق ۵ |
| (٦) پیام که بازار مینو نهسد | منازل باعمال نیکو دهند | |
| بضاعت بچندانکه آری بری | وگر مفلسی شریساری بری | ق ۱ |
| (٧) بهشت آن ستاند که طاعت برد | کرا نقد بایسد بضاعت برد | ق ۱۷ |

۳ - التوبة والاعتذار عن العمل السيئ :

- إذا أدرك المسيء نفسه قبل يوم القيامة ، لم تحسب إساءته ^(۱) .
- ولا تقل إن طائر الدولة ، قد انفلت من القيد فإن طرف الجبل لا يزال باليد ^(۲) .
- وإن جازت الحسد سيئاتك كنت ظافراً إذا اعترفت بذنبك ^(۳) .
- وإذا كنت عاقلاً ، فاسأل الله ليلاً أن يغفرو عما جنت يداك في النهار ^(۴) .
- وابحث عن صلح ، واتخذ طريقاً لك واقصد شريعاً ، واعتذر عما قدمت يداك ^(۵) .
- وإذا كنت لا تزال ترجو الصلح ، فلا خوف فان الكريم لا يغلّق الباب ، على التائبين ^(۶) .
- واقبل !! ما دمت ترى باب الصلح مفتوحاً فلدّل باب التوبة ، يخلق فجأة عليك ^(۷) .
- والنبي الكريم ، هو من ترجى شفاعته لمن تبعه ، وسلك طريق شريعته ^(۸) .

- | | | |
|---------------------------------|------------------------------|------|
| (۱) کسی گرچه بد کرد هم بد نکرد | که پیش از قیامت غم خود بخورد | ق ۲۲ |
| (۲) مگو مرغ دولت ز قیدم بجست | هنوزش سر رشته داری بدست | ق ۱۷ |
| (۳) وگر رفت از اندازه بیرون بدی | چو گفתי که بد رفت نیک آمدی | ق ۱۶ |
| (۴) اگر هو شمندی زداور بخواد | شب توبه تقصیر روزگناه | ق ۲۴ |
| (۵) طریقی بدست آر وصلحی بجوی | شفیعی برانگیر و عذری بگوی | ق ۱۶ |
| (۶) هنوز از سر صلح داری چه بیم | در عذر خواهان نبندد کریم | ق ۲۴ |
| (۷) فسرانو چو بنی در صلح باز | که ناگه در توبه گردد فراز | |
| (۸) پیمبر کسی را شفاعت گریست | که بر جاده شریعت پیغمبرست | ق ۱۶ |

١٠ - باب المناجاة

رقم ق	رقم المطلع	عدد الأبيات	قصة عن سعدى	عن شخصية	عامة	المطلع
١	١	١٩	سعدى			يا تا بر آرم دستى زدل
٢	٢٠	٣١	سعدى			تم مى بلرزد چسوياد آورم
٣	٥١	٧		عامة		سياه جرده را كسى زشت خواند
٤	٥٨	٧		»		چه خوش گفت دروشتن کوتاه دست
٥	٦٥	١٨		مجنوسى		مغى در بروى أزجهان بسته بود
٦	٨٣	٢٩		سكران		تنيدم كه مستى زتاب نبيذ
	١١٢		٢ +	٢ +	٢	٦

قصص باب المناجاة

تبلغ قصص الباب ست ، تتوزع كالآتى :-

١ - قصتان عن سعدى .

٢ - قصتان عن مجوسى ، وسكران .

٣ - قصتان عامتان .

قصة المجوسى :

وهذه نوع من القصص المعروفة بموصوفها لا بشخصها ، فلم يتعين فيها اسم لشخص بعينه ، ولكنه يعين فيها بصفته ، وهذا الاختيار مناسب لباب المناجاة نفسه .

وتقع القصة الخامسة فى الترتيب ، فى ثمانية عشر بيتاً ، وتدل على انتباهة

لطيفة من الشاعر ، فهي ترمي في مضمونها . أنه مما اختلفت العبادة — ولو كانت في أصنام — فإن توجه العابد إلى الخالق ، وتوسل إليه ، لن يرده خائباً عن مغفرته .

والشاعر يدير القصة إدارة محكمة . فهذا عابد مجوسى ، اعتكف على عبادة صنمه سنين طويلة ، وأقفل الباب على نفسه ليخلص لعبادته ، وبعد بضع سنوات عرضت له مشكلة مستعصية ، فحشى المسكين على قدمي الصنم ، يرجو الخير في أرض الدير . وناجى الرجل صنمه كثيراً ، وأمضى في هذا السبيل مدة طويلة ولكن حاجاته لم تنقض .

وهنا يهيم الشاعر الفرصة للانتقال إلى المعنى المقصود .

— ثار عليها ، قاتلاً يامعقل الضلال !
لقد عبدتك سنين ، طويلة ، بالاثم والباطل
فاقض حاجتى التى أنشدها !
وإلا !! فانى أسأل الخالق قضاءها^(١) .

وتبلغ مهارة الشاعر في التوفيق ، فيجعل هذا الاتجاه سبيلاً لقضاء الله حاجته ، حتى يكون هناك فارق بين الخالق ، وبين الصنم .
بينما لا يزال وجهه ملوثاً بالتراب ، أمام صنمه
إذ قضى الله تعالى ، قصده ، ومراده^(٢) .

ولكى يعطى الشاعر للقصة شيئاً من الجدة والقوة ، يدخل فيها شخصيات جديدة .

(١) بر آشفند لای پای بند ضلال
مهمی که در بیس دارم بر آر
(٢) هنوز از بت آلوده رویش بخاک
بیاطل پرستید مت چند سسال
وگرفته بخواهم ز پروردگار
که کاش بر آورد یزدان یاک

— تَحْيَرٌ — في الأمر — عارف للحقائق
وتكدر وقته الصافي، وحل به الضيق^(١).

— وقال إن ضالاً، من عبّاد الباطل والنار
لم يزل دماغه ثملاً من خمرة الخمار
— ولم يغسل قلبه من الكفر، ولا يده من الخيانة
قضى الله مقصوده، وأجاب مراده^(٢).

ثم يعرض الشاعر للرد، والتخلص من المأزق، بأمر جدير بالملاحظة،
— خاض فكر المعترض في هذه المشكلة
حتى جاءت رسالة إلى اذن قلبه
— إن الشيخ الناقص العقل أفاض في القول
أمام الصنم، ولم يجد لكلامه أدنى قبول^(٣).

وهنا يعرض الشاعر بهذا العابد الذي يعكف على عبادة الصنم، ويجعله ناقص
العقل، كما يجعل الصنم لا تدرك شيئاً من معنى التوسلات، وبهذا ينتقل إلى المغزى من
وضع القصة، ومن اختيارها لتعالج فكرة صادقة حول قبول التوبة فيمضي في الكلام:

— إذا رُدَّ لاجيء — أيضاً — عن بابنا
فما الفرق إذا! بين الصنم وبيننا^(٤)؟
محال! إذا وضعت رأسك على أعتابه
أن تُرَدَّ يدك خالية دون حاجة^(٥).

-
- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| (١) حقایق شناسی در این حیره شد | سر وقت صافی برآو نیره شد |
| (٢) که سرگشته دون باطل پرست | هنوزش سر از خمر بتخانه مست |
| دل از کفر و دست از خیانت بهشت | خداینس برآورد کامی که جست |
| (٣) فسرو رفت خاطر درین مشکلتش | که بیغامی آسند بگوش دلش |
| که پنتش صنم پیر ناقص عسقول | بسی گفت و قولش نیامسد قبول |
| (٤) گر از در که ماشدود نیز رد | س آنکه چه فرف از صنم تا صمد |
| (٥) محالست اگر سر برین در نهی | که باز آیدت دست حاجت تهی |

قصه السكران :

وهي تعالج أمراً آخر شبيهاً لما في القصة السابقة ، فهو في تلك القصة تخير
كافراً ، ضالا عن عبادة الله ، لجأ إليه وقت الشدة ، وفي هذه تخير ثملاً مذنباً ،
يخيد عن شريعة دينه .

ويجري الشاعر على لسانه قصة ملائمة له ، وادخل فيها شخصية أخرى وجعل
حوادثها ، في مكان مقدس ليزيد من قوتها ، يقول في المطلع :

— سمعت أن ثملاً ، وهو في حماة النبيذ
سعى — مجداً — إلى مقصورة مسجد
وتضرع على أعتاب الكرم ، قائلاً !
يارب !! ابعثنى إلى الفردوس الأعلى (١).

ثم يأتي الشاعر برجل المسجد ، وهو المؤذن ، فيدخله في القصة ليزيدها قوة
وجدة ، فيرد الثمل على المسجد مؤنباً له :

— أمسك المؤذن بتلايبه ، أن أبعدا !
يا من لا عقل فيه ولا دين عنده ، أكلب ومسجد ؟
وما العمل اللائق الذي عملته حتى تبحث عن الجنة ؟
أيليق بك الدلال ، مع وجهك القبيح ؟؟ (٢).

ثم ينتقل الشاعر إلى المغزى من وضع القصة . فيأتي بالرد على لسان السكران
— أتعجب من لطف الله الخالق ؟؟
أن يطلب المذنب الرجاء منه !! (٣).

- | | |
|---------------------------------|----------------------------|
| (١) تسلّيدم كه مستى زناى نبىسند | بمقصورة مسجدى دردويسد |
| بناليد بر آستان كسرم | كه يا رب بفردوسى أعلى بسم |
| (٢) مؤذن گريبان گرفتس كه هين | سك ومسجد ايفاغ از عقل ودين |
| چه شايسته كردى كه خواهى بهشت | نمى زيادت ناز باروى زشت |
| (٣) عجب دارى از لطف يروردگار | كه باشد گنه كارى اُميد وار |

ثم يخلص الشاعر إلى الحديث العام عن التوبة، والمناجاة، على لسان السكران:

— لست أقول ، لا تكن بالعفو ضنين !!

فإن باب التوبة مفتوح ، وأنت المعين .

انى أستحي من لطف الله الكريم
أن أعدّ ذنبي عظيماً، أمام عفوه العظيم (١)

ثم يمضى فيدخل في أوصاف الله بما يوسع من آماله في العفو عن الذنوب :

— لو أدرك أحد أصدقائي قليلاً من زلاتي

لشهرّني بقسوة العقل ، وقبح الصفات

— نحن نخشى بعضنا ، وأنت بنا البصير

ونحن هاتكو الستر، وأنت نعم السائر

— إن الناس يشهرون ، كلما حلّ بي العار

لكنك الكاشف وراء الستر وعلى عبيدك الستار (٢) :

— فإن عفوت عني ، بمقدار جودك

ما بقي آثم واحد في ملكك (٣) .

ويختتم الباب في ختام القصة بما يلائم موضوعه تمام الملائمة

— لم آت ببضاعة إلا الرجاء !

إلهي ! لا تخيب في عفوك رجائي !! (٤) .

-
- | | |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١) تراى نگویم که عدم بذیر | در توبه بازاست وحق دستگیر |
| همی شرم دارم ز لطف کریم | که خوانم گنه پیش عفوش عظیم |
| (٢) اگر یاری آندک زل دانستم | بنا بخردی شهره گردانستم |
| تو بینا وما خائف از بکدگر | که تو پرده بوشی وما سرده در |
| بر آورده مردم زببرون خروش | بسو بیننده در پرده و پرده سوش |
| (٣) اگر جرم بخشى بمقدار جسود | نمساند گنه کارى آندر وجود |
| (٤) بضاعت نبا وردم إلا امید | خدایا ز عفوم مکن نا امید |

الوقوف العام في باب المناجاة

رأينا أن قصص هذا الباب قليلة جداً بالنسبة لغيره من الأبواب ، ويمكن أن تتوزع كثير من أفكاره على أفكار بعض الأبواب الأخرى ، وخاصة في الباب السابق . والباب في مجموعه لا يعرض لأفكار جديدة أخرى غير المناجاة .

ونحن نتكلم — بكلمة عامة — عن مغزى قصصه الأخرى ، فالقصة الأولى تدور حول المناجاة ، وتشقيق الطريق لها ، وتقع في تسعة عشر بيتاً ، يقول في مطلعها :

— هلم !! حتى نرفع أيدينا عن القلب

فلن نستطيع غداً ، أن نخرجها من التراب (١) .

— ولا تحسبن من رفع يده يرد كالحائب

عن ذلك الباب ، الذي لم يغلق أمام تائب .

— رَبِّ ! هلم بحسودك وكرمك !!

فإن الذنب ، والإثم ، شأن عبيدك (٢) .

— ولا تسلط على من كان مثلي من خلقك

فإن كان لا بد من العقوبة ، فلا تحملها من يدك .

— فليس في الدنيا كبير شر

أسوأ من أن يعاقب المرء البشر .

— يكفيني أنني خجل من رؤيتك

فلا تخجلني — بعد ذلك — أمام غيرك (٣) .

(١) بیا تا بر آریم دسستی زدل

(٢) میند ار از آن در که هرگز نیست

خسداوند گارا نظر کن بجود

(٣) مسلط مکن چون منی بر سرم

بگیتی نباتسد بتر ز بن بسدی

مرا شرمساری ز روی تسو بس

که ننوان بر آورد فردا زگل

که نومید گردد بر آورده دست

که جرم آید از بندگان در وجود

زدست تو به گر عقوبت بسرم

جفا بردن از دست همچون خودی

دگر شرمسارم مکن پیش کس ق ١

أما قصصه الأخرى فيتردد فيها — بجانب المناجاة — كثير من المعاني المختلفة التي تدور حول معاني باب الرضا ، في القضاء والقدر ، والجبر والاختيار في قوله:

- إلهي ! نقضنا العهد ضلّةً ، وبلاء
فكيف تقاوم يد الجهد ، ما جرى به القضاء.
— لقد أبطلت تديري ، وكل ما فعلته
فكيف يكون للنفسية ، قوة مع الألوهية (١).
— فإذا هديتني الطريق ، أوصلتني إلى الخير
وإذا أضللتني ، تخلفت عن إدراك كل أمر (٢).
— إنك تعلم ضمائر من لا يتكلم
وإنك — على قلوب المرضى — واصلع المرهم (٣).

-
- | | |
|--------------------------------|---------------------------|
| (١) خدایا بغفلت شکستیم عهد | چه زور آورد بافضا دست جهد |
| همی هرچه کردم تسو برهم زدی | چه قوت کند باخدائی خسودی |
| (٢) گرم ره نمائی. رسیدم به خیر | وگر گم کنی باز ماندم زسیر |
| (٣) تسو دانی ضمیر زبان بستگان | تو مرهم نمی بردل خستگان |
- ق ٢ ق ٣' ق ٤

أرأيت ، إلى تلك الروح السامية، التي تجلت في الشاعر عند عرض أفكاره
وآرائه في كتابه البوستان ؟ ؟

أرأيت ، إلى هذه الإنسانية البامة ، التي تتردد في أبوابه ، لا على الإنسان
فحسب ، بل على جميع المخلوقات ؟ ؟

أرأيت ، إلى هذه الدعوة الصادقة ، في أن ينظر الإنسان إلى أخيه ، من
حيث هو إنسان ، لا من حيث دينه ، أو جنسه ؟ ؟ ؟

أرأيت ، إلى هذا التوازن الاجتماعي الذي عرض له ، في بابي العدل ، والإحسان
من أوائل أبواب الكتاب ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، حين عرض إلى العشق ، فأحاله إلى صلة سامية ، في ثوب طاهر
شفاف ، تصفو فيه النفس ، حتى تبلغ أسمى مراتب الروحية ؟ ؟ ؟

أرأيت ، إليه وهو يدعو إلى تلك الصوفية العملية ، التي تقوم على التربية
الروحية في أطهر أثوابها ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، وهو يقيم من أبواب الرضا ، والتواضع ، والتربية ، والقناعة ،
تربية خاتمية في أعلى مراتبها ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، كيف يفهم العبادة على صحتها ؟ وكيف لا يقطع الأمل بين
العبد — إذ ما عصى — وبين ربه — إذا ماتاب — في أبواب التوبة ،
والشكر ، والمناجاة ؟ ؟ ؟

أرأيت إليه ، كيف تناول القصة ، وهياً لها من يديرها ، وكيف أحكمها ،
حتى يملك على الإنسان حسه ، ومشاعره ، فينقله معه كيف يشاء ، ويحل به كيف
يريد ، حتى ينتهي إلى الغرض المقصود ؟ ؟ ؟

كل هذا عرضناه ، وصوّرنا به الشاعر في كتابه البوستان ، وصح عندنا ما سبق أن أطلقناه عليه ، من أنه طيب أمام مجتمع مريض أخذ يشخص الدواء ويعرض الدواء ، أو أنه مصلح اجتماعي ، أقام نفسه للهداية والإرشاد .

ومن هنا كانت أحكام النقاد ، ورجال التاريخ والأدب ، على الشاعر أحكاماً تلمس الحقيقة في كل النواحي التي صور بها ، وصح ما كتبه عنه الغربيون والشرقيون فيما عرضناه سابقاً .

صح ما كتبه الأستاذ آربري من أن الشاعر الحق ، والكاتب المبدع هو الذي يجمع من سمو الفكرة وطرافتها ، مع رقة العبارة وسلاستها . ومن هنا كان السبب في إعجاب الكثيرين من الفرنسيين بسعدي .

وصح كذلك ، ما اعترفت به دائرة المعارف البريطانية ، من أنه يعد في طليعة شعراء الأخلاق في الفارسية .

كما صح أخيراً ، ما كتبه الأستاذ علي دشتي — سفير إيران — من أن مُلك الكلام قد سلّم إليه ، وأنه رب الأدب الفارسي إذا ادعينا النبوة ، وإعجازه هو البوستان ، وديوان الطيبات ، وأن كلياته — عند الفرس — بمنزلة القرآن .



كشاف أسماء الأشخاص والأسر والشعوب

ابن خلدون ٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩	آباقا ٦٢-٧٣-٩٣-٩٧-٩٩-١٠١-١٠٢
ابن خلكان ٧٠٥-٢٦٤	١٧٣-١٧٦-٢٢٠-٢٤٧-٢٥٨-٢٧٩
ابن الدامغاني ٤٢	أتسر ٩٤
ابن درنوش ٤٤	آدم ١٤-٣٣٨
ابن الدوامي ٤٢	آذر ٢١٤
ابن طباطبا ٩١	آذري ٢٦٥
ابن الطقطقي ٩٧	آربري ١٨٢-٢٩٠-٣١١-٣١٠-٣٢١
ابن العبري ٢٨-٣٤-٤٠-٤١-٨٦	آرنولد ٦٠-٦٢-٦٣-٦٧-٧٦
ابن العلقمي ٤٢	آل بويه ٢٦-٢٧-١١٤
ابن هارون المالطي ٩١	آل الحويني ١٠٣
أبو اسحق الكازروني ١١٧-١٧٠	آل زنگي ٣٦١
أبو بكر «الصديق» ٣٠٣-٣٣٩	آل ساسان ١٠٩
أبو بكر بن سعد ١٤-١٩-٢٠-٨٣-١٠٦	آل سلغر ٣-٨-٣٢
١١٣-١٢٢-١٢٧-١٥١-١٥٢-١٥٣	آل عباس ١٥٤-٢٥٦
١٥٩-١٦٠-١٦٣-١٦٤-١٦٧-١٩٠	آنو شتگين ١١٥
٢٠٦-٢٠٨-٢٠٩-٢٢٤-٢٢٧-٢٢٨	سيدنا ابراهيم ٣٧٧-٣٧٨-٣٧٩
٢٢٩-٢٣٣-٢٣٥-٢٣٩-٢٤٠-٢٤١	ابراهيم بن آدهم ٢٧٧
٢٤٥-٢٤٦-٢٥٣-٢٥٤-٢٨٢-٢٩٤	الابدال ٢٦٢-٢٦٣-٣٢٢-٤٢٤-٤٢٥
٣٠٢-٣١١-٣٢٩	أبش خاتون ٣٢-١١٧-١٢٨-١٢٩-١٣٢
أبو الحسن الشيباني ٦	١٥٦-١٧١-١٧٢-١٧٤-١٧٥-١٧٦
أبو سعيد الأيلخاني ١٧٩	ابليس ٤٠٧
أبو سعيد بن أبي الخير ٣٠٦	ابن الأثير ٥٥-١١٥
أبو سليمان داود البناكتي ٩٢	ابن البلخي ١٠٩-١١٠
أبو شكور البلخي ٣٠٥	ابن الجوزي ٢٠٢-٢٠٣-٢١٠-٢١١-٢٦٤

٣٠٥	الدقيقى	٥٧	ابو الطيب المتنبي
٨٧	أرسطو	١١	أبو العباس أحمد الدمشقى
١١٩	أرسلان بن طغرل	٢٩٥-٢٩٠-١١٩	أبو عبد الله بن الخفيف
٦٣	الأرمن	٢٣٦-٢١٨-٢١٧-٢١٦	أبو عبد الله مشرف بن مصلح الشيرازى
١٣١-١٢٠	أزبك بن بهلوان	٣٥-٢٩	أبو الفدا
٣٧٤	الاسكندر	٢١١-٢٠٢	أبو الفرج
٢٦٤	السهر وردى	٩١	أبو الفرج عز يغوريوس
٢٠٠-١٩٩	إقبال - الأستاذ عباس -	١١٢	أبو كاليبجار
٢٤٠-٢٣٩-٢٢٦-٢١٠-٢٠٤-٢٠٢		٣٠٥-٣٠٤	أبو المؤيد البلخى
٨٧	أقليدس	١٢٣	أبو نصر أسعد
١٢٣	الإمام على	٤١٤-٤١٣	أبو يزيد البسطامى
٣٤٠	أمير ساكس	٣٥٨	أتابكة آذربيجان
١٧٨	أمير محمد بك	٦٧	الأتابك بهلوان
١١٩	أمن الدولة الكازرونى	١١٧-١١٥-١١٣-١٠٦-٩٨	الأتابكة
١٧٥	أنكيانو	٢٢٥-١٧٦-١٧٥-١٧٢-١٥٩-١٣٣	
٣٦١	أنو شروان	٢٨٧-٢٨٢	
٢٨٩	أنورى	١١٣	الأتابكة السلغريون
٨٤-٧٤-٧٣-٧٢-٧١-٧٠-٦٦	أورغون	١١٧	أتابكة فارس
٩٩-٩٥		١١٤-٩٨	أتابكة يزد
٢٩٠	أوفيد	٩	الأتراك
٩٥-٩٠	أوكتاي قاآن	٥٤	الأتراك العثمانيون
٣٩٤-٣٩٣-٣٩١	إياز	٩٢-٦٢	الحايتو خداينده
١٧٥	أليك أبش	٨٠-٧٨-٦٠-٥٤	الجوينى « عطا ملك »
٢٥٢-٢٧٢-٢٦٤-٢٢٥-٢٢٤	الايروانيون	١٠٠-٩٤-٩٣-٨٦-٨٤-٨١	
ب		٧٤-٧٠-٦٩-٦٨-٦٧-٦٦	السلطان أحمد
٣٠٥	بابا طاهر	١٠٠-٩٩-٩٧	
٢٩٠	باربييه دى منار	٨٤	أحمد بيتكچى
٥٨-٥٧-٥٤-٤٩-٤٨-١٨	بارتولد	٣٢٢-٢٥٨-٢٥٧-٢٧٤	الخطا

٤١	الترك	٤٠٥	بايزيد
١٥٩-١٥٥-١٥٤-١١٧	تركان خاتون	٩	نختنصر
١٧٤-١٧١-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٥		١٨٥-٧٨-٦٢-٦٠-٥٤-٥٢-١٣	براون
٢٨٣		٢٤٥-٢٣٧-٢٣٤-٢٢٦-١٩٨-١٩٧	
١١٥	تغ تگين	٣٤٩-٢٨٩-٢٨٧-٢٥٣	
٨٧	تقي الدين الحشائشي	٤١	البربر
٤٣٠-٩٤	تكش بن ايل ارسلان	١١٨-١١٤	بزابة « الأتابك »
١١٥	تكش السلجوقي	٤٥	البستاني
١٥٣-١٢٠-١١٩-١١٧	تكلة	١١٠	البشاري
٣٦١-٣٤٣	تكلة بن زنگي	٤٣٨-٤٣١	بقراط الحكيم
١٧٣-٩٩-٦٧-٦٦-٦٢	تكودار أحمد	٩	بنو اسرائيل
١٧٨-١٧٤		٩٤-٣١	بنو عباس
٩	تموجين	١٣٣	بنو قيصر
١٤٠	توده پشتي	٩٨-٩٥-٩٤	بهاء الدين الخويني
٣٤٧	توران	٢٧٥	بهار « ملك الشعراء »
١٧٨	تونيقي	٣٠٧	بهرام شاه
٣٠٠	تويسركاني	٣٨٥-٣٧٨-٣٥٢	بهرام گور
١٧٠-٨٣	تيمور	١٠٨	بيلو بن سام بن نوح
	ث	٤١٣	بيلول
		٣٧٤	بهمن
١٠٩	ثمود	١١٦	بهمن كريمي
	ج	٦١-٦٠	البوذيون
١٩٦	جامي	١٧٨	بولغان
١١٤	جاولي « الأتابك »	٧٥-٧٤-٧٣-٧١	بيدو
٤٠٦-٣٣٨	جبريل		پ
٣١٥-٣١٤-٣١٣-٣١٢-٣١٠	جراف	٣٤٤-١٠٨	الپيشداديه
٣٣٦-٣٣٠-٣٢٩-٣٢٥			ت
٩٠	جغتاي	١٩١	تازيكو
١٢٣	جلال الدين الجاولي	١٣٦	تاج الدين محمد
٣٠٦-٢٧٩-٢٦٤	جلال الدين الرومي	٨٨-٥٣-٥٢-٣٣-٢٨-١٥-١٤-٩-٨	التر

خ		جلال الدين منكبرتي ١١-١٢-١٣-١٨
٨١	خدا بنده	٩٤-١٢١-١٢٤-١٢٩
٧٥	خر بنده	١٧٩ جمال الدين
٣٥١-٣٤٩-٣٤٣	خسرو الساساني	١٤١ جمال الدين أبو بكر نعيم المصري
٢٨٨-٢٦٥-٢٦٤	خسرو الدهلوي	٤٥٢-٤٥١-٣٤٥-٣٤٤-٣٤٣ جمشيد
٧٩-٤١-٤٠	الخطا	٢٨٧ الجمعية الآسيوية
٣٣٩-٢٧٤	الحلفاء الراشدون	٤٠٥ الجنيد
١٤١	خواجه إمام الدين	١١٩ جهان بهلوان
٩٧	الحلفاء	٩٠ جوجي
٤٠٢	الخليل «إبراهيم»	٢٣-١٢-١١-٨-٧ الجويني «عطا ملك»
٩٠-٧٨-٩-٨	خوارز مشاه	٨١-٨٠-٧٨-٦٠-٥٥-٤٧-٤٢-٣٧
١٢٢-١١٥-٩٤-٩١	الخوارز مشاهيون	١٠٠٤-٩٤ ٩٣٤-٨٦٤-٨٤
١٣٢-١٣١		١٠٠ الجوينيين
د		ج
٣٤٧-٣٤٦-٣٤٣-٧٨	دارا	٧٧-٦١-٥٨-٣٧-٣٦-١٢-٩ چنگيز خان
٤٣٤-٤٣٣-٤٣٠	داود والطائي	١٣١-٩٢-٩١-٨٦-٧٨
٢٢٧-٢٢٣-٢١٤-١٩٧-١٠٤	دولت شاه	٢٧١ جورج الثالث
٢٧٠-٢٦٥-٢٣١-٢٣٠		ح
٥٤	الدولة البزنطية	٤١١-٤٠٩-٤٠٥ حاتم الأصم
٩٣	الدولة الصفوية	٣٨٤-٣٨٣-٣٨٢-٣٧٨-٣٧٧ حاتم الطائي
١١٥-١١٤-١١٣-١١٢	الديالمة	٢٨٨-٢٧٢-٢٧١-١٩ حافظ الشيرازي
٢٩٠	ديندرو	٢٩٠-٢٨٩
٤٩	ديودورس	٤٣٥-٣٥٦-٣٥٥-١١١-١١٠ الحجاج
٢٩٠	دي ريبالييه	١٥٤ الحسن بن علي
ذ		٩٦ حسن الصباح
٤١٦-٤٠٥	ذو النون المصري	٢٧١ حسين الطاف
ر		٩٢ حسين بايقرا
٤٤٣	رستم	٢٧٢ حسين ميرزا
٢٧٧-٢٧٦-٢٧٤	الرسول عليه السلام	١٣٧-٢٢٤-٢١٣-١٩٤ حمد الله المستوفي
٣٨٣-٣٣٦-٣٢٩-٣١١-٢٨٥-٢٨٢		٣٠٥-٢٣٨

٢٤٢-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٠-٢٢٩-٢٢٧	٩٢-٥٥-٣٧ رشيد الدين « فضل الله »
٣٠٢-٢٨٣-٢٥٠-٢٤٦-٢٤٥-٢٤٣	١٤٣-١٣٠
٣٠٣	٤٣٠-٩٤ رشيد الدين الوطواط
٢٧٨	٢٩-٢٢ الرصافي
١٢١-١٢٠-٨٣-١٨-٣ سعد بن زنگي	٨٨-٥٥ رضا زاده شفق « الدكتور »
١٢٧-١٢٦-١٢٥-١٢٤-١٢٣-١٢٢	٢٢٣-٢١٤-١٩٧ رضا مكي خانه
١٦١-١٦٠-١٥٣-١٤٢-١٣٩-١٣٠	١٢٣ ركن الدين
٢٢٣-٢٢١-١٨٦-١٨٥-١٨٣-١٨١	١١٤ ركن الدين خمارتكين
٢٣٠-٢٢٩-٢٢٨-٢٢٧-٢٢٦-٢٢٤	١٣٥ ركن الدين صلاح الكرمانى
٢٤٢-٢٣٨-٢٣٦-٢٣٤-٢٣٢-٢٣١	٣٠٧ الرودكى
٢٩٤-٢٨٥-٢٥١-٢٤٥-٢٤٤-٢٤٣	٢٩٤-١٢٩ روز بهان
٧٣-٧٢ سعد الدولة اليهودى	٢٨٩-٢٤٣ روس
١٨٨ سعيد نفيسى « الأستاذ »	٤٠ الروم
١١٥-١١٤-١١٣-٩٤-٩٣-١٨ السلاجقة	٢٩٠ رينان
١٧٠-١٦٨-١١٨-١١٦	ز
٣٤١ سلاطين الأتراك	٣٩ زكريا « النبى »
٤٣١ سلاطين الخوارز مشاهدين	٤٥٣-٤٥٢-٤٤٧ زليخا
١٧٠-١٦٩-١٦٨-١١٧-٣٢ سلجوق شاه	١١٧ زنگى
٢٨٧-١٧٥-١٧٢-١٧١	١٢٩-١١٩ زنگى بن مودود
١١٨-١١٧ سلغر	٧٣ زين الدين بن صاعد
١٧٤-١٢٩ السلغريون	س
١٦٧-١١٧ سلغم	٤٤٣
٣٦١-٢٤٠-١٥٣ سليمان « النبى »	٨١ سام
٣٠٧-٣٠٦ السنائى	٢٧١ سرقنى
٩٤-٨٢ سنجر السلجوقى	٣١٠ سروش
١٣٣-١٢٧-١١٨-١١٧ سنقر بن مودود	١٣٢-١٢٧-١١٧-١٠٦ سعد بن أبى بكر
٣٢٣-٣١٥-٣١٤-٣١٠-٣٠٩ سودى	١٥٧-١٥٦-١٥٥-١٥٣-١٥١-١٤٢
٤٠٩-٤٠٠-٣٧٩-٣٣٦-٣٢٩-٣٢٥	١٦٣-١٦٢-١٦١-١٦٠-١٥٩-١٥٨
١٧٨-١٧٢-٩٧-٩٦ سوغو نجاى	١٩٠-١٨١-١٧٥-١٧١-١٦٩-١٦٤
٧٨ سيد أمير على	٢٢٦-٢٢٥-٢٢٤-٢٢٣-٢٢٢-٢٢١

١٧٣	سيد شرف الدين إبراهيم	ض	
١٧٤	سيد عماد الدين أبو يعلى	الضحاك	٣٤٥
١٣٣	سيف الدولة أبو نصر على	ط	
٨١	سيف الدولة الباخريزي		
	ش		
٣٥١-٣٤٣-١١٠	شاپور		
٣٨١-٣٨٠-٣٧٨-٣٧٧	شبل		
٢١٤	شرف الدين بن مصلح « السعدى »		
٢٣٦-٢١٩-٢١٥			
٩٧-٩٤-٩٣-٨٩	شمس الدولة الجوينى		
٢٣٦-٢٢٠-١٠٤-١٠١-١٠٠-٩٩			
٢٨٧-٢٨٥-٢٨٢-٢٧٨			
٧٢	شمس الدولة اليهودى		
١٩٠	شمس الدين تازيكو		
٢٨٠-١٧٩	شمس الدين محمد الطيبي		
٢٣٣-٢٢٩-٢٢٨	شمس قيس		
٩١	شهاب الدين أحمد الكاتب الدمشقى		
٢١١-٢٠٤	شهاب الدين السهروردى		
٢٩٤-٢٦٤			
٣٤٩-٣٤٣	شرويه		
٢٦	الشيعة		
	ص		
٢٨٧-٤٢	صاحب الديوان		
١٣٦-١٣٥	الصاحب السعيد		
٢٧٩	الصاحبين		
١٤١-١٤٠	صدر الدين أشهى		
١٣٦	صفي الدين بن أبى الفتح السيرافى		
١٢٣	صلاح الدين الكرمانى		
١١٢	صمصام الدولة		
		ع	
		ظ	
		ط	
		الضحاك	٣٤٥
		ض	
		ط	
		طغرل « السلطان »	٤٤٧-٤٤٦-٩٤
		طغرل بن سنقر	١١٩
		طهورث	١٠٨
		الطوسى « نصير الدين »	٣٧-٣٤-٢٩
			٥٥-٤٧-٣٨
		طى	٣٨٣
		ظ	
		ظفر خاتون	٦٢
		ظهر الدين الفاريابى	٣٥٩-٣٥٨
		ع	
		عاد	١٠٩
		عباس إقبال « الأستاذ »	١٠٤
		العباسيون	٢٦
		عبد الرحمن الحامى	٣٢١-١٩٥
		عبد العزيز الطيبي	١٧٩
		عبد العظيم الكركانى « الأستاذ »	١٨٢
		عبد الله « والد سعدى »	٢١٨-١١٤
		عبد الله الأنصارى	٢٧٧-٢٧٦
		عبد الله بن عمر	٢٧٧
		عبد الله فضل الشيرازى	٩٢-٥٥
		عبد الملك بن مروان	١١١
		عثمان بن عفان	٣٣٩
		العجم	١٢٨-١١١
		العرب	١٣٣-٩١-٧٠-٤٩-٤٥-٤٣-٤١
			٣٢١-١٣٤

غ	غازان ٩٢-٨٢-٧٦-٧٥-٧٤-٦٦-٥٥	١٧٩	عز الدين
	غياث الدين خوارزمشاه ٤٥-١٣١-١٢١	١٤١-١٤٠	عز الدين إبراهيم القيسي
٩٣	غياث الدين خواندمير	٢٨٢-١٠٦	عز الدين أحمد بن يوسف
١٣٠	غياث الدين الزدى	١٢٠	عز الدين پنجره
ف		١٤٠	عز الدين زركوب
		١٢٠	عز الدين السحمة
٣٣٩	فاطمة « الزهراء »	٨٨-٥٧-٤٩-٢٠	عزام بك « الدكتور »
٢٧١	فتح على شاه	١٣٤	عصفور بن راشد بن عمير
٨٧-٨٦	الفخر الأخلاطى	٤٣٣-٤٣٠-١١٢	عضد الدولة
٧٢	فخر الدولة « اليهودى »	٣٠٦	العطار
٢٨٢	فخر الدولة أبو بكر	٩١-٥٥-٤٧-٣٧	عطا ملك « الجوينى »
٤٢-٣٤	فخر الدين الدامغانى	٢٢٠-١٠٣-٩٥-٩٤	
٨٧-٨٦	الفخر المراغى	٩٦-٩٥-٩٣-٨٤	علاء الدين الجوينى
١٠٠	فرج « الجوينى »	١٠٤-١٠٣-١٠١-١٠٠-٩٩-٩٧	
٣٨٠-٣٠٥-٣٠٤-٢٨٩	الفردوسى	٢٩٤-٢٨٢	علاء الدين السمنانى
٣٢١-٣٠٧-١٠٩-٧٥-٤٦-٤٤	الفرس	٨١	علاء الدين محمود بن الحسن الاسماعيلى
٢٩٠	الفرنسيون	٤١٠-٤٠٥	على بن أبى طالب
٢٧١	فرنكلين	٣١١-١٠٣	على بن أحمد البيستونى
٣٨٣-٢٨١-٢١٦-٢٠٦-١٦٤	فروغى	٩٩	على بن بهاء الدين
٣١٣-٣١١-٢٨٤		١١٢	على بن بويه
٤٣٦-٤٣١-٤٣٠-١٥٠	فريدون	٢٩٠-٢٨٣-٢٨١	على دشتى « الأستاذ »
١١٥-١١٤	فضاوية	١٢١	عماد الدين زيدان
٢٩٠	فولتير	٣٣٩-١٧٨-١٤٨-١٤٧	عمر بن الخطاب
ق		٤٠٩-٤٠٥	
٣٢١-٢٤٠-١٢٩-٨٤-٧٩	قآن	٣١٣-٢٧٧-١١٢	عمر بن عبد العزيز
٤٢٨	قارون	٣٥٤-٣٥٣-٣٤٣-٣١٤	
٢٢٥	قاسم تويسركانى « الأستاذ »	١١٢	عمر بن الليث
		١٢٤	عميد الدين أسعد الأبرزى
		٤٠٨-٤٠٦-٤٠٥	عيسى عليه السلام

٥٥	قاسم غني «الدكتور»	٥٥	سك
١٢٨	قتلغ خان	١٨٣	السكرگانی «الأستاذ عبد العظيم»
١١٤	قراجه «الأتابك»	٢١٧-٢١٦-٢١٣-١٩٩-١٨٩-١٨٦	
١٠٩	قریش	٢٢٥-٢٢٤-٢٢٣-٢٢٠-٢١٩-٢١٨	
٣٦٠٣٥٩-٢٥٨-٢٤٣-٢٠٨	قزل أرسلان	٣٠٠-٢٨٩-٢٧٠-٢٦٦-٢٦٥	
٢١١-٢٠٣-١٩٩-٧٨	الأستاذ القزويني	٣٥٣-٣٥٢-٣٤٣	كرگين
٣٠٢-٣٠٠		٣٠٥	گشتاسب
٨٧-٦٧	قطب الدين الشيرازي	٢٧١	گور اوسلي
١٥٤	قطب الدين محمود شاه	ل	
٦٩-٦٨-٦٧-٦٦	قلاوون	٦٣	اللاتينيون
٦١	قوبلاي	٢٩٠	لافونتين
ك		١٩٧	لطف علي بك آذر
٨٤	كرای ملك	٤١١	لقمان الحكيم
٣٥٢	کرد وچين	٣٩٢-٣٩١	ليلي
٢٧١-٢٧٠	كريم خان الزندي	٢	
٢٧١	الكابتن كلارك	٥٤	ماركوبولو
٣٤٨-٣٤٣	كسرى	٣٥٧	المسامون
١٢٠	كلجه	١٣٤	مانع بن علي بن عمير
٢٢٨-٢٢٧	كمال الدين إسماعيل	١٠٤	مجد الدين أسعد الرومي
١٠٩	كودرز الأشكاني	٣٥٨	مجد الدين البيلقاني
٤١٢-٤٠٥	كوشيار الحكيم	٩٠	مجد الدين الزدي
١٧٩-٧٣-٧١	كيخاتو	٢٨٨	مجد همكر
٩٠	كيوك خان	٣٩٣-٣٩٢-٣٩١	المنجون
		٦٧	محمد «عليه السلام»
		٢٦٤	محمد بن أبي بكر الصديق
		١٥٤	محمد الأمين
		٣٠٩	محمد تقى الحسنى
		٣٠٨	محمد بن جعفر الروشنى

٣٥	مصلح الدين اللارى	١٥٨-١٥٦-١٥٥-١١٧	محمد بن سعد
٢٦	المطيع لله	١٦٨-١٦٤-١٦٢-١٦١-١٦٠-١٥٩	
١٢٩	مظفر الدين	٣٠٢-٢٨٣-١٧٤-١٦٩	
٤١٣-٤٠٥	معروف الكرخى	١١٢	محمد بن القاسم بن عقيل
١٨-١٧-١٢-٧-٦-٥-٤-٣-٢-١	المغول	١١٢-١١١	محمد بن يوسف الثقفى
٣٢-٣٠-٢٩-٢٧-٢٣-٢١-٢٠-١٩		١٥٣-١٣٢-١٨	محمد شاه بن سلفرشاه
٥٥-٥٤-٥٣-٥١-٥٠-٤٦-٤٢-٤٠		١٧٢-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٦	
٦٤-٦٣-٦٢-٦٠-٥٩-٥٨-٥٧-٥٦		٣٢٩-٣٠٩	محمد شاه غازى
٨٢-٧٩-٧٨-٧٣-٧٢-٦٧-٦٦-٦٥		٥٥	محمد المنشى النسوى
٩٣-٩٢-٩١-٩٠-٨٩-٨٨-٨٧-٨٣		٣١١-٣٠٨	محمد على فروغى
١٠٦-١٠٢-٩٨-٩٧-٩٦-٩٥-٩٤		٢٦٥	محمد بن غيات الدين
١٣٢-١٣١-١٢٩-١٢٤-١٢٣-١٢٢		٢٣٤-١٢٨	محمد بن قيس
١٦٨-١٥٤-١٥٢-١٤٩-١٤٨-١٤٧		٣٩١-٢٥٩-٨٢	عمود بن سبكتكين
١٧٤-١٧٣-١٧٢-١٧١-١٧٠-١٦٩		٣٩٤-٣٩٣-٣٩٢	
٢٣٤-٢٣٣-٢٠٦-١٧٨-١٧٦-١٧٥		٨٧-٨٦	محيى الدين المغربى
٣٠٧-٣٠٦-٢٨٢		٢٩٠	مدام رولان
١٢٢	ملك خاتون	٣٣-٣١-٣٠-٢٩-٢٨-١٧-٣	المستعصم
١٧٨	الملك السعيد جمال الدين ابراهيم	٢٨١-٢٧٤-١٢٦-١٠٦-٤٤	
١٣٣	ملك سلطان بن قوام الدين	٢٦	المستكفى
١١٥	ملكشاه	١٠٠	ميسعود « الجوينى »
٣٤٨	ملوك الأكاسرة	١٨٨	مسعود الكازرونى
٩١	ملوك الترك	٦٠	المسلمون
٣٨٥	ملوك الحيرة	٦٢-٦٠	المسيحيون
٩٣-٩٠-١٨-١٠-٣-٢-١	ملوك خوارزم	٦٤-٦٢-٦١	المسيحية
١١٥		٢١٧-٢١٦-٢١٣	مشرف بن مصلح
١١٦	المماليك	٢١٩-٢١٨	
٩٤-٩١	منتخب الدين بديع الجوينى	٢١٥-٢١٤-١٨١	مصلح الدين سعدى
١١٤	منكوترس « الأتابك »	٢١٨	

٢٢٣	هدايت	١٧٤-١٧٣-١٧٢	منكو تيمور
٢٦٥-٢٦٤-٢٤٩-٢٤٨	همام التبريزي	٩٥-٩٠-٢٥-٢٤	منكو قآن
٢٨٨-٢٦٦		١١٨-١١٧	مودود السلغرى
٢٤٣-١٠٣	الأستاذ هنرى ماسيه	٢٦٦-٥٥	مولانا جلال الدين الرومى
٢٩٠	هو راس	٨٧-٨٦	مويد الدين العروضى
٢٦-٢٥-٢٤-٢٣-٢٢-٢١-٢٠	هولاكو	٤٢-٣٤	مويد الدين بن العلقمى
٣٥-٣٤-٣٣-٣٢-٣١-٣٠-٢٩-٢٧		٩٢	مير خواند
٦٢-٥٥-٤٧-٤٤-٤١-٤٠-٣٨-٣٦		٢١٧	مير عماد
٩٧-٩٦-٩٥-٩٣-٩٠-٨٥-٨٤-٨١		١٧١-١٧٠	مينكلى بيك
١٥٨-١٥٦-١٥٤-١٥٣-١٣٢-٩٩			
١٧٢-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٦-١٥٩			
٢٧٨-١٧٨-١٧٦-١٧٣			
	و		ن
٨٨-٧٢-٥٥-٤٠-٣٧-٣٥-٣٠	وصاف	٣٨٣	النبي عليه السلام
١٢٨-١٢٥-١٢٤-١٢٢-٩٨-٩٢-٨٩		٩٩	نجم الدين الأصفر
١٥٩-١٥٥-١٥٢-١٤٠-١٣٤-١٣١		٨٧	نجم الدين القزوينى
٢٣٧-١٧٢		٢٤	نجم الدين كبرى
	ى	٨٦	النجم دبيران القزوينى
		١٤٠	نجيب الدين
		٦٣	النسطوريون
٢٠	ياجوج	٩١-٤٢	النصارى
٥٥-٨-٧-٦	ياقوت	٨٥-٥٥-٤٧-٣٧	نصير الدين الطوسى
٢٧٧	يحيى بن معاذ الرازى	٩٠-٨٧-٨٦	
١٠٩-١٠٠	يحيى « الجوينى »	١٥٨	نظام أبو بكر
٤٠٠	يعقوب	١١٦-١١٥-١١٤	نظام الملك
٩١	اليقويون	٢١٥-٢١٣-١٩٩	نفيسى « الأستاذ »
١٠٩-٧٣-٧٢	اليهود	٢٤٥-٢٣٧-٢١٧-٢١٦	
٤٥٢-٤٠٠	يوسف	٦٦-٦٢	نقولا
٣٠٦-٣٠٥	يوسف وزليخا	٧٥	نوروز
٥٤	اليونان		

كشاف أسماء الكتب والمقالات

الكتب		ب
أتش كده	۲۲۳-۲۲۲-۲۱۴-۱۹۷	پریشان ۳۲۱
أفرین نامه	۳۰۵	ت
أحسن التقاسیم	۱۱۰	تاریخ ادبیات ایران ۸۸
أخبار الدول وآثار الأول	۷۸	تاریخ تصوف در اسلام ۵۵
أسرار نامه	۳۰۶	تاریخ الحضارة الإسلامية ۴۸-۱۸
إلهی نامه	۳۰۶	تاریخ گزیده ۱۱۸-۸۸-۸۵-۳۵-۲۷-۱۱
الانجیل	۳۳۸	۲۹۷-۲۹۵-۱۷۲-۱۳۷-۱۲۵-۱۲۴
ب		۲۲۷-۲۲۴-۲۲۲-۲۱۵-۲۱۴-۲۱۳
		۲۳۷-۲۳۶-۲۳۵-۲۳۴-۲۳۰-۲۲۹
بدائع سعدی	۲۸۲	۲۳۹-۲۳۸
بهارستان	۳۲۱	تاریخ مختصر الدول ۹۱
بوستان	۱۵۱-۱۴۴-۱۲۶-۱۰۶-۱۹-۱۴	تاریخ و صاف ۱۲۲-۱۰۰-۳۷
	۱۸۱-۱۶۳-۱۶۱-۱۶۰-۱۵۸-۱۵۷	تذكرة الشعراء ۲۱۴-۱۹۸-۱۹۵-۱۸۳
	۲۰۴-۲۰۳-۲۰۰-۱۹۲-۱۸۹-۱۸۷	۲۱۵-
	۲۱۲-۲۱۱-۲۱۰-۲۰۹-۲۰۶-۲۰۵	تسلیة الإخوان ۹۸-۹۶-۹۰
	۲۳۹-۲۳۲-۲۲۹-۲۱۹-۲۱۸-۲۱۶	تلفیق الأخبار ۵۸-۵۶-۲۴
	۲۵۴-۲۵۳-۲۴۷-۲۴۵-۲۴۱-۲۴۰	التوراه ۳۳۸
	۲۶۸-۲۶۶-۲۶۴-۲۶۱-۲۵۶-۲۵۵	
	۲۹۱-۲۹۰-۲۸۶-۲۷۵-۲۷۴-۲۷۱	ج
	۳۰۲-۳۰۱-۳۰۰-۲۹۹-۲۹۶-۲۹۳	جامع التواریخ ۳۷-۳۵-۳۴-۳۰-۲۴-۱۸
	۳۱۰-۳۰۹-۳۰۸-۳۰۷-۳۰۴-۳۰۳	۱۲۳-۹۶-۹۲-۸۸-۸۰-۴۲-۳۸
	۳۲۱-۳۲۰-۳۱۹-۳۱۸-۳۱۲-۳۱۱	۲۳۷-۱۲۵-۱۲۴
	۳۲۲	جهان آرا ۲۳۸-۲۲۳-۲۲۲-۱۲۴

س	جھان گشای ۷-۳۴-۵۵-۵۸-۷۹-۸۶
سایہ ۲۸۳-۲۹۰	۸۸-۸۹-۹۰-۹۱-۹۲-۹۳-۹۵-۲۰۷
سبک شناسی ۲۷۵-۲۸۰	۲۷۷
سرخ بت ۳۰۵	جواہر الأسرار ۲۶۵-۲۶۶-۲۹۴
سرگزشت سیدنا ۹۶	ح
سعدی نامہ ۱۷۵-۲۱۶-۳۰۰-۳۰۱-۳۰۲	حبیب السیر ۹۳-۱۱۸-۱۲۴-۱۹۵-۱۹۶
سلسلہ جب ۸۹	۲۱۳-۲۱۴-۲۱۵-۲۲۲-۲۲۳-۲۸۹
سلم السموات ۱۸۳-۱۸۸-۱۸۹	حساب الجمل ۱۹۵
سیر العباد إلى الميعاد ۳۰۶	حديقة الحقائق ۳۰۶-۳۰۷
ش	حديقة السنائی ۳۰۷
الشامانية ۵۹	الحوادث الجامعة ۳۱-۳۵-۴۱-۴۲-۸۱
الشاهنامه ۳۰۴-۳۰۵-۳۰۶-۳۴۴	۸۵-۹۸
شیراز نامہ ۱۰۴-۱۰۹-۱۱۰-۱۱۱-۱۱۲	حیات سعدی ۲۷۱
۱۱۴-۱۱۶-۱۲۲-۱۲۸-۱۲۹-۱۳۶	خ
۱۳۹-۱۴۰-۱۴۳	خنک بت ۳۰۵
الشکنوانية « قصيدة » ۱۳۶	د
ط	دائرة المعارف الإسلامية ۸۱-۱۰۳-۱۹۸
طرائق الحقائق ۲۷۰	۱۹۹-۲۲۵-۲۴۳
طریق التحقیق ۳۰۶	دائرة المعارف البريطانية ۲۴۴-۲۵۳-۳۰۷
ظ	دیوان البوستان ۲۸۱
ظفر نامہ ۲۳۷	دیوان الطیبات ۲۸۳-۲۹۰
ع	ر
العراق بین احتلالین ۲۶-۳۰-۳۵-۵۸	روضۃ أولى الألباب ۹۲
عشق نامہ ۳۰۶	روضات الجنات ۲۶۶
عفو نامہ ۳۰۶	ریاض العارفین ۱۹۶-۱۹۷-۲۱۴-۲۱۵
عقل نامہ ۳۰۶	۲۲۲
عوارف المعارف ۲۶۴	ز
عین الحیاة ۳۰۵	زمان تولد وأوایل زندگان سعدی ۲۲۶

ف		م	
الفخرى	٩٧-٩١-٤٢-٤١-٢٨	المتنوى المعنوى	٣٠٦
فيه ما فيه	٢٧٩	المحسطنى	٨٧
ق		محلة مهر	١٩٩
ك		مختصر الدول	٢٨
القرآن الكريم	٢٩٠-١٨٨-١٠٩	مراصد الاطلاع	١١٢
قصة الأدب في العالم	٢٠	مزارات شيراز	٢٣٤-٢٢٢-١٩٦-١٥٦
القصيدة الشكنوانية	١٢٤	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار	٩١
ك		مظهر العجائب	٣٠٦
كتاب العين	٨٧	معجم البلدان	٧
كشف الظنون	٣١٠	المعجم في معايير أشعار العجم	١٢٨-١٢٤
الكليات	٢٨٠-٢٣٠-١٩٠-١٦٠-١٥٩	٢٣٨-٢٣٤-٢٣٢-٢٢٧-٢٢٦-٢٢٣	
كليات سعدى	٢٧٥-٢٣٢-٢٣١-٢٠٢	مقدمة بن خلدون	٤٩-٤٨
كليات فروغى	١٥٨-١٥٧-١٤٥-٣١	مقدمة الزمخشري	٣٩٧-٢٥٨
كليات ودمنة	٢٧٥-١٦٥	ملاحة الشعراء	٢٨٩
س		م	
كلمستان	١٥٨-١٥٧-١٥١-١٣٧-١٩-١٥	ممدوحين شيخ سعدى	١٧٥-١٢٤-٣٢
كلمشن خلفا	٢٢٨-٢٢٧-٢١٦-٢٠٢-٢٠١-١٩٩	منطق الطير	٢٣٢-٢٣١-٢٢٦-٢٢٢
كلمشن زار	٢٧٧-٢٧٦-٢٧٥-٢٦٨-٢٦٦-٢٦٤	ن	
	٣٠٠-٢٨٩-٢٨٤-٢٨١-٢٨٠-٢٧٩	نزهة القلوب	١١٠-١٠٩
	٣٢١-٣٢٠-٣١٩-٣٠٣-٣٠٢-٣٠١	نصائح الملوك	٢٧٩
	٣٥	نفحات الأنس	٢١٤-١٩٦-١٩٥
	٣٥	و	
		وامق والعذراء	٣٠٥
		وفيات الأعيان	٥
ل		ى	
لب التواريخ	١٢٤	الياسا	٩٠
لسان الغيب	٣٠٦	الياساق	٥٩
		الياساق الكبير	٧٨

كشاف أسماء المدن والأماكن والأقطار

١٣	باميان		
٥٢	بحر قزوين	١٧٢-١١٩-١٣-١٠	آذربيجان
١٣٤-١٣٣-١١٠	البحرين	٥٤-٥٢	آسيا
٤٢	برج العجمي	٢٦٤-٨٣-٥٦-٥٢	آسيا الصغرى
٢٨٤	برلين	٩٦-٩٠-٨٥	آلموت
١٧١-١١٠-٨٦	البصرة	١٠	أرانيه
٢٢٠	بعلبك	١١٠	أرجان
٢٦-٢٣-٢٢-٢١-٢٠-١٨-٥	بغداد	١١٠	أردشير خوره
٤٣-٤٢-٣٨-٣٦-٣٥-٣٤-٣١-٣٠		١٢٢-١١٥-١١١-١١٠-١٠٩	أصطخر
٩٩-٩٧-٩٦-٩٠-٨٦-٧٢-٥٥-٤٥		١٧٠-١٢١-١٠٨-٩٨-٩٥-١٤	أصفهان
١٨٨-١٨٥-١٦٧-١٣٢-١٢٦-١٠٧		٢٥٥	
٢٢٦-٢٢٤-٢٠٦-٢٠٤-٢٠٣-١٩٠		١٣٤	أوال
٢٦٤-٢٥٩-٢٥٨-٢٥٤-٢٥١-٢٣٤		٩	أوترار
٢٨١		٣١٠-٣٠٨-٢٨٤-٥٤-٥٢-١	أوربا
١٠	بلاد الجبل	٥٢-٥١-١٩-١٧-٨-٦-٤-٣-٢-١	إيران
٧٢	بلاد الروم	٩٢-٩٠-٨٨-٨٣-٧٩-٦٦-٥٧-٥٦	
١٥٤	بلاد اللور	٢٥٥-١٧٦-١٦٤-١٠٨-٩٥-٩٣	
١٠	بلا سغون	٣٨٠-٢٧٤-٢٧٢-٢٧١-٢٦٤-٢٥٦	
٢٥٥	بلخ	٣٤٧-٣٠٩	
١٠٥-١٩	البيت العتيق		ب
٩	البيت المقدس	١١	باب الأبواب
	پ	٩٠	باريس
١٧٣	پل گوار	٨٠	باغ منصورية

١١٥-٧٨	خوارزم	ت	
١٧٠	خورشيف	تبريز	١٧٩-١٢٣-١٠١-١٠٠-٩٩-٨١
١١٨-١١٠-١٠٨	خوزستان		٣٠٩-٢٧٩
	د	ترکستان	٢٥٥-٢٤٧-٩٠-١٠-٩-٨
٧٢	دار السلام	ترکيا	٣٠٩-٣٠٨
١١٠	داراب جرد	تفليس	٨٦
٤٧-٤٦-٤٤-٣٧	دجلة	ج	
٢٢٠-١١٥-٨٦	دمشق	الجامع الجديد	١٢٣
	ر	جامع الخليفة	٤٠-٣٩
٢٧٠	رکن آباد	جامع القصر	٣٤
٣٨٣-٣٨٢-٣٨٠-٣٦٥	الروم	جامع نو	١٢٣
٢٥٥-١٢١-١٠	الري	جرنداب	١٧٤-١٠٠-٩٩
	ز	الجزيرة العربية	٢٥٦
٣٧٤	زابلستان	جزيرة قيس	١٣٣
	س	جزيرة كيس	١٣٣-١٢٥
١٧١	سمستان	جوين	٩٤
٣٣٨	سدره المنهى	جيحون	١٠٨
٧٨-٢٣-١٢-١١-١٠-٩	سمرقند	ح	
٢٢٠	سوريا	الحلبش	٢٥٥
١١٢	سوق الأمير	الحجاز	٢٦١-٢٥٥-٢٥٤
٢٥٩-٢٥٧-٢٥٥	سومناث	حلب	٢٥٦-١٩٢
	ش	خ	
٨٢	شام	خراسان	٧٥-٧٢-٥٤-٢٨-١٣-١٠-٧-٦-١
٢٥٦-٢٥٥-٤١-٤-١	الشام		١٧٣-١١٨-٩٩-٩٤-٩٢-٧٨
١٢٣	شهر الله	خليج البصرة	١٣٤
		خليج فارس	١٣٢
		الخليج الفارسي	٥٢

غ		شیراز ۱۹-۱۰۱-۱۰۴-۱۰۵-۱۰۶-۱۱۰
۳۹۳-۸۲-۱۳	غزنة	۱۱۲-۱۱۳-۱۱۸-۱۱۹-۱۲۰-۱۲۳
۱۳	الغور	۱۲۴-۱۳۷-۱۳۸-۱۴۰-۱۴۱-۱۵۰
ف		۱۵۴-۱۵۵-۱۵۹-۱۶۸-۱۶۹-۱۷۲
۹۶-۸۳-۷۵-۳۲-۲۴-۱۹-۱۷-۳-۱	فارس	۱۷۳-۱۷۴-۱۷۸-۱۷۹-۱۸۵-۲۱۹
۱۱۱-۱۱۰-۱۰۹-۱۰۸-۱۹۶-۱۰۵		۲۲۰-۲۲۱-۲۲۴-۲۲۷-۲۲۸-۲۲۹
۱۲۴-۱۲۳-۱۲۱-۱۱۸-۱۱۵-۱۱۴		۲۳۱-۲۳۳-۲۳۴-۲۳۵-۲۳۶-۲۴۱
۱۳۷-۱۳۳-۱۲۹-۱۲۸-۱۲۷-۱۲۶		۲۴۳-۲۴۴-۲۴۵-۲۴۶-۲۴۷-۲۴۹
۱۶۹-۱۴۷-۱۴۴-۱۴۱-۱۳۹-۱۳۸		۲۵۰-۲۵۱-۲۵۳-۲۵۴-۲۵۸-۲۶۸
۱۷۹-۱۷۸-۱۷۶-۱۷۵-۱۷۴-۱۷۰		۲۷۰-۲۷۱-۲۸۱-۲۹۴-۲۹۵-۳۵۴
۲۵۴-۲۵۱-۲۴۶-۲۴۵-۲۰۰-۱۸۶		۳۵۵
۳۱۱-۳۰۷-۲۹۸-۲۹۴-۲۸۲-۲۸۰		ص
۳۲۹		
۴۲۵-۲۶۱	فاریاب	صقلاب ۳۶۵
۲۳۴	فرزین	صنعاء اليمن ۳۶۵-۱۹۲
۳۱۰	فینا	صومعة سليمان ۱۱۱
ق		الصين ۴۰-۱۰
۱۱۰	قباد خره	ط
۹۵-۷۹-۶۲	قراقور م	
۷۹	قرشی سودی	طبر تو ۱۵۴
۶۲-۵۴	القسطنطينية	طبرستان ۸۰
۱۳۴	القطیف	طهران ۳۱۱
۱۱	قفجان	ع
۱۱۸-۱۱۶-۴۱	القفجاق	
۱۵۳-۸۴-۴۷	قلاع الإسماعيلية	العراق ۴-۱۰-۱۳-۲۱-۲۸-۹۵-۹۷-۱۱۰
۱۳۰-۱۲۲	قلعة سفید	۱۱۱-۱۲۱-۱۲۳-۲۵۵-۲۵۶
۱۳۶	قلعة شكنوان	العراق العربی ۶۵-۹۳-۹۷
۱۰۱	قهنلنز	العزى ۳۳۸
۲۶۶-۲۶۴	قونیه	العزیزية ۷
		عين جالوت ۴

١٢٣	مسجد الكوفة	ك	
٤٠-٣٩	مشهد موسى الخواد	١٨٨	كازرون
٢٥٥ ١٧١-٩٨-٨٣-٧٩-٦٧-٦٦-٤٠	مصر	٣٩٧-٩٩	كاشان
٩٩	مغان	٢٥٧-٢٥٥-٢٤٧-٢١٩-١٠	كاشغر
٤٠-٣٨-٣٧-٣٦-٢٢	مكتبات بغداد	٣٢٢-٢٥٨	
٣١٠-٣٠٩-٣٠٨	مكتبة الجامعة	١٧٠-١٢١-١٨	كرمان
١٣٤-١٢٨	ملك سليمان	٢٨٨	الكعبة
٢٥٩	منات	٧	الكمالية
٨٦-٧٢	الموصل	٢٥٥	كيش
٢٦٥	مولتان	ك	
ن			
٢١٤-٢١٠-١٨٨-١٨٥-٥٩	النظامية	١١٢	گردقنا خسرو
٢٨٦-٢٦٤		ل	
٨١	نهر جعفر	٣٣٨	اللات
٩٥	نهر جيحون	م	
٢	نهر السند	١٣	مازندران
١٣	نيسابور	٢٥٨-٩٠-٩-٢	ما وراء النهر
٤٠١	النيل	٨٢	المأمن
هـ		٣٠٠	متحف لندن
٣٤٨-٣٤٣	هرمز	١٣٤-١٣٢-١٠٨	المحيط الهندي
١٠	همدان	٤٦-٤٥-٤٤	المداين
٢٦١-٢٥٩-٢٥٧-٢٥٥-١٣-١	الهند	١١٩	مدرسة أميني
٣٢٢-٣١٤-٣٠٩-٣٠٨-٢٨٧-٢٦٤		١٧٤-١٥٤	المدرسة العضدية
و		١٣٦	مدرسة مقرب
٨٦-٨١	واسط	٤١٦	مسلمين
٣٠	وقف	٩١-٨٧-٨٦-٨٥-٨١	مراغه
ي		٤	مخرج الصفر
١٤٨	ياجوج	٨٥	المرصد الإيلخاني
١٧١-١٦٩-١٦٧-١٥٤-٩٨	يزد	٨٢-١٣-١٢-٨-٧	مرو
٢٦١-٢٥٥	اليمن	٢١٠-٥٩	المستنصرية
		١٣٧-١١٩-١١٢	المسجد العتيق

المصادر

أُثبتُ هنا فقط المصادر التي تكوّن البحث منها

١ - المصادر العربية

- ١ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم :
المقدسي . البشاري - الطبعة الثانية . ليدن سنة ١٩٠٩ م .
- ٢ - الاحياء في علوم الدين :
الغزالي - أبو حامد محمد بن محمد - المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٣ - تاريخ الخلفاء :
السيوطي - جلال الدين عبد الرحمن - طبعة الحلبي سنة ١٣٠٥ هـ .
- ٤ - تاريخ أبي الفداء « المختصر في أخبار البشر » :
أبو الفدا - إسماعيل بن علي عماد الدين - استانبول سنة ١٣٤٠ هـ .
- ٥ - تاريخ الحضارة الإسلامية :
بارتولد (ترجمة الأستاذ حمزة طاهر) . مطبعة المعارف سنة ١٩٤٢ م .
- ٦ - تاريخ مختصر الدول :
ابن العبري - غريغورس أبو الفرج بن هارون الملقب . بيروت ١٨٩٠ م .
- ٧ - تليق الأخبار وتلقيح الآثار :
م . م . الرمزي . أورونبورغ سنة ١٩٠٨ م .
- ٨ - الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة :
ابن الفوطي - أبو الفضل عبد الرازق البغدادي - بغداد سنة ١٣٥١ هـ .
- ٩ - الحميس في أحوال أنفس نفيس . الديار بكرى :
القاهرة سنة ١٨٢٢ م .

- ١٠ - دائرة المعارف الإسلامية :
الترجمة العربية .
- ١١ - الدعوة إلى الإسلام .:
سير توماس أرنولد . (ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وآخرين
الشوباكشى ١٩٤٧ .
- ١٢ - ذكرى أبي الطيب المتنبي :
الدكتور عبد الوهاب عزام بك - بغداد سنة ١٩٤٢ م .
- ١٣ - رحلة ابن بطوطة - تحفة النظار في غرائب الأمصار :
القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ
- ١٤ - الرسالة القشيرية :
أبو القاسم عبد الكريم القشيري - المطبعة الأدبية سنة ١٣٠٠ هـ .
- ١٥ - السلوك لمعرفة دول الملوك :
المقريزي - تقي الدين أحمد بن علي - نشر الدكتور زيادة -
دار الكتب ١٩٣٦ م .
- ١٦ - سيرة جلال الدين منكبرتي :
النسوى - المنشى - شهاب الدين محمد بن أحمد - نشر هوداس
سنة ١٨٠١ م .
- ١٧ - الشباهنامه :
الدكتور عبد الوهاب عزام بك - دار الكتب سنة ١٩٣٢ م .
- ١٨ - العبر وديوان المبتدأ والخبر :
ابن خلدون - بولاق سنة ١٢٨٤ هـ .
- ١٩ - العراق بين احتلالين :
الأستاذ عباس العزاوي - بغداد سنة ١٩٣٥ م .

- ٢٠ - عوارف المعارف . على هامش الأحياء للغزالي :
شهاب الدين السهروردي - المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٢١ - الفخـبرى :-
ابن طباطبا - المطبعة التجارية سنة ١٩٢٧ م .
- ٢٢ - الفنون الإيرانية :
الدكتور زكي محمد حسن - دار الكتب ١٩٤٦ م .
- ٢٣ - فـوات الوفيات :
ابن شاكر الكتبي - بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٢٤ - قصة الأدب في العالم :
الدكتورين أحمد أمين بك وزكي نجيب محمود - لجنة التأليف سنة ١٩٤٥
- ٢٥ - الكامل لابن الأثير :
ابن الأثير - على بن أحمد - المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ .
- ٢٦ - كشف الظنون :
ملاحاجي خليفه جلبي - طبع مصر سنة ١٣٧٤ هـ .
- ٢٧ - مختصر تاريخ العرب الإسلامي : تأليف سيد أمير علي وترجمة الأستاذ
رياض رأفت - لجنة التأليف والترجمة - سنة ١٩٣٨ م .
- ٢٨ - مسالك الممالك :
تأليف الاصطخري - ليدن سنة ١٨٧٠ م .
- ٢٩ - المسالك والممالك :
ابن خردادبه - ليدن سنة ١٣٠٦ هـ .
- ٣٠ - معجم البلدان :
ياقوت الحموي - مطبعة الخانجي سنة ١٣٢٣ هـ .
- ٣١ - وفيات الأعيان :
ابن خلكان - طبعة الحلبي سنة ١٣١٠ هـ .

٢ — المصادر الفارسية

- ١ — آتشكده :
تأليف لطفعلی بیك آذر — طبع بمبئی سنة ١٢٧٧ هـ .
- ٢ — بدائع غزلیات سعدی :
تأليف سعدی شیرازی — برلین سنة ١٣٠٤ هـ . ش .
- ٣ — بوستان سعدی — مع قاموس :
طبع كانبور سنة ١٩٠١ م .
- ٤ — بوستان سعدی :
طبع المطبعة العامة سنة ١٢٨٨ هـ .
- ٥ — بوستان سعدی :
نسخة جراف . — فیما سنة ١٨٥٤ م .
- ٦ — بوستان سعدی :
نسخة مخطوطة . تاریخ کتابها سنة ٩٧٨ هـ .
- ٧ — بهارستان :
عبد الرحمن الجامی — القاهرة سنة ١٢٩١ هـ .
- ٨ — تاریخ تصوف در اسلام :
دكتور قاسم غنی — طهران سنة ١٣٢٢ هـ . ش .
- ٩ — تاریخ عصر حافظ . :
دكتور قاسم غنی — طهران سنة ١٣٦١ هـ . ش .
- ١٠ — تاریخ گزیده :
تأليف حمد الله المستوفی . سلسلة جب . نشر براون . لندن سنة ١٩١٠ م
- ١١ — تجربة الأمصار وتزجية الأعصار . المشهور بتاريخ و صاف :
وصاف الحضرة — بمبئی سنة ١٢٦٩ هـ .

- ١٢ — تذكرة رياض العارفين :
تأليف رضا قليخان هدايت . طهران سنة ١٣١٦ هـ .
- ١٣ — تذكرة الشعراء . :
دولتشاه السمرقندى — لندن سنة ١٩٠١ م .
- ١٤ — تعليم وتربيت در نظر سعدى :
محمد جناب زاده — مطبعة سروش سنة ١٣١٧ هـ . ش .
- ١٥ — جامع التواريخ :
تأليف رشيد الدين فضل الله . نشر كاترمير . باريس سنة ١٨٤٣ م .
- ١٦ — جامى :
الأستاذ على أصغر حكمت — طهران سنة ١٣٢٠ هـ . ش .
- ١٧ — حبيب السير فى أخبار البشر :
خواندمير — بمبي سنة ١٢٧١ هـ — ١٨٥٧ م .
- ١٨ — حديقة الحقيقة :
السنانى الغزنوى — بمبي سنة ١٨٥٩ م .
- ١٩ — حيات سعدى :
تأليف ألطاف حسين وترجمة سيد نصر الله سروش — طهران سنة ١٣١٦ هـ .
- ٢٠ — ســـــــــايه :
الأستاذ على دشتى — طهران سنة ١٣٤٢ هـ . ش .
- ٢١ — سبك شناسى :
« الشاعر بهار » طهران سنة ١٣١٩ هـ . ش .
- ٢٢ — سخن سعدى :
الأستاذ قاسم تويسركانى — طهران
- ٢٣ — سعد ينامه :
مجموعة مقالات فى العيد السبعائوى للكلستان سنة ١٣٦٥ هـ .
- ٢٤ — شرح بوستان سعدى :
ســــــــودى — استانبول سنة ١٢٨٨ هـ .

- ٢٥ - شـيراز نامه :
أبو العباس أحمد زركوب . نشر الأستاذ بهمن كرمي - طهران
سنة ١٣٥٠ هـ . ش.
- ٢٦ - فارس نامه :
ابن البلخي - طبع كامبردج سنة ١٣٣٩ هـ - ١٩٣١ م .
- ٢٧ - كليات سعدى :
نسخة تبريز - طبع حجر سنة ١٣٥٨ هـ .
- ٢٨ - كليات سعدى :
نسخة الأستاذ محمد علي فروغي . نشر شركة التضامن العلمية .
طهران سنة ١٣٢١ هـ . ش.
- ٢٩ - گلستان سعدى :
نشر الأستاذ عبد العظيم خان الكركاني سنة ١٣١٠ هـ . ش.
- ٣٠ - گلستان سعدى :
نشر بلاتس . لندن سنة ١٨٧٤ م .
- ٣١ - مجلة مهـر :
السنة الخامسة . الأعداد السبعة الأولى .
- ٣٢ - مجمع الفصحاء :
تأليف رضا قليخان هدايت - طهران سنة ١٢٨٤ هـ .
- ٣٣ - المعجم في معايير أشعار العجم :
تأليف شمس الدين محمد بن قيس - نشر الأستاذ القزويني -
بيروت سنة ١٩٠٩ م .
- ٣٤ - نزهة القلوب :
تأليف حمد الله المستوفي - سلسلة جب - لندن سنة ١٨١٠ م .
- ٣٥ - نفحات الأنس :
تأليف الحامي - مخطوط سنة ١٠٣٢ هـ . رقم ٦٨٤ - مكتبة الجامعة .

٣ — المصادر الأفرنجية

1. Arberry, (A.J.),
Kings & Beggars. The First two Chapters of Sa'd's Gulistan,
London 1945.
2. Browne, (A.G.),
A Literary History of Persia, London 1906.
3. Ross, (J.),
Sa'd's Gulistan, New York 1923.
4. The Encyclopaedia Britanica.
5. The Encyclopaedia of Islam.

استدراك خطأ وصواب

وقعت بعض أخطاء يمكن إدراكها ولكننا نشير إليها ونرجو ردعها أما كتبها

ص	س	الخطأ	الصواب
١٥	٢٥	کرد	گرد
١٥	٢٧	هبيج	هبيج
١٥	٢٧	بيج	بيج
٣٣	٤	جدا	خدا
٥٠	١٢	المكتبة	المكتبات
٨١	١٣	احديهما	احداهما
٨٢	١٥	الكنبد	الكنبد
٩٠	٥	جهطاي	جغطاي
٩٦	٢	في الوقع	في الواقع
١٠٣	١	الجويشي	الجويني
١٠٦	٨	طبيع	طبيع
١٢٩	١	قا آخان	قا آن خان
١٣٧	١٧	القضلاء	الفضلاء
١٤١	٨	استفتا	استغنا
١٤١	٨	ودد	ودر
١٤٤	٢٢	كوى	گوى
١٤٨	١٣	أزست	أز زرست
١٤٨	٢٤	نخمل	تجعل
١٦٣	٤	في عهدہ	في عهد

ص	س	الخطأ	الصواب
١٧٠	٣	بلاد الاوز	بلاد اللور
١٨٣	١٦	قبيلة	قبيله*
١٨٧	١٦	گنار	کنار
١٨٩	١٠	میکی	میکنی
١٩٠	٢١	برا ددم	برا درم
١٩١	١٧	حد سنه* ود	حدود سنه*
٢٧٠	١٤	مزار من کثیر	مزار کثیر من
٣٠٣	٩	تمدحه	تمدحه
٣٣٦	١٥	٧٩	٩٩
٣٣٨	١٤	قدرتك	قدرك
٣٤٩	٢٥	دوعد	در
٣٨٧	٣	إلالو	ألالو
٣٨٧	٢٠	گرم	کرم
٣٩٥	١٢	والاربعين	والواحد والثلاثين
٤١٣	١٧	برد	برده*
٤١٥	٢٤	گمسترم	گمترم
٤٢٨	٤	الطمو	الطمع
٤٢٨	٧	تخیل	تخیل
٤٣٢	١	الخوارز شاهین	الخوارز شاهین
٤٣٣	٢٤	کس	کسی
٤٣٦	٤	القسوة	القوة
٤٣٧	٢٤	عقسلت	عقسلت
٤٣٨	٢٢	برده	برده
٤٥٨	٨	الأخيار	الاختیار

كتب للمؤلف

(أ) مطبوعة :

١ - تاريخ الأدب الفارسي « مترجم » شامل في دراسة الحياة الأدبية في إيران قبل الإسلام وبعده . يعرض لتراجم كثير من الشعراء ورجال الأدب والعلم في العصور المختلفة .

٢ - المعجم في اللغة الفارسية . يجرى إتمام طبعه الآن في مطبعة مصر . يحتوي قرابة ٢٠ ألف كلمة واستعمال ، ومعانيها المختلفة في العربية ، مع الإشارة إلى الدخيل من هذه الكلمات في اللغة العربية .

(ب) تحت الطبع :

- ٣ - ترجمة بوستان سعدى الشيرازي مع النص .
- ٤ - ترجمة بدائع سعدى الشيرازي مع النص .
- ٥ - ترجمة قصة يوسف وزليخا للشاعر الفردوسي مع النص .



مكتبة الخانجي ، ودار الفكر العربي ، والمكتبات الشهيرة

يطلب المطبوع من هذه الكتب من :

مكتبة الخانجي ، ودار الفكر العربي ، والمكتبات الشهيرة

